NURUOSMANİYE
590
765

جامع العلوم والحكم

٧٦٥

NUR... MANİYE K... ESİ
Kısmı: N.O.
Yeni No: 590
Eski: 765
Tasnif: 297.2(077)=927

٧٦٥

وقف عمدة ملوك الدول وسليل نخبة آل عثمان ومحيي السنة امام الامة
السلطان ابن السلطان السلطان ابو المحاسن والمواهب عثمان خان
ابن السلطان مصطفى خان لازالت ايامه مصابيح الاقبال
ولياليه الجميلة مفاتيح ابواب الآمال وانا الداعي لدولته
الحاج ابراهيم حنيف المفتش باوقاف
الحرمين الشريفين
غفر له

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم يسر واعن ووفق يا كريم يا رحيم
الحمد لله الذي اكمل لنا الدين واتم علينا النعمه وجعل امتنا ولله الحمد خير امه
وبعث فينا رسولا منا يتلوا علينا اياته ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمه احمده على نعمه
الجمه واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تكون لمن اعتصم بها خير عصمه
واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله للعالمين رحمه وفوض اليه بيان ما نزل الينا
فاوضح لنا كل الامور المهمه وخصه بجوامع الكلم فربما جمع اشتات الحكم والعلوم في كلمه او
في شطر كلمه صلى الله عليه وعلى اله وصحبه صلاة تكون لنا نورا من كل ظلمه وسلم تسليما
اما بعد فان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بجوامع الكلم وخصه ببدائع
الحكم كما في الصحيحين عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت بجوامع الكلم قال
الزهري جوامع الكلم فيما بلغنا ان الله يجمع له الامور الكثيره التي كانت تكتب في الكتب
قبله في الامر الواحد والامرين ونحو ذلك **وخرج الامام احمد** من حديث
عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوما كالمودع فقال انا محمد النبي الامي قال ذلك ثلاث مرات ولا نبي بعدي اوتيت فواتح الكلم
وخواتمه وجوامعه وذكر الحديث **وخرج ابو يعلى الموصلي** من حديث عمر
بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اني اوتيت جوامع الكلم وخواتمه واختصر
لي اختصارا **وخرج** الدارقطني من ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اوتيت فواتح الكلم وخواتمه واختصر لي الحديث اختصارا **وروينا** من حديث عبد الرحمن
بن اسحق القرشي عن ابي برده عن ابي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اعطيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه فقلنا يا رسول الله علمنا مما علمك الله
عز وجل قال فعلمنا التشهد **وفي صحيح مسلم** عن سعيد بن ابي برده بن ابي موسى
عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن البتع والمزر قال وكان رسول
صلى الله عليه وسلم قد اعطي جوامع الكلم بخواتمه فقال انهى عن كل مسكر اسكر عن الصلاة

حديث صحيح

وروى

وروى هشام بن عمار في كتاب المبعث باسناده عن ابي سلام الحبشي قال حدثت
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول فضلت على من قبلي بست ولا فخر فذكر منها واعطيت
جوامع الكلم وكان اهل الكتاب يجعلونها وردا بالليل الى الصباح فجمعها لي ربي في اية واحده
سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم **فجوامع الكلم** التي خص بها صلى الله
عليه وسلم نوعان احدهما ما هو في القران كقوله عز وجل ان الله يامر بالعدل والاحسان
وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي **قال الحسن** لم تترك هذه الايه
خيرا الا امرت به ولا شرا الا نهت عنه والثاني ما هو في كلامه صلى الله عليه وسلم وهو
منتشر موجود في السنن الماثوره عنه صلى الله عليه وسلم **وقد جمع العلماء** رحمهم الله
جميعا من كلماته صلى الله عليه وسلم الجامعه فصنف الحافظ ابو بكر ابن السني كتابا سماه
الايجاز وجوامع الكلم من السنن الماثور وجمع القاضي ابو عبد الله القضاعي من جوامع الكلم
الوجيزه كتابا سماه الشهاب في الحكم والاداب وصنف على منواله قوم اخرون فزادوا على ما
ذكره زيادة كثيره واشار الخطابي في اول كتابه غريب الحديث الى يسير من الاحاديث الجامعه
واملى الامام الحافظ ابو عمرو بن الصلاح رحمه الله مجلسا سماه الاحاديث الكليه جمع فيه
الاحاديث الجوامع التي يقال ان مدار الدين عليها وما كان في معناها من الكلمات الجامعه الو
جيزه فاشتمل مجلسه هذا على ستة وعشرين حديثا ثم ان الفقيه الامام الزاهد القدوه
ابا زكريا يحيى النووي رحمه الله عليه اخذ هذه الاحاديث التي املاها ابن الصلاح وزاد
عليها تمام اثنين واربعين حديثا وسمى كتابه بالاربعين واشتهرت هذه الاربعون التي
جمعها وكثر حفظها ونفع الله بها ببركة نية جامعها وحسن قصده رحمه الله وقد تكرر
سؤال جماعه من طلبة العلم والدين لتعليق شرح لهذه الاحاديث المشار اليها فاستخرت
الله سبحانه وتعالى في جمع كتاب يتضمن شرح ما يسره الله تعالى من معانيها وتقييد
ما يفتح به سبحانه من تبيين قواعدها ومبانيها واياه اسال العون على ما قصدت
والتوفيق لصلاح النيه والقصد فيما اردت واعول في امري كله عليه وهو ابرا من الحول

والقوة الا بالله وقد كان بعض من شرح هذه الاربعين تعقب على جامعها رحمه الله تركه
لحديث الحقوا الفرايض باهلها فما ابقت الفرايض فلاولى رجل ذكر قال لانه جامع لقواعد
الفرايض التي هي نصف العلم فكان ينبغي ذكره في هذه الاحاديث الجامعه كما ذكر حديث البينه
على المدعي واليمين على من انكر لجمعه لاحكام القضا فرايت انا ان اضم هذا الحديث الى احاديث
الاربعين التي جمعها الشيخ رحمه الله وان اضم الى ذلك كله احاديث اخر من جوامع الكلم
الجامعه لانواع العلوم والحكم حتى تكمل عده الاحاديث كلها خمسين حديثا وهذه
تسميه الاحاديث المزيده على ما ذكره الشيخ رحمه الله في كتابه **حديث** الحقوا الفرايض
باهلها **حديث** يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب **حديث** ان الله اذا حرم
شيا حرم ثمنه **حديث** كل مسكر حرام **حديث** ما ملا ادمي وعاء شرا من
بطن **حديث** اربع من كن فيه كان منافقا **حديث** لو انكم تتوكلون على الله حق
توكله لرزقكم كما يرزق الطير **حديث** لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله **وسميته**
جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم واعلم انه ليس غرضي الا شرح الا
لفاظ النبويه التي تضمنتها هذه الاحاديث الكليه فلذلك لا اتقيد بالفاظ الشيخ
رحمه الله في تراجم رواه هذه الاحاديث من الصحابه رضي الله عنهم ولا بالفاظه في العزو الى
الكتب التي يعزو اليها وانما اتي بالمعنى الذي يدل على ذلك لاني قد اعلمتك انه ليس لي غرض في
غير شرح معاني كلمات النبي صلى الله عليه وسلم الجوامع وما تضمنته من الاداب والحكم والمعارف
والاحكام والشرايع واشير اشاره لطيفه قبل الكلام في شرح الحديث الى اسناده ليعلم بذلك
صحته وقوته وضعفه واذكر بعض ما روي في معناه من الاحاديث ان كان في ذلك الباب
شي غير الحديث الذي ذكره الشيخ وان لم يكن في الباب غيره او لم يكن يصح فيه غيره نبهت
على ذلك كله بسم الله الرحمن الرحيم وبالله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا
قوه الا به **الحديث الاول** عن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت

هجرته

هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امراه
ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه رواه البخاري ومسلم **هذا الحديث** تفرد بروايته
يحيى بن سعيد الانصاري عن محمد بن ابراهيم التيمي عن علقمه بن وقاص الليثي عن عمر
بن الخطاب رضي الله عنه وليس له طريق يصح غير هذه الطريق مع انه قد روي من
حديث ابي سعيد وغيره وقد قيل انه قد روي من طرق كثيره لكن لا يصح من ذلك شي
عند الحفاظ كذا قاله علي بن المديني وغيره وقال الخطابي لا اعلم خلافا بين اهل الحديث في ذلك
ثم رواه عن الانصاري الخلق الكثير والجم الغفير فقيل رواه عنه اكثر من مايتي راو وقيل
رواه عنه سبعمايه راو ومن اعيانهم مالك والثوري والاوزاعي وابن المبارك والليث
بن سعد وحماد بن زيد وشعبه وابن عيينه وغيرهم واتفق العلما على صحته وتلقيه بالقبول
وبه صدر البخاري كتابه الصحيح واقامه مقام الخطبه له اشاره منه الى ان كل عمل لا
يراد به وجه الله فهو باطل لا ثمره له في الدنيا ولا في الاخره ولهذا قال عبد الرحمن بن مهدي
لو صنفت الابواب لجعلت حديث عمر في الاعمال بالنيه في كل باب وعنه انه قال من اراد
ان يصنف كتابا فليبدا بحديث الاعمال بالنيات وهذا الحديث احد الاحاديث التي يدور الدين
عليها فروي عن الشافعي انه قال هذا الحديث ثلث العلم ويدخل في سبعين بابا من الفقه وعن
الامام احمد قال اصول الاسلام على ثلاثه احاديث حديث عمر الاعمال بالنيات وحديث
عايشه من احدث في امرنا ما ليس منه فهو رد وحديث النعمان بن بشير حلال بين والحرام
بين وقال الحاكم حدثونا عن عبد الله بن احمد عن ابيه انه ذكر قوله عليه الصلاه والسلام
الاعمال بالنيات وقوله ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما وقوله من احدث في
ديننا ما ليس منه فهو رد فقال ينبغي ان يبدا بهذه الاحاديث في كل تصنيف فانها
اصول الحديث وعن اسحق بن راهويه قال اربعه احاديث هي من اصول الدين
حديث عمر انما الاعمال بالنيات وحديث الحلال بين والحرام بين وحديث ان خلق
احدكم يجمع في بطن امه وحديث من صنع في امرنا شيا ليس منه فهو رد وروي عثمان بن

سعيد عن ابي عبيد قال جمع النبي صلى الله عليه وسلم جميع امر الاخرة في كلمة من احدث في امرنا ما ليس منه فهو رد وجمع امر الدنيا في كلمة انما الاعمال بالنيات يدخلان في كل باب وعن ابي داود قال نظرت في الحديث المسند فاذا هو اربعة الاف حديث ثم نظرت فاذا مدار الاربعة الاف حديث على اربعة احاديث حديث النعمان بن بشير الحلال بين والحرام بين وحديث عمر انما الاعمال بالنيات وحديث ابي هريرة ان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا وان الله امر المومنين بما امر به المرسلين الحديث وحديث من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه قال فكل حديث من هذه ربع العلم وعن ابي داود ايضا قال كتبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة الف حديث انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب يعني كتاب السنن جمعت فيه اربعة الاف حديث وثمان مائة حديث ويكفي الانسان لدينه من ذلك احاديث احدها قوله صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات **والثاني** قوله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه **والثالث** قوله صلى الله عليه وسلم لا يكون المومن مومنا حتى لا يرضى لاخيه الا ما يرضى لنفسه **والرابع** قوله صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وفي رواية اخرى عنه انه قال الفقه يدور على خمسة احاديث الحلال بين والحرام بين **وقوله** صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار **وقوله** الاعمال بالنيات **وقوله** الدين النصيحة **وقوله** ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فاتوا منه ما استطعتم **وفي رواية** عنه قال اصول السنن في كل فن اربعة احاديث حديث عمر الاعمال بالنيات وحديث الحلال بين والحرام بين وحديث من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وحديث ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس ه

وللحافظ ابي الحسن طاهر بن مفوز المعافري الاندلسي

عمدة الدين عندنا كلمات ... اربع من كلام خير البرية

اتق الشبهات وازهد ودع ما ... ليس يعنيك واعملن بنية

وقوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وفي رواية الاعمال بالنيات

وكلاهما يقتضي الحصر على الصحيح وليس غرضنا ها هنا توجيه ذلك ولا بسط القول فيه وقد اختلف في تقدير قوله الاعمال بالنيات فكثير من المتاخرين يزعم ان تقديره الاعمال صحيحة او معتبرة او مقبولة بالنيات وعلى هذا فالاعمال انما اريد بها الاعمال الشرعية المفتقرة الى النية فاما ما لا يفتقر الى نية كالعادات من الاكل والشرب واللبس وغيرها او مثل رد الامانات والمضمونات كالودائع والغصوب فلا يحتاج شيء من ذلك الى نية فيخص هذا كله من عموم الاعمال المذكورة ها هنا وقال اخرون بل الاعمال هنا على عمومها لا يخص منها شيء وحكاه بعضهم عن الجمهور وكانه يريد به جمهور المتقدمين وقد وقع ذلك في كلام ابن جرير الطبري وابي طالب المكي وغيرهما من المتقدمين وهو ظاهر كلام (الامام) احمد قال في رواية حنبل احب لكل من عمل عملا من صلاة او صيام او صدقة او نوع من انواع البر ان تكون النية متقدمة في ذلك قبل الفعل قال النبي صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات فهذا ياتي على كل امر من الامور وقال الفضل بن زياد سالت ابا عبد الله يعني احمد عن النية في العمل قلت كيف النية قال يعالج نفسه اذا اراد عملا لا يريد به الناس وقال احمد بن داود الحربي حدث يزيد بن هرون بحديث عمر الاعمال بالنيات واحمد جالس فقال احمد ليزيد يا ابا خالد هذا الخناق وعلى هذا القول فقيل تقدير الكلام الاعمال واقعة او حاصلة بالنيات فيكون اخبارا عن الاعمال الاختيارية انها لا تقع الا عن قصد من العامل هو سبب عملها ووجودها ويكون قوله بعد ذلك وانما لامرئ ما نوى اخبارا عن حكم الشرع وهو ان حظ العامل من عمله نيته فان كانت صالحة فعمله صالح فله اجره وان كانت فاسدة فعمله فاسد فعليه وزره ويحتمل ان يكون التقدير في قوله الاعمال بالنيات الاعمال صالحة او فاسدة او مقبولة او مردودة او مثاب عليها او غير مثاب عليها بالنيات فيكون خبرا عن حكم شرعي وهو ان صلاح الاعمال وفسادها بحسب صلاح النيات وفسادها **لقوله** صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالخواتيم اي ان صلاحها وفسادها وقبولها وعدمه بحسب الخاتمة **وقوله** بعد ذلك وانما لامرئ ما نوى اخبار انه لا يحصل له من عمله الا ما نواه به فان

نوي خيرًا حصل له خير وان نوي شرًا حصل له شر وليس هذا تكريرًا محضًا للجمله
الاولي فان الجمله الاولي دلت علي ان صلاح العمل وفساده بحسب النيه المقتضيه
لايجاده والجمله الثانيه دلت علي ان ثواب العامل علي عمله بحسب نيته الصالحه وان
عقابه عليه بحسب نيته الفاسده وقد تكون نيته مباحه فيكون العمل مباحًا فلا يحصل
له به ثواب ولا عقاب فالعمل في نفسه صلاحه وفساده واباحته بحسب النيه الحامله
عليه المقتضيه لوجوده وثواب العامل وعقابه وسلامته بحسب نيته التي بها صار
العمل صالحًا او فاسدًا او مباحًا واعلم ان النيه في اللغه نوع من القصد والاراده وان كان قد
فرق بين هذه الالفاظ بما ليس هذا موضع ذكره والنيه في كلام العلما تقع بمعنيين احدهما
بمعني تمييز العبادات بعضها عن بعض كتمييز صلاه الظهر من صلاه العصر مثلا وتمييز
صيام رمضان من صيام غيره او تمييز العبادات من العادات كتمييز الغسل من الجنابه من
غسل التبرد والتنظف ونحو ذلك وهذه النيه هي التي توجد كثيرًا في كلام الفقها في
كتبهم **والمعني الثاني** بمعني تمييز المقصود بالعمل فهل هو الله وحده لا شريك له ام
غيره ام الله وغيره وهذه النيه هي التي يتكلم فيها العارفون في كتبهم في كلامهم علي الاخلاص و
توابعه وهي التي توجد كثيرًا في كلام السلف المتقدمين وقد صنف ابو بكر بن ابي الدنيا مصنفًا
سماه كتاب الاخلاص والنيه وانما اراد هذه النيه وهي النيه التي يتكرر ذكرها في كلام النبي
صلي الله عليه وسلم تارةً بلفظ النيه وتارةً بلفظ الاراده وتارةً بلفظ مقارب لذلك وقد جا
ذكرها كثيرا في كتاب الله عز وجل بغير لفظ النيه ايضا من الالفاظ المقاربه لها وانما فرق من فرق
بين النيه وبين الاراده والقصد ونحوهما لظنهم اختصاص النيه بالمعني الاول الذي يذكره
الفقها فمنهم من قال النيه تختص بفعل الناوي والاراده لا تختص بذلك كما يريد الانسان
من الله ان يغفر له ولا ينوي ذلك وقد ذكرنا ان النيه في كلام النبي صلي الله عليه وسلم وسلف الامه
انما يراد بها هذا المعني الثاني غالبًا فهي حينئذٍ بمعني الاراده ولذلك يعبر عنها بلفظ الاراده في القران
كثيرًا كما في قوله تعالي منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخره وقوله تريدون عرض الدنيا والله يريد

الاخره وقوله من كان يريد حرث الاخره نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها
وماله في الاخره من نصيب وقوله من كان يريد العاجله عجلنا له فيها ما نشا لمن نريد ثم
جعلنا له جهنم يصلاها مذمومًا مدحورًا ومن اراد الاخره وسعي لها سعيها وهو مومن
فاولئك كان سعيهم مشكورًا وقوله تعالي من كان يريد الحياه الدنيا وزينتها نوف اليهم اعما
لهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الاخره الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما
كانوا يعملون وقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداه والعشي يريدون وجهه وقوله واصبر نفسك
مع الذين يدعون ربهم بالغداه والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينه الحياه الدنيا
وقوله ذلك خير للذين يريدون وجه الله واولئك هم المفلحون وما اوتيتم من ربا ليربوا في اموال
الناس فلا يربوا عند الله وما اتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون وقد يعبر
عنها في القران بلفظ الابتغا كما في قوله تعالي الا ابتغا وجه ربه الاعلي وقوله تعالي ومثل الذين ينفقون
اموالهم ابتغا مرضات الله وقوله تعالي وما تنفقون الا ابتغا وجه الله وقوله تعالي لا خير
في كثير من نجواهم الا من امر بصدقةٍ او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغا مرضات
الله فسوف نوتيه اجرًا عظيمًا فنفي الخير عن كثير مما يتناجي به الناس الا في الامر بالمعروف وخص
من افراده الصدقة والاصلاح بين الناس لعموم نفعهما فدل ذلك علي ان التناجي بذلك خير واما
الثواب عليه من الله فخصه بمن فعله ابتغا مرضات الله وانما جعل الامر بالمعروف من الصدقة
والاصلاح وغيرها خيرًا وان لم يبتغ به وجه الله لما يترتب علي ذلك من النفع المتعدي
فيحصل به للناس احسان وخير واما بالنسبه الي الامر فان قصد به وجه الله وابتغا
مرضاته كان خيرًا له واثيب عليه وان لم يقصد ذلك لم يكن خيرًا له ولا ثواب له عليه وهذا
بخلاف من صام وصلي وذكر الله يقصد بذلك عرض الدنيا فانه لا خير فيه بالكليه لانه لا نفع
في ذلك لصاحبه لما يترتب عليه من الاثم فيه ولا لغيره لانه لا يتعدي نفعه الي احد اللهم
الا ان يحصل لاحدٍ به اقتدا في ذلك واما ما ورد في السنه وكلام السلف من تسميه هذا
المعني بالنيه فكثير جدا ونحن نذكر بعضه كما خرج الامام احمد والنسائي من حديث

عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من غزا في سبيل الله ولم ينو الا عقالا فله
ما نوى وخرج الامام احمد من حديث بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اكثر
شهدا امتي لاصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله اعلم بنيته وخرج بن ماجه من
حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحشر الناس على نياتهم ومن حديث ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال انما يبعث الناس على نياتهم وخرج بن ابي الدنيا من حديث عمر
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما يبعث المقتتلون على النيات وفي صحيح مسلم عن ام سلمة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال يعوذ عايذ بالبيت فيبعث اليه بعث فاذا كانوا ببيدا من الارض خسف
بهم فقلت يا رسول الله فكيف من كان كارها قال يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيمة
على نيته وفيه ايضا عن عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم معنى هذا الحديث وقال فيه
يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى يبعثهم الله على نياتهم وخرج الامام احمد
وابن ماجه من حديث زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كانت الدنيا
همه فرق الله عليه امره وجعل فقره بين عينيه ولم ياته من الدنيا الا ما كتب له ومن كانت
الاخرة نيته جمع الله له امره وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة لفظ بن ماجه
ولفظ احمد من كان همه الاخرة ومن كانت نيته الدنيا وخرجه بن ابي الدنيا وعنده من
كانت نيته الاخرة ومن كانت نيته الدنيا وفي الصحيحين عن سعد بن ابي وقاص عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال انك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله الا اثبت عليها حتى اللقمة تجعلها
في في امراتك وروى بن ابي الدنيا باسناد منقطع عن عمر قال لا عمل لمن لا نية له ولا
اجر لمن لا حسبة له يعني لا اجر لمن لم يحتسب ثواب عمله عند الله عز وجل وباسناد
ضعيف عن بن مسعود قال لا ينفع قول الا بعمل ولا ينفع قول وعمل الا بنية ولا ينفع
قول وعمل ونية الا بما وافق السنة وعن يحيى بن ابي كثير قال تعلموا النية فانها
ابلغ من العمل وعن زبيد اليامي قال اني لاحب ان يكون لي نية في كل شي حتى في الطعام
والشراب وعنه انه قال انو في كل شي تريده الخير حتى خروجك الى الكناسة وعن داود الطاي

قال رايت الخير كله انما يجمعه حسن النية وكفاك به خيرا وان لم تنصب قال داود والبر
التقي لو تعلقت جميع جوارحه بحب الدنيا لردته يوما نيته الى اصله وعن سفين الثوري
قال ما عالجت شيا اشد علي من نيتي لانها تتقلب علي وعن يوسف بن اسباط قال
تخليص النية من فسادها اشد على العاملين من طول الاجتهاد وقيل لنافع بن جبير الا تشهد
الجنازة قال كما انت حتى انوي قال ففكر هنية ثم قال امض وعن مطرف بن عبد الله قال صلاح
القلب بصلاح العمل وصلاح العمل بصلاح النية وعن بعض السلف قال من سره ان
يكمل له عمله فليحسن نيته فان الله عز وجل ياجر العبد اذا حسنت نيته حتى باللقمة
وعن بن المبارك قال رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية وقال
ابن عجلان لا يصلح العمل الا بثلاث التقوى لله والنية الحسنة والاصابة وقال الفضيل
بن عياض انما يريد الله عز وجل منك نيتك وارادتك وعن يوسف بن اسباط قال ايثار الله
عز وجل افضل من القتل في سبيله خرج ذلك كله ابن ابي الدنيا في كتاب الاخلاص والنية
وروي فيه باسناد منقطع عن عمر رضي الله عنه قال افضل الاعمال اداء ما افترض الله عز
وجل والورع عما حرم الله عز وجل وصدق النية فيما عند الله عز وجل وبهذا يعلم معنى
ما روي عن الامام احمد ان اصول الاسلام ثلاثة احاديث حديث الاعمال بالنيات
وحديث من احدث في امرنا ما ليس منه فهو رد وحديث الحلال بين والحرام بين فان
الدين كله يرجع الى فعل المامورات وترك المحظورات والتوقف عن الشبهات وهذا كله تضمنه
حديث النعمن بن بشير وانما يتم ذلك بامرين احدهما ان يكون العمل في ظاهره على موافقة
السنة وهذا هو الذي تضمنه حديث عايشة من احدث في امرنا ما ليس منه فهو رد
والثاني ان يكون العمل في باطنه يقصد به وجه الله عز وجل كما تضمنه حديث عمر
الاعمال بالنيات وقال الفضيل في قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا قال اخلصه واصوبه
وقال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل
حتى يكون خالصا صوابا قال والخالص اذا كان لله عز وجل والصواب اذا كان على السنة

وقد دل علي هذا الذي قاله الفضيل قول الله عز وجل فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحًا
ولا يشرك بعباده ربه احدًا وقال بعض العارفين انما تفاضلوا بالارادات لم يتفاضلوا بالصوم
والصلاه **وقوله صلى الله عليه وسلم** فمن كانت هجرته الي الله ورسوله فهجرته
الي الله ورسوله ومن كانت هجرته الي دنيا يصيبها او امراه ينكحها فهجرته الي ما هاجر اليه
لما ذكر صلى الله عليه وسلم ان الاعمال بحسب النيات وان حظ العامل من عمله
نيته من خير او شر وهاتان كلمتان جامعتان وقاعدتان كليتان لا يخرج عنهما شي ذكر بعد
ذلك مثالًا من امثال الاعمال التي صورتها واحده ويختلف صلاحها وفسادها باختلاف النيات
وكانه يقول سائر الاعمال علي حد هذا المثال واصل الهجره هجران بلد الشرك والانتقال
منه الي دار الاسلام كما كان المهاجرون قبل فتح مكه يهاجرون منها الي مدينه النبي صلى
الله عليه وسلم ان هذه الهجره تختلف باختلاف النيات والمقاصد بها فمن هاجر الي دار
الاسلام حبًا لله ورسوله ورغبه في تعلم دين الاسلام واظهار دينه حيث كان يعجز عنه في
دار الشرك فهذا هو المهاجر الي الله ورسوله حقًا وكفاه شرفًا وفخرًا انه حصل له ما نواه
من هجرته الي الله ورسوله ولهذا المعنى اقتصر في جواب هذا الشرط علي اعادته بلفظه
لان حصول ما نواه بهجرته نهايه المطلوب في الدنيا والاخره ومن كانت هجرته من دار
الشرك الي دار الاسلام لطلب دنيا يصيبها او امراه ينكحها في دار الاسلام فهجرته الي ما هاجر
اليه من ذلك فالاول تاجر والثاني خاطب وليس واحد منهما بمهاجر وفي قوله الي
ما هاجر اليه تحقير لما طلبه من امر الدنيا واستهانه به حيث لم يذكره بلفظه وايضًا
فالهجره الي الله ورسوله واحده لا تعدد فيها فلذلك اعاد الجواب فيها بلفظ الشرط والهجره
لامور الدنيا لا تنحصر فقد يهاجر الانسان لطلب دنيا مباحه تاره ومحرمه اخرى وافراد
ما يقصد بالهجره من امور الدنيا لا تنحصر فلذلك قال فهجرته الي ما هاجر اليه يعني كائنًا
ما كان **وقد روي** عن ابن عباس في قوله تعالى اذا جاءكم المومنات مهاجرات
فامتحنوهن قال كانت المراه اذا اتت النبي صلى الله عليه وسلم حلفها بالله ما خرجت

من بغض زوج وبالله ما خرجت رغبه بارض عن ارض وبالله ما خرجت التماس دنيا
وبالله ما خرجت الا حبًا لله ورسوله خرجه ابن ابي حاتم وابن جرير والبزار في مسنده
وخرجه الترمذي في بعض نسخ كتابه مختصرًا **وقد روى** وكيع في كتابه عن الاعمش
عن شقيق هو ابو وايل قال خطب اعرابي من الحي امراه يقال لها ام قيس فابت
ان تزوجه حتى يهاجر فهاجر فتزوجته فكنا نسميه مهاجر ام قيس قال فقال عبد
الله يعني ابن مسعود من هاجر يبتغي شيئًا فهو له وهذا السياق يقتضي ان هذا لم
يكن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وانما كان في عهد ابن مسعود ولكن روي من طريق
سفين الثوري عن الاعمش عن ابي وايل عن ابن مسعود قال كان فينا رجل خطب
امراة يقال لها ام قيس فابت ان تزوجه حتى يهاجر فهاجر فتزوجها فكنا نسميه
مهاجر ام قيس قال بن مسعود من هاجر لشي فهو له **وقد اشتهر** ان قصه
مهاجر ام قيس هي كانت سبب قول النبي صلى الله عليه وسلم من كانت هجرته الي دنيا
يصيبها او امراه ينكحها وذكر ذلك كثير من المتاخرين في كتبهم ولم نر لذلك اصلًا باسناد
يصح والله اعلم وسائر الاعمال كالهجره في هذا المعنى فصلاحها وفسادها بحسب
النيه الباعثه عليها كالجهاد والحج وغيرهما **وقد سيل** النبي صلى الله عليه وسلم
عن اختلاف نيات الناس في الجهاد وما يقصد به من الريا واظهار الشجاعه والعصبيه وغير
ذلك اي ذلك في سبيل الله فقال من قاتل لتكون كلمه الله هي العليا فهو في سبيل الله فخرج
بهذا كل ما سالوا عنه من المقاصد الدنيويه **ففي الصحيحين** عن ابي موسى الا
شعري ان اعرابيًا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل للمغنم والرجل
يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله تعالى فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمه الله هي العليا فهو في سبيل الله **وفي روايه لمسلم**
سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعه ويقاتل حميه ويقاتل رياء
فاي ذلك في سبيل الله فذكر الحديث **وفي روايه له ايضًا** الرجل يقاتل غضبًا ويقاتل حميه

وخرج النساي من حديث ابي امامه قال جا رجل الي النبي صلي الله عليه وسلم فقال
ارايت رجلاً غزا يلتمس الاجر والذكر ماله فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا شي له ثم
قال رسول الله عليه وسلم ان الله لا يقبل من العمل الا ما كان خالصًا وابتغي به وجهه
وخرج ابو داود من حديث ابي هريره ان رجلا قال يا رسول الله رجل يريد الجهاد
وهو يبتغي عرضًا من عرض الدنيا فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا اجر له فاعاد عليه ثلاثا
والنبي صلي الله عليه وسلم يقول لا اجر له **وخرج الامام احمد وابو داود** من
حديث معاذ بن جبل عن النبي صلي الله عليه وسلم قال الغزو غزوان فاما من ابتغي وجه الله
واطاع الامام وانفق الكريمه وياسر الشريك واجتنب الفساد فان نومه ونبهه اجر كله واما
من غزا فخرا ورياء وسمعة وعصي الامام وافسد في الارض فانه لم يرجع بالكفاف **وخرج
ابو داود** من حديث عبد الله بن عمرو قال قلت يا رسول الله اخبرني عن الجهاد
والغزو فقال ان قاتلت صابرًا محتسبًا بعثك الله صابرًا محتسبًا وان قاتلت مرائيا مكاثرًا
بعثك الله مرائيا مكاثرًا علي اي حال قاتلت او قتلت بعثك الله علي تلك الحال **وخرج
مسلم** من حديث ابي هريره سمعت النبي صلي الله عليه وسلم يقول ان اول الناس يقضي يوم
القيمه عليه رجل استشهد فاتي به فعرفه نعمه فعرفها قال ما عملت فيها قال قاتلت
فيك حتي استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت لان يقال جري فقد قيل ثم امر به فسحب
علي وجهه حتي القي في النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرا القران فاتي به فعرفه نعمه فعرفها
قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرات فيك القران قال كذبت ولكنك تعلمت
العلم ليقال عالم وقرات القران ليقال هو قاري فقد قيل ثم امر به فسحب علي وجهه حتي القي
في النار ورجل وسع الله عليه واعطاه من اصناف المال كله فاتي به فعرفه نعمه فعرفها قال
فما عملت فيها قال ما تركت من سبيل تحب ان ينفق فيها الا انفقت فيها لك قال كذبت ولكنك
فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم امر به فسحب علي وجهه حتي القي في النار **وفي الحديث**
ان معاويه لما بلغه هذا الحديث بكي حتي غشي عليه فلما افاق قال صدق الله ورسوله قال

الله عز وجل

قال الله عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم
فيها وهم فيها لا يبخسون اوليك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار
وقد ورد الوعيد علي تعلم العلم لغير وجه الله مما اخرجه الامام
احمد وابو داود وابن ماجة من حديث ابي هريرة عن النبي صلي
الله عليه وسلم قال من تعلم علما لا يبتغي به وجه الله لا يتعلمه
الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيمة
يعني ريحها وخرج الترمذي من حديث كعب بن مالك عن
النبي صلي الله عليه وسلم قال من طلب العلم ليماري به السفها
ويجاري به العلما او يصرف به وجوه الناس اليه ادخله الله النار
وخرجه ابن ماجة بمعناه من حديث بن عمر وحذيفة وجابر
عن النبي صلي الله عليه وسلم ولفظ حديث جابر لا تتعلموا العلم
لتباهوا به العلما ولا تماروا به السفها ولا تخيروا به المجالس فمن فعل
ذلك فالنار النار وقال ابن مسعود رضي الله عنه لا تعلموا العلم
لثلاث لتماروا به السفها او لتجادلوا به الفقها او لتصرفوا به وجوه
الناس اليكم وابتغوا بقولكم وفعلكم ما عند الله فانه يبقي ويذهب
ما سواه وقد ورد الوعيد علي العمل لغير الله عموما كما اخرجه الامام احمد
من حديث ابن ابي كعب عن النبي صلي الله عليه وسلم قال بشر هذه الامة
بالسنا والرفعة والدين والتمكين في الارض فمن عمل منهم عمل الاخرة
للدنيا لم يكن له في الاخرة من نصيب واعلم ان العمل لغير الله اقسام فتارة
يكون ريا محضا بحيث لا يراد به سوا مراة المخلوقين لغرض دنيوي كحال

المنافقين في صلاتهم كما قال تعالى واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى
يراوون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وقال تعالى فويل للمصلين
الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراوون وكذلك وصف الله الكفار
بالرياء في قوله ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورياء الناس ويصدون
عن سبيل الله وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مومن في فرض الصلاة
والصيام وقد يصدر في الصدقة الواجب والحج وغيرهما من الاعمال
الظاهرة او التي تعدى نفعها فان الاخلاص فيها عزيز وهذا العمل لا يشك
مسلم انه حابط فان صاحبه مستحق المقت من الله والعقوبة وتارة يكون
العمل لله ويشاركه الرياء فان شاركه من اصله فالنصوص الصحيحة تدل على
بطلانه وحبوطه ايضا وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال يقول الله تعالى انا اغنى الاغنياء عن الشرك من عمل عملا اشرك معي غيري
تركته وشركه وخرجه ابن ماجة ولفظه فانا بريء وهو للذي اشرك وخرج
الامام احمد عن شداد بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى
يرائي فقد اشرك ومن تصدق يرائي فقد اشرك وان الله عز وجل قال
انا خير قسيم لمن اشرك بي شيئا فان جدة عمله قليله وكثيره لشريكه الذي
اشرك به انا عنه غني وخرج الامام احمد والترمذي وابن ماجة من حديث
ابي سعيد ابن ابي فضالة وكان من الصحابة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والاخرين ليوم لا ريب فيه نادى مناد من اشرك
في عمل عمله لله عز وجل فليطلب ثوابه من عند غير الله عز وجل فان الله اغنى الشركا
عن الشرك وخرج البزار في مسنده من حديث الضحاك بن قيس عن النبي صلى الله
عليه وسلم ان الله عز وجل يقول انا خير شريك فمن اشرك معي شريكا فهو لشريكي
يا ايها الناس اخلصوا اعمالكم لله عز وجل فان الله لا يقبل من الاعمال الا ما خلص
له ولا تقولوا هذا لله والرحم فانها للرحم وليس لله منها شي وخرج النسائي باسناد
جيد

جيد عن ابي امامة الباهلي ان رجلا جا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله ارايت رجلا غزا يلتمس الاجر والذكر فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا شي له فاعادها ثلاث مرات يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا شي له ثم قال ان الله لا يقبل من العمل الا ما كان له خالصا وابتغي به وجهه وخرج
الحاكم من حديث بن عباس قال قال رجل يا رسول الله اني اقف الموقف اريد به
وجه الله واريد ان يرى موطني فلم يرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى نزلت فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا
وممن روي عنه هذا المعنى وان العمل اذا خالطه شي من الرياء كان باطلا طائفة
من السلف منهم عبادة بن الصامت وابو الدردا والحسن وسعيد بن المسيب
وغيرهم وفي مراسيل القاسم بن مخيمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقبل الله عملا
فيه مثقال حبة خردل من رياء ولا يعرف عن السلف في هذا خلافا وان كان فيه
خلاف عن بعض المتاخرين فان خالط نية الجهاد مثلا نية غير الرياء مثل اخذ
الاجرة للخدمة او اخذ شي من الغنيمة او التجارة نقص بذلك من اجر جهادهم ولم
يبطل بالكلية وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم ان
الغزاة اذا غنموا غنيمة تعجلوا ثلثي اجرهم فان لم يغنموا شيا تم لهم اجرهم وقد ذكرنا
فيما مضى احاديث تدل على من اراد بجهاده عرضا من الدنيا انه لا اجر له وهي
محمولة على انه لم يكن له غرض في الجهاد الا الدنيا وقال الامام احمد التاجر والمستاجر
والمكاري اجرهم على قدر ما يخلص من نيتهم في غزواتهم ولا يكونوا مثل من جاهد
بنفسه وماله لا يخلط به غيره وقال ايضا فيمن اخذ جعلا على الجهاد اذا لم يخرج
لاجل الدراهم فلا باس ان ياخذ كانه خرج لدينه فان اعطي شيا اخذه وكذا روي
عن عبد الله بن عمر قال اذا اجتمع احدكم في الغزو فعوضه الله رزقا فلا باس بذلك
واما ان اعطي احدكم درهما غزا وان منع درهما مكث فلا خير في ذلك وكذا قال الاوزاعي
اذا كانت نية الغازي على الغزو فلا ارى باسا وهكذا يقال فيمن اخذ شيا في الحج ليحج به
اما عن نفسه او عن غيره وقد روي عن مجاهد انه قال في حج الجمال وحج الاجير وحج التاجر

هو قايم لا ينقص من اجورهم شي وهو محمود علي ان قصدهم الاصلي كان هو الجهاد دون
التكسب واما ان كان اصل العمل لله ثم طري عليه نية الريا فان كان خاطرا
ودفعه فلا يضره بغير خلاف وان استرسل معه فهل يحبط معه عمله ام لا يضره
ذلك ويجازي علي اصل نيته في ذلك اختلاف بين العلما من السلف قد حكاه الامام احمد
وابن جرير الطبري ورجحا ان عمله لا يبطل بذلك وانه يجازي بنيته الاولي
وهو مروي عن الحسن البصري وغيره ويستدل لهذا القول بما خرجه ابو
داود في مراسيله عن عطا الخراساني ان رجلا قال يا رسول الله ان بني سلمه كلهم
يقاتل فمنهم من يقاتل للدنيا ومنهم من يقاتل نجده ومنهم من يقاتل ابتغا وجه
الله فايهم الشهيد قال كلهم اذا كان اصل امره ان تكون كلمة الله هي العليا وذكر
ابن جرير ان هذا الاختلاف انما هو في عمل ترتبط اخره باوله كالصلاة والصيام
والحج فاما ما لا يرتبط كالقراءة والذكر وانفاق المال ونشر العلم فانه ينقطع بنية الريا
الطارية عليه ويحتاج الي تجديد نية ولذلك روي عن سليمان عن داود الهاشمي
انه قال ربما احدث بحديث ولي فيه نية فاذا اتيت علي بعضه تغيرت نيتي فاذا الحديث
الواحد يحتاج الانيات ولا يرد علي هذا الجهاد وكما في مراسيل عطا الخراساني فان الجهاد
يلزم بحضور الصف ولا يجوز تركه حينيذ فيصير كالحج فاما اذا عمل لله خالصا ثم القي الله
له الثنا الحسن في قلوب المومنين بذلك ففرح هو بفضل الله ورحمته فاستبشر بذلك
لم يضره ذلك وفي هذا المعني جا حديث ابي ذر عن النبي صلي الله عليه وسلم انه سيل عن الرجل
يعمل العمل من الخير فيحمده الناس عليه فقال تلك عاجل بشري المومن خرجه مسلم وخرجه
ابن ماجه وعنده الرجل يعمل العمل الصالح لله فيحبه الناس عليه وهذا المعني فسره الامام
احمد واسحاق بن راهويه وابن جرير الطبري وغيرهم وكذلك الحديث الذي خرجه الترمذي
وابن ماجه من حديث ابي هريرة ان رجلا قال يا رسول الله الرجل يعمل العمل فيسره فاذا
اطلع عليه اعجبه فقال له اجران اجر السر واجر العلانية ولنقتصر علي هذا المقدار من
الكلام علي الاخلاص والريا فان فيه كفاية وبالجملة فما احسن قول سهل بن عبد الله التستري
ليس علي النفس شي اشق من الاخلاص فصل واما النية بالمعني الذي يذكره الفقها وهو
ان تميز العبادات من العادات وتميز العبادات بعضها من بعض فان

بعض فان الامساك عن الاكل والشرب يقع تارة حمية وتارة لعدم القدره علي الاكل وتاره
تركا للشهوات لله عز وجل فيحتاج في الصيام الي نية ليتميز بذلك عن ترك الطعام علي غير
هذا الوجه وكذلك العبادات كالصلاه والصيام منها فرض ومنها نفل والفرض
يتنوع انواعا فان الصلوات المفروضات خمس صلوات كل يوم وليله والصوم الواجب
تارة يكون صيام رمضان وتاره صيام كفاره او عن نذر ولا يتميز هذا كله الا بالنيه وكذ
الصدقه تكون نفلا وتكون فرضا والفرض منه زكاه ومنه كفاره فلا يتميز ذلك الا بالنيه
فيدخل ذلك في عموم قوله صلي الله عليه وسلم وانما لامري ما نوي وفي بعض ذلك اختلاف
مشهور بين العلما فان منهم من لا يوجب تعيين النيه للصلاه المفروضه بل يكفي عنده ان
ينوي فرض الوقت وان لم يستحضر تسميته في الحال وهو روايه عن الامام احمد وينبني
علي هذا القول ان من فاتته صلاه من يوم وليله ونسي عينها ان عليه ان يقضي ثلاث صلوات
الفجر والمغرب ورباعيه واحده وكذلك ذهب طايفه من العلما الي ان صيام رمضان
لا يحتاج الي نية تعيينه ايضا بل يجزي بنيه الصيام مطلقا لان وقته غير قابل للصيام
اخر وهو ايضا روايه عن احمد وربما حكي عن بعضهم ان صيام رمضان لا يحتاج الي نيه
بالكليه لتعينه بنفسه فهو كرد الودايع وحكي عن الاوزاعي ان الزكاه كذلك
وتاول بعضهم قوله علي انه اراد انها تجزي بنيه الصدقه المطلقه كالحج وكذلك قال
ابو حنيفه لو تصدق بالنصاب كله من غير نيه اجزاه عن زكاته وقد روي عن النبي
صلي الله عليه وسلم انه سمع رجلا يلبي بالحج عن رجل فقال له احججت عن نفسك قال لا
قال هذه عن نفسك ثم حج عن الرجل وقد تكلم في صحه هذا الحديث ولكنه صحيح عن
ابن عباس وغيره واخذ بذلك الشافعي واحمد في المشهور عنه وغيرهما في ان حجه
الاسلام تسقط بنيه الحج مطلقا سوا نوي التطوع او غيره ولا يشترط للحج تعيين
النيه فمن حج عن غيره ولم يحج عن نفسه وقع عن نفسه وكذا لو حج عن نذر
او نفلا ولم يكن حج حجه الاسلام فانه ينقلب عنها وقد ثبت عن النبي صلي الله عليه

وسلم انه امر اصحابه في حجه الوداع بعد ما دخلوا معه وطافوا وسعوا ان يفسخوا حجهم
ويجعلوها عمره وكان منهم القارن والمفرد وانما كان طوافهم عند قدومهم طواف القدوم
وليس بفرض وقد امرهم ان يجعلوه طواف عمره وهو فرض وقد اخذ بذلك الامام احمد
وعمل به وهو مشكل على اصله فانه يوجب تعيين الطواف الواجب للحج والعمره بالنيه
وخالفه في ذلك اكثر الفقها كمالك والشافعي وابي حنيفه **ومما يدخل في هذا**
الباب ان رجلا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان قد وضع صدقته عند رجل
فجا ابن صاحب الصدقه فاخذها ممن هي عنده فعلم بذلك ابوه فخاصمه الى النبي صلى
الله عليه وسلم وقال ما اياك اردت فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمتصدق لك ما
نويت وقال للاخذ لك ما اخذت خرجه البخاري وقد اخذ الامام احمد بهذا الحديث
وعمل به في المنصوص عنه وان كان اكثر اصحابه على خلافه فان الرجل انما يمنع من دفع
الصدقه الى ولده خشيه ان يكون محاباه فاذا وصلت الى ولده من حيث لا يشعر
فالمحاباه منتفيه وهو من اهل استحقاق الصدقه في نفس الامر ولهذا لو دفع صدقته
الى من يظنه فقيرا وكان غنيا في نفس الامر اجزاته على الصحيح لانه انما دفع الى من
يعتقد استحقاقه والفقر امر خفي لا يكاد يطلع على حقيقته واما الطهاره فالخلاف
في اشتراط النيه لها مشهور وهو يرجع الى ان الطهاره للصلاه هل هي عباده مستقله
ام هي شرط من شروط الصلاه كازاله النجاسه وستر العوره فمن لم يشترط لها النيه
جعلها كسائر شروط الصلاه ومن اشترط لها النيه جعلها عباده مستقله واذا كانت
عباده في نفسها لم تصح بدون نيه وهذا قول جمهور العلما ويدل على صحه ذلك تكاثر
النصوص الصحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم بان الوضو يكفر الذنوب والخطايا وان
من توضا كما امر كان كفاره لذنوبه وهذا يدل على ان الوضو الماموربه في القران
عباده بنفسها حيث رتب عليه تكفير الذنوب والوضو الخالي عن النيه لا يكفر
شيا من الذنوب بالاتفاق فلا يكون مامورا به ولا تصح به الصلاه ولهذا لم يرد

في شي من بقيه شروط الصلاه كازاله النجاسه وستر العوره ما ورد في الوضو ولو شرك
بين نيه الوضو وبين قصد التبرد او ازاله النجاسه او الوسخ اجزاه في المنصوص عن الشافعي
وهو قول اكثر اصحاب احمد لان هذا القصد ليس بمحرم ولا مكروه ولهذا لو قصد مع
رفع الحدث تعليم الوضو لم يضره ذلك وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقصد احيانا
بالصلاه تعليمها للناس وكذلك الحج كما قال خذوا عني مناسككم ومما يدخل النيه فيه من
ابواب العلم مسايل الايمان فلغو اليمين لا كفاره فيه وهو ما جرى على اللسان من غير
قصد بالقلب اليه كقوله لا والله وبلى والله في اثنا الكلام قال تعالى لا يواخذكم الله باللغو
في ايمانكم ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم وكذلك يرجع في الايمان الى نيه الحالف
وما قصد بيمينه فان حلف بطلاق او عتاق ثم ادعى انه نوى ما يخالف ظاهر
لفظه فانه يدين فيما بينه وبين الله عز وجل وهل يقبل منه في ظاهر الحكم فيه قولان
للعلما مشهوران وهما روايتان عن احمد وقد روي عن عمر انه رفع اليه رجل قالت له
امراته شبهني فقال كانك ظبيه كانك حمامه فقالت لا ارضى حتى تقول انت خليه
طالق فقال ذلك فقال عمر خذ بيدها فهي امراتك خرجه ابو عبيد وقال اراد الناقه
تكون معقوله ثم تطلق من عقالها ويخلى عنها فهي خليه من العقال وهي طالق لانها
قد طلقت منه فاراد الرجل ذلك فاسقط عنه عمر الطلاق لنيته قال وهذا اصل
لكل من تكلم بشي يشبه لفظ الطلاق والعتاق وهو ينوي غيره ان القول فيه قوله فيما
بينه وبين الله وفي الحكم على تاويل مذهب عمر رضي الله عنه ويروى عن شقيق قال
خطب رجل امراه وتحته اخرى فقالوا لا نزوجك حتى تطلق امراتك فقال اشهدوا
اني قد طلقت ثلاثا فزوجوه فاقام على امراته فقالوا قد طلقت ثلاثا فقال الم تعلموا انه
كان لي ثلاث نسوه فطلقتهن قالوا بلى قال قد طلقت ثلاثا قالوا ما هذا اردنا فذكر
ذلك شقيق لعثمان فجعلها نيته فان كان الحالف ظالما ونوى خلاف ما حلفه عليه
غريمه لم تنفعه نيته **وفي صحيح مسلم** عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال يمينك على ما يصدقك عليه صاحبك وفي رواية له اليمين على نية المستحلف وهذا
محمول على الظالم فاما المظلوم فينفعه ذلك **وقد خرج الامام احمد** وابن ماجه
من حديث سويد بن حنظلة قال خرجنا نريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا وايل
بن حجر فاخذه عدو له فتحرج الناس ان يحلفوا فحلفت انا انه اخي فخلا سبيله فاتينا النبي صلى الله
عليه وسلم فاخبرته ان القوم تحرجوا ان يحلفوا وحلفت انا انه اخي فقال صدقت المسلم
اخو المسلم **وكذلك** تدخل النية في الطلاق والعتاق فاذا اتى بلفظ من الفاظ
الكنايات المحتملة للطلاق والعتاق فلا بد له من النية وهل يقوم مقام النية دلالة الحال
من غضب او سوال الطلاق ونحوه ام لا فيه خلاف مشهور بين العلما وهل يقع بذلك
الطلاق في الباطن كما لو نواه ام يلزم به في ظاهر الحكم فقط فيه خلاف مشهور ايضا ولو اوقع
الطلاق بكناية ظاهرة كالبتة ونحوها فهل يقع به الثلاث او واحدة فيه قولان مشهورا ن
وظاهر مذهب احمد انه يقع به الثلاث مع اطلاق النية فان نوى به ما دون الثلاث وقع
به ما نواه وحكي عنه رواية انه يلزمه الثلاث ايضا ولو راى امراة يظنها امراته فطلقها
ثم بانت اجنبية طلقت امراته لانه انما قصد طلاق امراته نص على ذلك احمد وحكي عنه
رواية اخرى انها لا تطلق وهو قول الشافعي ولو كان بالعكس بان راى امراة ظنها اجنبية
فطلقها فبانت امراته فهل تطلق فيه قولان هما روايتان عن احمد والمشهور من مذهب
الشافعي وغيره انها تطلق ولو كان له امراتان فنهى احداهما عن الخروج ثم راى امراة قد خرجت
فظنها المنهية فقال لها فلانة خرجت انت طالق فقد اختلف العلما فيها فقال الحسن تطلق
المنهية لانها هي التي نواها وقال ابرهيم يطلقان وقال عطا لا تطلق واحدة منهما ومذهب
احمد انه تطلق المنهية رواية واحدة لانه نوى طلاقها وهل تطلق المواجهة على
روايتين عنه واختلف الاصحاب على القول بانها تطلق هل تطلق في الحكم فقط ام في
الباطن ايضا على طريقين لهم **وقد استدل** بقوله صلى الله عليه وسلم الاعمال
بالنيات وانما لامرء ما نوى على ان العقود التي يقصد بها في الباطن التوصل الى ما هو محرم

غير صحيحة كعقود البيوع التي يقصد بها معنى الربا ونحوها كما هو مذهب مالك واحمد
وغيرهما فان هذا العقد انما نوي به الربا لا البيع وانما لامرء ما نوى **ومسايل
النية** المتعلقة بالفقه كثيرة جدا وفيما ذكرناه كفاية وقد تقدم عن الشافعي انه قال
في هذا الحديث انه يدخل في سبعين بابا من الفقه والله اعلم **والنية هي قصد
القلب** ولا يجب التلفظ بما في القلب في شي من العبادات وخرج بعض اصحاب الشافعي
له قولا باشتراط التلفظ بما في القلب بالنية في الصلاة وغلطه المحققون منهم واختلف
المتاخرون من الفقها في التلفظ بالنية في الصلاة وغيرها فمنهم من استحبه ومنهم من كرهه
ولا نعلم في هذه المسايل نقلا خاصا عن السلف ولا عن الايمة الا في الحج وحده فان مجاهدا
قال اذا اراد الحج يسمي ما يهل به وروي عنه انه قال يسميه في التلبية وهذا ليس مما نحن فيه
فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يذكر نسكه في تلبيته فيقول لبيك عمرة وحجا وانما كلامنا في
انه يقول عند ارادة عقد الاحرام اللهم اني اريد الحج او العمرة كما استحب ذلك كثير من الفقها
وكلام مجاهد ليس صريحا في ذلك وقال اكثر السلف منهم عطا وطاوس والقسم بن محمد والنخعي
تجزيه النية عند الاهلال وصح عن ابن عمر انه سمع رجلا عند احرامه يقول اللهم اني
اريد الحج او العمرة فقال له اتعلم الناس اوليس الله يعلم ما في نفسك ونص مالك على مثل هذا
وانه لا يستحب له ان يسمي ما احرم به حكاه صاحب تهذيب المدونة من اصحابه وقال ابو داود
قلت لاحمد يقول قبل التكبير يعني في الصلاة شيا قال لا وهذا قد يدخل فيه انه لا يتلفظ بالنية
والله اعلم **الحديث الثاني** عن عمر رضي الله عنه قال بينما نحن عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى
عليه اثر السفر ولا يعرفه منا احد حتى جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسند ركبتيه الى
ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال يا محمد اخبرني عن الاسلام فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلاة
وتوتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت فعجبنا

لسايله ويصدقه قال فاخبرني عن الايمان قال ان تومن بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وتومن بالقدر خيره وشره قال صدقت قال فاخبرني عن الاسلام عن الاحسان قال تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال فاخبرني عن الساعة ان قال ما المسوول عنها باعلم من السايل قال فاخبرني عن اماراتها قال ان تلد الامة ربتها وان ترى الحفاة العراة العالة رعا الشا يتطاولون في البنيان ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لي يا عمر اتدري من السايل قلت الله ورسوله اعلم قال فانه جبريل اتاكم يعلمكم دينكم رواه مسلم

هذا الحديث تفرد مسلم عن البخاري باخراجه فخرجه من طريق كهمس عن عبد الله بن بريده عن يحيى بن يعمر قال كان اول من قال في القدر بالبصره معبد الجهني فانطلقت انا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين او معتمرين فقلنا لو لقينا احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالناه عما يقول هولاء في القدر فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد فاكتنفته انا وصاحبي احدنا عن يمينه والاخر عن شماله فظننت ان صاحبي سيكل الكلام الي فقلت يا ابا عبد الرحمن انه قد ظهر قبلنا ناس يقراون القران ويتفقهون العلم وذكر من شانهم وانهم يزعمون ان لا قدر وان الامر انف فقال اذا لقيت اوليك فاخبرهم اني بري منهم وانهم برا مني والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو ان لاحدهم مثل احد ذهبا فانفقه ما قبل الله منه حتى يومن بالقدر ثم قال حدثني ابي عمر بن الخطاب قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث بطوله ثم خرجه من طرق اخرى بعضها يرجع الى عبد الله بن بريده وبعضها يرجع الى يحيى بن يعمر وذكر ان في بعض الفاظها زياده ونقصا وقد خرجه ابن حبان في صحيحه من طريق سليمن التيمي عن يحيى بن يعمر وقد خرجه مسلم من هذه الطريق الا انه لم يذكر لفظه وفيه زيادات منها في الاسلام قال وتحج وتعتمر وتغتسل من الجنابه وان تتم الوضو قال فاذا فعلت ذلك فانا مسلم قال نعم وقال في الايمان وتومن بالجنه والنار والميزان وقال فيه فاذا فعلت ذلك فانا مومن قال نعم وقال في اخره هذا جبريل اتاكم ليعلمكم امر دينكم خذوا عنه والذي نفسي بيده ما شبه علي منذ اتاني قبل مرتي هذه وما عرفته حتى ولى وخرجاه في الصحيحين من حديث ابي هريره قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يوما بارزا للناس فاتاه رجل فقال ما الايمان قال الايمان ان تومن بالله وملايكته وكتابه وبلقايه ورسله وتومن بالبعث الاخر قال يا رسول الله ما الاسلام قال الاسلام ان تعبد الله لا تشرك به شيا وتقيم الصلاه المكتوبه وتودي الزكاه المفروضه وتصوم رمضان قال يا رسول الله ما الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه فانك الا تراه فانه يراك قال يا رسول الله متى الساعه قال ما المسوول عنها باعلم من السايل ولكن ساحدثك عن اشراطها اذا ولدت الامه ربتها فذلك من اشراطها واذا رايت العراه الحفاه روس الناس فذاك من اشراطها واذا تطاول رعا البهم في البنيان فذاك من اشراطها في خمس لا يعلمهن الا الله ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عنده علم الساعه وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير قال ثم ادبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم علي الرجل فاخذوا ليردوه فلم يروا شيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا جبريل جا ليعلم الناس دينهم وخرجه مسلم بسياق اتم من هذا وفيه في سوال الايمان وتومن بالقدر كله وقال في الاحسان ان تخشى الله كانك تراه وخرجه الامام احمد في مسنده من حديث شهر بن حوشب عن ابن عباس ومن حديث شهر بن حوشب ايضا عن بن عامر او ابي عامر او ابي مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديثه قال ونسمع رجع النبي صلى الله عليه وسلم ولا نرى الذي يكلمه ولا نسمع كلامه وهذا يرده حديث عمر الذي خرجه مسلم وهو اصح وقد روي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث انس بن مالك وجرير بن عبد الله البجلي وغيرهما وهو حديث عظيم جدا يشتمل على شرح الدين كله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في اخره هذا جبريل اتاكم يعلمكم دينكم بعد ان شرح درجه الاسلام ودرجه الايمان ودرجه الاحسان فجعل ذلك كله دينا فاختلفت الروايه في تقدم الاسلام على الايمان وعكسه ففي حديث عمر الذي خرجه مسلم انه بدا بالسوال عن الاسلام وفي الترمذي وغيره انه بدا بالسوال عن الايمان كما في حديث ابي هريره

وجاي في بعض روايات الترمذي في حديث عمر انه سال عن الاحسان بين الاسلام والايمان فاما
الاسلام فقد فسره النبي صلي الله عليه وسلم باعمال الجوارح الظاهرة من القول والعمل واول
ذلك شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وهو عمل اللسان ثم اقام الصلاة وايتا
الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا وهي منقسمة الي عمل بدني كالصلاة
والصوم والي عمل مالي وهو ايتا الزكاة والي ما هو مركب منهما كالحج بالنسبة الي البعيد
عن مكة وفي رواية ابن حبان اضاف الي ذلك الاعتمار والغسل من الجنابة واتمام الوضو
وفي هذا تنبيه علي ان جميع الواجبات الظاهرة داخلة في مسمي الاسلام وانما ذكرها هنا
اصول اعمال الاسلام التي بني الاسلام عليها كما سياتي شرح ذلك في حديث ابن عمر بني الاسلام
علي خمس في موضعه ان شا الله وقوله في بعض الروايات فاذا فعلت ذلك فانا مسلم
قال نعم يدل علي ان من كمل الاتيان بمباني الاسلام الخمس صار مسلما حقا مع ان من اقر
بالشهادتين صار مسلما حكما فاذا دخل في الاسلام بذلك الزم بالقيام ببقية خصال الاسلام
ومن ترك الشهادتين خرج من الاسلام وفي خروجه من الاسلام بترك الصلاة خلاف مشهور
بين العلما وكذلك في ترك بقية مباني الاسلام الخمس كما سنذكره في موضعه ان شا الله تعا لي
ومما يدل علي ان جميع الاعمال الظاهرة تدخل في مسمي الاسلام قول النبي صلي الله عليه وسلم
المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو ان رجلا
سال النبي صلي الله عليه وسلم اي الاسلام خير قال ان تطعم الطعام وتقرا السلام علي من
عرفت ومن لم تعرف وفي صحيح الحاكم عن ابي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال ان للاسلام
ضوا ومنارا كمنار الطريق من ذلك ان تعبد الله ولا تشرك به شيا وتقيم الصلاة وتو تي
الزكاة وتصوم رمضان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتسليمك علي بني ادم اذا لقيتهم
وتسليمك علي اهل بيتك اذا دخلت عليهم فمن انتقص منهن شيا فهو سهم من الاسلام تركه ومن
يتركهن فقد نبذ الاسلام وراظهره وخرج ابن مردويه من حديث ابي الدردا عن
النبي صلي الله عليه وسلم قال للاسلام ضيا وعلامات كمنار الطريق فراسها وجماعها شها دة

ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله واقام الصلاه وايتا الزكاة وتمام الوضو والحكم
بكتاب الله وسنة نبيه صلي الله عليه وسلم وطاعة ولاة الامر وتسليمكم علي انفسكم وتسليمكم
اذا دخلتم بيوتكم وتسليمكم علي بني ادم اذا لقيتموهم وفي اسناده ضعف ولعله موقوف وصح من
حديث ابي اسحق عن صلة بن زفر عن حذيفة قال الاسلام ثمانية اسهم الاسلام سهم والصلا ة
سهم والزكاة سهم والجهاد سهم وصوم رمضان سهم والامر بالمعروف سهم والنهي عن المنكر سهم
وخاب من لا سهم له وخرجه البزار مرفوعا والموقوف اصح ورواه بعضهم عن ابي اسحق
عن الحرث عن علي عن النبي صلي الله عليه وسلم خرجه ابو يعلي الموصلي وغيره والموقوف علي حذيفة
اصح قاله الدارقطني وغيره وقوله الاسلام سهم يعني الشهادتين لانها علم الاسلام وبهما يصير
الانسان مسلما وكذلك ترك المحرمات داخل في مسمي الاسلام ايضا كما روي عن النبي صلي الله عليه
وسلم انه قال من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وسياتي في موضعه ان شا الله تعالي
ويدل علي ذلك ايضا ما خرجه الامام احمد والترمذي والنسائي من حديث العرباض بن سار يه
عن النبي صلي الله عليه وسلم قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلي جنبتي الصراط سوران
فيهما ابواب مفتحة وعلي الابواب ستور مرخاة وعلي باب الصراط داع يقول يا ايها الناس
ادخلوا الصراط جميعا ولا تعرجوا وداع يدعو من جوف الصراط فاذا اراد ان يفتح شيا
من تلك الابواب قال ويحك لا تفتحه فانك ان تفتحه تلجه والصراط الاسلام والسوران
حدود الله والابواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي علي راس الصراط كتاب الله والداعي من فوق
واعظ الله في قلب كل مسلم زاد الترمذي والله يدعوا الي دار السلام ويهدي من يشا الي صراط
مستقيم ففي هذا المثل الذي ضربه النبي صلي الله عليه وسلم ان الاسلام هو الصراط المستقيم
الذي امر الله بالاستقامة عليه ونهي عن تجاوز حدوده وان من ارتكب شيا من المحرما ت
فقد تعدي حدوده واما الايمان فقد فسره النبي صلي الله عليه وسلم في هذا الحديث بالاعتقا دات
الباطنة فقال ان تومن بالله وملايكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت وتومن بالقدر
خيره وشره وقد ذكر الله في كتابه الايمان بهذه الاصول الخمسة في مواضع كقوله تعالي

امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمومنون كل امن بالله وملايكته وكتبه ورسله لا
نفرق بين احد من رسله وقال تعالى ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر والملايكه والكتاب
والنبيين وقال تعالى الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاه ومما رزقناهم ينفقون والذين
يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخره هم يوقنون وقال والذين يومنون بما انزل
اليك وما انزل من قبلك والايمان بالرسل يلزم منه الايمان بجميع ما اخبروا به من الملايكه
والانبيا والكتب والبعث والقدر وغير ذلك من تفاصيل ما اخبروا به من صفات الله
وصفات اليوم الاخر كالميزان والصراط والجنه والنار وقد ادخل في الايمان الايمان بالقدر
خيره وشره ولاجل هذه الكلمه روى ابن عمر هذا الحديث محتجا به على من انكر القدر وزعم
ان الامر انف يعني انه مستانف لم يسبق به سابق قدر من الله عز وجل وقد غلظ
ابن عمر عليهم وتبرا منهم واخبر انه لا تقبل منهم اعمالهم بدون الايمان بالقدر والايمان بالقدر
على درجتين احداهما الايمان بان الله تعالى سبق في علمه ما يعمله العباد من خير وشر
وطاعه ومعصيه قبل خلقهم وايجادهم ومن هو منهم من اهل الجنه ومن اهل النار واعد لهم الثواب
والعقاب جزا لاعمالهم قبل خلقهم وتكوينهم وانه كتب ذلك عنده واحصاه وان اعمال العباد
تجري على ما سبق في علمه وكتابه والدرجه الثانيه ان الله خلق افعال عباده كلها من الكفر
والايمان والطاعه والعصيان وشاها منهم فهذه الدرجه يثبتها اهل السنه والجماعه وينكرها
القدريه والدرجه الاولى اثبتها كثير من القدريه ونفاها غلاتهم كمعبد الجهني الذي سيل ابن عمر
عن مقالته وكعمرو بن عبيد وغيره وقد قال كثير من ايمه السلف ناظروا القدريه بالعلم فان اقروا
به خصموا وان جحدوه فقد كفروا يريدون ان من انكر العلم القديم السابق بافعال العباد وان
الله قسمهم قبل خلقهم الى شقي وسعيد وكتب ذلك عنده في كتاب حفيظ فقد كذب بالقران فيكفر
بذلك وان اقروا بذلك وانكروا ان الله خلق افعال عباده وشاها واراد ها منهم اراده كونيه
قدريه فقد خصموا لان ما اقروا به حجه عليهم فيما انكروه وفي تكفير هولا نزاع مشهور بين
العلما واما من انكر العلم القديم فنص الشافعي واحمد على تكفيره وكذلك غيرهما من ايمه الاسلام

فان قيل فقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث بين الاسلام والايمان وجعل الاعمال
كلها من الاسلام لا من الايمان والمشهور عن السلف واهل الحديث ان الايمان قول وعمل
ونيه وان الاعمال كلها داخله في مسمى الايمان وحكى الشافعي على ذلك اجماع الصحابه والتابعين
ومن بعدهم ممن ادركهم وانكر السلف على من اخرج الاعمال عن الايمان انكارا شديدا وممن
انكر ذلك على قايله وجعله قولا محدثا سعيد بن جبير وميمون بن مهران وقتاده وايوب السختياني
وابرهيم النخعي والزهري ويحيى بن ابي كثير وغيرهم وقال الثوري هو راي محدث ادركنا الناس
على غيره وقال الاوزاعي كان من مضى ممن سلف لا يفرقون بين الايمان والعمل وكتب عمر بن عبد
العزيز الى اهل الامصار اما بعد فان للايمان فرايض وشرايع فمن استكملها استكمل الايمان ومن
لم يستكملها لم يستكمل الايمان ذكره البخاري في صحيحه قيل الامر على ما ذكرت وقد دل على
دخول الاعمال في الايمان قوله تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم
اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاه ومما رزقناهم ينفقون اوليك هم المو
منون حقا وفي الصحيحين عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الايمان بضع وسبعو
ن او بضع وستون شعبه فافضلها قول لا اله الا الله وادناها اماطه الاذى عن الطريق والحيا
شعبه من الايمان ولفظه لمسلم وفي الصحيحين عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مومن ولا يشرب
الخمر حين يشربها وهو مومن فلولا ان ترك هذه الكباير من مسمى الايمان لما انتفى اسم الايمان
عن مرتكب شي منها لان الاسم لا ينتفي الا بانتفا بعض اركانه او واجباته واما وجه الجمع بين
هذه النصوص وبين حديث سوال جبريل عليه السلام عن الاسلام والايمان وتفريق
النبي صلى الله عليه وسلم بينهما وادخاله الاعمال في مسمى الاسلام دون مسمى الايمان فانه يتضح
بتقرير اصل وهو ان من الاسما ما يكون شاملا لمسميات متعدده عند افراده واطلاقه
فاذا قرن ذلك الاسم بغيره صار دالا على بعض تلك المسميات والاسم المقرون به دالا على
باقيها وهذا كاسم الفقير والمسكين فاذا افرد احدهما دخل فيه كل من هو محتاج فاذا

قرن احدهما بالاخر دل احد الاسمين على بعض انواع ذوي الحاجات والاخر على باقيها فهكذا
اسم الاسلام والايمان اذا افرد احدهما دخل فيه الاخر ودل بانفراده على مايدل عليه الاخر
بانفراده فاذا قرن بينهما دل احدهما على بعض مايدل عليه بانفراده ودل الاخر على
الباقي وقد صرح بهذا المعنى جماعة من الائمة قال ابو بكر الاسمعيلي في رسالته الى اهل الجبل
قال كثير من اهل السنة والجماعة ان الايمان قول وعمل والاسلام فعل ما فرض على الانسان
ان يفعله اذا ذكر كل اسم على حدته مضموما الى الاخر فقيل المومنون والمسلمون جميعا مفردين
اريد باحدهما معنى لم يرد بالاخر واذا ذكر احد الاسمين شمل الكل وعمهم وقد ذكر هذا
المعنى الخطابي في كتابه معالم السنن وتبعه عليه جماعة من العلما من بعده ويدل على
صحة ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم فسر الايمان عند ذكره مفردا في حديث وفد عبد
القيس بما فسر به الاسلام المقرون بالايمان في حديث جبريل وفسر في حديث اخر الاسلام
بما فسر به الايمان كما في مسند الامام احمد عن عمرو بن عبسة قال جا رجل الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الاسلام قال ان تسلم قلبك لله وان يسلم المسلمون من
لسانك ويدك قال فاي الاسلام افضل قال الايمان قال وما الايمان قال ان تومن بالله
وملايكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت قال فاي الايمان افضل قال الهجرة قال فما
الهجرة قال ان تهجر السو قال فاي الهجرة افضل قال الجهاد فجعل النبي صلى الله عليه وسلم
الايمان افضل الاسلام وادخل فيه الاعمال وبهذا التفصيل يظهر تحقيق القول
في مسلة الاسلام والايمان هل هما واحد او هما مختلفان فان اهل السنة والحديث
مختلفون في ذلك وصنفوا في ذلك تصانيف متعدده فمنهم من يدعي ان جمهور اهل
السنة على انهما شي واحد منهم محمد بن نصر المروزي وابن عبد البر وقد روي هذا
القول عن سفين الثوري من رواية ايوب بن سويد الرملي عنه وايوب فيه ضعف
ومنهم من يحكي عن اهل السنة التفريق بينهما كابي بكر بن السمعاني وغيره وقد نقل
التفريق بينهما عن كثير من السلف منهم قتاده وداود بن ابي هند وابو جعفر الباقر

والزهري وحماد بن زيد وابن مهدي وشريك وابن ابي ذيب واحمد بن حنبل وابو خيثمه
ويحيى بن معين وغيرهم على اختلاف بينهم في صفة التفريق بينهما وكان الحسن وابن سيرين
يقولان مسلم وتهابان مومن وبهذا التفصيل الذي ذكرناه يزول الاختلاف فيقال
اذا افرد كل من الاسلام والايمان بالذكر فلا فرق بينهما حينيذ وان قرن بين الاسمين كان
بينهما فرق والتحقيق في الفرق بينهما ان الايمان هو تصديق القلب واقراره ومعرفته
والاسلام هو استسلام العبد لله وخضوعه وانقياده له وذلك يكون بالعمل وهو الدين
كما سمى الله تعالى في كتابه الاسلام دينا وفي حديث جبريل سمى النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام
والايمان والاحسان دينا وهذا ايضا مما يدل على ان احد الاسمين اذا افرد دخل فيه
الاخر وانما يفرق بينهما حيث قرن احد الاسمين بالاخر فيكون حينيذ المراد بالايمان جنس
تصديق القلب وبالاسلام جنس العمل **وفي مسند الامام احمد** عن انس عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال الاسلام علانية والايمان في القلب وهذا لان الاعمال تظهر علانية والتصديق
بالقلب لا يظهر **وكان النبي صلى الله عليه وسلم** يقول في دعايه اذا صلى على الميت اللهم
من احييته منا فاحيه على الاسلام ومن توفيته منا فتوفه على الايمان لان العمل بالجوارح انما
يتمكن منه في الحياة فاما عند الموت فلا يبقى غير التصديق بالقلب **ومن هنا قال المحققون**
من العلما كل مومن مسلم فان من حقق الايمان ورسخ في قلبه قام باعمال الاسلام كما قال
صلى الله عليه وسلم الا ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد
الجسد كله الا وهي القلب فلا يتحقق القلب بالايمان الا وتنبعث الجوارح في اعمال الاسلام
وليس كل مسلم مومنا فانه قد يكون الايمان ضعيفا فلا يتحقق القلب به تحققا تاما مع عمل
جوارحه باعمال الاسلام فيكون مسلما وليس بمومن بالايمان التام كما قال تعالى قالت الاعراب
امنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم ولم يكونوا منافقين بالكلية
على اصح التفسيرين وهو قول ابن عباس وغيره بل كان ايمانهم ضعيفا ويدل عليه قوله
تعالى وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيا يعني لا ينقصكم من اجورها فدل

علي ان معهم من الايمان ما تقبل به اعمالهم وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لسعد بن ابي
وقاص لما قال له لم تعط فلانا وهو مومن فقال النبي صلى الله عليه وسلم او مسلم يشير الي انه
لم يحقق مقام الايمان وانما هو في مقام الاسلام الظاهر ولا ريب انه متى ضعف الايمان
الباطن لزم منه ضعف اعمال الجوارح الظاهرة ايضا لكن اسم الايمان ينفى عمن ترك شيا
من واجباته كما في قوله لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن وقد اختلف اهل السنة هل يسمى
مومنا ناقص الايمان او يقال ليس بمومن لكنه مسلم علي قولين وهما روايتان عن احمد
واما اسم الاسلام فلا ينتفي بانتفا بعض واجباته وانتهاك محرماته وانما ينفى بالاتيان
بما ينافيه بالكلية ولا نعرف في شي من السنة الصحيحة نفي الاسلام عمن ترك شيا من
واجباته كما ينفي الايمان عمن ترك شيا من واجباته وان كان قد ورد اطلاق الكفر علي
فعل بعض المحرمات واطلاق النفاق الاصغر ولا اعلم ان احدا منهم اجاز اطلاق نفي اسم
الاسلام عنه الا انه روي عن ابن مسعود انه قال ما تارك الزكاة بمسلم ويحتمل انه كان
يراه كافرا بذلك خارجا من الاسلام وكذلك روي عن عمر فيمن تمكن من الحج ولم يحج انهم
ليسوا بمسلمين والظاهر انه كان يعتقد كفرهم ولهذا اراد ان يضرب عليهم الجزية يقول
لم يدخلوا في الاسلام بعد فهم مستمرون علي كتابيتهم واذا تبين ان اسم الاسلام لا ينتفي الا
بوجود ما ينافيه ويخرج عن الملة بالكلية فاسم الاسلام اذا اطلق او اقترن به المدح
دخل فيه الايمان كله من التصديق وغيره كما سبق في حديث عمرو بن عبسة **وخرج
النساي** من حديث عقبة بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث سرية فغارت
علي قوم فقال رجل منهم اني مسلم فقتله رجل من السرية فنمي الحديث الي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال فيه قولا شديدا فقال الرجل انما قالها تعوذا من القتل
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ابى علي ان اقتل مومنا ثلاث مرات فلولا ان
الاسلام المطلق يدخل فيه الايمان والتصديق بالاصول الخمسة لم يصر من قال
انا مسلم مومنا بمجرد هذا القول وقد اخبر الله عن ملكة سبا انها دخلت في الاسلام

بهذه الكلمة وقالت رب اني ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان لله رب العالمين واخبر عن
يوسف عليه السلام انه دعا بالموت علي الاسلام وهذا كله يدل علي ان الاسلام المطلق
يدخل فيه ما يدخل في الايمان من التصديق **وفي سنن ابن ماجه** عن عدي بن
حاتم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عدي اسلم تسلم قلت وما الاسلام قال تشهد
ان لا اله الا الله وتشهد اني رسول الله وتومن بالاقدار كلها خيرها وشرها حلوها
ومرها وهذا نص في ان الايمان بالقدر من الاسلام ثم ان الشهادتين من خصال
الاسلام بغير نزاع وليس المراد الاتيان بلفظهما دون التصديق بهما في الاسلام
وقد فسر المذكور في قوله تعالي ان الدين عند الله الاسلام بالتوحيد والتصديق طايفة
من السلف منهم محمد بن جعفر بن الزبير واما اذا نفي الايمان عن احد واثبت له الاسلام
كالاعراب الذين اخبر الله عنهم فانه ينتفي عنهم رسوخ الايمان في القلب ويثبت لهم المشاركة
في اعمال الاسلام الظاهرة مع نوع ايمان يصحح لهم العمل اذ لولا هذا القدر من الايمان لم
يكونوا مسلمين وانما نفي عنهم الايمان لانتفا ذوق حقايقه ونقص بعض واجباته وهذا
مبني علي ان التصديق القايم بالقلوب متفاضل وهذا هو الصحيح فان ايمان الصديقين
الذين يتجلى الغيب لقلوبهم حتى يصير كانه شهادة بحيث لا يقبل التشكيك ولا الارتياب
ليس كايمان غيرهم ممن لم يبلغ هذه الدرجة بحيث لو شكك لدخله الشك ولهذا جعل
النبي صلى الله عليه وسلم مرتبة الاحسان ان يعبد العبد ربه كانه يراه وهذا لا يحصل
لعموم المومنين ومن هنا قال بعضهم ما سبقهم ابو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ولكن بشي وقر
في صدره وسيل ابن عمر هل كانت الصحابة يضحكون فقال نعم والايمان في قلوبهم امثال
الجبال فاين هذا ممن الايمان في قلبه يزن ذرة او شعيرة كالذين يخرجون من اهل التوحيد
من النار فهولا يصح ان يقال لم يدخل الايمان في قلوبهم لضعفه عندهم وهذه المسايل
اعني مسايل الاسلام والايمان والكفر والنفاق مسايل عظيمة جدا فان الله علق
بهذه الاسما السعادة والشقاوة واستحقاق الجنة والنار والاختلاف في مسمياتها

اول اختلاف وقع في هذه الامه وهو خلاف الخوارج للصحابه حيث اخرجوا عصاه الموحدين
من الاسلام بالكلية وادخلوهم في دايرة الكفر وعاملوهم معاملة الكفار واستحلوا بذلك
دما المسلمين واموالهم ثم حدث بعدهم خلاف المعتزله وقولهم بالمنزله بين المنزلتين
ثم حدث خلاف المرجيه وقولهم ان الفاسق مومن كامل الايمان وقد صنف العلما
قديمًا وحديثًا في هذه المسايل تصانيف متعدده **وممن صنف في الايمان من
ايمه السلف** الامام احمد وابو عبيد القسم بن سلام وابو بكر بن ابي شيبه ومحمد
بن اسلم الطوسي وكثرت فيه التصانيف بعدهم من جميع الطوايف وقد ذكرنا هاهنا
نكتًا جامعةً لاصول كثيرة من هذه المسايل والاختلاف فيها وفيه ان شا الله كفايه
فصل قد تقدم ان الاعمال تدخل في مسمي الاسلام ومسمي الايمان ايضًا وذكرنا ما
يدخل في ذلك من اعمال الجوارح الظاهرة ويدخل في مسماهما ايضًا اعمال الجوارح الباطنه
فيدخل في اعمال الاسلام اخلاص الدين لله والنصح له ولعباده وسلامه القلب لهم
من الغش والحسد والحقد وتوابع ذلك من انواع الاذي **ويدخل في مسمي الايمان**
وجل القلوب من ذكر الله وخشوعها عند سماع ذكره وكتابه وزياده الايمان بذلك وتحقيق
التوكل علي الله وخوف الله سرًا وعلانيةً والرضا بالله ربًا وبالاسلام دينًا وبمحمد رسولا
واختيار تلف النفوس باعظم انواع الالام علي الكفر واستشعار قرب الله من العبد ودوام
استحضاره وايثار محبة الله ورسوله علي محبه ماسواهما والمحبه في الله والبغض فيه
والعطا له والمنع له وان يكون جميع الحركات والسكنات له وسماحة النفوس بالطاعة
الماليه والبدنيه والاستبشار بعمل الحسنات والفرح بها والمساه بعمل السيات
والحزن عليها وايثار المومنين لرسول الله صلي الله عليه وسلم علي انفسهم واموالهم وكثرة
الحيا وحسن الخلق ومحبة ما يحبه لنفسه لاخوانه المومنين ومواساة المومنين خصوصًا
الجيران ومعاضدة المومنين ومناصرتهم والحزن بما يحزنهم **ولنذكر بعض
النصوص الوارده بذلك** فاما ما ورد في دخوله في اسم الاسلام **ففي مسند

الامام احمد** والنساي عن معاويه بن حيده قال قلت يا رسول الله بالذي بعثك بالحق
ما الذي بعثك به قال الاسلام قلت وما الاسلام قال ان تسلم قلبك لله وان توجه وجهك
الي الله وتصلي الصلاه المكتوبه وتودي الزكاه المفروضة وفي روايه له قلت وما ايه
الاسلام قال ان تقول اسلمت وجهي لله وتخليت وتقيم الصلاه وتوتي الزكاه وكل مسلم علي
مسلم محرم **وفي السنن** عن جبير بن مطعم عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال في خطبته
بالخيف منا ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم اخلاص العمل لله ومناصحة ولاه الامر ولزوم
جماعة المسلمين فان دعوتهم تحيط من وراىهم فاخبر ان هذه الثلاث الخصال تنفي الغل
عن قلب المسلم **وفي الصحيحين** عن ابي موسي عن النبي صلي الله عليه وسلم انه سيل
اي المسلمين افضل فقال من سلم المسلمون من لسانه ويده **وفي صحيح مسلم** عن ابي هريرة
عن النبي صلي الله عليه وسلم قال المسلم اخو المسلم فلا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره بحسب امري
من الشر ان يحقر اخاه المسلم كل المسلم علي المسلم حرام دمه وماله وعرضه **واما ما ورد
في دخوله في اسم الايمان** فمثل قوله تعالي انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانًا وعلي ربهم يتوكلون الي قوله اوليك هم المومنون حقا
وقوله الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا
الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وقوله وعلي الله فليتوكل المومنون
وقوله وعلي الله فتوكلوا ان كنتم مومنين وقوله وخافون ان كنتم مومنين **وفي صحيح مسلم**
عن العباس ابن عبد المطلب عن النبي صلي الله عليه وسلم قال ذاق طعم الايمان من رضي بالله
ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا والرضي بربوبيه الله يتضمن الرضا بعبادته وحده لا شريك
له وبالرضي بتدبيره للعبد واختياره له والرضا بالاسلام دينًا يقتضي اختياره علي ساير الاديان
والرضا بمحمد صلي الله عليه وسلم رسولا يقتضي الرضا بجميع ما جا به من عند الله وقبول ذلك
بالتسليم والانشراح كما قال تعالي فلا وربك لا يومنون حتي يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا
يجدوا في انفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليما **وفي الصحيحين** عن انس عن

النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان من كان الله
ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يرجع الى الكفر بعد
اذ انقذه الله منه كما يكره ان يلقى في النار وفي رواية وجد بهن طعم الايمان وفي بعض
الروايات طعم الايمان وحلاوته **وفي الصحيحين** عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يومن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وفي رواية من
اهله وماله والناس اجمعين **وفي مسند الامام احمد** عن ابي رزين العقيلي قال قلت
يا رسول الله ما الايمان قال ان تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده
ورسوله وان يكون الله ورسوله احب اليك مما سواهما وان تحرق في النار احب اليك من ان
تشرك بالله وان تحب غير ذي نسب لا تحبه الا لله فاذا كنت كذلك فقد دخل حب الايمان
في قلبك كما دخل حب الما للظمان في اليوم القايض قلت يا رسول الله كيف لي بان اعلم اني
مومن قال ما من امتي او من هذه الامة عبد يعمل حسنة فيعلم انها حسنة وان الله
جازيه بها خيرا ولا يعمل سية فيعلم انها سية ويستغفر الله منها ويعلم انه لا يغفر الا هو
الا وهو مومن **وفي المسند وغيره** عن عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من سرته حسنته وساته سيئته فهو مومن **وفي مسند بقي بن مخلد** عن رجل
سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال صريح الايمان اذا اسات او ظلمت احدا عبدك او امتك
او احدا من الناس صمت او تصدقت واذا احسنت استبشرت **وفي مسند الامام
احمد** عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المومنون في الدنيا على ثلاثة اجزا الذين
امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم والذي يامنه الناس على
اموالهم وانفسهم ثم الذي اذا اشرف على طمع تركه لله عز وجل **وفيه ايضا** عن عمرو بن
عبسة قال قلت يا رسول الله ما الاسلام قال طيب الكلام واطعام الطعام قلت ما الايمان
قال الصبر والسماحة قلت اي الاسلام افضل قال من سلم المسلمون من لسانه ويده قلت اي
الايمان افضل قال خلق حسن **وقد فسر الحسن البصري** الصبر والسماحة فقال هو

الصبر عن محارم الله والسماحة باداء فرايض الله عز وجل **وفي الترمذي وغيره** عن
عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اكمل المومنين ايمانا احسنهم خلقا وخرجه ابو داود وغيره
من حديث ابي هريره **وخرج البزار في مسنده** من حديث عبد الله بن معويه
الغاضري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من فعلهن فقد طعم طعم الايمان من عبد الله
وحده بانه لا اله الا الله واعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه في كل عام وذكر الحديث وفي اخره
فقال رجل وما تزكية المرء نفسه يا رسول الله قال ان يعلم ان الله معه حيث كان وخرج
ابو داود اول الحديث دون اخره **وخرج الطبراني** من حديث عبادة بن الصامت عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان افضل الايمان ان تعلم ان الله معك حيث كنت **وفي الصحيحين**
عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحيا من الايمان **وخرج الامام احمد وابن ماجه**
من حديث العرباض بن ساريه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما المومن كالجمل الانف حيث
ما قيد انقاد وقال الله عز وجل انما المومنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم **وفي الصحيحين**
عن النعمن بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المومنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل
الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له ساير الجسد بالحمى والسهر **وفي رواية لمسلم** المومنون
كرجل واحد وفي رواية له ايضا المسلمون كرجل واحد ان اشتكى عينه اشتكى كله وان اشتكى
راسه اشتكى كله **وفي الصحيحين** عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المومن للمومن
كالبنيان يشد بعضهم بعضا وشبك بين اصابعه **وفي مسند الامام احمد** عن سهل بن سعد
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المومن من اهل الايمان بمنزلة الراس من الجسد يالم المومن لاهل الايمان
كما يالم الجسد لما في الراس **وفي سنن ابي داود** عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
المومن مراة المومن المومن اخو المومن يكف عنه ضيعته ويحوطه من ورايه **وفي الصحيحين**
عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يومن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه **وفي صحيح
البخاري** عن ابي شريح الكعبي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال والله لا يومن والله لا يومن
والله لا يومن قالوا ومن ذاك يا رسول الله قال من لا يامن جاره بوايقه **وخرج الحاكم** من حديث

ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس المومن الذي يشبع وجاره جايع وخرج الامام
احمد والترمذي من حديث سهل بن معاذ الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اعطى لله
ومنع لله واحب لله وابغض لله زاد الامام احمد وانكح لله فقد استكمل ايمانه وفي روايه للامام احمد
انه سال النبي صلى الله عليه وسلم عن افضل الايمان فقال ان تحب لله وتبغض لله وتعمل لسانك
في ذكر الله قال وماذا يا رسول الله قال ان تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك
وفي روايه له وان تقول خيرا او تصمت وفي هذا الحديث ان كثره ذكر الله من افضل الايمان
وخرج ايضا من حديث عمرو بن الجموح انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يستحق
العبد صريح الايمان حتى يحب لله ويبغض لله فاذا احب لله وابغض لله فقد استحق الولايه من
الله وخرج ايضا من حديث البرا بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اوثق عرى الايمان
ان تحب في الله وتبغض في الله وقال ابن عباس احب في الله وابغض في الله ووال في الله وعاد في الله
فانما تنال ولايه الله بذلك لن يجد عبد طعم الايمان وان كثره صلاته وصومه حتى يكون كذلك وقد
صارت عامه مواخاه الناس على امر الدنيا وذلك لا يجدي على اهله شيا خرجه ابن جرير الطبري
ومحمد بن نصر المروزي فصل واما الاحسان فقد جاء ذكره في القران في مواضع تاره
مقرونا بالايمان وتاره مقرونا بالاسلام وتاره مقرونا بالتقوى او بالعمل فالمقرون بالايمان كقوله
تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات
ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين وكقوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا والمقرون بالاسلام كقوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله وهو
محسن فله اجره وقوله ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروه الوثقى
والمقرون بالتقوى كقوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقد يذكر مفردا كقوله
تعالى للذين احسنوا الحسنى وزياده وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم
تفسير الزياده بالنظر الى وجه الله عز وجل في الجنه وهذا مناسب لجعله جزا لاهل
الاحسان لان الاحسان هو ان يعبد المومن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبه كانه يراه

بقلبه وينظر اليه في حال عبادته فكان جزا ذلك النظر الى الله عيانا في الاخره وعكس هذا ما اخبر
الله به عن جزا الكفار في الاخره انهم عن ربهم يوميذ لمحجوبون وجعل ذلك جزا لحالهم في الدنيا
وهو تراكم الران على قلوبهم حتى حجبت عن معرفته ومراقبته في الدنيا فكان جزاوهم على ذلك ان
حجبوا عن رويته في الاخره فقوله صلى الله عليه وسلم في تفسير الاحسان ان تعبد الله
كانك تراه يشير الى ان العبد يعبد الله على هذه الصفه وهي استحضار قربه وانه بين يديه
كانه يراه وذلك يوجب الخشيه والخوف والهيبه والتعظيم كما جا في روايه ابي هريره ان تخشى الله
كانك تراه ويوجب ايضا النصح في العباده وبذل الجهد في تحسينها واتمامها واكمالها وقد وصى
النبي صلى الله عليه وسلم جماعه من اصحابه بهذه الوصيه كما روى ابرهيم الهجري عن ابي الاحوص
عن ابي ذر قال اوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم ان اخشى الله كاني اراه فان لم اكن اراه فانه يراني
وروي عن ابن عمر قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض جسدي فقال اعبد الله كانك
تراه خرجه النساي ويروى من حديث زيد بن ارقم مرفوعا وموقوفا كن كانك ترى الله فان لم تكن
تراه فانه يراك وخرج الطبراني من حديث انس ان رجلا قال يا رسول الله حدثني بحديث
واجعله موجزا فقال صل صلاه مودع فانك ان كنت لا تراه فانه يراك وفي حديث حارثه
المشهور وقد روي من وجوه مرسله وروي متصلا والمرسل اصح ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال له كيف اصبحت يا حارثه قال اصبحت مومنا حقا قال انظر ما تقول فان لكل قول حقيقه
قال يا رسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فاسهرت ليلي واظمات نهاري وكاني انظر الى عرش ربي
بارزا وكاني انظر الى اهل الجنه في الجنه كيف يتزاورون فيها وكاني انظر الى اهل النار كيف يتعاوون
فيها قال ابصرت فالزم عبد نور الله الايمان في قلبه ويروى من حديث ابي امامه
ان النبي صلى الله عليه وسلم وصى رجلا فقال له استحي من الله استحياك من رجلين من صالحي
عشيرتك لا يفارقانك وروي من وجه اخر مرسلا وروي عن معاذ ان النبي صلى الله
عليه وسلم وصاه لما بعثه الى اليمن فقال استحي من الله كما تستحي رجلا ذا هيبه من اهلك
وسيل النبي صلى الله عليه وسلم عن كشف العوره خاليا فقال الله احق ان يستحيى منه

ووصى ابو الدرداء رجلا فقال له اعبد الله كانك تراه **وخطب عروه بن الزبير** الي
ابن عمر ابنته وهما في الطواف فلم يجبه ثم لقيه بعد ذلك فاعتذر اليه وقال كنا في الطواف
نتخايل الله بين اعيننا اخرجه ابو نعيم وغيره **وقوله صلى الله عليه وسلم** فان لم تكن
تراه فانه يراك قيل انه تعليل للاول فان العبد اذا امر بمراقبة الله في العبادة واستحضار
قربه من عبده حتى كان العبد يراه فانه قد يشق ذلك عليه فيستعين على ذلك بايمانه بان
الله يراه ويطلع على سره وعلانيته وظاهره وباطنه ولا يخفى عليه شي من امره فاذا احقق
هذا المقام سهل عليه الانتقال الى المقام الثاني وهو دوام التحديق بالبصيره الي قرب
الله عز وجل من عبده ومعيته حتى كانه يراه وقيل بل هو اشارة الي ان من شق عليه ان
يعبد الله كانه يراه فليعبد الله علي ان الله يراه ويطلع عليه فليستحيي من نظره اليه كما
قال بعض العارفين اتق الله ان يكون اهون الناظرين اليك وقال بعضهم خف الله على
قدر قدرته عليك واستحي منه علي قدر قربه منك قالت بعض العارفات من السلف
من عمل لله علي المشاهدة فهو عارف ومن عمل علي مشاهدة الله اياه فهو مخلص فاشارت
الي المقامين اللذين تقدم ذكرهما احدهما مقام الاخلاص وهو ان يعمل العبد علي
استحضار مشاهدة الله اياه واطلاعه عليه وقربه منه فاذا استحضر العبد هذا
في عمله وعمل عليه فهو مخلص لله لان استحضاره ذلك في عمله يمنعه من الالتفات الي غير
الله وارادته بالعمل والثاني ان يعمل مقام المشاهدة وهو ان يعمل العبد علي مقتضى مشاهدته
لله بقلبه وهو ان يتنور القلب بالايمان وتنفذ البصيرة في العرفان حتى يصير الغيب
كالعيان وهذا هو حقيقة مقام الاحسان المشار اليه في حديث جبريل عليه السلام ويتفاوت
اهل هذا المقام فيه بحسب قوة نفوذ البصاير وقد فسر طايفة من العلما المثل الاعلى المذكور في
عز وجل وله المثل الاعلي في السموات والارض بهذا المعنى ومثله قوله تعالي الله نور السموات قوله ع
والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح والمراد مثل نوره في قلب المومن كذا قال ابي ابن
كعب وغيره من السلف وقد سبق حديث افضل الايمان ان تعلم ان الله معك حيث كنت

وحديث ما تزكية المرء نفسه قال ان يعلم ان الله معه حيث كان **وخرج الطبراني**
من حديث ابي امامه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال ثلاثة في ظل الله يوم لا ظل الا ظله رجل
حيث توجه علم ان الله معه وذكر الحديث وقد دل القران علي هذا المعنى في مواضع
متعدده كقوله تعالى واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداعي اذا دعاني وقوله
تعالي وهو معكم اينما كنتم وقوله ما يكون من نجوي ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو
سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا وقوله وما تكون في شان وما تتلوا
منه من قران ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وقوله ونحن
اقرب اليه من حبل الوريد وقوله ولا يستخفون من الله وهو معهم **وقد وردت**
الاحاديث الصحيحه بالندب الي استحضار هذا القرب في حال العبادات
كقوله صلي الله عليه وسلم ان احدكم اذا قام يصلي فانما يناجي ربه او ربه بينه وبين القبله
وقوله ان الله قبل وجهه اذا صلي وقوله ان الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته
ما لم يلتفت وقوله للذين رفعوا اصواتهم بالذكر انكم لا تدعون اصم ولا غايبا انكم تدعون سميعا
قريبا وفي روايه وهو اقرب الي احدكم من عنق راحلته وفي روايه هو اقرب الي
احدكم من حبل الوريد وقوله يقول الله عز وجل انا مع عبدي اذا ذكرني وتحركت
بي شفتاه وقوله يقول الله عز وجل انا مع ظن عبدي وانا معه حيث ذكرني فان ذكرني
في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منهم وان تقرب مني شبرا
تقربت منه ذراعا وان تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا وان اتاني يمشي اتيته هروله
ومن فهم من شي من هذه النصوص تشبيها او حلولا او اتحادا فانما اتي من جهله وسوء
فهمه عن الله ورسوله والله ورسوله بريان من ذلك كله فسبحان من ليس كمثله شي
وهو السميع البصير قال بكر المزني من مثلك يا ابن ادم خلي بينك وبين المحراب والما كلما
شيت دخلت علي الله عز وجل ليس بينك وبينه ترجمان ومن وصل الي استحضار هذا
في حال ذكره لله وعبادته استانس بالله واستوحش من خلقه ضروره قال ثور بن

يزيد قرات في بعض الكتب ان عيسى عليه السلام قال يا معشر الحواريين كلموا الله كثيرا
وكلموا الناس قليلا قالوا كيف نكلم الله كثيرا قال اخلوا بمناجاته اخلو بدعايه خرجه ابو
نعيم وخرج ايضا باسناده عن رياح قال كان عندنا رجل يصلي كل يوم وليله الف ركعه
حتى اقعد من رجليه فكان يصلي جالسا الف ركعه فاذا صلي العصر احتبى فاستقبل القبله
ويقول عجبت للخليقه كيف انست بسواك بل عجبت للخليقه كيف استنارت قلوبها
بذكر سواك وقال ابو اسامه دخلت علي محمد بن النضر الحارثي فرايته كانه منقبض فقلت
كانك تكره ان توتى قال اجل فقلت اوما تستوحش فقال كيف استوحش وهو يقول انا
جليس من ذكرني وقيل لمالك بن مغول وهو جالس في بيته وحده الا تستوحش قال
ويستوحش مع الله احد وكان حبيب ابو محمد يخلو في بيته ويقول من لم تقر عينه بك فلا
قرت عينه ومن لم يانس بك فلا انس وقال غزوان اني اصبت راحة قلبي في مجالسة من
لديه حاجتي وقال مسلم بن يسار ما تلذذ المتلذذون بمثل الخلوة بمناجاة الله عز وجل
وقال مسلم العابد لولا الجماعة ما خرجت من بابي ابدا حتى اموت وقال ما يجد المطيعون
لله لذة في الدنيا احلي من الخلوة بمناجاة سيدهم ولا احسب لهم في الاخرة من عظيم الثواب
اكبر في صدورهم والذ في قلوبهم من النظر اليه ثم غشي عليه وعن ابرهيم بن ادهم قال اعلا
الدرجات ان تنقطع الي ربك وتستانس اليه بقلبك وعقلك وجميع جوارحك حتى لا ترجوا
الا ربك ولا تخاف الا ذنبك وترسخ محبته في قلبك حتى لا توثر عليها شيا فاذا كنت كذلك
لم تبال في بر كنت او في بحر او في سهل او في جبل وكان شوقك الي لقا الحبيب شوق الظمان
الي الما البارد وشوق الجايع الي الطعام الطيب ويكون ذكر الله عندك احلي من العسل
واحلا من الما العذب الصافي عند العطشان في اليوم الصايف وقال الفضيل طوبي
لمن استوحش من الناس وكان الله جليسه وقال ابو سليمان لا انسني الله الا به ابدا
وقال معروف لرجل توكل علي الله حتى يكون جليسك وانيسك وموضع شكواك وقال
ذو النون من علامة المحبين لله ان لا يانسوا بسواه ولا يستوحشوا معه ثم قال اذا

اذا استكن القلب حب الله انس بالله لان الله اجل في صدور العارفين ان يحبوا سواه وكلام القوم
في هذا الباب يطول ذكره جدا وفيما ذكرناه كفاية ان شا الله تعالي فمن تامل ما اشرنا
اليه مما دل عليه هذا الحديث العظيم علم ان جميع العلوم والمعارف ترجع الي هذا الحديث
وتدخل تحته وان جميع العلما من فرق هذه الامة لا تخرج علومهم التي يتكلمون فيها عن
هذا الحديث وما دل عليه مجملا ومفصلا فان الفقها انما يتكلمون في العبادات التي هي
من جملة خصال الاسلام ويضيفون الي ذلك الكلام في احكام الاموال والابضاع
والدما وكل ذلك من علم الاسلام كما سبق التنبيه عليه ويبقي كثير من علم الاسلام من
الاداب والاخلاق وغير ذلك لا يتكلم عليه الا القليل منهم ولا يتكلمون علي معني الشهاد تين
وعلي الايمان بالله وهما اصل الاسلام كله والذين يتكلمون في اصول الديانات يتكلمون علي
الشهادتين وعلي الايمان بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والايمان بالقدر
والذين يتكلمون علي علم المعارف والمعاملات يتكلمون علي مقام الاحسان وعلي الاعمال
الباطنة التي تدخل في الايمان ايضا كالخشية والمحبة والتوكل والرضا والصبر ونحو
ذلك فانحصرت العلوم الشرعية التي يتكلم عليها فرق المسلمين في هذا الحديث ورجعت
كلها اليه ففي هذا الحديث وحده كفايه ولله الحمد والمنه وبقي الكلام علي ذكر الساعة
من الحديث فقول جبريل عليه السلام اخبرني عن الساعه فقال النبي صلي الله عليه وسلم
ما المسوول عنها باعلم من السايل يعني ان علم الخلق كلهم في وقت الساعه سواء وهذا
اشاره الي ان الله تعالي استاثر بعلمها ولهذا في حديث ابي هريرة قال النبي صلي الله عليه
وسلم في خمس لا يعلمهن الا الله ثم تلي ان الله عنده علم الساعه وينزل الغيث ويعلم ما في
الارحام الاية وقال الله عز وجل يسلونك عن الساعة ايان مرسها قل انما علمها عند
ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض لا تاتيكم الا بغتة وفي صحيح
البخاري عن ابن عمر عن النبي صلي الله عليه وسلم قال مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها
الا الله ثم قرا هذه الاية ان الله عنده علم الساعه وينزل الغيث الاية وخرج الامام

احمد ولفظه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اوتيت مفاتيح كل شي الا الخمس ان الله عنده علم الساعه
الايه **وخرج ايضًا** باسناده عن ابن مسعود قال اوتي نبيكم صلى الله عليه وسلم مفاتيح
كل شي غير خمس ان الله عنده علم الساعه الايه **قوله** فاخبرني عن اماراتها يعني عن
علاماتها التي تدل على اقترابها وفي حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
سا حدثك عن اشراطها وهي علاماتها ايضًا **وقد ذكر صلى الله عليه وسلم**
للساعه علامتين الاولى ان تلد الامة ربتها والمراد بربتها سيدتها ومالكتها وفي حديث
ابي هريرة ربها وهذا اشاره منه الي فتح البلاد وكثرة الرقيق حتى تكثر السراري ويكثر اولاد هن
فتكون الام رقيقة لسيدها واولاده منها بمنزلته فان ولد السيد بمنزلة السيد فيصير
ولد الامه بمنزلة ربها وسيدها وذكر الخطابي انه استدل بذلك من يقول ان ام الولد انما
تعتق على ولدها من نصيبه من ميراث والده وانها تنتقل الي اولادها بالميراث فتعتق
عليهم وانها قبل موت سيدها تباع قال وفي هذا الاستدلال نظر **قلت** قد استدل
به بعضهم على عكس ذلك وان ام الولد لا تباع وانها تعتق بموت سيدها بكل حالٍ لانه
جعل ولد الامه ربها فكان ولدها هو الذي اعتقها فصار عتقها منسوبًا اليه لانه
سبب عتقها فصار كانه مولاها وهذا كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في ام
ولده مارية لما ولدت ابرهيم عليه السلام اعتقها ولدها وقد استدل بهذا الامام
احمد فانه قال في رواية محمد بن الحكم عنه تلد الامه ربتها تكثر امهات الاولاد يقول
اذا ولدت فقد عتقت لولدها وقال فيه حجه ان امهات الاولاد لا يباعون وقد فسر
قوله تلد الامة ربتها بانه يكثر جلب الرقيق حتى تجلب البنت فتعتق ثم تجلب الام فتشتريها
البنت وتستخدمها جاهله بانها امها وقد وقع هذا في الاسلام وقيل معناه ان الاما يلدن
الملوك وقال وكيع معناه تلد العجم العرب والعرب ملوك للعجم وارباب لهم **والعلامه**
الثانيه ان ترى الحفاه العراة العالة والمراد بالعالة الفقرا كقوله ووجدك عايلا فاغني
وقوله رعا الشا يتطاولون في البنيان هكذا في حديث عمر والمراد ان اسافل الناس يصيرون

رؤساهم وتكثر اموالهم حتى يتباهون بطول البنيان وزخرفته واتقانه وفي حديث ابي
هريرة ذكر ثلاث علامات منها ان يكون الحفاة العراة رؤس الناس ومنها ان يتطاول
رعا البهم في البنيان وروى هذا الحديث عبد الله بن عطا عن عبد الله بن بريدة
فقال فيه وان ترى الصم البكم العمي الحفاة رعا الشا يتطاولون في البنيان ملوك الناس
قال فقام الرجل فانطلق فقلنا يا رسول الله من هولا الذين نعت قال هم العريب
وكذا روي هذه اللفظة الاخيرة علي بن زيد عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر واما الالفاظ
الاولى فهي في الصحيح من حديث ابي هريرة بمعناها وقوله الصم البكم العمي اشارة الي جهلهم
وعدم علمهم وفهمهم وفي هذا المعنى احاديث متعددة **فخرج الامام احمد** والترمذي
من حديث حذيفه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يكون اسعد الناس
بالدنيا لكع بن لكع وفي صحيح ابن حبان عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تنقضي الدنيا
حتى تكون عند لكع بن لكع وخرج الطبراني من حديث ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا تقوم الساعه حتى يغلب على الدنيا لكع بن لكع وخرج الامام احمد والطبراني من حديث
انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بين يدي الساعة سنون خداعة يتهم فيها الامين
ويؤتمن فيها المتهم وتنطق فيها الرويبضة قالوا وما الرويبضة قال السفيه ينطق
في امر العامه وفي رواية الفاسق يتكلم في امر العامة وفي رواية للامام احمد ان بين
يدي الدجال سنون خداعه يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصاد ف
ويخون فيها الامين ويؤتمن فيها الخاين وذكر باقيه ومضمون ما ذكر من اشراط الساعة
في هذا الحديث يرجع الي ان الامور توسد الي غير اهلها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
لمن ساله عن الساعه اذا وسد الامر الي غير اهله فانتظر الساعة فانه اذا صار الحفاه
العراة رعا الشا وهم اهل الجهل والجفا روس الناس واصحاب الثروة والاموال حتى يتطاولوا
في البنيان فانه يفسد بذلك نظام الدين والدنيا فانه اذا راس الناس من كان فقيرًا
عايلا فصار ملكا على الناس سوا كان ملكه عامًا او خاصًا في بعض الاشيا فانه لا يكاد

بعطي الناس حقوقهم بل يستاثر عليهم بما استولي عليه من المال فقد قال بعض السلف لان
تمد يدك الي فم التنين فيقضمها خير لك من ان تمدها الي يد غني قد عالج الفقر واذا كان
مع هذا جاهلا جافيا فسد بذلك الدين لانه لا يكون له همة في اصلاح دين الناس ولا تعليم
بل همته في جباية المال واكتنازه ولا يبالي بما فسد من دين الناس ولا بمن ضاع من اهل
حاجاتهم **وفي حديث اخر** لا تقوم الساعة حتى يسود كل قبيلة منافقوها واذا صار
ملوك الناس ورؤوسهم علي هذه الحال انعكست ساير الاحوال فصدق الكاذب
وكذب الصادق واوتمن الخاين وخون الامين وتكلم الجاهل وسكت العالم او عدم بالكليه
كما صح عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويظهر
الجهل واخبر انه يقبض العلم بقبض العلما حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسيلوا
فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا وقال الشعبي لا تقوم الساعة حتى يصير العلم جهلا
والجهل علما وهذا كله من انقلاب الحقايق في اخر الزمان وانعكاس الامور **وفي
صحيح الحاكم** عن عبد الله بن عمرو مرفوعا ان من اشراط الساعة ان يوضع الاخيار
ويرفع الاشرار وفي قوله يتطاولون في البنيان دليل علي ذم التباهي والتفاخر خصوصا
بالتطاول في البنيان ولم يكن اطالة البنا معروفا في زمن النبي صلي الله عليه وسلم واصحابه بل كان
بنيانهم قصيرا بقدر الحاجه وروي ابو الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يتطاول الناس في البنيان خرجه
البخاري **وخرج ابو داود** من حديث انس ان النبي صلي الله عليه وسلم خرج فراي قبة
مشرفه قال ما هذه قالوا هذه لفلان رجل من الانصار فجا صاحبها فسلم علي النبي صلي الله
عليه وسلم فاعرض عنه فعل ذلك مرارا فهدمها الرجل وخرجه الطبراني من وجه اخر
عن انس وعنده فقال النبي صلي الله عليه وسلم كل بنا واشار بيده هكذا علي راسه اكثر من
هذا فهو وبال وقال حريث بن السايب عن الحسن كنت ادخل بيوت ازواج النبي صلي
الله عليه وسلم في خلافة عثمان فاتناول سقفها بيدي وروي عن عمر انه كتب لا تطيلوا

بناكم فانه شر ايامكم وقال يزيد بن ابي زياد قال حذيفة لسلمان الا نبني لك مسكنا يا ابا عبد
الله قال لم لتجعلني ملكا قال لا ولكن نبني لك بيتا من قصب ونسقفه بالبواري اذا قمت
كاد ان يصيب راسك واذا نمت كاد ان يمس طرفيك قال كانك كنت في نفسي وعن عمار بن
ابي عمار قال اذا رفع الرجل بناه فوق سبع اذرع نودي يا افسق الفاسقين الي اين خرجه
كله ابن ابي الدنيا وقال يعقوب بن شيبة في مسنده بلغني عن بن عايشة عن ابن ابي
شميلة قال نزل المسلمون حول المسجد يعني بالبصرة في اخبية الشعر ففشا فيهم
السرق فكتبوا الي عمر فاذن لهم في اليراع فبنوا بالقصب ففشا فيهم الحريق فكتبوا الي
عمر فاذن لهم في المدر ونهى ان يرفع الرجل سمكه اكثر من سبعة اذرع وقال اذا بنيتم منه
بيوتكم فابنوا منه المسجد قال بن عايشة وكان عتبة بن غزوان بنى مسجد البصرة بالقصب
قال وكان يقال من صلي فيه وهو من قصب افضل ممن صلي فيه وهو من لبن ومن
صلي فيه وهو من لبن خير ممن صلي فيه وهو من اجر **وخرج بن ماجه** من حديث
انس عن النبي صلي الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعه حتى يتباهى الناس في المساجد ومن
حديث بن عباس عن النبي صلي الله عليه وسلم قال اراكم ستشرفون مساجدكم بعدي
كما شرفت اليهود كنايسها وكما شرفت النصاري بيعها **وروي ابن ابي الدنيا**
باسناده عن اسمعيل بن مسلم عن الحسن قال لما بنى رسول الله صلي الله عليه وسلم المسجد
قال ابنوه عريشا كعريش موسى قيل للحسن وما عريش موسى قال اذا رفع يده بلغ العريش
يعني السقف **الحديث الثالث** عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت
رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول بني الاسلام علي خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا
عبده ورسوله واقام الصلاه وايتا الزكاه وحج البيت وصوم رمضان رواه البخاري ومسلم
هذا الحديث خرجاه في الصحيحين من روايه عكرمه بن خلد عن ابن عمر وخرجه مسلم
من طريقين اخرين عن بن عمر وله طرق اخري عنه وقد روي هذا الحديث من رواية
جرير بن عبد الله البجلي عن النبي صلي الله عليه وسلم خرج حديثه الامام احمد وقد سبق

في الحديث الذي قبله ذكر الاسلام والمراد من هذا الحديث ان الاسلام مبني على هذه الخمس فهي
كالاركان والدعايم لبنيانه وقد خرجه محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة ولفظه بني الاسلام
على خمس دعايم فذكره والمقصود تمثيل الاسلام ببنيان ودعايم البنيان هذه الخمس فلا يثبت البنيان
بدونها وبقيه خصال الاسلام كتتمه البنيان فاذا فقد منها شي نقص البنيان وهو قايم لا
ينتقض بنقص ذلك بخلاف نقض هذه الدعايم الخمس فان الاسلام يزول بفقدها جميعها بغير
اشكال وكذلك يزول بفقد الشهادتين والمراد من الشهادتين الايمان بالله ورسوله وقد جا
في روايه ذكره البخاري تعليقا بني الاسلام على خمس ايمان بالله ورسوله وذكر بقيه الحديث وفي
روايه لمسلم على خمس على ان يوحد الله وفي روايه له على ان يعبد الله ويكفر بما دونه وبهذا يعلم ان
الايمان بالله ورسوله داخل في ضمن الاسلام كما سبق تقريره في الحديث الماضي واما اقام الصلاه
فقد وردت احاديث متعدده تدل على ان من تركها فقد خرج من الاسلام **وفي صحيح
مسلم** عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاه
وروي مثله من حديث بريده وثوبان وانس وغيرهم **وخرج محمد بن نصر المروزي**
من حديث عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تتركوا الصلاه متعمدا فمن
تركها متعمدا فقد خرج من المله **وفي حديث معاذ** عن النبي صلى الله عليه وسلم راس الامر
الاسلام وعموده الصلاه فجعل الصلاه كعمود الفسطاط الذي لا يقوم الفسطاط ولا يثبت الا به
ولو سقط العمود لسقط الفسطاط ولم يثبت بدونه وقال عمر لاحظ في الاسلام لمن ترك الصلاه
وقال سعد وعلي بن ابي طالب من تركها فقد كفر وقال عبد الله بن شقيق كان اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يرون من الاعمال شيا تركه كفر غير الصلاه وقال ايوب السختياني
ترك الصلاه كفر لا يختلف فيه وقد ذهب الى هذا القول جماعه من السلف والخلف وهو
قول ابن المبارك واحمد واسحق وحكى اسحق عليه اجماع اهل العلم وقال محمد بن نصر المروزي
هو قول جمهور اهل الحديث وذهب طايفه منهم الى ان من ترك شيا من اركان الاسلام الخمسه
عمدا انه كافر بذلك وروي ذلك عن سعيد بن جبير ونافع والحكم وهو روايه عن احمد اختارها طايفه

من اصحابه وقول ابن حبيب من المالكيه **وخرج الدارقطني وغيره** من حديث ابي
هريره قال قيل يا رسول الله الحج كل عام قال لو قلت نعم لوجب عليكم ولو وجب عليكم ما اطقتموه
ولو تركتموه لكفرتم **وخرج اللالكائي** من طريق مومل نا حماد بن زيد عن عمرو بن مالك النكري
عن ابي الجوزاء عن ابن عباس ولا احسبه الا رفعه قال عرى الاسلام وقواعد الدين ثلاثه عليهن
اسس الاسلام شهاده ان لا اله الا الله والصلاه وصوم رمضان من ترك منهن واحده فهو بها
كافر حلال الدم وتجده كثير المال لم يحج فلا يزال بذلك كافرا ولا يحل دمه وتجده كثير المال ولا
يزكي فلا يزال بذلك كافرا ولا يحل دمه ورواه قتيبه بن سعيد عن حماد بن زيد موقوفا
مختصرا ورواه سعيد بن زيد اخو حماد عن عمرو بن مالك بهذا الاسناد مرفوعا وقال
من ترك منهن واحده فهو بالله كافر ولا يقبل منه صرف ولا عدل وقد حل دمه وماله ولم
يذكر ما بعده وقد روي عن عمر ضرب الجزيه على من لم يحج وقال ليسوا بمسلمين وعن ابن مسعود
ان تارك الزكاه ليس بمسلم وعن احمد روايه ان ترك الصلاه والزكاه خاصه كفر دون الصيام
والحج وقال ابن عيينه المرجيه سموا ترك الفرايض ذنبا بمنزله ركوب المحارم وليس سوا لان
ركوب المحارم متعمدا من غير استحلال معصيه وترك الفرايض من غير جهل ولا عذر هو
كفر وبيان ذلك في امر ابليس وعلما اليهود الذين اقروا ببعث النبي صلى الله عليه وسلم بلسانا
ولم يعملوا بشرايعه وقد استدل احمد واسحق على كفر تارك الصلاه بكفر ابليس بترك السجود
لادم وترك السجود لله اعظم **وفي صحيح مسلم** عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذا قرا ابن ادم السجده اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويلي امر ابن ادم بالسجود فسجد
فله الجنه وامرت بالسجود فابيت فلي النار **واعلم ان هذه الدعايم الخمس** بعضها
مرتبط ببعض وقد روي انه لا يقبل بعضها بدون بعض كما في مسند الامام احمد عن زياد بن
نعيم الحضرمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع فرضهن الله في الاسلام فمن اتى بثلاث
لم يغنين عنه شيا حتى ياتي بهن جميعا الصلاه والزكاه وصيام رمضان وحج البيت وهذا مرسل
وقد روي عن زياد عن عماره بن حزم عن النبي صلى الله عليه وسلم وروي عثمان بن عطا

الخراساني عن ابيه عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدين خمس لا يقبل
الله منهن شيا دون شي شهاده ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وايمان بالله وملايكته
وكتبه ورسله والجنه والنار والحياه بعد الموت هذه واحده والصلوات الخمس عمود الدين
لا يقبل الله الايمان الا بالصلاه والزكاه طهور من الذنوب ولا يقبل الله الايمان ولا الصلاه الا
بالزكاه فمن فعل هولا ثم جا رمضان فترك صيامه متعمدا لم يقبل الله منه الايمان ولا الصلاه
ولا الزكاه فمن فعل هولا الاربع ثم تيسر له الحج فلم يحج ولم يوص بحجه ولم يحج عنه بعض اهله لم
يقبل الله منه الاربع التي قبلها ذكره ابن ابي حاتم وقال سالت ابي عنه فقال هذا حديث
منكر يحتمل ان هذا من كلام عطا الخراساني **قلت** الظاهر انه من تفسيره لحديث ابن عمر وعطا
من جله علما الشام وقال ابن مسعود من لم يزك فلا صلاه له ونفي القبول هنا لا يراد به نفي الصحه
ولا وجوب الاعاده بتركه وانما يراد بذلك انتفا الرضى به ومدح عامله والثنا بذلك عليه في
الملا الاعلي والمباهاه به للملايكه فمن قام بهذه الاركان علي وجهها حصل له القبول بهذا
المعنى ومن قام ببعضها دون بعض لم يحصل له ذلك وان كان لا يعاقب علي ما اتى به منها
عقوبه تاركه بل تبرا به ذمته وقد يثاب عليه ايضا ومن هنا يعلم ان ارتكاب بعض المحرمات
التي ينقص بها الايمان تكون مانعه من قبول بعض الطاعات ولو كان من بعض اركان الاسلام
بهذا المعنى الذي ذكرناه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر لم يقبل له صلاه اربعين
يوما وقال من اتى عرافا فصدقه بما يقول لم يقبل له صلاه اربعين يوما وقال ايما عبد
ابق من مواليه لم تقبل له صلاه وحديث ابن عمر يستدل به علي ان الاسم اذا شمل اشيا
متعدده لم يلزم زوال الاسم بزوال بعضها فيبطل بذلك قول من قال ان الايمان لو
دخلت فيه الاعمال للزم ان يزول بزوال عمل مما دخل في مسماه فان النبي صلى الله
عليه وسلم جعل هذه الخمس دعايم الاسلام ومبانيه وفسر بها الاسلام في حديث جبريل
وفي حديث طلحه بن عبيد الله الذي فيه ان اعرابيا سال النبي صلى الله عليه وسلم عن
الاسلام ففسره له بهذه الخمس ومع هذا فالمخالفون في الايمان يقولون لو زال من

الاسلام خصله واحده او اربع خصال سوي الشهادتين لم يخرج بذلك من الاسلام
وقد روي بعضهم ان جبريل سال النبي صلى الله عليه وسلم عن شرايع الاسلام لا عن
الاسلام وهذه اللفظه لم تصح عند ايمه الحديث ونقاده منهم ابو زرعه الرازي ومسلم
بن الحجاج وابو جعفر العقيلي وغيرهم وقد ضرب العلما مثل الايمان بمثل شجره لها اصل
وفروع وشعب فاسم الشجره يشمل ذلك كله ولو زال شي من شعبها وفروعها لم يزل عنها
اسم الشجره وانما يقال هي شجره ناقصه او غيرها اتم منها وقد ضرب الله مثل الايمان بذلك
في قوله ضرب الله مثلا كلمه طيبه كشجره طيبه اصلها ثابت وفرعها في السما توتي اكلها
كل حين باذن ربها والمراد بالكلمه كلمه التوحيد وباصلها التوحيد الثابت في القلوب واكلها هو الاعمال
الصالحه الناشيه منه وضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثل المومن والمسلم بالنخله ولو زال
شي من فروع النخله او من ثمرها لم يزل بذلك عنها اسم النخله بالكليه وان كانت ناقصه
الفروع او الثمر ولم يذكر الجهاد في حديث ابن عمر هذا مع ان الجهاد افضل الاعمال وفي روايه
ان ابن عمر قيل له فالجهاد قال الجهاد حسن ولكن هكذا حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرجه الامام احمد وفي حديث معاذ بن جبل ان راس الامر الاسلام وعموده الصلاه وذروه ٥
سنامه الجهاد وذروه سنامه اعلي شي فيه ولكنه ليس من دعايمه واركانه التي بني عليها
وذلك لوجهين احدهما ان الجهاد فرض كفايه عند جمهور العلما ليس بفرض عين بخلاف
هذه الاركان والثاني ان الجهاد لا يستمر فعله الي اخر الدهر بل اذا نزل عيسى عليه السلام ولم
يبق حينيذ مله غير مله الاسلام فحينيذ تضع الحرب اوزارها ويستغني عن الجهاد بخلاف ٦
هذه الاركان فانها واجبه علي المومنين الي ان ياتي امر الله وهم علي ذلك والله اعلم

الحديث الرابع

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان احدكم يجمع خلقه في بطن
امه اربعين يوما ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغه مثل ذلك ثم يرسل الله اليه الملك فينفخ
فيه الروح ويومر باربع كلمات بكتب رزقه وعمله واجله وشقي او سعيد فوالذي لا اله

غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنه حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب
فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع
فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنه فيدخلها رواه البخاري ومسلم هذا
الحديث متفق على صحته وتلقته الامه بالقبول رواه الاعمش عن زيد بن وهب
عن ابن مسعود ومن طريقه خرجه الشيخان في صحيحيهما وقد روي عن محمد بن يزيد الاسفاطي
قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرى النايم فقلت يرسول الله حديث بن مسعود الذي
حدث عنك فقال سارسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق فقال صلى
الله عليه وسلم والذي لا اله الا هو حدثته به انا يقولها ثلاثا ثم قال غفر الله للاعمش كما حدث
به وغفر الله لمن حدث به قبل الاعمش ولمن حدث به بعده وقد روي عن ابن مسعود
من وجوه اخر فقوله صلى الله عليه وسلم ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين
يوما نطفة فلاثر وي تفسيره عن بن مسعود دروى الاعمش عن خيثمه عن بن مسعود قال
ان النطفه اذا وقعت في الرحم طارت في كل شعر وظفر فتمكث اربعين يوما ثم تنحدر في الرحم
فتكون علقه قال فذلك جمعها خرجه بن ابي حاتم وغيره وروي تفسير الجمع مرفوعا بمعنى
اخر فخرج الطبراني وابن منده في كتاب التوحيد من حديث مالك بن الحويرث ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى اذا اراد خلق عبد فجامع الرجل المراه طار ماوه في كل عرق
وعضو منها فاذا كان يوم السابع جمعه الله ثم احضره كل عرق له دون ادم في اي صوره
ما شاء ركبك وقال بن منده اسناده متصل مشهور على رسم ابي عيسى والنساي وغيرهما
وخرج بن جرير وابن ابي حاتم والطبراني من روايه مطهر بن الهيثم عن موسى بن علي
بن رباح عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجده يا فلان ما ولد لك قال يرسول
الله وما عسى ان يولد لي اما غلام واما جاريه قال فمن يشبه قال من عسى ان يشبه يشبه
امه او اباه قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقولن كذا ان النطفه اذا استقرت في الرحم
احضرها الله كل نسب بينها وبين ادم اما قرات هذه الايه في اي صوره ما شاء ركبك

قال سلكك وهذا اسناد ضعيف ومطهر ابن الهيثم ضعيف جدا وقال البخاري هو
حديث لم يصح وذكر باسناده عن موسى بن علي عن ابيه ان اباه لم يسلم الا في عهد ابي بكر الصد
يعني انه لا صحبه له ويشهد لهذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم للذي قال له ولدت
امراتي غلاما اسود لعله نزعه عرق وقوله ثم يكون علقه مثل ذلك يعني اربعين يوما
والعلقه قطعه من دم ثم يكون مضغه مثل ذلك يعني اربعين يوما والمضغه قطعه من لحم
ثم يرسل الله اليه الملك فينفخ فيه الروح ويومر باربع كلمات بكتب رزقه وعمله واجله
وشقي او سعيد فهذا الحديث يدل على انه يتقلب في ميه وعشرين يوما في ثلاثه اطوار
في كل اربعين منها يكون في طور فيكون في الاربعين الاولى نطفه ثم في الاربعين الثانيه
علقه ثم في الاربعين الثالثه مضغه ثم بعد الميه وعشرين يوما ينفخ الملك فيه الروح ويكتب
له هذه الاربع كلمات وقد ذكر الله في القران في مواضع كثيره تقلب الجنين في هذه الاطوار
كقوله تعالى يايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفه ثم
من علقه ثم من مضغه مخلقه وغير مخلقه لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشا الى اجل مسمى
وذكر هذه الاطوار الثلاثه النطفه والعلقه والمضغه في مواضع متعدده من
القران وفي موضع اخر ذكر زياده عليها فقال في سوره المومنين ولقد خلقنا الانسان من
سلاله من طين ثم جعلناه نطفه في قرار مكين ثم خلقنا النطفه علقه فخلقنا العلقه
مضغه فخلقنا المضغه عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر فهذه سبع
تارات ذكرها الله في هذه الايه لخلق ابن ادم قبل نفخ الروح فيه وكان بن عباس يقول
خلق ابن ادم من سبع ثم يتلو هذه الايه وسيل عن العزل فقرا هذه الايه ثم قال
فهل يخلق احد حتى يجري فيه هذه الصفه وفي روايه عنه فهل تموت نفس
حتى تمر على هذا الخلق وروي عن رفاعه بن رافع قال جلس الي عمر علي والزبير
وسعد في نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكروا العزل فقالوا لا باس
به فقال رجل انهم يزعمون انها الموده الصغرى فقال علي لا تكون موده حتى تمر على

التارات السبع يكون سلالة من طين ثم يكون نطفة ثم يكون علقة ثم يكون مضغة ثم
يكون عظاما ثم يكون لحما ثم يكون خلقا اخر فقال عمر صدقت اطال الله بقاك وقد
رخص طايفة من الفقها للمراه في اسقاط ما في بطنها ما لم ينفخ فيه الروح وجعلوه كالعزل
وهو قول ضعيف لان الجنين ولد انعقد وربما تصور وفي العزل لم يوجد ولد بالكليه
وانما تسبب الى منع انعقاده وقد لا يمتنع انعقاده بالعزل اذا اراد الله خلقه كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم لما سيل عن العزل لا عليكم ان لا تعزلوا انه ليس من نفس منفوسة
الا الله خالقها وقد صرح اصحابنا بانه اذا صار الولد علقه لم يجز للمراه اسقاطه لانه
ولد انعقد بخلاف النطفه فانها لم تنعقد بعد وقد لا تنعقد ولدا وقد ورد في بعض
روايات حديث ابن مسعود ذكر العظام وانه يكون عظما اربعين يوما فخرج الامام
احمد من روايه علي بن زيد سمعت ابا عبيده يحدث قال قال عبد الله قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان النطفه تكون في الرحم اربعين يوما على حالها لا تغير فاذا امضت
الاربعون يوما صارت علقه ثم مضغه كذلك ثم عظاما كذلك فاذا اراد الله ان يسوي
خلقه بعث الله اليها ملكا وذكر بقيه الحديث ويروى من حديث عاصم عن ابي وايل عن ابن
مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان النطفه اذا استقرت في الرحم تكون اربعين
ليله ثم تكون علقه اربعين ليله ثم تكون عظاما اربعين ليله ثم يكسوا الله العظام لحما وروايه
الامام احمد تدل على ان الجنين لا يكسى اللحم الا بعد ميه وستين يوما وهذه غلط بلا ريب
فانه بعد ميه وعشرين يوما ينفخ فيه الروح بلا ريب كما سياتي ذكره وعلي بن زيد
هو ابن جدعان لا يحتج به وقد ورد في حديث حذيفه بن اسيد ما يدل على خلق
اللحم والعظام في اول الاربعين الثانيه ففي صحيح مسلم عن حذيفه بن اسيد
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا مر بالنطفه ثنتان واربعون ليله بعث اليها
ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يا رب اذكر او
انثى فيقضي ربك ما شا ويكتب الملك ثم يقول يا رب اجله فيقول ربك ما شا ويكتب الملك

ثم يقول يا رب رزقه فيقضي ربك ما شا ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفه في يده فلا
يزيد على امر ولا ينقص وظاهر هذا الحديث يدل على ان تصوير الجنين وخلق سمعه وبصره
وجلده ولحمه وعظامه يكون في اول الاربعين الثانيه فيلزم من ذلك انه يكون في الاربعين
الثانيه لحما وعظما وقد تاول بعضهم ذلك على ان الملك يقسم النطفه اذا صارت علقه
الى اجزاء فيجعل بعضها للجلد وبعضها للحم وبعضها للعظام فيقدر ذلك كله قبل وجوده
وهذا خلاف ظاهر الحديث بل ظاهره انه يصورها ويخلق هذه الاجزا كلها وقد
يكون خلق ذلك بتصويره وتقسيمه قبل وجود اللحم والعظام وقد يكون هذا في بعض
الاجنه بعض وحديث مالك بن الحويرث المتقدم يدل على ان التصوير يكون للنطفه ايضا
في اليوم السابع وقد قال الله عز وجل انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج وفسر
طايفة من السلف امشاج النطفه بالعروق التي فيها قال ابن مسعود امشاجها
عروقها وقد ذكر علما اهل الطب ما يوافق ذلك وقالوا ان المني اذا وقع في الرحم حصل
له زبد ورغوه سته ايام او سبعه وفي هذه الايام تصور النطفه من غير
استمداد من الرحم بعد ذلك تستمد منه وابتدا الخطوط والنقط بعد هذا بثلاثه
ايام وقد يتقدم يوما ويتاخر يوما ثم بعد سته ايام وهو الخامس عشر من
وقت العلوق ينفذ الدم الى الجميع فيصير علقه ثم تتميز الاعضا تميزا ظاهرا
ويتنحى بعضها عن مماسته بعض وتمتد رطوبه النخاع ثم بعد تسعه ايام ينفصل
الراس عن المنكبين والاطراف عن الاصابع تميزا يتبين في بعض ويخفى في بعض
قالوا واقل مده يتصور فيها الذكر ثلاثون يوما والزمان المعتدل في تصوير
الجنين خمسه وثلاثين يوما وقد يتصور في خمسة واربعين يوما قالوا ولم
يوجد في الاسقاط ذكر تم قبل ثلاثين يوما ولا انثى قبل اربعين يوما فهذا يوافق
ما دل عليه حديث حذيفه بن اسيد في التخليق في الاربعين الثانيه ومصيره
[illegible] مسعود على ان الجنين يغلب عليه في

لحما ايضا وقد جمع بعض حديث ابن مسعود

الاربعين الاولى وصف المني وفي الاربعين الثانيه وصف العلقه وفي الاربعين
الثالثه وصف المضغه وان كانت خلقته قد تمت وتم تصويره وليس في حديث
ابن مسعود ذكر تصوير الجنين وقد روي عن ابن مسعود نفسه ما يدل على ان وفنت
تصويره قد يقع قبل الاربعين الثالثه ايضا فروى الشعبي عن علقمه عن ابن
مسعود قال النطفه اذا استقرت في الرحم جاها ملك فاخذها بكفه فقال
اي رب مخلقه ام غير مخلقه فان قيل غير مخلقه لم تكن نسمه وقذفتها الارحام
وان قيل مخلقه قال اي رب ذكر ام انثى شقي ام سعيد ما الاجل وما الاثر وباي ارض
تموت قال فيقال للنطفه من ربك فتقول الله فيقال من رازقك فتقول الله
فيقال اذهب الى الكتاب فانك ستجد فيه قصه هذه النطفه قال فتخلق
فتعيش في اجلها وتاكل رزقها وتطا في اثرها حتى اذا جا اجلها ماتت فدفنت
في ذلك ثم تلا الشعبي يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم
من نطفه ثم من علقه ثم من مضغه مخلقه وغير مخلقه فاذا بلغت مضغه
نكست في الخلق الرابع فكانت نسمه فان كانت غير مخلقه قذفتها الارحام دما وان
كانت مخلقه نكست نسمه خرجه ابن ابي حاتم وغيره وقد روي من وجه اخر عن
ابن مسعود ان لا تصوير قبل ثمانين يوما فروى السدي عن ابي مالك وعن ابي صالح
عن ابن عباس وعن مره الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم في قوله عز وجل هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشا قال اذا
وقعت النطفه في الارحام طارت في الجسد اربعين يوما ثم تكون علقه اربعين
يوما ثم تكون مضغه اربعين يوما فاذا بلغ ان يخلق بعث الله ملكا يصورها
فياتي الملك بتراب بين اصبعيه فيخلطه في المضغه ثم يعجنه بها ثم يصورها كما
يومر فيقول اذكر او انثى اشقي او سعيد وما رزقه وما عمره وما اثره وما
مصايبه فيقول الله تبارك وتعالى ويكتب الملك فاذا مات ذلك الجسد دفن

حيث اخذ ذلك التراب خرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ولكن السدي مختلف
في امره وكان الامام احمد ينكر عليه جمعه الاسانيد المتعدده للتفسير الواحد كما كان
هو وغيره ينكرون على الواقدي جمعه الاسانيد المتعدده للحديث الواحد وقد
اخذ طوايف من الفقها بظاهر هذه الروايه وتاولوا حديث ابن مسعود المرفوع عليها
وقالوا اقل ما يتبين فيه خلق الولد احد وثمانون يوما لانه لا يكون مضغه الا في الار بعين
الثالثه ولا يتخلق قبل ان يكون مضغه وقال اصحابنا واصحاب الشافعي بنا على هذا
الاصل انه لا تنقضي العده ولا تعتق ام الولد الا بالمضغه المخلقه واقل ما يمكن ان يتخلق
ويتصور في احد وثمانين يوما وقال احمد في العلقه هي دم لا يستبين فيها الخلق فان
كانت المضغه غير مخلقه فهل تنقضي بها العده وتصير ام الولد بها مستولده على قولين
هما روايتان عن احمد وان لم يظهر فيها التخطيط ولكن كان خفيا لا يعرفه الا اهل
الخبره من النسا فشهدن بذلك قبلت شهادتهن ولا فرق بين ان يكون بعد تمام
اربعه اشهر او قبلها عند اكثر العلما ونص على ذلك الامام احمد في روايه خلق
من اصحابه ونقل عنه ابنه صالح في الطفل في الاربعه يتبين خلقه قال الشعبي
اذا نكس في الخلق الرابع كان مخلقا انقضت به العده وعتقت به الامه اذا كان
لاربعه اشهر وكذا نقل عنه حنبل اذا اسقطت ام الولد فان كان خلقه
تامه عتقت وانقضت به العده اذا دخل في الخلق الرابع في اربعه اشهر ونفخ
فيه الروح وهذا يخالف روايه الجماعه عنه وقد قال احمد في روايه عنه
اذا تبين خلقه ليس فيه اختلاف انها تعتق بذلك اذا كانت امه ونقل عنه جماعه
ايضا في العلقه اذا تبين انها ولد ان الامه تعتق بها وهو قول النخعي وحكي قولا
للشافعي ومن اصحابنا من طرد هذه الروايه عن احمد في انقضا العده به ايضا
وهذا كله مبني على انه يمكن التخليق في العلقه كما قد يستدل على ذلك بحديث حذيفه
ابن اسيد المتقدم الا ان يقال حديث حذيفه انما يدل على انه يتخلق اذا صار لحما

وعظمًا وان ذلك قد يقع في الاربعين الثانيه لا في حال كونه علقه وفي ذلك نظر والله
اعلم وما ذكره الاطبا يدل على ان العلقه تتخلق وتتخطط وكذلك القوابل من النسوه
يشهدن بذلك وحديث مالك بن الحويرث يشهد بالتصوير في حال كون الجنين
نطفه ايضًا والله تعالى اعلم وبقي في حديث ابن مسعود ان بعد مصيره مضغه انه
يبعث اليه الملك فيكتب الكلمات الاربع وينفخ فيه الروح وذلك كله بعد ميه وعشرين
يومًا واختلفت الفاظ روايات هذا الحديث في ترتيب الكتابه والنفخ ففي روايه
البخاري في صحيحه ويبعث اليه الملك فيومر باربع كلمات ثم ينفخ فيه الروح ففي هذه
الروايه تصريح بتاخر نفخ الروح عن الكتابه وفي روايه خرجها البيهقي في كتاب
القدر ثم يبعث الملك فينفخ فيه الروح ثم يومر باربع كلمات وهذه الروايه تصرح بتقدم
النفخ على الكتابه فاما ان يكون هذا من تصرف الرواه بروايتهم بالمعنى الذي يفهمونه
واما ان يكون المراد ترتيب الاخبار فقط لا ترتيب ما اخبر به وبكل حال فحديث ابن
مسعود يدل على تاخر نفخ الروح في الجنين وكتابه الملك لامره الى بعد اربعه اشهر حتى
تتم الاربعون الثالثه فاما نفخ الروح فقد روي صريحا عن الصحابه انه انما ينفخ فيه
الروح بعد اربعه اشهر كما دل عليه ظاهر حديث بن مسعود فروى زيد بن علي عن ابيه
عن علي قال اذا تمت النطفه اربعه اشهر بعث اليها ملك فنفخ فيها الروح في الظلمات
فذلك قوله تعالى ثم انشاناه خلقا اخر خرجه ابن ابي حاتم وهو اسناد منقطع **وخرج
اللالكاي باسناده** عن ابن عباس قال اذا وقعت النطفه في الرحم مكثت اربعه اشهر
وعشرًا ثم نفخ فيها الروح ثم مكثت اربعين ليله ثم بعث اليها ملك فنقفها في نقره القفا
وكتب شقيا او سعيدا وفي اسناده نظر وفيه ان نفخ الروح يتاخر عن الاربعه اشهر
بعشره ايام وبنى الامام احمد مذهبه المشهور عنه على ظاهر حديث ابن مسعود وان الطفل
ينفخ فيه الروح بعد الاربعه اشهر وانه اذا سقط بعد تمام اربعه اشهر صلي عليه حيث
كان قد نفخ فيه الروح ثم مات وحكي ذلك ايضا عن سعيد بن المسيب وهو احد قولي الشافعي واسحق ونقل غير
بلغ

واحد عن احمد انه قال اذا بلغ اربعه اشهر وعشرًا ففي تلك العشر ينفخ فيه الروح
ويصلى عليه وقال في روايه ابي الحرث عنه تكون النسمه نطفه اربعين ليله وعلقه
اربعين ليله ومضغه اربعين ليله ثم تكون عظما ولحما فاذا تم اربعه اشهر وعشرًا نفخ
فيه الروح فظاهر هذه الروايه انه لا ينفخ فيه الروح الا بعد تمام اربعه اشهر وعشر
كما روي عن بن عباس والروايات التي قبل هذه عن احمد انما تدل على انه ينفخ فيه الروح في
مده العشر بعد تمام الاربع وهذا هو المعروف عنه وكذا قال ابن المسيب لما سيل عن
عده الوفاه حيث جعلت اربعه اشهر وعشرًا ما بال العشر قال ينفخ فيها الروح واما
اهل الطب فذكروا ان الجنين ان تصور في خمسه وثلاثين يوما تحرك في سبعين يومًا وولد
في مايتين وعشره ايام وذلك سبعه اشهر وربما تقدم ايامًا وتاخر في التصوير والولاده واذا
كان التصوير في خمسه واربعين يومًا تحرك في تسعين يومًا وولد في مايتين وسبعين
يومًا وذلك تسعه اشهر والله اعلم واما كتابه الملك فحديث بن مسعود يدل على انها
تكون بعد الاربعه اشهر ايضًا على ما سبق **وفي الصحيحين** عن انس عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا يقول اي رب علقه اي رب مضغه فاذا اراد نطفه اي رب
الله ان يقضي خلقا قال يا رب اذكر ام انثى اشقي ام سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب كذلك
في بطن امه وظاهر هذا يوافق حديث ابن مسعود لكن ليس فيه تقدير مده وحديث
حذيفه بن اسيد الذي تقدم يدل على ان الكتابه تكون في اول الاربعين الثانيه وخرجه مسلم
ايضًا بلفظ اخر من حديث حذيفه بن اسيد يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل الملك
على النطفه بعد ما تستقر في الرحم باربعين او خمسه واربعين ليله فيقول يا رب اشقي
او سعيد فيكتبان فيقول اي رب اذكر او انثى فيكتبان ويكتب عمله واثره واجله ورزقه
ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص وفي روايه اخرى لمسلم ايضًا ان النطفه تقع
في الرحم اربعين ليله ثم يتسور عليها الملك فيقول يا رب اذكر ام انثى وذكر الحديث وفي
روايه اخرى لمسلم ايضًا لبضع واربعين ليله **وفي مسند الامام احمد** من حديث

جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا استقرت النطفه في الرحم اربعين يومًا واربعين
ليله بعث اليها ملك فيقول يارب شقي او سعيد فيعلم وقد سبق ما رواه الشعبي عن علقمه
عن بن مسعود من قوله وظاهره يدل على ان الملك يبعث اليه وهو نطفه وقد روي عن بن
مسعود من وجهين اخرين انه قال ان الله عز وجل يعرض عليه كل يوم اعمال بني ادم
فينظر فيها ثلاث ساعات ثم يوتى بالارحام فينظر فيها ثلاث ساعات وهو قوله
يصوركم في الارحام كيف يشاء وقوله يهب لمن يشا اناثا الايه ويوتى بالارزاق فينظر
فيها ثلاث ساعات وتسبحه الملايكه ثلاث ساعات قال فهذا من شانكم وشان ربكم
ولكن ليس في هذا توقيت ما ينظر فيه من الارحام بمده وقد روي عن جماعه من الصحابه
ان الكتابه تكون في الاربعين الثانيه فخرج اللالكاي باسناده عن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال اذا مكثت النطفه في رحم المراه اربعين ليله جاها ملك فاختلجها ثم عرج بها الى
الرحمن عز وجل فيقول اخلق يا احسن الخالقين فيقضي الله فيها ما يشا من امره ثم
يدفع الى الملك عند ذلك فيقول يا رب اسقط ام تام فيبين له ثم يقول يرب انا قص
الاجل ام تام الاجل فيبين له فيقول يرب واحدا او توام فيبين له فيقول يرب اذكر ام
انثى فيبين له ثم يقول يرب اشقي ام سعيد فيبين له ثم يقول يرب اقطع رزقه فيقطع
له رزقه مع اجله فيهبط بهما جميعًا فوالذي نفسي بيده لا ينال من الدنيا الا ما
قسم له وخرج بن ابي حاتم باسناده عن ابي ذر قال ان المني يمكث في الرحم اربعين
ليله فياتيه ملك النفوس فيعرج به الى الجبار عز وجل فيقول يرب اذكر ام انثى فيقضي
الله عز وجل ما هو قاض ثم يقول يرب اشقي ام سعيد فيكتب ما هو لاق بين يديه ثم تلا
ابو ذر من فاتحه سوره التغابن الى قوله وصوركم فاحسن صوركم واليه المصير
وهذا كله يوافق ما في حديث حذيفه بن اسيد وقد تقدم عن بن عباس ان
كتابه الملك تكون بعد نفخ الروح باربعين ليله وان اسناده فيه نظر وقد جمع
بعضهم بين هذه الاحاديث والاثار وبين حديث بن مسعود فاثبت الكتابه مرتين

وقد يقال مع ذلك ان احداهما في السما والاخرى في بطن الام والاظهر والله اعلم انها
مره واحده ولعل ذلك يختلف باختلاف الاجنه فبعضهم يكتب له ذلك بعد الاربعين
الاولى وبعضهم بعد الاربعين الثالثه وقد يقال ان لفظه ثم في حديث ابن مسعود انما
اريد بها ترتيب الاخبار لا ترتيب المخبر عنه في نفسه والله اعلم وقد ورد ان هذه الكتابه
تكتب بين عيني الجنين ففي مسند البزار عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا خلق
الله النسمه قال ملك الارحام اي رب اذكر ام انثى قال فيقضي الله امره ثم يقول اي رب
اشقي ام سعيد فيقضي الله اليه امره ثم يكتب بين عينيها ما هو لاق حتى النكبه ينكبها وقد
روي موقوفًا على ابن عمر غير مرفوع وحديث حذيفه بن اسيد المتقدم صرح في ان
الملك يكتب ذلك في صحيفه ولعله يكتب في صحيفه ويكتب بين عيني الولد وقد روي انه
يقترن بالكتابه انه يخلق مع الجنين ما تضمنته من صفاته القايمه به فروي عن
عايشه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله اذا اراد ان يخلق الخلق بعث ملكا فدخل
الرحم فيقول اي رب ماذا فيقول غلام او جاريه او ما شا ان يخلق في الرحم فيقول اي
رب اشقي او سعيد فيقول يا رب ما اجله فيقول كذا وكذا فيقول ما خلقه
ما خلايقه فيقول كذا وكذا فما من شي الا وهو يخلق معه في الرحم خرجه ابو داود
في كتاب القدر والبزار في مسنده وبكل حال فهذه الكتابه التي تكتب للجنين في بطن
امه غير كتابه المقادير السابقه لخلق الخلايق المذكوره في قوله تعالى ما اصاب
من مصيبه في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها كما في صحيح مسلم عن عبد
الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله قدر مقادير الخلايق قبل ان يخلق
السموات والارض بخمسين الف سنه وفي حديث عباده بن الصامت عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال اول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فجرى بما هو كاين الى يوم
القيمه وقد سبق ذكر ما روي عن بن مسعود ان الملك اذا سال عن حال النطفه
امر ان يذهب الى الكتاب السابق ويقال له انك تجد فيه قصه هذه النطفه

وقد تكاثرت النصوص بذكر الكتاب السابق بالسعاده والشقاوه **ففي الصحيحين**
عن علي بن ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من نفس منفوسه الا وقد
كتب الله مكانها من الجنه والنار والا قد كتبت شقيه او سعيده فقال رجل يا رسول
الله افلا نمكث على كتابنا وندع العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما اهل السعاده
فييسرون لعمل اهل السعاده واما اهل الشقاوه فييسرون لعمل اهل الشقاوه ثم قرا
فاما من اعطى واتقى الايتين ففي هذا الحديث ان السعاده والشقاوه قد سبق الكتاب
بهما وان ذلك مقدر بحسب الاعمال وان كلا ميسر لما خلق له من الاعمال التي هي
سبب للسعاده او الشقاوه **وفي الصحيحين** عن عمران بن حصين قال قال
رجل يا رسول الله ايعرف اهل الجنه من اهل النار قال نعم قال فلم يعمل العاملون قال
كل يعمل لما خلق له او لما ييسر له وقد روي هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم من
وجوه كثيره وحديث ابن مسعود فيه ان السعاده والشقاوه بحسب خواتيم الاعمال
وقد قيل ان قوله في اخر الحديث فو الذي لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنه الى
اخر الحديث مدرج من كلام ابن مسعود كذلك رواه سلمه بن كهيل عن زيد بن وهب
عن ابن مسعود من قوله وقد روي هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه
متعدده ايضا **وفي صحيح البخاري** عن سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال انما الاعمال بالخواتيم **وفي صحيح ابن حبان** عن عايشه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال انما الاعمال بالخواتيم وفيه ايضا عن معويه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول انما الاعمال بخواتيمها كالوعا فاذا طاب اعلاه طاب اسفله واذا خبث
اعلاه خبث اسفله **وفي صحيح مسلم عن ابي هريره** عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل اهل الجنه ثم يختم له عمله بعمل اهل النار وان الرجل
ليعمل الزمان الطويل بعمل اهل النار ثم يختم له (عمله) بعمل اهل الجنه **وخرج الامام احمد**
من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا عليكم ان لا تعجبوا باحد حتى تنظروا

بما يختم له فان العامل يعمل زمانا من عمره او برهه من دهره بعمل صالح لو مات عليه
دخل الجنه ثم يتحول فيعمل عملا سيئا وان العبد ليعمل البرهه من دهره بعمل سيئ
لو مات عليه دخل النار ثم يتحول فيعمل عملا صالحا **وخرج الامام ايضا** من حديث
عايشه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنه وهو مكتوب
في الكتاب من اهل النار فاذا كان قبل موته تحول فيعمل بعمل اهل النار فمات فدخل النار
وان الرجل ليعمل بعمل اهل النار وانه لمكتوب في الكتاب من اهل الجنه فاذا كان قبل موته
تحول فيعمل بعمل اهل الجنه فمات فدخلها **وخرج الامام احمد** والنسايي
والترمذي من حديث عبد الله بن عمرو قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبيده كتابان فقال اتدرون ما هذان الكتابان قلنا لا يا رسول الله الا ان تخبرنا
فقال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين فيه اسما اهل الجنه واسما ابايهم
وقبايلهم ثم اجمل على اخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم ابدا ثم قال للذي في شماله هذا كتاب
من رب العالمين فيه اسما اهل النار واسما ابايهم وقبايلهم ثم اجمل على اخرهم فلا يزاد فيهم
ولا ينقص منهم ابدا فقال اصحابه ففيم العمل يا رسول الله ان كان امر قد فرغ منه
فقال سددوا وقاربوا فان صاحب الجنه يختم له بعمل اهل الجنه وان عمل اي عمل
وان صاحب النار يختم له بعمل اهل النار وان عمل اي عمل ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بيده فنبذهما ثم قال فرغ ربكم من العباد فريق في الجنه وفريق في السعير
وقد روي هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه متعدده وخرجه الطبراني
من حديث علي بن ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم وزاد فيه صاحب الجنه مختوم
له بعمل اهل الجنه وصاحب النار مختوم له بعمل اهل النار وان عمل اي عمل وقد
يسلك باهل السعاده طريق اهل الشقا حتى يقال ما اشبههم بهم بل هم منهم وتدركهم
السعاده فتستنقذهم وقد يسلك باهل الشقا طريق اهل السعاده حتى يقال ما اشبههم بهم
بل هم منهم ويدركهم الشقا من كتبه الله سعيدا في ام الكتاب لم يخرجه من الدنيا حتى

يستعمله بعمل يسعده قبل موته ولو بفواق ناقة ثم قال الاعمال بخواتيمها الاعمال
بخواتيمها وخرجه البزار في مسنده بهذا المعنى ايضا من حديث ابن عمر عن النبي صلى
الله عليه وسلم وفي الصحيحين عن سهل بن سعد ان النبي صلى الله عليه وسلم التقى هو
والمشركون وفي اصحابه رجل لا يدع شاذة ولا فاذة الا اتبعها يضربها بسيفه فقالوا
ما اجزا منا اليوم احد كما اجزا فلان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو من اهل
النار فقال رجل من القوم انا صاحبه فاتبعه فجرح الرجل جرحا شديدا فاستعجل الموت
فوضع نصل سيفه على الارض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه
فخرج الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اشهد انك رسول الله وقص عليه
القصة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل عمل اهل الجنة فيما يبدو
للناس وهو من اهل النار وان الرجل ليعمل عمل اهل النار فيما يبدو للناس وهو من اهل الجنة
زاد البخاري في رواية له انما الاعمال بالخواتيم وقوله فيما يبدو للناس اشارة الى ان باطن
الامر يكون بخلاف ذلك وان خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لا
يطلع عليها الناس اما من جهة عمل سيئ لا يطلع عليه او من جهة اعتقاد سيئ ونحو
ذلك فتلك الخصلة الخفية توجب سوء الخاتمة عند الموت وكذلك قد يعمل الرجل
عمل اهل النار وفي باطنه خصلة خفية من خصال الخير فتغلب عليه تلك الخصلة في اخر
عمره فتوجب له حسن الخاتمة قال عبد العزيز بن ابي رواد حضرت رجلا عند الموت
يلقن لا اله الا الله فقال في اخر ما قال هو كافر بما تقول ومات على ذلك فسالت عنه
فاذا هو مدمن خمر وكان عبد العزيز يقول اتقوا الذنوب فانها هي التي اوقعته وفي
الجملة فالخواتيم ميراث السوابق وكل ذلك سبق في الكتاب السابق ومن هنا كان
يشتد خوف السلف من سوء الخواتيم ومنهم من كان يقلق من ذكر السوابق وقد
قيل ان قلوب الابرار معلقة بالخواتيم يقولون بماذا يختم لنا وقلوب المقربين معلقة
بالسوابق يقولون ماذا سبق لنا وبكى بعض الصحابة عند موته فسئل عن ذلك فقال

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله قبض خلقه قبضتين فقال
هولاء في الجنة وهولاء في النار ولا ادري في اي القبضتين كنت قال بعض السلف ما ابكى العيون
ما ابكاها الكتاب السابق وقال سفين لبعض الصالحين هل ابكاك قط علم الله فيك
فقال له ذلك الرجل تركتني لا افرح ابدا وكان سفين يشتد قلقه من السوابق والخواتم
وكان يبكي ويقول اخاف ان اكون في ام الكتاب شقيا ويبكي ويقول اخاف ان اسلب
الايمان عند الموت وكان مالك بن دينار يقوم طول ليله قابضا على لحيته ويقول
يا رب قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار ففي اي الدارين منزل مالك قال حاتم الاصم
من خلى قلبه من ذكر اربعة اخطار فهو مغتر فلا يامن الشقا الاول خطر يوم الميثاق
حين قال هولا في الجنة ولا ابالي وهولا في النار ولا ابالي فلا يعلم في اي الفريقين كان
والثاني حين خلق في ظلمات ثلاث فنودي الملك بالشقاوة والسعادة ولا يدري
امن الاشقيا هو ام من السعدا والثالث ذكر هول المطلع ولا يدري ايبشر برضى
الله او بسخطه والرابع يوم يصدر الناس اشتاتا ولا يدري اي الطريقين يسلك به وقال
سهل التستري المريد يخاف ان يبتلى بالمعاصي والعارف يخاف ان يبتلى بالكفر ومن هنا
كان الصحابة ومن بعدهم من السلف الصالح يخافون على انفسهم النفاق ويشتد
قلقهم وجزعهم منه فالمومن يخاف على نفسه النفاق الاصغر ويخاف ان يغلب ذلك
عليه عند الخاتمة فيخرجه الى النفاق الاكبر كما تقدم ان دسايس السوء الخفية توجب
سوء الخاتمة وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول في دعايه يا مقلب القلوب
ثبت قلبي على دينك فقيل له يا نبي الله امنا بك وبما جيت به فهل تخاف علينا فقال
نعم ان القلوب بين اصبعين من اصابع الله عز وجل يقلبها كيف يشا خرجه الامام
احمد والترمذي من حديث انس وخرج الامام احمد من حديث ام سلمة
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكثر في دعايه ان يقول اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي
على دينك فقلت يا رسول الله او ان القلوب لتتقلب قال نعم ما من خلق الله من بني

ادم من بشر الا ان قلبه بين اصبعين من اصابع الله عز وجل فان شا الله عز وجل
اقامه وان شا ازاغه فنسال الله ربنا ان لا يزيغ قلوبنا بعد اذ هدانا ونساله
ان يهب لنا من لدنه رحمة انه هو الوهاب قالت قلت يا رسول الله الا تعلمني
دعوة ادعو بها لنفسي قال بلى قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ
قلبي واجرني من مضلات الفتن ما احييتني وفي هذا المعنى احاديث كثيرة ٥
وخرج مسلم من حديث عبد الله بن عمرو سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان قلوب بني ادم كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن عز وجل كقلب واحد يصرفه
حيث شا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا
على طاعتك

الحديث الخامس عن عايشه

رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احدث في امرنا هذا ما ليس
منه فهو رد رواه البخاري وفي رواية لمسلم من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد ٥ يعني
هذا الحديث خرجاه في الصحيحين من حديث القسم بن محمد عن عمته
عايشه رضي الله عنها والفاظ الحديث مختلفه ومعناها متقارب وفي بعض الفاظه
من احدث في ديننا ما ليس فيه فهو رد وهذا الحديث اصل عظيم من اصول الاسلام
وهو كالميزان للاعمال في ظاهرها كما ان حديث الاعمال بالنيات ميزان للاعمال في باطنها
وكما ان كل عمل لا يراد به وجه الله فليس لعامله فيه ثواب فكذلك كل عمل لا يكون عليه
امر الله ورسوله فهو مردود على عامله وكل من احدث في الدين ما لم ياذن به الله
ورسوله فليس من الدين في شي وسياتي حديث العرباض بن سارية عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفا الراشدين
المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة ضلالة وكان
النبي صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته اصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي
هدي محمد وشر الامور محدثاتها وسنوخر الكلام على المحدثات الى ذكر حديث العرباض

المشار اليه ونتكلم هاهنا على الاعمال التي ليس عليها امر الشارع وردها فهذا
الحديث يدل بمنطوقه على ان كل عمل ليس عليه امر الشارع فهو مردود ويدل
بمفهومه على ان كل عمل عليه امره فهو غير مردود والمراد بامره هاهنا دينه
وشرعه كالمراد بقوله في الرواية الاخرى من احدث في امرنا هذا ما ليس منه
فالمعنى اذا ان من كان عمله خارجا عن الشرع ليس متقيدا بالشرع فهو مردود
وقوله ليس عليه امرنا اشارة الى ان اعمال العاملين كلهم ينبغي ان تكون تحت احكام
الشريعة وتكون احكام الشريعة حاكمة عليها بامرها ونهيها فمن كان عمله
جاريا تحت احكام الشرع موافقا لها فهو مقبول ومن كان خارجا عن ذلك فهو مردود
والاعمال قسمان عبادات ومعاملات فاما العبادات فما كان منها خارجا عن حكم
الله ورسوله بالكلية فهو مردود على عامله وعامله يدخل تحت قوله ام لهم شركا
شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله فمن تقرب الى الله بعمل لم يجعله الله ورسوله
قربة الى الله فعمله باطل مردود عليه وهو شبيه بحال الذين كانت صلاتهم عند
البيت مكا وتصدية وهذا كمن تقرب الى الله بسماع الملاهي او بالرقص او بكشف
الراس في غير الاحرام او ما اشبه ذلك من المحدثات التي لم يشرع الله ورسوله
التقرب بها بالكلية وليس ما كان قربة في عبادة يكون قربة في غيرها مطلقا فقد
راى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا قايما في الشمس فسال عنه فقيل انه نذر ان يقوم ولا يقعد
ولا يستظل وان يصوم فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يقعد ويستظل وان
يتم صومه فلم يجعل قيامه وبروزه للشمس قربة يوفى بنذرهما وقد روي ان
ذلك كان في يوم جمعة عند سماع خطبة النبي صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر فنذر
ان يقوم ولا يقعد ولا يستظل ما دام النبي صلى الله عليه وسلم يخطب اعظاما للسماع
خطبة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قربة يوفى بنذره
مع ان القيام عبادة في مواضع اخر كالصلاة والاذان والدعا بعرفة والبروز

للشمس قربة للمحوم فدل علي انه ليس كل ما كان قربة في موطن يكون قربة في كل المواطن
وانما يتبع في ذلك ما وردت به الشريعة في مواضعها وكذلك من تقرب بعبادة
نهي عنها بخصوصها كمن صام يوم العيد او صلي في وقت النهي واما من عمل عملا اصله
مشروع وقربة ثم ادخل فيه ما ليس بمشروع او اخل فيه بمشروع فهذا مخالف
ايضا للشريعة بقدر اخلاله بما اخل به او ادخاله ما ادخل فيه وهل يكون عمله من اصله
مردودا عليه ام لا فهذا لا يطلق القول فيه برد ولا قبول بل ينظر فيه فان كان
ما اخل به من اجزا العمل او شروطه موجبا لبطلانه في الشريعة كمن اخل بالطهارة
للصلاة مع القدرة عليها او كمن اخل بالركوع او بالسجود او بالطمانينة فيهما فهذا عمله
مردود عليه وعليه اعادته ان كان فرضا وان كان ما اخل به لا يوجب بطلان
العمل كمن اخل بالجماعة للصلاة المكتوبة عند من يوجبها ولا يجعلها شرطا
فهذا لا يقال ان عمله مردود من اصله بل هو ناقص وان كان قد زاد في العمل
المشروع ما ليس بمشروع فزيادة مردودة عليه بمعني انها لا تكون قربة ولا يثاب
عليها ولكن تارة يبطل بها العمل من اصله فيكون مردودا كمن زاد في صلاته ركعة
عمدا مثلا وتارة لا يبطله ولا يرده من اصله كمن توضا اربعا اربعا او صام الليل مع
النهار وواصل في صيامه وقد يبدل بعض ما يومر به في العبادة بما هو منهي عنه
كمن ستر عورته في الصلاة بثوب محرم او توضا للصلاة بماء مغصوب او صلي
في بقعة غصب فهذا قد اختلف العلما فيه هل عمله مردود من اصله او انه
غير مردود وتبرا به الذمة من عهدة الواجب واكثر الفقها علي انه ليس بمردود
من اصله وقد حكي عبد الرحمن بن مهدي عن قوم من اصحاب الكلام يقال لهم الشمرية
اصحاب ابي شمر انهم يقولون ان من صلي في ثوب كان في ثمنه درهم حرام ان عليه
اعادة صلاته وقال ما سمعت قولا اخبث من قولهم نسال الله العافية وعبد
الرحمن بن مهدي من اكابر فقها اهل الحديث المطلعين علي مقالات السلف وقد

استنكر هذا القول وجعله بدعة فدل علي انه لم يعلم عن احد من السلف القول
باعادة الصلاة في مثل هذا ويشبه هذا الحج بمال حرام وقد ورد في حديث انه مردود علي
صاحبه ولكنه حديث لا يثبت وقد اختلف العلما هل يسقط به الفرض ام لا وقريب من
ذلك الذبح بالة محرمة او ذبح من لا يجوز له الذبح كالسارق فاكثر العلما قالوا انه تباح الذبيحة
بذلك ومنهم من قال هي محرمة وكذا الخلاف في ذبح المحرم للصيد لكن القول بالتحريم
فيه اشهر واظهر لانه منهي عنه بعينه ولهذا فرق من فرق من العلما بين ان
يكون النهي لمعني يختص بالعبادة فيبطلها وبين ان لا يكون مختصا بها فلا يبطلها فالصلاة
بالنجاسة وبغير طهارة او بغير سترة او الي غير القبلة يبطلها لاختصاص النهي
بالصلاة بخلاف الصلاة في الغصب ويشهد لهذا ان الصيام لا يبطله الا ارتكاب
ما نهي عنه فيه بخصوصه وهو جنس الاكل والشرب والجماع بخلاف ما نهي
عنه الصايم لا بخصوص الصيام كالكذب والغيبة عند الجمهور وكذلك الحج لا يبطله
الا ما نهي عنه في الاحرام وهو الجماع ولا يبطله ما لا يختص بالاحرام من المحرمات كالقتل
والسرقة وشرب الخمر وكذلك الاعتكاف انما يبطل بما نهي عنه فيه بخصوصه
خوله وهو الجماع وانما بطل بالسكر عندنا وعند الاكثرين لنهي السكران عن قربان المسجد ودخوله
علي احد التاويلين في قوله لا تقربوا الصلاة وانتم سكاري ان المراد مواضع الصلاة فصار
كالحايض ولا يبطل الاعتكاف بغيره من ارتكاب الكباير عندنا وعند كثير من العلما
وان خالف في ذلك طايفة من السلف منهم عطا والزهري والثوري ومالك وحكي
عن غيرهم ايضا واما المعاملات كالعقود والفسوخ ونحوهما فما كان منها
تغييرا للاوضاع الشرعية كجعل حد الزنا عقوبة مالية وما اشبه ذلك فانه مردود
من اصله لا ينتقل به الملك لان هذا غير معهود في احكام الاسلام ويدل علي ذلك ان النبي
صلي الله عليه وسلم قال للذي ساله ان ابني كان عسيفا علي فلان فزنا بامراته فافتديت
منه بمية شاة وخادم فقال النبي صلي الله عليه وسلم المية شاة رد عليك وعلي ابنك

جلد مية وتغريب عام وما كان منها عقدا منهيا عنه في الشرع اما لكون المعقود عليه ليس محلا للعقد او لفوات شرط فيه او لظلم يحصل به للمعقود معه او عليه او لكون العقد يشغل عن ذكر الله الواجب عند تضايق وقته او غير ذلك فهذا العقد هل هو مردود بالكلية لا ينتقل به الملك اما هذا الموضع فقد اضطرب الناس فيه اضطرابا كثيرا وذلك انه ورد في بعض الصور انه مردود لا يفيد الملك وفي بعضها انه يفيده فحصل الاضطراب فيه بسبب ذلك والاقرب ان شا الله انه ان كان النهي عنه لحق الله عز وجل فانه لا يفيد الملك بالكلية ونعني بكون الحق لله انه لا يسقط برضي المتعاقدين عليه وان كان النهي عنه لحق ادمي معين بحيث يسقط برضاه به فانه يقف على رضاه به فان رضي لزم العقد واستمر الملك وان لم يرض به فله الفسخ فان كان الذي يلحقه الضرر لا يعتبر رضاه بالكلية كالزوجة والعبد في الطلاق والعتاق فلا عبرة برضاه ولا بسخطه وان كان النهي رفقا بالمنهي خاصة لما يلحقه من المشقة فخالف وارتكب المشقة لم يبطل بذلك عمله فاما الاول فله صور كثيرة منها نكاح من يحرم نكاحه اما لعينه كالمحرمات على التابيد بسبب او نسب او للجمع او لفوات شرط لا يسقط بالتراضي باسقاطه كنكاح المعتدة والمحرمة والنكاح بغير ولي ونحو ذلك وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم فرق بين رجل وامراة تزوجها وهي حبلى ورد النكاح لوقوعه في العدة ومنها عقود الربا فلا تفيد الملك ويومر برده وقد امر النبي صلى الله عليه وسلم من باع صاع تمر بصاعين ان يرده ومنها بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام والكلب وساير ما نهي عن بيعه مما لا يجوز التراضي ببيعه واما الثاني فله صور عديدة منها انكاح الولي من لا يجوز انكاحها الا باذنها بغير اذنها وقد رد النبي صلى الله عليه وسلم نكاح امراة ثيب زوجها ابوها وهي كارهة وروي عنه انه خير امراة زوجت بغير اذنها وفي بطلان هذا النكاح ووقوفه على الاجازة روايتان عن احمد وقد ذهب طايفة من العلما الى ان من تصرف لغيره في ماله بغير اذنه لم يكن تصرفه باطلا من اصله بل يقف

على اجازته فان اجازه جاز وان رده بطل واستدلوا بحديث عروة بن الجعد في شراه للنبي صلى الله عليه وسلم شاتين وانما كان امره بشرا واحدة ثم باع احداهما وقبل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وخص ذلك الامام احمد في المشهور عنه بمن كان يتصرف لغيره في ماله باذن اذا خالف الاذن ومنها تصرف المريض في ماله كله هل يقع باطلا من اصله ام يقف تصرفه في الثلثين على اجازة الورثة فيه اختلاف مشهور للفقها والخلاف في مذهب الامام احمد وغيره وقد صح ان النبي صلى الله عليه وسلم رفع اليه ان رجلا اعتق ستة مملوكين له عند موته لا مال له غيرهم فدعا بهم فجزاهم ثلاثة اجزا فاعتق اثنين وارق اربعة وقال له قولا شديدا ولعل الورثة لم تجيز واعتق الجميع والله اعلم ومنها بيع المدلس ونحوه كالمصراة وبيع النجش وتلقي الركبان ونحو ذلك وفي صحته كله اختلاف مشهور في مذهب الامام احمد وذهب طايفة من اهل الحديث الى بطلانه ورده والصحيح انه يصح ويقف على اجازة من حصل له ظلم بذلك فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه جعل مشتري المصراة بالخيار وانه جعل للركبان الخيار اذا هبطوا السوق وهذا كله يدل على انه غير مردود من اصله وقد اورد على بعض من قال بالبطلان حديث المصراة فلم يذكر عنه جوابا واما بيع الحاضر للبادي فمن صححه جعله من هذا القبيل ومن ابطله جعل الحق فيه لاهل البلد كلهم وهم غير منحصرين فلا يتصور اسقاط حقوقهم فصار كحق الله عز وجل ومنها لو باع رقيقا يحرم التفريق بينهم وفرق بينهم كالام وولدها فهل يقع باطلا مردودا ام يقف على رضاهم بذلك وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم امر برد هذا البيع ونص احمد على انه لا يجوز التفريق بينهم ولو رضوا بذلك وذهب طايفة الى جواز التفريق بينهم برضاهم منهم النخعي وعبيد الله بن الحسن العنبري فعلى هذا يتوجه ان يصح ويقف على الرضا ومنها لو خص بعض الاولاد بالعطية دون بعض فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه امر بشير بن سعد لما خص ولده النعمان بالعطية ان يرده ولم يدل ذلك على انه لم ينتقل الملك بذلك الى الولد

فان هذه العطيه تصح وتقع مراعاه فان سوى بين الاولاد في العطيه او استرد ما
اعطى الولد جاز وان مات ولم يفعل شيا من ذلك فقال مجاهد هي ميراث وحكى عن
احمد نحوه وان العطيه تبطل والجمهور على انها لا تبطل وهل للورثه الرجوع فيها
ام لا فيه قولان مشهوران هما روايتان عن احمد ومنها الطلاق المنهي عنه كالطلاق
في زمن الحيض فانه قد قيل انه نهي عنه لحق الزوج حيث كان يخشى عليه ان يعقبه
فيه الندم ومن نهي عن شي رفقا به فلم ينته عنه بل فعله وتجشم مشقته فانه
لا يحكم ببطلان ما اتى به كمن صام في المرض او السفر او واصل في الصيام او اخرج
ماله كله وجلس يتكفف الناس او صلى قايما مع تضرره بالقيام للمرض او اغتسل
وهو يخشى على نفسه الضرر او التلف ولم يتيمم او صام الدهر ولم يفطر وقام
الليل ولم ينم وكذلك اذا جمع الطلاق الثلاث على القول بتحريمه وقيل انما نهي
عن طلاق الحايض لحق المراه لما فيه من الاضرار بها بتطويل العده ولو رضيت
بذلك بان سالته الطلاق بعوض في الحيض فهل يزول بذلك تحريمه فيه
قولان مشهوران للعلما والمشهور من مذهبنا ومذهب الشافعي انه يزول
التحريم بذلك فان قيل ان التحريم فيه لحق الزوج خاصه فاذا اقدم عليه فقد
اسقط حقه فسقط وان علل بانه لحق المراه لم يمنع نفوذه ووقوعه ايضا فان
رضا المراه بالطلاق غير معتبر لوقوعه عند جميع المسلمين لم يخالف فيه سوى
شرذمه يسيره من الروافض ونحوهم كما ان رضى الرقيق بالعتق غير معتبر ولو
تضرر به ولكن اذا تضررت المراه بذلك وكان قد بقي شي من طلاقها امر
الزوج بارتجاعها كما امر النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمر بارتجاع زوجته تلافيا
منه لضررها وتلافيا لما وقع منه من الطلاق المحرم حتى لا يصير بينونتها منه
ناشيه عن طلاق محرم وليتمكن من طلاقها على وجه مباح فيحصل ابانتها على
هذا الوجه وقد روي عن ابي الزبير عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم

ردها عليه ولم يرها شيا وهذا مما تفرد به ابو الزبير عن اصحاب ابن عمر كلهم مثل
ابنه سالم ومولاه نافع وانس بن سيرين وطاوس وعبد الله بن دينار وسعيد بن جبير يونس بن جبير
وميمون بن مهران وغيرهم وقد انكر ايمه العلما هذه اللفظه على ابي الزبير من المحدثين
والفقها وقالوا انه تفرد بما خالف الثقات فلا يقبل تفرده فان في رواية الجماعة
عن ابن عمر ما يدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم حسب عليه الطلقه من وجوه
كثيره وكان ابن عمر يقول لمن ساله عن الطلاق في الحيض ان كنت طلقت واحده او
اثنتين فان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرني بذلك يعني بارتجاع المراه وان كنت
طلقت ثلاثا فقد عصيت ربك وبانت منك امراتك وفي روايه ابي الزبير زياده اخرى
لم يتابع عليها وهي قوله ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها النبي اذا طلقتم النسا فطلقوهن
لعدتهن ولم يذكر ذلك احد من الرواه عن ابن عمر وانما روى عبد الله بن دينار عن ابن
عمر انه كان يتلو هذه الايه عند روايته للحديث وهذا هو الصحيح وقد كان
طوايف من الناس يعتقدون ان طلاق ابن عمر كان ثلاثا وان النبي صلى الله عليه وسلم انما ردها معوبه ابن
عليه لانه لم يوقع الطلاق في الحيض وقد روي ذلك عن ابي الزبير ايضا من روايه عمار
الدهني عنه فلعل ابا الزبير اعتقد هذا حقا فروى تلك اللفظه بالمعنى الذي فهمه وروى
ابن لهيعه هذا الحديث عن ابي الزبير فقال عن جابر ان ابن عمر طلق امراته وهي
حايض فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعها فانها امراته واخطا في ذكر جابر
في هذا الاسناد وتفرد بقوله فانها امراته وهي لا تدل على عدم وقوع الطلاق
الا على تقدير ان يكون ثلاثا فقد اختلف في هذا الحديث على ابي الزبير واصحاب
ابن عمر الثقات الحفاظ العارفون به الملازمون له لم يختلف عليهم فيه وروى ايوب
عن ابن سيرين قال مكثت عشرين سنه يحدثني من لا اتهم ان ابن عمر طلق امراته
ثلثا وهي حايض فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يراجعها فجعلت لا اتهمهم ولا اعرف
الحديث حتى لقيت ابا غلاب يونس بن جبير وكان ذا ثبت فحدثني انه سال

ابن عمر نحو نه انه طلقها واحده خرجه مسلم وفي روايه قال ابن سيرين فجعلت لا اعرف للحديث وجها ولا افهمه وهذا يدل على انه كان قد شاع بين الثقات من غير اهل الفقه والعلم ان طلاق ابن عمر كان ثلاثا ولعل ابا الزبير من هذا القبيل ولذلك كان نافع يسال كثيرا عن طلاق ابن عمر هل كان ثلاثا او واحده ولما قدم نافع مكه ارسلوا اليه من مجلس عطا يسالونه عن ذلك لهذه الشبه واستنكار ابن سيرين لروايه الثلث يدل على انه لم يعرف قايلا معتبرا يقول ان الطلاق المحرم غير واقع وان هذا القول لا وجه له قال الامام احمد في روايه ابي الحارث وسيل عمن قال لا يقع الطلاق المحرم لانه يخالف ما امر به فقال هذا قول سوء رديء ثم ذكر قصه ابن عمر وانه احتسب بطلاقه في الحيض وقال ابو عبيد الوقوع هو الذي عليه العلما مجمعون في جميع الامصار حجازهم وتهامهم ويمنهم وشامهم وعراقهم ومصرهم وحكى ابن المنذر ذلك عن كل من يحفظ قوله من اهل العلم الا ناسا من اهل البدع لا يعتد بهم واما ما حكاه ابن حزم عن ابن عمر انه لا يقع الطلاق في الحيض مستند الى ما رواه من طريق محمد بن عبد السلم الخشني الاندلسي نا محمد بن بشار نا عبد الوهاب الثقفي عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر في الرجل يطلق امراته وهي حايض قال لا يعتد بها وباسناده عن خلاس نحوه فان هذا الاثر قد سقطت من اخره لفظه وهي قال لا يعتد بتلك الحيضه كذلك رواه ابو بكر بن ابي شيبه في كتابه عن عبد الوهاب الثقفي وكذا رواه يحيى بن معين عن عبد الوهاب ايضا وقال هو غريب لم يحدث به الا عبد الوهاب ومراد ابن عمر ان الحيضه التي طلق فيها لا تعتد بها المراه قرءا وهذا هو مراد خلاس وغيره وقد روي ذلك ايضا عن جماعه من السلف منهم زيد بن ثابت وسعيد بن المسيب فوهم جماعه من المفسرين وغيرهم كما وهم ابن حزم فحكوا عن بعض من سمينا ان الطلاق في الحيض لا يقع وهذا سبب وهمهم والله اعلم وهذا الحديث انما رواه القسم

[illegible]

[illegible]

بن محمد لما سيل عن رجل له مساكن فاوصى بثلث ثلاث مساكن هل يجمع له في مسكن واحد فقال يجمع ذلك كله في مسكن واحد حدثتني عايشه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد خرجه مسلم ومراده ان تغيير وصيه الموصي الى ما هو احب الى الله وانفع جايز وقد حكي هذا عن عطا وابن جريج وربما يستدل بعض من ذهب الى هذا بقوله تعالى فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه ولعله اخذ هذا من جمع العتق فانه صح ان رجلا اعتق سته مملوكين له عند موته فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم فجزاهم ثلاثه اجزا فاعتق اثنين وارق اربعه خرجه مسلم وذهب فقها الحديث الى هذا الحديث لان تكميل عتق العبد مهما امكن اولى من تشقيصه ولهذا شرعت السرايه والسعايه اذا اعتق احد الشريكين نصيبه من عبد وقال صلى الله عليه وسلم فيمن اعتق بعض عبد له هو عتيق كله ليس لله شريك واكثر العلما على خلاف قول القسم هذا وان وصيه الموصي لا تجمع ويتبع لفظه الا في العتق خاصه لان المعنى الذي جمع له في العتق غير موجود في بقيه الاموال فيعمل فيها بمقتضى وصيه الموصي وذهب طايفه من الفقها في العتق الى انه يعتق من كل عبد ثلثه ويستسعون في الباقي واتباع قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم احق واولى والقسم نظر الى ان في مشاركه الموصى له للورثه في المساكن كلها ضررا عليهم فيدفع عنهم هذا الضرر ويجمع الوصيه في مسكن واحد فان الله قد شرط في الوصيه عدم المضاره بقوله تعالى غير مضار فمن ضار في وصيته كان عمله مردودا عليه لمخالفته ما شرط الله في الوصيه وقد ذهب طايفه من الفقها الى انه لو وصى له بثلث مساكنه كلها ثم تلف ثلثا المساكن وبقي منها ثلث انه يعطى كله للموصى له وهذا قول طايفه من اصحاب ابي حنيفه وحكي عن ابي يوسف ومحمد ووافقهم القاضي ابو يعلى من اصحابنا في خلافه وبنوا ذلك على ان المساكن المشتركه تقسم بين المشتركين فيها قسمه اجبار كما هو قول مالك وظاهر كلام ابن ابي موسى من اصحابنا والمشهور عند اصحابنا ان المساكن المتعدده لا تقسم قسمه اجبار وهو قول ابي حنيفه والشافعي

وقد تاول بعض المالكيه فتيا القاسم المذكور في هذا الحديث على ان احد الفريقين

الحديث السادس عن النعمن بن بشير رضي الله عنهما

قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول ان الحلال بين وان الحرام بين وبينهما
مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرا لدينه وعرضه ومن
وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعي حول الحمي يوشك ان يرتع فيه الا وان لكل
ملك حمي الا وان حمي الله محارمه الا وان في الجسد مضغه اذا اصلحت صلح الجسد كله
واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب رواه البخاري ومسلم هذا الحديث
صحيح متفق علي صحته من روايه الشعبي عن النعمن بن بشير وفي الفاظه بعض الزياده
والنقص والمعنى واحد او متقارب وقد روي عن النبي صلي الله عليه وسلم من حديث
بن عمر وعمار بن ياسر وجابر وابن مسعود وابن عباس وحديث النعمن اصح احاديث
الباب فقوله صلي الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات
لا يعلمهن كثير من الناس معناه ان الحلال المحض بين لا اشتباه فيه وكذلك الحرام
المحض ولكن بين الامرين امور تشتبه علي كثير من الناس هل هي من الحلال ام من الحرام
واما الراسخون في العلم فلا يشتبه عليهم ذلك ويعلمون من اي القسمين هي فاما
الحلال المحض فمثل اكل الطيبات من الزروع والثمار وبهيمه الانعام وشرب الاشربه
الطيبه ولباس ما يحتاج اليه من القطن او الكتان او الصوف او الشعر وكالنكاح
والتسري وغير ذلك اذا كان اكتسابه بعقد صحيح كالبيع او ميراث او هبه او
غنيمه والحرام المحض مثل اكل الميته والدم ولحم الخنزير وشرب الخمر ونكاح المحارم
ولباس الحرير للرجال ومثل الاكتساب المحرمه كالربا والميسر وثمن ما لا يحل بيعه
واخذ الاموال المغصوبه بسرقه او غصب ونحو ذلك واما المشتبه فمثل
اكل بعض ما اختلف في حله وتحريمه من الانبذه التي يسكر كثيرها ولبس ما اختلف في
لبسه من جلود السباع ونحوها واما من المكاسب المختلف فيها كمسايل العينه
والتورق ونحو ذلك وبنحو هذا المعنى فسر المشتبهات احمد واسحق وغيرهما من

من الايمه وحاصل الامر ان الله تعالي انزل علي نبيه الكتاب وبين فيه للامه ما يحتاج اليه
من حلال وحرام كما قال تعالي وانزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شي قال مجاهد وغيره
لكل شي امروا به او نهوا عنه وقال تعالي في اخر سوره النسا التي بين فيها كثيرا من احكام
الاموال والابضاع يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شي عليم وقال تعالى وما لكم ان لا تاكلوا
مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وقال وما كان الله
ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ووكل بيان ما اشكل من التنزيل
الي الرسول صلي الله عليه وسلم كما قال وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم وما
قبض صلي الله عليه وسلم حتى اكمل له ولامته الدين ولهذا انزل عليه بعرفه قبل موته بمده
يسيره اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وقال صلي الله عليه
وسلم تركتكم علي بيضا نقيه ليلها كنهارها ولا يزيغ عنها الا هالك وقال ابو ذر توفي رسول
الله صلي الله عليه وسلم وما طاير يحرك جناحيه في السما الا وقد ذكر لنا منه علما ولما شك الناس
في موته صلي الله عليه وسلم قال عمه العباس رضي الله عنه والله ما مات رسول الله
صلي الله عليه وسلم حتى ترك السبيل نهجا واضحا واحل الحلال وحرم الحرام ونكح وطلق
وحارب وسالم وما كان راعي غنم يتبع بها روس الجبال يخبط عليها العضاه بمخبطه
ويمدر حوضها بيده بانصب ولا اداب من رسول الله صلي الله عليه وسلم
كان فيكم وفي الجمله فما ترك الله ورسوله حلالا الا مبينا ولا حراما الا مبينا لكن بعضه
كان اظهر بيانا من بعض فما ظهر بيانه واشتهر وعلم من الدين بالضروره من ذلك
لم يبق فيه شك ولا يعذر احد بجهله في بلد يظهر فيه الاسلام وما كان بيانه
دون ذلك فمنه ما اشتهر بين حمله الشريعه خاصه فاجمع العلما علي حله
او حرمته وقد يخفى علي بعض من ليس منهم ومنه ما لم يشتهر بين حمله الشريعه
ايضا فاختلفوا في تحليله وتحريمه وذلك لاسباب منها انه قد يكون النص عليه
خفيا لم ينقله الا قليل من الناس فلم يبلغ جميع حمله العلم ومنها انه قد ينقل فيه نصان

احدهما بالتحليل والاخر بالتحريم فيبلغ طايفه احد النصين دون الاخر
فيتمسكون بما بلغهم او يبلغ النصان معًا من لا يبلغه التاريخ فيقف لعدم معرفته
بالناسخ ومنها ما ليس فيه نص صريح وانما يوخذ من عموم او مفهوم او قياس فتختلف
افهام العلما في هذا كثيرًا ومنها ما يكون فيه امر او نهي فتختلف العلما في حمل
الامر على الوجوب او الندب وفي حمل النهي على التحريم او التنزيه واسباب
الاختلاف اكثر مما ذكرنا ومع هذا فلا بد في الامه من عالم يوافق قوله الحق فيكون هو العالم
بهذا الحكم وغيره يكون الامر مشتبهًا عليه ولا يكون عالمًا بهذا فان هذه الامه لا تجتمع
على ضلاله ولا يظهر اهل باطلها على اهل حقها فلا يكون الحق مهجورًا غير معمول به في جميع
الامصار والاعصار ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في المشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس
فدل على ان من الناس من يعلمها وانما هي مشتبهه على من لم يعلمها وليست مشتبهه في
نفس الامر فهذا هو السبب المقتضي لاشتباه بعض الاشيا على كثير من العلما وقد يقع
الاشتباه في الحلال والحرام بالنسبه الى العلما وغيرهم من وجه اخر وهو ان
من الاشيا ما يعلم سبب حله وهو الملك المتيقن ومنه ما يعلم سبب تحريمه وهو ثبوت
ملك الغير عليه فالاول لا تزول اباحته الا بيقين زوال الملك عنه اللهم الا في الابضاع
عند من يوقع الطلاق بالشك فيه كمالك او اذا غلب على الظن وقوعه كاسحق بن راهويه
والثاني لا يزول تحريمه الا بيقين العلم بانتقال الملك فيه واما ما لا يعلم له اصل ملك
كما يجده الانسان في بيته ولا يدري هل هو له او لغيره فهذا مشتبه ولا يحرم عليه
تناوله لان الظاهر ان ما في بيته ملكه لثبوت يده عليه والورع اجتنابه فقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم اني لانقلب الى اهلي فاجد التمره ساقطه على فراشي فارفعها
لاكلها ثم اخشى ان تكون صدقه فالقيها خرجاه في الصحيحين فان كان هناك من جنس
المحظور وشك هل هو منه ام لا قويت الشبهه وفي حديث عمرو بن شعيب عن ابيه
عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم اصابه ارق من الليل فقال له بعض نسايه يا رسول الله

ارقت الليله قال اني كنت اصبت تمره تحت جنبي فاكلتها وكان عندنا تمر من تمر الصدقه
فخشيت ان تكون منه ومن هذا ايضًا ما اصله الاباحه كطهارة الما والثوب والارض
اذا لم يتيقن زوال اصله فيجوز استعماله وما اصله الحظر كالابضاع ولحوم الحيوان
فلا يحل الا بيقين حله من التذكيه والعقد فان تردد في شي من ذلك لظهور سبب اخر
رجع الى الاصل فبنى عليه فيبنى فيما اصله الحرمه على التحريم ولهذا نهى النبي صلى الله عليه
وسلم عن اكل الصيد الذي يجد فيه الصايد اثر سهم غير سهمه او كلب غير كلبه او
يجده قد وقع في ماء وعلل بانه لا يدري هل مات من السبب المبيح له او من
غيره ويرجع فيما اصله الحل الى الحل فلا ينجس الما والارض والثوب بمجرد ظن النجاسه
وكذلك البدن اذا تحقق طهارته وشك هل انتقضت بالحدث عند جمهور العلما
خلافًا لمالك رحمه الله اذا لم يكن قد دخل في الصلاه وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه شكى اليه الرجل يخيل اليه انه يجد الشي في الصلاه فقال لا ينصرف حتى يسمع
صوتًا او يجد ريحًا وفي بعض الروايات في المسجد بدل الصلاه وهذا يعم حال الصلاه ٥
وغيرها فان وجد سبب قوي يغلب معه على الظن نجاسه ما اصله الطهاره
مثل ان يكون الثوب يلبسه كافر لا يتحرز من النجاسات فهذا محل اشتباه فمن
العلما من رخص فيه اخذًا بالاصل ومنهم من كرهه تنزيهًا ومنهم من حرمه اذا
قوي ظن النجاسه مثل ان يكون الكافر ممن لا تباح ذبيحته او يكون ملاقيًا لعورته
كالسراويل والقميص وترجع هذه المسايل وشبهها الى قاعده تعارض الاصل
والظاهر فان الاصل الطهاره والظاهر النجاسه وقد تعارضت الادله في ذلك
فالقايلون بالطهاره يستدلون بان الله احل طعام اهل الكتاب وطعامهم انما يصنعو نه
بايديهم في اوانيهم وقد اجاب النبي صلى الله عليه وسلم دعوة يهودي وكان هو واصحابه
يلبسون ما جلب اليهم مما نسجه الكفار من الثياب والاواني وكانوا في المغازي يقتسمون
ما وقع لهم من الاوعيه والثياب ويستعملونها وصح عنهم انهم استعملوا الما من مزاده ٥ ويستعمل

مشتركة والقايلون بالنجاسة يستدلون بانه صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سيل
عن انية اهل الكتاب الذين ياكلون الخنزير ويشربون الخمر فقال ان لم تجدوا غيرها فاغسلوها
بالماء ثم كلوا فيها وقد فسر الامام احمد الشبهة بانها منزلة بين الحلال والحرام يعني الحلال
المحض والحرام المحض وقال من اتقاها فقد استبرا لدينه وفسرها تارة باختلاط
الحلال والحرام ويتفرع على هذا معاملة من في ماله حلال وحرام مختلط فان كان
اكثر ماله الحرام فقال احمد ينبغي ان يجتنبه الا ان يكون شيا يسيرا او شيا لا يعرف
واختلف اصحابنا هل هو مكروه او محرم على وجهين وان كان اكثر ماله الحلال جازت
معاملته والاكل من ماله وقد روى الحرث عن علي انه قال في جوايز السلطان لا
باس بها ما يعطيكم من الحلال اكثر مما يعطيكم من الحرام وكان النبي صلى الله عليه وسلم واصحا[به]
يعاملون المشركين واهل الكتاب مع علمهم بانهم لا يجتنبون الحرام كله وان اشتبه الامر
فهو شبهة والورع تركه قال سفين لا يعجبني ذلك وتركه احب الي وقال الزهري
ومكحول لا باس ان يوكل منه ما لم يعرف انه حرام بعينه فان لم يعلم في ماله حرام بعينه
ولكنه علم ان فيه شبهة فلا باس بالاكل منه نص عليه احمد في رواية حنبل وذهب
اسحق بن راهويه الى ما روي عن ابن مسعود وسلمان وغيرهما من الرخصة والى ما عن
روي عن الحسن وابن سيرين في اباحة الاخذ مما يقضى من الربا والقمار نقله عنه ابن منصور
وقال الامام احمد في المال المشتبه حلاله بحرامه ان كان المال كثيرا اخرج منه
قدر الحرام وتصرف في الباقي وان كان المال قليلا اجتنبه كله وهذا لان القليل اذا
تناول منه شيا فانه يبعد معه السلامة من الحرام بخلاف الكثير ومن اصحابنا من حمل
ذلك على الورع دون التحريم واباح التصرف في القليل والكثير بعد اخراج قدر الحرام
منه وهو قول الحنفية وغيرهم واخذ به قوم من اهل الورع منهم بشر الحافي ورخص
قوم من السلف في الاكل ممن يعلم في ماله حرام ما لم يعلم انه من الحرام بعينه كما نقلنا
عن مكحول والزهري وروي مثله عن الفضيل بن عياض وروي في ذلك اثار عن

السلف

السلف فصح عن ابن مسعود انه سيل عمن له جار ياكل الربا علانية ولا يتحرج من مال
خبيث ياخذه يدعوه الى طعامه قال اجيبوه فانما المهنا لكم والوزر عليه وفي رواية انه
قال لا اعلم له شيا الا خبيثا او حراما فقال اجيبوه وقد صحح الامام احمد هذا عن ابن مسعود ولكنه له
عارضه بما روي عنه انه قال الاثم حواز القلوب وروي عن سلمان مثل قول ابن مسعود الاول
وعن سعيد بن جبير والحسن البصري ومورق العجلي وابراهيم النخعي وابن سيرين وغيرهم والا ثار
بذلك موجودة في كتاب الادب لحميد بن زنجويه وبعضها في كتاب الجامع للخلال وفي
مصنفي عبد الرزاق وابن ابي شيبة وغيرهم ومتى علم ان عين الشي حرام اخذ بوجه
محرم فانه يحرم تناوله وقد حكى الاجماع على ذلك ابن عبد البر وغيره وقد روي عن
ابن سيرين في الرجل يقضى من الربا قال لا باس به وعن الرجل يقضى من القمار قال
لا باس به خرجه الخلال باسناد صحيح وروي عن الحسن خلاف هذا وانه قال ان
هذه المكاسب قد فسدت فخذوا منها شبه المضطر وعارض المروي عن ابن مسعود
وسلمان ما روي عن ابي بكر الصديق انه اكل طعاما ثم اخبر انه من حرام فاستقاه وقد
يقع الاشتباه في الحكم لكون الفرع مترددا بين اصول تجتذبه كتحريم الرجل زوجته
فان هذا متردد بين تحريم الظهار الذي ترفعه الكفارة الكبرى وبين تحريم الطلقة الواحدة
بانقضاء عدتها الذي تباح معه الزوجة بعقد جديد وبين تحريم الطلاق الثلث
الذي لا يباح معه الزوجة بدون زوج واصابة وبين تحريم الرجل عليه ما احله الله له
من الطعام والشراب الذي لا يحرمه وانما يوجب الكفارة الصغرى او لا يوجب يجب
شيا على الاختلاف في ذلك فمن هاهنا كثر الاختلاف في هذه المسالة من زمن الصحابة
فمن بعدهم وبكل حال فالامور المشتبهة التي لا يتبين انها حلال ولا حرام لكثير
من الناس كما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم قد يتبين لبعض الناس انها حلال او حرام
لما عنده من ذلك من مزيد علم وكلام النبي صلى الله عليه وسلم يدل على ان هذه المشتبهات
من الناس من يعلمها وكثير منهم لا يعلمها فدخل فيمن لا يعلمها نوعان احدهما من يتوقف

فيها لاشتباهها عليه والثاني من يعتقدها على غير ما هي عليه ودل كلامه على ان غيره
هو لا يعلمها ومراده انه يعلمها على ما هي عليه في نفس الامر من تحليل او تحريم وهذا من اظهر
الادله على ان المصيب عند الله في مسايل الحلال والحرام المشتبهه المختلف فيها واحد
عند الله عز وجل وغيره يعلمها بمعنى انه غير مصيب لحكم الله فيها في نفس الامر وان
كان يعتقد فيها اعتقادا يستند فيه الى شبهه يظنها دليلا ويكون ماجورا على اجتهاده
ومغفورا له خطاوه لعدم اعتماده وقوله صلى الله عليه وسلم فمن اتقى الشبهات فقد
استبرا لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام قسم الناس في الامور المشتبهه
الى قسمين وهذا انما هو بالنسبه الى من هي مشتبهه عليه وهو من لا يعلمها فاما من كان
عالما بها واتبع ما دله علمه عليها فذاك قسم ثالث ولم يذكره لظهور حكمه فان هذا القسم
افضل الاقسام الثلاثه لانه علم حكم الله في هذه الامور المشتبهه على الناس واتبع علمه
في ذلك واما من لم يعلم حكم الله فيها فهم قسمان احدهما من يتقي هذه الشبهات لاشتباهها
عليه فهذا قد استبرا لدينه وعرضه ومعنى استبرا طلب البراه لدينه وعرضه من
النقص والشين والعرض هو موضع المدح والذم من الانسان وما يحصل له بذكره بالجميل
مدح وبذكره بالقبيح قدح وقد يكون ذلك تاره في نفس الانسان وتاره في سلفه او في اهله فمن
اتقى الامور المشتبهه واجتنبها فقد حصن عرضه من القدح والشين الداخل على من لم يجتنبها
وفي هذا دليل على ان من ارتكب الشبهات فقد عرض نفسه للقدح فيه والطعن كما قال
بعض السلف من عرض نفسه للتهم فلا يلومن من اساء به الظن وفي روايه للترمذي
في هذا الحديث فمن تركها استبرا لدينه وعرضه فقد سلم والمعنى انه يتركها بهذا
القصد وهو براه دينه وعرضه من النقص لا لغرض اخر فاسد من ريا ونحوه وفيه
دليل على ان طلب البراه للعرض ممدوح كطلب البراه للدين ولهذا ورد ان ما وقى به المرء
عرضه فهو صدقه وفي روايه في الصحيحين في هذا الحديث فمن ترك ما يشتبه
عليه من الاثم كان لما استبان اترك يعني ان من ترك الاثم مع اشتباهه عليه وعدم تحققه

فهو اولى بتركه اذا استبان له انه اثم وهذا اذا كان تركه تحرزا من الاثم فاما من يقصد التصنع
للناس فانه لا يترك الا ما يظن انه ممدوح عندهم القسم الثاني من يقع في الشبهات مع
كونها مشتبهه عنده فاما من اتى شيا مما يظنه الناس شبهه لعلمه بانه حلال في نفس
الامر فلا حرج عليه من الله في ذلك لكن اذا خشي من طعن الناس عليه بذلك كان تركها حينيذ
استبرا لعرضه فيكون حسنا وهذا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمن راه واقفا مع
صفيه انها صفيه بنت حيي وخرج انس الى الجمعه فراى الناس قد صلوا ورجعوا
فاستحيى ودخل موضعا لا يراه الناس فيه وقال من لا يستحيي من الناس لا يستحيي من الله
وخرجه الطبراني مرفوعا ولا يصح وان اتى ذلك لاعتقاده انه حلال اما باجتهاد سايغ
او تقليد سايغ وكان مخطيا في اعتقاده فحكمه حكم الذي قبله فان كان الاجتهاد ضعيفا
او التقليد غير سايغ وانما حمل عليه مجرد اتباع الهوى فحكمه حكم من اتاه مع اشتباهه
عليه والذي ياتي الشبهات مع اشتباهها عليه فقد اخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم
انه وقع في الحرام وهذا يفسر بمعنيين احدهما انه يكون ارتكابه الحرام الذي يعتقد
للشبهه مع اعتقاده انها شبهه ذريعه الى ارتكابه الحرام الذي يعتقد انه حرام بالتدريج
والتسامح وفي روايه في الصحيحين لهذا الحديث ومن اجترا على ما يشك فيه من
الاثم اوشك ان يواقع ما استبان وفي روايه ومن يخالط الريبه يوشك ان يجسر اي
يقرب ان يقدم على الحرام المحض والجسور المقدام الذي لا يهاب شيا ولا يراقب
احدا ورواه بعضهم يجشر بالشين المعجمه اي يرتع والجشر الرعي وجشرت الدابه
اذا ارعيتها وفي مراسيل ابي المتوكل الناجي عن النبي صلى الله عليه وسلم من يرعى بجنبات
الحرام يوشك ان يخالطه ومن تهاون بالمحقرات يوشك ان يخالط الكباير والمعنى
الثاني ان من اقدم على ما هو مشتبه عنده لا يدري اهو حلال او حرام فانه لا يامن
ان يكون حراما في نفس الامر فيصادف الحرام وهو لا يدري انه حرام وقد روي
من حديث بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبها

فمن اتقاها كان انزه لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات اوشك ان يقع في الحرام
كالمرتع حول الحمي اوشك ان يواقع الحمي وهو لا يشعر خرجه الطبراني وغيره واختلف
العلما هل يطيع والديه في الدخول في شي من الشبهة ام لا يطيعهما فروي عن بشر
بن الحرث قال لا طاعة لهما في الشبهة وعن محمد بن مقاتل العباداني قال يطيعهما
وتوقف احمد في هذه المسله وقال يداريهما وابي ان يجيب فيها وقال احمد لا
يشبع الرجل من الشبهة ولا يشتري الثوب للتجمل من الشبهة وتوقف في حد ما يوكل
وما يلبس منها وقال في التمرة يلقيها الطير لا ياكلها ولا ياخذها ولا يعرض لها وقال
الثوري في الرجل يجد في بيته الافلس او الدراهم احب الي ان يتنزه عنها يعني اذا لم يدر
من اين هي وكان بعض السلف لا ياكل الا شيا يعلم من اين هو ويسال عنه حتي يقف
علي اصله وقد روي في ذلك حديث مرفوع الا ان فيه ضعفا وقوله صلي الله عليه
وسلم كالراعي يرعي حول الحمي يوشك ان يرتع فيه وان لكل ملك حمي وان حمي الله محارمه هذا بلغ
مثل ضربه النبي صلي الله عليه وسلم لمن وقع في المشتبهات وانه يقرب وقوعه في الحرام
المحض وفي بعض الروايات ان النبي صلي الله عليه وسلم قال وساضرب لذلك مثلا ثم ذكر هذا
الكلام فجعل النبي صلي الله عليه وسلم مثل المحرمات كالحمي الذي يحميه الملوك ويمنعون غيرهم
من قربانه وقد جعل النبي صلي الله عليه وسلم حول مدينته اثني عشر ميلا حمي محرما لا يقطع
شجره ولا يصاد صيده وحمي عمر وعثمن اماكن ينبت فيها الكلا لاجل ابل الصدقة والله عز
وجل حمي هذه المحرمات ومنع عباده من قربانها وسماها حدوده فقال تلك حدود الله
فلا تقربوها كذلك يبين الله اياته للناس لعلهم يتقون وهذا فيه بيان انه حد لهم ما
احل لهم وما حرم عليهم فلا يقربوا الحرام ولا يتعدوا الحلال ولذلك قال في اية اخري
تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاوليك هم الظالمون وجعل من
يرعي حول الحمي وقريبا منه جديرا بان يدخل الحمي ويرتع فيه فكذلك من تعدي الحلال ووقع
في الشبهات فانه قد قارب الحرام غاية المقاربة فما اخلقه بان يخالط الحرام المحض

ويقع فيه وفي هذا اشارة الي انه ينبغي التباعد عن المحرمات وان يجعل الانسان بينه
وبينها حاجزا وقد خرج الترمذي وابن ماجه من حديث عبد الله بن يزيد عن النبي صلي
الله عليه وسلم قال لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتي يدع ما لا باس به حذرا مما به باس
وقال ابو الدردا تمام التقوي ان يتقي الله العبد حتي يتقيه من مثقال ذرة وحتي
يترك بعض ما يري انه حلال خشية ان يكون حراما حجابا بينه وبين الحرام وقال
الحسن ما زالت التقوي بالمتقين حتي تركوا كثيرا من الحلال مخافة الحرام وقال الثوري
انما سموا المتقين لانهم اتقوا ما لا يتقي وروي عن ابن عمر قال اني لاحب ان ادع بيني وبين الحرام
سترة من الحلال لا اخرقها وقال ميمون بن مهران لا يسلم للرجل الحلال حتي يجعل بينه
وبين الحرام حاجزا من الحلال وقال سفين بن عيينة لا يصيب عبد حقيقة الايمان
حتي يجعل بينه وبين الحرام حاجزا من الحلال وحتي يدع الاثم وما تشابه منه ويستدل
بهذا الحديث من يذهب الي سد الذرايع الي المحرمات وتحريم الوسايل اليها ويدل
علي ذلك ايضا من قواعد الشريعة تحريم قليل ما يسكر كثيره وتحريم الخلوة بالاجنبية
وتحريم الصلاة بعد الصبح وبعد العصر سدا للذريعة الصلاة عند طلوع الشمس
وعند غروبها ومنع الصايم من المباشرة اذا كانت تحرك شهوته ومنع كثير من العلما مبا شرة
الحايض فيما بين سرتها وركبتها الا من ورا ايزار كما كان النبي صلي الله عليه وسلم يامر امراته
اذا كانت حايضا ان تتزر فيباشرها من فوق الازار ومن امثلة ذلك وهو شبيه
بالمثل الذي ضربه النبي صلي الله عليه وسلم من سيب دابته ترعي بقرب زرع غيره فانه ضا من
لما افسدته من الزرع ولو كان ذلك نهارا هذا هو الصحيح لانه مفرط بارسالها في هذه
الحال وكذا الخلاف لو ارسل كلب الصيد قريبا من الحرم فدخل الحرم فصاد فيه ففي
ضمانه روايتان عن احمد وقيل يضمنه بكل حال وقوله صلي الله عليه وسلم الا ان
في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي
القلب فيه اشارة الي ان صلاح حركات العبد بجوارحه واجتنابه للمحرمات

وانقايه للشبهات بحسب صلاح حركة قلبه فان كان قلبه سليمًا ليس فيه الا محبة الله
ومحبة ما يحبه وخشية الله وخشية الوقوع فيما يكرهه صلحت حركات الجوارح
كلها ونشا عن ذلك اجتناب المحرمات كلها وتوقي الشبهات حذرًا من الوقوع في
المحرمات وان كان القلب فاسدًا قد استولى عليه اتباع هواه وطلب ما يحبه ولو كرهه الله
فسدت حركات الجوارح كلها وانبعثت الى كل المعاصي والمشتبهات بحسب اتباع هوى القلب
ولهذا يقال القلب ملك الاعضا وبقية الاعضا جنوده وهم مع هذا جنود طايعون
له منبعثون في طاعته وتنفيذ اوامره لا يخالفونه في شي من ذلك فان كان الملك صالحًا
كانت هذه الجنود صالحة وان كان فاسدًا كانت جنوده بهذه المثابة فاسدة ولا ينفع
عند الله الا القلب السليم كما قال تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب
سليم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعايه اسالك قلبًا سليمًا فالقلب السليم هو
السالم من الافات والمكروهات كلها وهو القلب الذي ليس فيه سوى محبة الله وما
يحبه الله وخشية الله وخشية ما يباعد منه وفي مسند الامام احمد عن انس عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه والمراد باستقامة ايمانه
استقامة اعمال جوارحه فان اعمال الجوارح لا تستقيم الا باستقامة القلب ومعنى استقامة
القلب ان يكون ممتليًا من محبة الله ومحبة طاعته وكراهة معصيته قال الحسن
لرجل داو قلبك فان حاجة الله الى العباد صلاح قلوبهم يعني ان مراده منهم ومطلوبه
صلاح قلوبهم فلا صلاح للقلوب حتى يستقر فيها معرفة الله وعظمته ومحبته وخشيته
ومهابته ورجاوه والتوكل عليه وتمتلي من ذلك وهذا هو حقيقة التوحيد وهو معنى
لا اله الا الله فلا صلاح للقلوب حتى يكون الهها الذي تالهه وتعرفه وتحبه وتخشاه
هو الله وحده لا شريك له ولو كان في السموات والارض اله يوله سوى الله لفسدت
بذلك السموات والارض كما قال تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فعلم بذلك انه
لا صلاح للعالم العلوي والسفلي معا حتى يكون حركات اهلها كلها لله وحركات الجسد

تابعة لحركة القلب وارادته فان كانت حركته وارادته لله وحده فقد صلح وصلحت
حركات الجسد كلها وان كانت حركة القلب وارادته لغير الله فسد وفسدت
حركات الجسد بحسب فساد حركة القلب وروى ليث عن مجاهد في قوله لا تشركوا كذا
بي شيًا قال لا تحبوا غيري وفي صحيح الحاكم عن عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
الشرك اخفى من دبيب الذر على الصفا في الليلة الظلما وادناه ان تحب على شي من الجور
وان تبغض على شي من العدل وهل الدين الا الحب والبغض قال الله عز وجل قل
ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فهذا يدل على ان محبة ما يكرهه الله وبغض ما
يحبه الله متابعة للهوى والموالاة على ذلك والمعاداة عليه من الشرك الخفي ويدل على ذلك قوله تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فجعل الله علامة الصدق في محبته اتباع
رسوله فدل على ان المحبة لا تتم بدون الطاعة والموافقة قال الحسن قال اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انا نحب ربنا حبًا شديدًا فاحب الله ان يجعل لحبه
علمًا فانزل الله هذه الاية قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ومن هنا قال
الحسن اعلم انك لن تحب الله حتى تحب طاعته وسيل ذو النون متى احب ربي قال
اذا كان ما يبغضه عندك امر من الصبر وقال بشر بن السري ليس من اعلام الحب ان
تحب ما يبغضه حبيبك وقال ابو يعقوب النهرجوري كل من ادعى محبة الله عز وجل
ولم يوافق الله في امره فدعواه باطل وقال رويم المحبة الموافقة في كل الاحوال
وقال يحيى ابن معاذ ليس بصادق من ادعى محبة الله ولم يحفظ حدوده وعن
بعض السلف قال قرات في بعض الكتب السالفة من احب الله لم يكن عنده
شي اثر من رضاه ومن احب الدنيا لم يكن عنده شي اثر من هوى نفسه وفي السنن عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال من اعطى لله ومنع لله واحب لله وابغض لله فقد استكمل الايمان ن
ومعنى هذا ان حركات القلب والجوارح اذا كانت كلها لله فقد كمل ايمان العبد بذلك ظاهرًا
وباطنًا ويلزم من صلاح حركات القلب صلاح حركات الجوارح فاذا كان القلب صالحًا ليس فيه

الا ارادة الله وارادة ما يريده ولم تنبعث الجوارح الا فيما يريده الله فسارعت الى ما فيه
رضاه وكفت عما يكرهه وعما يخشى ان يكون مما يكرهه وان لم يتيقن ذلك قال الحسن ما
ضربت ببصري ولا نطقت بلساني ولا بطشت بيدي ولا نهضت على قدمي حتى انظر
على طاعة او على معصية فان كانت طاعة تقدمت وان كانت معصية تاخرت وقال
محمد بن الفضل البلخي ما خطوت منذ اربعين سنة خطوة لغير الله عز وجل وقيل
لداود الطاي لو تنحيت من الظل الى الشمس فقال هذه خطا لا ادري كيف تكتب فهولا القوم
لما صلحت قلوبهم فلم يبق فيها ارادة لغير الله عز وجل صلحت جوارحهم فلم تتحرك الا لله عز
وجل وبما فيه رضاه والله تعالى اعلم

الحديث السابع

عن تميم الداري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الدين النصيحة ثلثا قلنا لمن
قال لله ولرسوله ولائمة المومنين وعامتهم رواه مسلم هذا الحديث خرجه ولكتابه
مسلم من رواية سهيل بن ابي صالح عن عطا بن يزيد الليثي عن تميم الداري وقد روي عن
سهيل وغيره عن ابي صالح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وخرجه الترمذي من
هذا الوجه فمن العلما من صححه من الطريقين جميعا ومنهم من قال ان الصحيح حديث
تميم والاسناد الاخر وهم وقد روي هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث
ابن عمر وثوبان وابن عباس وغيرهم وقد ذكرنا في اول الكتاب عن ابي داود ان هذا الحديث
احد الاحاديث التي يدور عليها الفقه وقال الحافظ ابو نعيم هذا حديث له شان
ذكر محمد بن اسلم الطوسي انه احد ارباع الدين وخرج الطبراني من حديث حذيفة بن اليمان
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من لا يهتم بامر المسلمين فليس منهم ومن لم يمس ويصبح
ناصحا لله ولرسوله ولكتابه ولامامه ولعامة المسلمين فليس منهم وخرج الامام احمد من
حديث ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل احب ما تعبدني به
عبدي الي النصح لي وقد ورد في احاديث كثيرة النصح للمسلمين عموما وفي بعضها
النصح لولاة امورهم وفي بعضها نصح ولاة الامور لرعاياهم فاما الاول وهو النصح

للمسلمين عموما ففي الصحيحين عن جرير بن عبد الله قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على اقام
الصلاة وايتا الزكاة والنصح لكل مسلم وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال حق المومن على المومن ست فذكر منها واذا استنصحك فانصح له وروي هذا الحديث
من وجوه اخر عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي المسند عن حكيم بن ابي يزيد عن ابيه عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال اذا استنصح احدكم اخاه فلينصح له واما الثاني وهو النصح لولاة الامور
ونصحهم لرعاياهم ففي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يرضى لكم
ثلثا يرضى لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تعتصموا بحبل الله جميعا وان تناصحوا
من ولاه الله امركم وفي المسند وغيره عن جبير بن مطعم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في
خطبته بالخيف من منى ثلاث لا يغل عليهن قلب امري مسلم اخلاص العمل لله ومناصحة
ولاة الامر ولزوم جماعة المسلمين وقد روي هذه الخطبة عن النبي صلى الله عليه وسلم
جماعة منهم ابو سعيد الخدري وقد روي ابي سعيد بلفظ اخر خرجه الدارقطني في
الافراد باسناد جيد ولفظه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث لا يغل عليهن قلب
امري مسلم النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولعامة المسلمين وفي الصحيحين عن معقل
بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد يسترعيه الله رعية ثم لم يحطها بنصيحة
الا لم يدخل الجنة وقد ذكر الله في كتابه عن الانبيا عليهم السلام انهم نصحوا لاممهم
كما اخبر بذلك عن نوح وعن صالح وقال ليس على الضعفا ولا على المرضى ولا على الذين لا
يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله يعني ان من تخلف عن الجهاد لعذر
فلا حرج عليه بشرط ان يكون ناصحا لله ورسوله في تخلفه فان المنافقين كانوا يظهرون
الاعذار كاذبين ويتخلفون عن الجهاد من غير نصح لله ورسوله وقد اخبر النبي صلى الله
عليه وسلم ان الدين النصيحة فهذا يدل على ان النصيحة تشمل خصال الاسلام والا يمان
والاحسان التي ذكرت في حديث جبريل وسمى ذلك كله دينا فان النصح لله يقتضي
القيام باداء واجباته على اكمل وجوهها وهو مقام الاحسان فلا يكمل النصح لله بدون

ذلك ولا يتاتي ذلك بدون كمال المحبه الواجبه والمستحبه ويستلزم ذلك الاجتهاد
في التقرب اليه بنوافل الطاعات علي هذا الوجه وترك المحرمات والمكروهات
علي هذا الوجه ايضاً وفي مراسيل الحسن عن النبي صلي الله عليه وسلم قال ارايتم لو كان
لاحدكم عبدان فكان احدهما يطيعه اذا امره ويودي اليه اذا ايتمنه وينصح له اذا
غاب عنه وكان الاخر يعصيه اذا امره ويخونه اذا ايتمنه ويغشه اذا غاب عنه
كانا سوا قالوا لا قال فكذا انتم عند الله عز وجل خرجه ابن ابي الدنيا وخرج الامام
احمد معناه من حديث ابي الاحوص عن ابيه عن النبي صلي الله عليه وسلم وقال الفضيل
بن عياض الحب افضل من الخوف الا تري اذا كان لك عبدان احدهما يحبك والاخر
يخافك فالذي يحبك منهما ينصحك شاهداً كنت او غايباً لحبه اياك والذي يخافك عسي ان
ينصحك اذا شهدت لما يخاف ويغشك اذا غبت ولا ينصحك قال عبد العزيز بن
رفيع قال الحواريون لعيسي عليه السلام ما الخالص من العمل قال ما لا تحب ان يحمدك
الناس عليه قالوا فما النصح لله قال ان تبدا بحق الله قبل حق الناس وان عرض لك امران
احدهما لله والاخر للدنيا بدات بحق الله تعالي قال الخطابي النصيحه كلمه يعبر بها
عن جمله هي اراده الخير للمنصوح له قال واصل النصح في اللغه الخلوص يقال نصحت العسل
اذا خلصته من الشمع فمعني النصيحه لله سبحانه صحه الاعتقاد في وحدانيته واخلاص
النيه في عبادته والنصيحه لكتابه الايمان به والعمل بما فيه والنصيحه لرسوله التصديق
بنبوته وبذل الطاعه له فيما امر به ونهي عنه والنصيحه لعامه المسلمين ارشادهم الي
مصالحهم انتهي وقد حكي الامام ابو عبد الله محمد بن نصر المروزي في كتاب تعظيم قدر
الصلاه عن بعض اهل العلم انه فسر هذا الحديث بما لا مزيد علي حسنه ونحن نحكيه
ها هنا بلفظه قال محمد بن نصر قال بعض اهل العلم جماع تفسير النصيحه هو عنايه
القلب للمنصوح له من كان وهي علي وجهين احدهما فرض والاخر نافله فالنصيحه
المفترضه لله هي شده العنايه من الناصح باتباع محبه الله في ادا ما افترض ومجانبه ما حرم

(margin: للمنصوح له)

واما النصيحه التي هي نافله فهي ايثار محبته علي محبه نفسه وذلك ان يعرض امران
احدهما لنفسه والاخر لربه فيبدا بما كان لربه ويوخر ما كان لنفسه فهذه جمله
تفسير النصيحه لله الفرض منه والنافله ولذلك تفسير وسنذكر بعضه ليفهم
بالتفسير من لا يفهم الجمله فالفرض منها مجانبه نهيه واقامه فرضه بجميع جوارحه
ما كان مطيقاً له فان عجز عن الاقامه بفرضه لافة حلت به من مرض او حبس
او غير ذلك عزم علي ادا ما افترض عليه متي زالت عنه العله المانعه له قال الله
عز وجل ليس علي الضعفاء ولا علي المرضي ولا علي الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا
نصحوا لله ورسوله ما علي المحسنين من سبيل فسماهم محسنين لنصيحتهم لله بقلوبهم لما
منعوا من الجهاد بانفسهم وقد ترفع الاعمال كلها عن العبد في بعض الحالات ولا يرفع
عنه النصح لله فلو كان من المرض بحال لا يمكنه عمل شي من جوارحه بلسان ولا غيره
غير ان عقله ثابت لم يسقط عنه النصح لله بقلبه وهو ان يندم علي ذنوبه وينوي ان
صح ان يقوم بما افترض الله عليه ويجتنب ما نهاه عنه والا كان غير ناصح لله بقلبه
وكذلك النصح لله ولرسوله فيما اوجبه علي الناس عن امر ربه ومن النصح الواجب
لله ان لا يرضي بمعصيه العاصي ويحب طاعه من اطاع الله ورسوله واما النصيحه التي
هي نافله لا فرض فبذل المجهود بايثار الله علي كل محبوب بالقلب وساير الجوارح حتي
لا يكون في الناصح فضل عن غيره لان الناصح اذا اجتهد لم يوثر نفسه عليه وقام بكل
ما كان في القيام به سروره ومحبته فكذلك الناصح لربه ومن تنفل لله بدون الاجتهاد
فهو ناصح علي قدر عمله غير مستحق للنصح بكماله واما النصيحه لكتاب الله فشده
حبه وتعظيم قدره اذ هو كلام الخالق وشده الرغبه في فهمه وشده العنايه لتدبره
والوقوف عند تلاوته لطلب معاني ما احب مولاه ان يفهمه عنه ويقوم به له بعد ما يفهمه
وكذلك الناصح من العباد يتفهم وصيه من ينصحه وان ورد عليه كتاب منه عني بفهمه
ليقوم عليه بما كتب به فيه اليه فكذلك الناصح لكتاب ربه يعني بفهمه ليقوم لله بما امر به

كما يحب ويرضي ثم بنشر ما فهم في العباد ويديم دراسته بالمحبة له والتخلق باخلاقه والتادب
باداب واما للرسول صلي الله عليه وسلم في حياته فبذل المجهود في طاعته ونصرته
ومعاونته وبذل المال اذا اراده والمسارعة الي محبته واما بعد وفاته فالعنايه
بطلب سنته والبحث عن اخلاقه واداب وتعظيم امره ولزوم القيام به وشدة الغضب
والاعراض عمن يدين بخلاف سنته والغضب علي من ضيعها لاثره دنيا وان كان متدينا
بها وحب من كان منه بسبيل من قرابه او صهرا و هجرة او نصرة او صحبة ساعة
من ليل او نهار علي الاسلام والتشبه به في زيه ولباسه واما النصيحه لايمه
المسلمين فحب صلاحهم ورشدهم وعدلهم وحب اجتماع الامه عليهم وكراهة افتراق
الامه عليهم والتدين بطاعتهم في طاعة الله عز وجل والبغض لمن راي الخروج عليهم
وحب اعزازهم في طاعة الله واما النصيحه للمسلمين فان تحب لهم ما تحب لنفسه وتكره
لهم ما يكره لنفسه والشفق عليهم ويرحم صغيرهم ويوقر كبيرهم والحزن لحزنهم ويفرح لفرحهم
وان ضره ذلك في دنياه كرخص اسعارهم وان كان في ذلك فوات ربح ما يبيع من تجارته وكذلك
جميع ما يضرهم عامه والحب صلاحهم والفتهم ودوام النعم عليهم ونصرهم علي عدوهم ودفع
كل اذى ومكروه عنهم وقال ابو عمرو بن الصلاح النصيحه كلمة جامعة تتضمن قيام
الناصح للمنصوح له بوجوه الخير ارادة وفعلا فالنصيحه لله تعالي توحيده ووصفه
بصفات الكمال والجلال وتنزيهه عما يضادها ويخالفها وتجنب معاصيه والقيام
بطاعته ومحابه بوصف الاخلاص والحب فيه والبغض فيه وجهاد من كفر به
تعالي وما ضاهي ذلك والدعا الي ذلك والحث عليه والنصيحه لكتابه الايمان به وتعظيم
وتنزيهه وتلاوته حق تلاوته والوقوف مع اوامره ونواهيه وتفهم علومه وامثاله
وتدبر اياته والدعا اليه وذب تحريف الغالين وطعن الملحدين عنه والنصيحه لرسول
الله صلي الله عليه وسلم قريب من ذلك الايمان به وبما جاء به وتوقيره وتبجيله والتمسك بطاعته
واحيا سنته واستثارة علومها ونشرها ومعاداة من عاداه وعاداها وموالاة من والاه
وولاها والتخلق باخلاقه والتادب باداب ومحبة اله وصحابته ونحو ذلك والنصيحه
لايمة المسلمين معاونتهم علي الحق وطاعتهم فيه وتذكيرهم به وتنبيههم في رفق ولطف
ومجانبة الوثوب عليهم والدعا لهم بالتوفيق وحث الاغيار علي ذلك والنصيحه لعامه
المسلمين ارشادهم الي مصالحهم وتعليمهم امور دينهم ودنياهم وستر عوراتهم وسد خلاتهم
ونصرتهم علي اعدايهم والذب عنهم ومجانبة الغش والحسد لهم وان تحب لهم ما تحب لنفسه
وما شابه ذلك انتهي ما ذكره ومن انواع نصحهم بدفع الاذي والمكروه عنهم ايثار فقيرهم
وتعليم جاهلهم ورد من زاغ منهم عن الحق في قول او عمل بالتلطف في ردهم الي الحق
والرفق بهم في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر محبة لازالة فسادهم ولو بحصول
ضرر له في دنياه كما قال بعض السلف وددت ان هذا الخلق اطاعوا الله وان لحمي
قرض بالمقاريض وكان عمر بن عبد العزيز يقول يا ليتني عملت فيكم بكتاب الله وعملتم
به فكلما عملت فيكم بسنه وقع مني عضوا حتي يكون اخر شي منها خروج نفسي
ومن انواع النصح لله وكتابه ورسوله وهو مما يختص به العلما رد الاهوا المضلة
بالكتاب والسنه وبيان دلالتها علي ما يخالف الاهوا كلها وكذلك رد الاقوال
الضعيفة من زلات العلما وبيان دلالة الكتاب والسنة علي ردها ومن ذلك بيان ما صح
من حديث النبي صلي الله عليه وسلم وما لم يصح منه بتبيين حال رواته ومن تقبل
رواياته منهم ومن لا تقبل وبيان غلط من غلط من ثقاتهم الذين تقبل رواياتهم ومن
اعظم انواع النصح ان ينصح لمن استشاره في امره كما قال صلي الله عليه وسلم اذا استنصح
احدكم اخاه فلينصح له وفي بعض الاحاديث ان من حق المسلم علي المسلم ان ينصح له اذا
غاب ومعني ذلك انه اذا ذكر في غيبته بالسو ان ينصره ويرد عنه واذا راي من يريد
اذاه في غيبته كفه عن ذلك فان النصح في الغيب يدل علي صدق النصح فانه قد يظهر
النصح له في حضوره تملقا ويغشه في غيبته وقال الحسن انك لن تبلغ حق نصيحتك
لاخيك حتي تامره بما تعجز عنه قال الحسن وقال بعض اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم

والذي نفسي بيده ان شيتم لاقسمن لكم بالله ان احب عباد الله الي الله الذين يحببون الله الي
عباده ويحببون عباد الله الي الله ويسعون في الارض بالنصيحه وقال فرقد السبخي
قرات في بعض الكتب المحب لله عز وجل امير مومر علي الامرا زمرته اول الزمر يوم
القيمه ومجلسه اقرب المجالس فيما هنالك والمحبه منتهي القربه والاجتهاد ولن يسام
المحبون من طول اجتهادهم لله عز وجل يحبونه ويحبون ذكره ويحببونه الي خلقه
يمشون بين عباده بالنصايح ويخافون عليهم من اعمالهم يوم تبدو الفضايح اوليك
اوليا الله واحباوه واهل صفوته اوليك الذين لا راحه لهم دون لقايه وقال ابن
عليه في قول بكر المزني ما فاق ابو بكر رضي الله عنه اصحاب محمد صلي الله عليه وسلم
بصوم ولا صلاه ولكن بشي كان في قلبه قال الذي كان في قلبه الحب لله عز وجل
والنصيحه في خلقه وقال الفضيل بن عياض ما ادرك من ادرك بكثره الصلاه
والصيام وانما ادرك عندنا بسخا الانفس وسلامه الصدور والنصح للامه وسيل
ابن المبارك اي الاعمال افضل قال النصح لله وقال معمر كان يقال انصح الناس لك من
خاف الله فيك وكان السلف اذا ارادوا نصيحه احد وعظوه سرا حتي قال بعضهم من
وعظ اخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحه ومن وعظه علي رووس الناس فانما وبخه
وقال الفضيل المومن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعير وقال عبد العزيز بن ابي
رواد كان من كان قبلكم اذا راي الرجل من اخيه شيا يامره في رفق فيوجر في امره
ونهيه وان احد هولا يخرق بصاحبه فيستغضب اخاه ويهتك ستره وسيل ابن عباس
عن امر السلطان بالمعروف ونهيه عن المنكر فقال ان كنت فاعلا ولا بد ففيما بينك
وبينه قال الامام احمد ليس علي المسلم نصح الذمي وعليه نصح المسلم قال النبي صلي الله عليه
وسلم والنصح لكل مسلم وان ينصح لجماعة المسلمين وعامتهم

الحديث الثامن عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال امرت ان
اقاتل الناس حتي يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلاه ويوتوا
الزكاه فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماهم واموالهم الا بحق الاسلام وحسابهم علي الله تعالي
رواه البخاري ومسلم **هذا الحديث** خرجاه في الصحيحين من روايه واقد بن محمد بن
زيد بن عبد الله بن عمر عن ابيه عن جده عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وقوله الا بحق الاسلام
هذه اللفظه تفرد بها البخاري دون مسلم وقد روي معني هذا الحديث عن النبي صلي الله عليه
وسلم من وجوه متعدده **ففي صحيح البخاري** عن انس عن النبي صلي الله عليه وسلم قال امرت
ان اقاتل المشركين حتي يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فاذا اشهدوا
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا واكلوا ذبحتنا
فقد حرمت علينا دماهم واموالهم الا بحقها **وخرج الامام احمد** من حديث معاذ بن
جبل عن النبي صلي الله عليه وسلم قال انما امرت ان اقاتل الناس حتي يقيموا الصلاه ويوتوا
الزكاه ويشهدوا ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فاذا
فعلوا ذلك فقد اعتصموا وعصموا دماهم واموالهم الا بحقها وحسابهم علي الله عز وجل و
ابن ماجه مختصرا وخرج نحوه من حديث ابي هريره ايضا ولكن المشهور من روايه ابي
هريره ليس فيه ذكر اقام الصلاه ولا ايتا الزكاه **ففي الصحيحين** عن ابي هريره ان رسول الله
صلي الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتي يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا
الله عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه علي الله عز وجل **وفي روايه لمسلم**
حتي يشهدوا ان لا اله الا الله ويومنوا بي وبما جيت به وخرجه مسلم ايضا من حديث جابر
عن النبي صلي الله عليه وسلم بلفظ حديث ابي هريره الاول وزاد في اخره ثم قرا انما انت
مذكر لست عليهم بمسيطر **وخرج ايضا** من حديث ابي مالك الاشجعي عن ابيه قال سمعت
رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول من قال لا اله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله
حرم ماله ودمه وحسابه علي الله عز وجل وقد روي عن سفين ابن عيينه انه قال
كان هذا في اول الاسلام قبل فرض الصلاه والصيام والزكاه والهجره وهذا ضعيف جدا وفي
صحته عن سفين نظر فان رواه هذه الاحاديث انما صحبوا النبي صلي الله عليه وسلم

بالمدينه وبعضهم تاخر اسلامه ثم قوله عصموا منى دماهم واموالهم يدل على انه كان عند
هذا القول مامورًا بالقتال وبقتل من ابى الاسلام وهذا كله بعد هجرته الى المدينه ومن
المعلوم بالضروره ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقبل من كل من جاه يريد الدخول فى
الاسلام الشهادتين فقط ويعصم دمه بذلك ويجعله مسلمًا وقد انكر على اسامه بن زيد
قتله لمن قال لا اله الا الله لما رفع عليه السيف واشتد نكيره عليه ولم يكن صلى الله عليه
وسلم يشترط على من جاه يريد الاسلام ان يلتزم الصلاه والزكاه بل قد روى انه قبل من
قوم الاسلام واشترطوا ان لا يزكوا ففى مسند الامام احمد عن جابر قال اشترطت ثقيف
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا صدقه عليها ولا جهاد وان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال سيصدقون ويجاهدون وفيه ايضًا عن نصر بن عاصم الليثى عن رجل منهم انه اتى
النبى صلى الله عليه وسلم فاسلم على ان لا يصلى الا صلاتين فقبل منه واخذ الامام احمد بهذه الاحاديث
وقال يصح الاسلام على الشرط الفاسد ثم يلزم بشرايع الاسلام كلها واستدل ايضًا بان
حكيم بن حزام قال بايعت النبى صلى الله عليه وسلم ان لا اخر الا قايمًا قال احمد معناه ان يسجد
من غير ركوع وخرج محمد بن نصر المروزى باسناد ضعيف جدًا عن انس قال لم يكن النبى
صلى الله عليه وسلم يقبل من اجابه الى الاسلام الا باقام الصلاه وايتاء الزكاه وكانتا فريضتين
على من اقر بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالاسلام وذلك قول الله عز وجل فان لم تفعلوا وتاب
الله عليكم فاقيموا الصلاه واتوا الزكاه وهذا لا يثبت وعلى تقدير ثبوته فالمراد منه انه
لم يكن يقر احدا دخل فى الاسلام على ترك الصلاه والزكاه وهذا حق فانه صلى الله عليه وسلم
امر معاذا لما بعثه الى اليمن ان يدعوهم اولا الى الشهادتين وقال ان هم اطاعوا لذلك
فاعلمهم بالصلاه ثم بالزكاه ومراده ان من صار مسلما بدخوله فى الاسلام امر بعد ذلك
باقام الصلاه ثم بايتا الزكاه وكان من ساله عن الاسلام يذكر له مع الشهادتين
بقيه اركان الاسلام كما قال جبريل عليه السلام لما ساله عن الاسلام وكما قال للاعرابى
الذى جا ثاير الراس يسال عن الاسلام وبهذا الذى قررناه يظهر الجمع بين الفاظ احاديث

ومن عجيب

هذا الباب ويتبين ان كلها حق فان كلمتى الشهادتين بمجردهما تعصم من اتى بهما ويصير
بذلك مسلمًا فاذا دخل فى الاسلام فان اقام الصلاه واتى الزكاه وقام بشرايع الاسلام فله ما
للمسلمين وعليه ما عليهم وان اخل بشى من هذه الاركان فان كانوا جماعه لهم منعه
قوتلوا وقد ظن بعضهم ان معنى الحديث ان الكافر يقاتل حتى ياتى بالشهادتين ويقيم الصلاه
ويوتى الزكاه وجعلوا ذلك حجه على خطاب الكفار بالفروع وفى هذا نظر وسيره النبى صلى
الله عليه وسلم فى قتال الكفار تدل على خلاف هذا وفى صحيح مسلم عن ابى هريره ان
النبى صلى الله عليه وسلم دعا عليًا يوم خيبر فاعطاه الرايه وقال امش ولا تلتفت
حتى يفتح الله عليك فسار على شيًا ثم وقف فصرخ يا رسول الله على ماذا اقاتل الناس فقال
قاتلهم على ان يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدًا رسول الله فاذا فعلوا ذلك فقد عصموا
منك دماهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله عز وجل فجعل مجرد الاجابه الى
الشهادتين عاصمه للنفوس والاموال الا بحقها ومن حقها الامتناع من الصلاه والزكاه
بعد الدخول فى الاسلام كما فهمه الصحابه ومما يدل على قتال الجماعه الممتنعين من
اقام الصلاه وايتا الزكاه من القران قوله تعالى فان تابوا واقاموا الصلاه واتوا الزكاه
فخلوا سبيلهم وقوله فان تابوا واقاموا الصلاه واتوا الزكاه فاخوانكم فى الدين وقوله وقاتلوهم حتى
لا تكون فتنه ويكون الدين لله مع قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له
الدين حنفا ويقيموا الصلاه ويوتوا الزكاه وذلك دين القيمه وثبت ان النبى صلى الله عليه
وسلم كان اذا غزا قومًا لم يغر عليهم حتى يصبح فان سمع اذانا والا اغار عليهم مع احتمال
ان يكونوا قد دخلوا فى الاسلام وكان يوصى سراياه ان سمعتم موذنًا او رايتم مسجدًا فلا
تقتلوا احدًا وقد بعث عيينه بن حصن الى قوم من بنى العنبر فاغار عليهم ولم يسمع
اذانًا ثم ادعوا انهم كانوا قد اسلموا قبل ذلك وبعث صلى الله عليه وسلم الى اهل عمان كتابا
فيه من محمد النبى الى اهل عمان سلام اما بعد فاقروا بشهاده ان لا اله الا الله وانى رسول
الله واد وا الزكاه وخطوا المساجد والا غزوتكم خرجه البزار والطبرانى وغيرهما

فهذا كله يدل علي انه كان يعتبر حال الداخلين في الاسلام فان اقاموا الصلاه وانوا الزكاه
والا لم يمتنع عن قتالهم وفي هذا وقع تناظر ابي بكر وعمر رضي الله عنهما كما في الصحيحين
عن ابي هريره قال لما توفي رسول الله صلي الله عليه وسلم واستخلف ابو بكر رضي الله عنه
بعده وكفر من كفر من العرب قال عمر لابي بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول
الله صلي الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتي يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله
الا الله فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه علي الله عز وجل فقال ابو بكر والله
لاقاتلن من فرق بين الصلاه والزكاه فان الزكاه حق المال والله لو منعوني عقالا كانوا
يودونه الي رسول الله صلي الله عليه وسلم لقاتلتهم علي منعه فقال عمر فوالله ما هو الا
ان رايت الله قد شرح صدر ابي بكر للقتال فعرفت انه الحق فابو بكر رضي الله عنه
اخذ قتالهم من قوله الا بحقه فدل علي ان قتال من اتي بالشهادتين بحقه جايز ومن حقه
ادا حق المال الواجب وعمر رضي الله عنه ظن ان مجرد الاتيان بالشهادتين يعصم الدم
في الدنيا تمسكا بعموم اول الحديث كما ظن طايفه من الناس ان من اتي بالشهادتين
امتنع من دخول النار في الاخره تمسكا بعموم الفاظ وردت وليس الامر علي ذلك ثم
ان عمر رجع الي موافقة ابي بكر رضي الله عنه وقد خرج النساي قصه تناظر ابي بكر
وعمر بزياده وهي ان ابا بكر قال لعمر انما قال رسول الله صلي الله عليه وسلم امرت ان
اقاتل الناس حتي يشهدوا ان لا اله الا الله واني رسول الله ويقيموا الصلاه ويوتوا الزكاه
وخرجه ابن خزيمه في صحيحه ولكن هذه الروايه خطا اخطا فيها عمران القطان اسنادا
ومتنا قاله ايمه الحفاظ منهم علي بن المديني وابو زرعه وابو حاتم والترمذي والنساي
ولم يكن هذا الحديث عن النبي صلي الله عليه وسلم بهذا اللفظ عند ابي بكر ولا عمر وانما
قال ابو بكر والله لاقاتلن من فرق بين الصلاه والزكاه فان الزكاه حق المال وهذا اخذه
والله اعلم من قوله في الحديث الا بحقها وفي روايه الا بحق الاسلام فجعل من حق الاسلام
اقام الصلاه وايتا الزكاه كما ان من حقه ان لا يرتكب الحدود وجعل كل ذلك مما استثني

بقوله الا بحقها وقوله لاقاتلن من فرق بين الصلاه والزكاه ان الزكاه حق المال يدل
ان من ترك الصلاه فانه يقاتل لانها حق البدن فكذلك من ترك الزكاه التي هي حق المال
وفي هذا اشاره الي ان قتال تارك الصلاه امر مجمع عليه لانه جعله اصلا مقيسا عليه
وليس هو مذكورا في الحديث الذي احتج به عمر وانما اخذ من قوله الا بحقها فكذلك
الزكاه لانها من حقها وكل ذلك من حقوق الاسلام ويستدل ايضا علي القتال علي ترك
الصلاه بما في صحيح مسلم عن ام سلمه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال يستعمل عليكم امرا فتعرفون
وتنكرون فمن انكر فقد بري ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع فقالوا يا رسول الله الا
نقاتلهم قال لا ما صلوا وحكم من ترك ساير اركان الاسلام ان يقاتلوا عليها كما يقاتلوا علي ترك
الصلاه والزكاه روي ابن شهاب عن حنظله بن علي بن الاسقع ان ابا بكر الصديق بعث خالد بن
الوليد وامره ان يقاتل الناس علي خمس فمن ترك واحده من الخمس فقاتله عليها كما يقاتل
علي الخمس شهاده ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاه وايتا الزكاه وصوم
رمضان وقال سعيد بن جبير قال عمر بن الخطاب لو ان الناس تركوا الحج لقاتلناهم عليه كما
نقاتلهم علي الصلاه والزكاه فهذا الكلام في قتال الطايفه الممتنعه عن شي من هذه الواجبات
واما قتل الواحد الممتنع عنها فاكثر العلما علي انه يقتل الممتنع من الصلاه وهو قول
مالك والشافعي واحمد وابي عبيد وغيرهم ويدل علي ذلك ما في الصحيحين عن ابي سعيد
الخدري ان خالد بن الوليد استاذن النبي صلي الله عليه وسلم في قتل رجل فقال لا لعله ان يكون
يصلي فقال خالد وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه فقال صلي الله عليه وسلم
اني لم اومر ان انقب عن قلوب الناس ولا اشق بطونهم وفي مسند الامام احمد عن عبيد
الله بن عدي بن الخيار ان رجلا من الانصار حدثه انه اتي النبي صلي الله عليه وسلم فاستاذنه
في قتل رجل من المنافقين فقال النبي صلي الله عليه وسلم اليس يشهد ان لا اله الا الله قال بلي ولا
شهاده له قال اليس يصلي قال بلي ولا صلاه له قال اولئك الذين نهاني الله عن قتلهم واما قتل
الممتنع من ادا الزكاه ففيه قولان لمن قال يقتل الممتنع من فعل الصلاه احدهما يقتل

ابن عمر هذا والثاني لا يقتل وهو ايضا وهو المشهور عن احمد ويستدل له بحديث
قول مالك والشافعي واحمد في رواية واما الصوم فقال مالك واحمد في رواية عنه
يقتل بتركه وقال الشافعي واحمد في رواية لا يقتل بذلك ويستدل له بحديث ابن عمر
وغيره مما في معناه فانه ليس في شي منها ذكر الصوم ولهذا قال احمد في رواية ابي طالب
الصوم لم يجي فيه شي قلت قد روي عن ابن عباس مرفوعا وموقوفا ان من ترك
الشهادتين او الصلاة او الصيام فهو كافر حلال الدم بخلاف الزكاة والحج وقد سبق ذكره
في شرح حديث بني الاسلام على خمس واما الحج فعن احمد في القتل بتركه روايتان وحمل
بعض اصحابنا رواية قتله على من اخره عازما على تركه بالكلية او اخره وغلب على ظنه
الموت في عامه فاما ان اخره معتقدا انه على التراخي كما يقوله كثير من العلما فلا يقتل
بذلك وقوله صلى الله عليه وسلم الا بحقها وفي رواية الا بحق الاسلام قد سبق ان
ابا بكر ادخل في هذا الحق فعل الصلاة والزكاة وان من العلما من ادخل فيه فعل الصيام
والحج ايضا ومن حقها ارتكاب ما يبيح دم المسلم من المحرمات وقد ورد تفسير حقها
بذلك خرجه الطبراني وابن جرير الطبري من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماهم
واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله عز وجل قيل وما حقها قال زنا بعد احصان وكفر
بعد ايمان وقتل نفس فيقتل بها ولعل اخره من قول انس وقد قيل ان الصواب وقف
الحديث كله عليه ويشهد لهذا ما في الصحيحين عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يحل دم امري مسلم يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله الا باحدى ثلاث الثيب
الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة وسياتي الكلام على هذا الحديث
مستوفي عند ذكره في موضعه من هذا الكتاب ان شا الله تعالى وقوله صلى الله عليه
وسلم وحسابهم على الله عز وجل يعني ان الشهادتين مع اقام الصلاة وايتا الزكاة تعصم دم
صاحبها وماله في الدنيا الا ان ياتي ما يبيح له دمه واما في الاخرة فحسابه على الله عز وجل فان

كان صادقا ادخله الله بذلك الجنة وان كان كاذبا فانه من جملة المنافقين في الدرك الاسفل
من النار وقد تقدم ان في بعض الروايات في صحيح مسلم ثم تلى فذكر انما انت مذكر
لست عليهم بمسيطر الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر ان الينا ايابهم
ثم ان علينا حسابهم والمعنى انما عليك تذكيرهم بالله ودعوتهم ولست مسلطا على ادخال
الايمان في قلوبهم قهرا ولا مكلفا بذلك ثم اخبر ان مرجع العباد كلهم اليه وحسابهم
عليه وفي مسند البزار عن عياض الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
لا اله الا الله كلمة على الله كريمة لها عند الله مكان وهي كلمة من قالها صادقا ادخله
الله بها الجنة ومن قالها كاذبا حقنت ماله ودمه ولقي الله غدا فحاسبه وقد
استدل بهذا من يرى قبول توبة الزنديق وهو المنافق اذا اظهر العود الى الاسلام
ولم ير قتله بمجرد ظهور نفاقه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعامل المنافقين ويجريهم الظاهر
على احكام المسلمين في الظاهر مع علمه بنفاق بعضهم في الباطن وهذا قول الشافعي
واحمد في رواية عنه وحكاه الخطابي عن اكثر العلما

الحديث التاسع

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما نهيتكم
عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فاتوا منه ما استطعتم فانما اهلك الذين من قبلكم كثرة مسايلهم بليهم
واختلافهم على انبيايهم رواه البخاري ومسلم هذا الحديث بهذا اللفظ خرجه
مسلم وحده من رواية الزهري عن سعيد بن المسيب وابي سلمة كلاهما عن ابي هريرة
وخرجاه من رواية ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال دعوني ما تركتكم انما اهلك من كان قبلكم سوالهم واختلافهم على انبيايهم فاذا نهيتكم
عن شي فاجتنبوه واذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم وخرجه مسلم من
طريقين اخرين عن ابي هريرة بمعناه وفي رواية له ذكر سبب هذا الحديث من رواية
محمد بن زياد عن ابي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس
قد فرض الله عليكم الحج فحجوا فقال رجل اكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال ذروني
ما تركتكم وانما هلك من كان قبلكم بسوالهم واختلافهم على انبيايهم فاذا امرتكم بشي فاتوا منه
ما استطعتم واذا نهيتكم عن شي فدعوه وخرجه الدارقطني من وجه اخر مختصرًا
وقال فيه فنزل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسوكم وقد
روي من غير وجه ان هذه الايه نزلت لما سالوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الحج وقالوا
في كل عام **وفي الصحيحين** عن انس قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل من
ابي فقال فلان فنزلت هذه الايه لا تسالوا عن اشيا **وفيهما ايضًا** عن قتاده عن
انس قال سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احفوه في المسله فغضب فصعد
المنبر فقال لا تسالوني اليوم عن شي الا بينته فقام رجل كان اذا لاحي الرجال
دعي الى غير ابيه فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابي قال ابوك حذافه ثم
انشا عمر فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا نعوذ بالله من الفتن وكان
قتاده يذكر عند هذا الحديث هذه الايه يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشيا **وفي
صحيح البخاري** عن ابن عباس قال كان قوم يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم
استهزا فيقول الرجل من ابي ويقول الرجل تضل ناقته اين ناقتي فانزل الله هذه الايه
يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشيا **وخرج ابن جرير الطبري في تفسيره** من حديث
ابي هريره قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غضبان محمارا وجهه حتى
جلس على المنبر فقام اليه رجل فقال اين انا فقال في النار فقال اخر فقال من ابي قال ابوك
حذافه فقام عمر فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وبالقران اماما انا
يا رسول الله حديثو عهد بجاهليه وشرك والله اعلم من اباونا قال فسكن غضبه
ونزلت هذه الايه يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشيا **وروي ايضًا من طريق**
العوفي عن ابن عباس في قوله يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسوكم قال
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن في الناس فقال يا قوم كتب عليكم الحج فقام رجل

فقال يا رسول الله افي كل عام فاغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبًا شديدًا فقال
والذي نفسي بيده لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم واذا لكفرتم فاتركوني
ما تركتكم فاذا امرتكم بشي فافعلوا واذا نهيتكم عن شي فانتهوا عنه فانزل الله يا ايها الذين
امنوا لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسوكم نهاهم عن ان يسالوا مثل الذي سالت
النصارى في المايده فاصبحوا بها كافرين فنهى الله عن ذلك ولكن انتظروا فاذا نزل
القران فانكم لا تسالون عن شي الا وجدتم تبيانه فدلت هذه الاحاديث على النهي عن
السوال عما لا يحتاج اليه مما يسو السايل جوابه مثل سوال السايل هل هو في النار او
في الجنه وهل ابوه من ينتسب اليه او غيره وعلى النهي عن السوال على وجه التعنت
والعبث والاستهزا كما كان يفعله كثير من المنافقين وغيرهم وقريب من ذلك سوال
الايات واقتراحها على وجه التعنت كما كان يساله المشركون واهل الكتاب وقد
قال عكرمه وغيره ان الايه نزلت في ذلك ويقرب من ذلك السوال عما اخفاه الله
عن عباده ولم يطلعهم عليه كالسوال عن وقت الساعه وعن الروح ودلت
ايضًا على نهي المسلمين عن السوال عن كثير من الحلال والحرام مما يخشى ان يكون
السوال سببًا لنزول التشديد فيه كالسوال عن الحج هل يجب كل عام ام لا **وفي الصحيح**
عن سعد ان النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان اعظم المسلمين في المسلمين جرمًا من
سال عن شي لم يحرم فحرم من اجل مسالته ولما سيل النبي صلى الله عليه وسلم عن اللعان
كره المسايل وعابها حتى ابتلى السايل قبل وقوعه بذلك في اهله وكان صلى الله عليه وسلم
ينهى عن قيل وقال وكثره السوال واضاعه المال ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يرخص
في المسايل الا للاعراب ونحوهم من الوفود القادمين عليه يتالفهم بذلك فاما المهاجرون
والانصار المقيمون بالمدينه الذين رسخ الايمان في قلوبهم فنهوا عن المسله **كما في
صحيح مسلم** عن النواس بن سمعان قال اقمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمدينه سنه ما يمنعني من الهجره الا المسله كان احدنا اذا هاجر لم يسال النبي صلى

الله عليه وسلم **وفيه ايضاً** عن انس قال نهينا ان نسال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن شي وكان يعجبنا ان يجي الرجل من اهل البادية العاقل فيساله ونحن نسمع **وفي المسند**
عن ابي امامة قال كان الله قد انزل يايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسوكم
قال فكنا قد كرهنا كثيراً من مسالته واتقينا ذلك حين انزل الله على نبيه صلى الله عليه
وسلم قال فاتينا اعرابياً فرشوناه بردا ثم قلنا له سل النبي صلى الله عليه وسلم وذكر حديثاً
وفي مسند ابي يعلى عن البرا بن عازب قال ان كان لياتي على السنة اريد ان اسال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شي فاتهيب منه وان كنا لنتمنى الاعراب **وفي مسند
البزار** عن ابن عباس قال ما رايت قوماً خيراً من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ما سالوه
الا عن اثنتي عشرة مسلة كلها في القران يسلونك عن الخمر والميسر يسلونك عن الشهر
الحرام يسلونك عن اليتامى وذكر الحديث وقد كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم احياناً
يسلونه عن حكم حوادث قبل وقوعها لكن للعمل بها عند وقوعها كما قالوا له انا لاقوا
العدو غداً وليس لنا معنا مدى افنذبح بالقصب وسالوه عن الامرا الذين اخبر
عنهم بعده وعن طاعتهم وقتالهم وساله حذيفة عن الفتن وما يصنع فيها فهذا
الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سوالهم
واختلافهم على انبيايهم هو يدل على كراهة المسايل وذمها ولكن بعض الناس يزعم ان ذلك
كان مختصاً بزمان النبي صلى الله عليه وسلم لما يخشى حينيذ من تحريم ما لم يحرم او ايجاب
ما يشق القيام به وهذا قد امن بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ولكن ليس هذا وحده
هو سبب كراهة المسايل بل له سبب اخر وهو الذي اشار اليه ابن عباس في كلامه
الذي ذكرناه بقوله ولكن انتظروا فاذا نزل القران فانكم لا تسالوا عن شي الا وجدتم
تبيانه ومعنى هذا ان جميع ما يحتاج المسلمون اليه في دينهم لا بد ان يبينه الله في كتابه
ويبلغ ذلك رسوله عنه فلا حاجة بعد هذا الى السوال فان الله تعالى اعلم بمصالح عباده
منهم فما كان فيه هدايتهم ونفعهم فان الله لا بد ان يبينه لهم ابتدا من غير سوال

كما قال يبين الله لكم ان تضلوا وحينيذ فلا حاجة الى السوال عن شي ولا سيما قبل وقوعه
والحاجة اليه وانما الحاجة المهمة الى فهم ما اخبر الله به ورسوله ثم اتباع ذلك والعمل
به وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسال عن المسايل فيحيل على القران كما ساله عمر عن الكلالة
فقال يكفيك اية الصيف واشار صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الى ان في
الاشتغال بامتثال امره واجتناب نهيه شغلاً عن المسايل فقال اذا نهيتكم
عن شي فاجتنبوه واذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم فالذي يتعين على المسلم
الاعتنا به والاهتمام ان يبحث عما جا عن الله ورسوله ثم يجتهد في فهم ذلك والوقوف
على معانيه ثم يشتغل بالتصديق بذلك ان كان من الامور العلمية وان كان من
الامور العملية بذل وسعه في الاجتهاد في فعل ما يستطيعه من الاوامر
واجتناب نهيه شغلاً عن المسايل اذا نهيتكم عن شي فاجتنبوه واذا امرتكم بامر فاتوا
منه ما استطعتم فالذي يتعين على المسلم الاعتنا به والاهتمام ان يبحث عما جا
واجتناب ما ينهى عنه وتكون همته مصروفة بالكلية الى ذلك لا الى غيره وهكذا
كان حال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم باحسان في طلب العلم النافع
من الكتاب والسنة فاما ان كانت همة السامع مصروفة عند سماع الامر والنهي
الى فرض امور قد تقع وقد لا تقع فان هذا مما يدخل في النهي ويثبط عن الجد في متابعة
الامر وقد سال رجل ابن عمر عن استلام الحجر فقال له رايت النبي صلى الله عليه
وسلم يستلمه ويقبله فقال له الرجل ارايت ان غلبت عنه ارايت ان زوحمت
قال له ابن عمر اجعل ارايت باليمن رايت النبي صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله
خرجه الترمذي ومراد ابن عمر انه لا يكن لك هم الا في الاقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم
ولا حاجة الى فرض العجز عن ذلك او تعسره قبل وقوعه فانه قد يفتر العزم على
التصميم على المتابعة ولهذا المعنى كان كثير من الصحابة والتابعين يكرهون السوال
عن الحوادث قبل وقوعها ولا يجيبون عن ذلك قال عمرو بن مرة خرج عمر على

باب ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن الاغلوطات

الناس فقال احرج عليكم ان تسالونا عما لم يكن فان لنا فيما كان شغلا وعن ابن عمر قال
لا تسالوا عما لم يكن فاني سمعت عمر لعن السايل عما لم يكن وكان زيد بن ثابت اذا سيل عن الشي
يقول كان هذا فان قالوا لا قال دعوه حتى يكون وقال مسروق سالت ابي
بن كعب عن شي فقال اكان بعد فقلت لا فقال اجمنا حتى يكون فاذا كان اجتهدنا لك
راينا وقال الشعبي سيل عمار عن مسلة فقال هل كان هذا بعد قالوا لا قال فدعونا
حتى يكون فاذا كان تجشمناه لكم وعن الصلت ابن راشد قال سالت طاوسا عن شي فانتهرني
وقال اكان هذا قلت نعم قال الله قلت الله قال ان اصحابنا اخبرونا عن معاذ ابن جبل
انه قال ايها الناس لا تعجلوا بالبلاء قبل نزوله فيذهب بكم هاهنا وهاهنا فانكم ان لم
تعجلوا بالبلاء قبل نزوله لم ينفك المسلمون ان يكون فيهم من اذا سيل سدد او قال
وفق وقد خرجه ابو داود في كتاب المراسيل مرفوعا من طريق ابن عجلان
عن طاوس عن معاذ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعجلوا بالبلية
قبل نزولها فانكم ان لم تفعلوا لم ينفك المسلمون منهم من اذا قال سدد او وفق وانكم
ان عجلتم تشتت بكم السبل هاهنا وهاهنا ومعنى ارساله ان طاوسا لم يسمع من معاذ
وخرجه ايضا من رواية يحيى بن ابي كثير عن ابي سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم
بمعناه مرسلا انه نهى عن الاغلوطات خرجه الامام احمد وفسرها الاوزاعي قال
هي شداد المسايل وقال عيسى بن يونس هي ما لا يحتاج اليه من كيف وكيف ويروى من
حديث ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سيكون اقوام من امتي يغلطون فقهاهم
بعضل المسايل اولئك شرار امتي وقال الحسن شرار عباد الله الذين يتبعون شرار
المسايل يعمون بها عباد الله وقال ابن وهب عن مالك ادركت هذه البلدة وانهم
ليكرهون هذا الاكثار الذي في الناس اليوم يريد المسايل وقال ايضا سمعت مالكا
وهو يعيب كثرة الكلام وكثرة الفتيا ثم قال يتكلم كانه جمل مغتلم يقول هو كذا هو كذا
يهدر في كلامه قال وسمعت مالكا يقول يكره الجواب في كثرة المسايل وقال قال الله

عز وجل ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي فلم ياته في ذلك جواب وكان مالك يكره المجادله
عن السنن ايضا قال الهيثم بن جميل قلت لمالك يا ابا عبد الله الرجل يكون عالما بالسنن يجادل
عنها قال لا ولكن يخبر بالسنه فان قبل منه والا سكت قال اسحق بن عيسى كان مالك يقول
المرا والجدال في العلم يذهب بنور العلم من قلب الرجل وقال ابن وهب سمعت مالكا
يقول المرا في العلم يقسي القلوب ويورث الضغن وكان ابو شريح الاسكندراني يوما في مجلسه
فكثرت المسايل فقال قد درنت قلوبكم منذ اليوم فقوموا الى ابي حميد خالد بن حميد اصقلوا
قلوبكم وتعلموا هذه الرغايب فانها تجدد العباده وتورث الزهاده وتجر الصداقه
واقلوا المسايل الا ما نزل فانها تقسي القلوب وتورث العداوه وقد انقسم الناس في هذا
الباب اقساما فمن اتباع اهل الحديث من سد باب المسايل حتى قل فقهه وعلمه بحدود
ما انزل الله على رسوله وصار حامل فقه غير فقيه ومن فقها اهل الراي من توسع في توليد
المسايل قبل وقوعها ما يقع في العادة منها وما لا يقع واشتغلوا بتكلف الجواب عن ذلك
وكثرة الخصومات فيه والجدال عليه حتى يتولد من ذلك افتراق القلوب ويستقر
فيها بسببه الاهوا والشحنا والعداوة والبغضا ويقترن ذلك كثيرا بنيه المغالبه وطلب
العلو والمباهاه وصرف وجوه الناس وهذا مما ذمه العلما الربانيون ودلت السنه
على قبحه وتحريمه واما فقها اهل الحديث العاملون به فان معظم همهم البحث عن معاني
كتاب الله عز وجل وما يفسره من السنن الصحيحة وكلام الصحابة والتابعين لهم باحسان
وعن سنة النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة صحيحها وسقيمها ثم التفقه فيها وتفهمها
والوقوف على معانيها ثم معرفة كلام الصحابة والتابعين لهم باحسان في انواع العلوم من
التفسير والحديث ومسايل الحلال والحرام واصول السنة والزهد والرقايق
وغير ذلك وهذا هو طريقة الامام احمد ومن وافقه من علما الحديث الربانيين
وفي معرفة هذا شغل شاغل عن التشاغل بما احدث من الراي مما لا ينتفع به ولا يقع
وانما يورث التجادل فيه الخصومات والجدال وكثرة القيل والقال وكان الامام

لقد رايتهم اقل الناس علما

احمد كثيرا اذا سيل عن شي من المسايل المولدات التي لا تقع يقول دعونا من هذه المسايل
المحدثة وما احسن ما قال يونس بن سليمان السقطي نظرت في الامر فاذا هو الحديث
والراي فوجدت في الحديث ذكر الرب عز وجل وربوبيته وجلاله وعظمته وذكر
العرش وصفة الجنة والنار وذكر النبيين والمرسلين والحلال والحرام والحث على صلة
الارحام وجماع الخير فيه ونظرت في الراي فاذا فيه المكر والغدر والحيل وقطيعة
الارحام وجماع الشر فيه وقال احمد بن شبويه من اراد علم القبر فعليه بالاثار ومن
اراد علم الخبز فعليه بالراي ومن سلك طريقة طلب العلم على ما ذكرناه تمكن من فهم
جواب الحوادث الواقعة غالبا لان اصولها توجد في تلك الاصول المشار اليها ولا بد ان
يكون سلوك هذا الطريق خلف ايمة اهله المجمع على هدايتهم ودرايتهم كالشافعي واحمد
واسحق وابي عبيد ومن سلك مسلكهم فان من ادعى سلوك هذا الطريق على غير طريقهم
وقع في مفاوز ومهالك واخذ بما لا يجوز الاخذ به وترك ما يجب العمل به وملاك
الامر كله ان يقصد بذلك وجه الله والتقرب اليه بمعرفة ما انزله على رسوله وسلوك
طريقه والعمل بذلك ودعا الخلق اليه ومن كان كذلك وفقه الله وسدده والهمه
رشده وعلمه ما لم يكن يعلم وكان من العلما الممدوحين في الكتاب في قوله تعالى انما يخشى الله
من عباده العلما ومن الراسخين في العلم فقد خرج بن ابي حاتم في تفسيره من حديث
ابي الدردا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل عن الراسخين في العلم فقال من برت
يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه ومن عف بطنه وفرجه فذلك من الراسخين
في العلم وقال نافع بن يزيد يقال الراسخون في العلم المتواضعون لله المتذللون لله في مرضاته
لا يتعاطون من فوقهم ولا يحقرون من دونهم ويشهد لهذا قول النبي صلى الله عليه وسلم
اتاكم اهل اليمن هم ابر قلوبا وارق افيدة الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية وهذا
اشارة منه الى ابي موسى الاشعري ومن كان على طريقه من علما اهل اليمن ثم الى مثل ابي
مسلم الخولاني واويس القرني وطاووس ووهب بن منبه وغيرهم من علما اهل اليمن وكل

هولا من العلما الربانيين الخايفين لله فكلهم علما بالله يخشونه ويخافونه وبعضهم اوسع علما
باحكام الله وشرايع دينه من بعض ولم يكن تميزهم عن الناس بكثرة قيل وقال ولا بحث
وجدال وكذلك معاذ بن جبل اعلم الناس بالحلال والحرام وهو الذي يحشر يوم القيمة
امام العلما برتوة بحجر ولم يكن علمه بتوسعة المسايل وتكثيرها بل قد سبق عنه كراهة الكلام
فيما لا يقع وانما كان عالما بالله وعالما باصول دينه وقد قيل للامام احمد من نسال بعدك
قال عبد الوهاب الوراق قيل له انه ليس له اتساع في العلم قال انه رجل صالح مثله يوفق
لاصابة الحق وسيل عن معروف الكرخي فقال كان معه اصل العلم خشية الله عز وجل
وهذا يرجع الى قول بعض اهل السلف كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا وهذا
باب واسع يطول استقصاوه ولنرجع الى شرح حديث ابي هريرة فنقول من لم يشتغل
بكثرة المسايل التي لا يوجد مثلها في كتاب ولا سنة بل اشتغل بفهم كلام الله ورسوله
وقصد بذلك امتثال الاوامر واجتناب النواهي فهو ممن امتثل امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم في هذا الحديث وعمل بمقتضاه ومن لم يكن اهتمامه بفهم ما انزل الله على
رسوله واشتغل بكثرة توليد مسايل قد تقع وقد لا تقع وتكلف اجوبتها بمجرد الراي
خشي عليه ان يكون مخالفا لهذا الحديث مرتكبا النهيه تاركا الامره واعلم ان كثرة وقوع
الحوادث التي لا اصل لها في الكتاب والسنة انما هو من ترك الاشتغال بامتثال
اوامر الله ورسوله واجتناب نواهي الله ورسوله فلو ان من اراد ان يعمل عملا سال
عما شرعه الله في ذلك فامتثله وعما نهى عنه فاجتنبه وقعت الحوادث
مقيدة بالكتاب والسنة وانما يعمل العامل بمقتضى رايه وهواه فتقع الحوادث
عامتها مخالفة لما شرعه الله وربما عسر ردها الى الاحكام المذكورة في الكتاب
والسنة لبعدها عنها وفي الجملة فمن امتثل ما امر به النبي صلى الله عليه وسلم في هذا
الحديث وانتهى عما نهي عنه وكان مشتغلا بذلك عن غيره حصل له النجاة في الدنيا
والاخرة ومن خالف ذلك واشتغل بخواطره وما يستحسنه وقع فيما حذر منه

النبي صلى الله عليه وسلم من حال اهل الكتاب الذين هلكوا بكثرة مسايلهم واختلافهم على
انبيايهم وعدم انقيادهم وطاعتهم لرسلهم وقوله صلى الله عليه وسلم اذا نهيتكم عن شي فاجتنبوه
واذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم قال بعض العلما هذا يوخذ منه ان النهي
اشد من الامر لان النهي لم يرخص في ارتكاب شي منه والامر قيد بحسب الاستطاعه
وروي هذا عن الامام احمد ويشبه هذا بعض قول بعضهم اعمال البر يعملها البر والفاجر
واما المعاصي فلا يتركها الا صديق وروي عن ابي هريره ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال له اتق المحارم تكن اعبد الناس وقالت عايشه من سره ان يسبق الدايب المجتهد
فليكف عن الذنوب وروي عنها مرفوعا وقال الحسن ما عبد العابدون بشي افضل
من ترك ما نهاهم الله عنه والظاهر ان ما ورد من تفضيل ترك المحرمات على فعل الطاعات
فانما اريد به على نوافل الطاعات والا فجنس الاعمال الواجبه افضل من جنس ترك
المحرمات لان الاعمال مقصوده لذاتها والمحارم المطلوب عدمها ولذلك لا تحتاج
الى نيه بخلاف الاعمال ولذلك كان جنس ترك الاعمال قد يكون كفرا كترك التوحيد
وكترك اركان الاسلام او بعضها على ما سبق بخلاف ارتكاب المنهيات فانه لا يقتضي
الكفر بنفسه ويشهد لهذا قول ابن عمر لرد دانق حرام افضل من ميه الف تنفق
في سبيل الله وعن بعض السلف قال من ترك دانق مما يكره الله احب الي من
خمسمايه حجه وقال ميمون بن مهران ذكر الله باللسان حسن وافضل منه
ان يذكر الله العبد عند المعصيه فيمسك عنها وقال ابن المبارك لان
اردد درهما من شبهه احب الي من ان اتصدق بميه الف وميه
الف حتى بلغ ستمايه الف وقال عمر بن عبد العزيز ليست التقوى قيام
الليل وصيام النهار والتخليط فيما بين ذلك ولكن التقوى ادا ما افترض الله وترك
ما حرم الله فان كان مع ذلك عمل فهو خير الى خير او كما قال وقال ايضا
وددت اني لا اصلي غير الصلوات الخمس سوى الوتر وان اودي الزكاه ولا اتصدق

بدرهم بعدها وان اصوم رمضان ثم لا اصوم بعده يوما ابدا وان احج حجه الاسلام ثم
لا احج بعدها ابدا ثم اعمد الى فضل قوتي فاجعله فيما حرم الله علي فامسك عنه وحاصل
كلامهم يدل على ان اجتناب المحرمات وان قلت افضل من الاكثار من نوافل الطاعات
فان ذاك فرض وهذا نفل وقالت طايفه من المتاخرين انما قال صلى الله عليه وسلم اذا
نهيتكم عن شي فاجتنبوه واذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم لان امتثال الامر لا يحصل
الا بعمل والعمل يتوقف وجوده على شروط واسباب وبعضها قد لا يستطاع فلذلك
قيده بالاستطاعه كما قيد الله الامر بالتقوى بالاستطاعه قال فاتقوا الله ما استطعتم
وقال في الحج ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا واما النهي فالمطلوب عدمه
وذاك هو الاصل والمقصود استمرار العدم الاصلي وذلك ممكن وليس فيه ما لا يستطاع
وهذا ايضا فيه نظر فان الداعي الى فعل المعاصي قد يكون قويا لا صبر معه للعبد على الامتناع
من فعل المعصيه مع القدره عليها فيحتاج الكف عنها حينيذ الى مجاهده شديده
ربما كانت اشق على النفوس من مجرد مجاهده النفس على فعل الطاعه ولهذا يوجد
كثيرا من يجتهد في الطاعات ولا يقوى على ترك المحرمات وقد سيل عمر عن قوم
يشتهون المعصيه ولا يعملون بها فقال اوليك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفره
واجر عظيم وقال يزيد بن ميسره يقول الله في بعض الكتب ايها الشاب التارك
شهوته المتبذل شبابه لاجلي انت عندي كبعض ملايكتي وقال ما اشد الشهوه في
الجسد انها مثل حريق النار وكيف ينجو منها الحصوريون والتحقيق في هذا ان الله لا
يكلف العباد من الاعمال ما لا طاقه لهم به وقد اسقط عنهم كثيرا من الاعمال بمجرد
المشقه رخصه عليهم ورحمه لهم واما المناهي فلم يعذر احدا في ارتكابها بقوه الداعي
والشهوات بل كلفهم تركها على كل حال وانما اباح ان يتناول من المطاعم المحرمه
عند الضروره ما تبقى معه الحياه لا لاجل التلذذ والشهوه ومن هنا يعلم صحه ما
قاله الامام احمد ان النهي اشد من الامر وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم

من حديث ثوبان وغيره انه قال استقيموا ولن تحصوا يعني لن تقدروا على الاستقامة
كلها وروى الحكم بن حزن الكلفي قال وفدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهدت
معه الجمعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكيا على عصى او قوس فحمد الله واثنى عليه
كلمات خفيفات طيبات مباركات ثم قال ايها الناس انكم لن تطيقوا او لن تفعلوا كلما
امرتكم ولكن سددوا وابشروا اخرجه الامام احمد وابو داود وفي قوله صلى الله عليه
وسلم اذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم دليل على ان من عجز عن فعل المامور به كله
وقدر على بعضه فانه ياتي بما امكنه منه وهذا مطرد في مسايل منها الطهارة فاذا
قدر على بعضها وعجز عن الباقي اما لعدم الماء او لمرض في بعض اعضايه دون بعض فانه
ياتي من ذلك بما قدر عليه ويتيمم للباقي وسوا في ذلك الوضوء والغسل على المشهور ومنها الصلاة
فمن عجز عن فعل الفريضة قايما صلى قاعدا فان عجز صلى مضطجعا وفي صحيح البخاري
عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال صل قايما فان لم تستطع فقاعدا
فان لم تستطع فعلى جنب ولو عجز عن ذلك اوما بطرفه وصلى بنيته ولم تسقط عنه
الصلاة على المشهور ومنها زكاة الفطر فاذا قدر على اخراج بعض صاع لزمه ذلك على الصحيح
فاما من قدر على صيام بعض النهار دون تكملته فلا يلزمه ذلك بغير خلاف لان صيام بعض
اليوم ليس بقربة في نفسه وكذا لو قدر على عتق بعض رقبة في الكفارة لم يلزمه لان تبعيض
العتق غير محبوب للشارع بل يامر بتكميله بكل طريق واما من فاته الوقوف بعرفة
في الحج فهل ياتي بما بقي منه من المبيت بالمزدلفة ورمي الجمار ام لا بل يقتصر على الطواف
والسعي ويتحلل بعمرة على روايتين عن احمد اشهرهما انه يقتصر على الطواف والسعي لان
المبيت والرمي من لواحق الوقوف بعرفة وتوابعه وانما امر الله بذكره عند المشعر
الحرام وبذكره في الايام المعدودات لمن افاض من عرفات فلا يومر به من لا يقف
بعرفة كما لا يومر به المعتمر

الحديث العاشر عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لا يقبل الا طيبا

وان الله امر المومنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا
صالحا وقال تعالى يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر
اشعث اغبر يمد يديه الى السما يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه
حرام وغذي بالحرام فانا يستجاب لذلك رواه مسلم هذا الحديث خرجه مسلم
من رواية فضيل بن مرزوق عن عدي بن ثابت عن ابي حازم عن ابي هريرة وخرجه
الترمذي وقال حسن غريب وفضيل بن مرزوق ثقة وسط خرج له مسلم دون
البخاري وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب هذا قد جا ايضا من حديث
سعد بن ابي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله طيب يحب الطيب نظيف يحب
النظافة جواد يحب الجود خرجه الترمذي وفي اسناده مقال والطيب هنا معناه
الطاهر والمعنى انه تعالى مقدس منزه عن النقايص والعيوب كلها وهذا كما في قوله
والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اوليك مبرون مما يقولون والمراد المنزهون
من ادناس الفواحش واوضارها وقوله لا يقبل الا طيبا قد ورد معناه الظاهر في حديث
الصدقة ولفظه لا يتصدق احد من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب والمراد
انه تعالى لا يقبل من الصدقات الا ما كان طيبا حلالا وقد قيل ان المراد في هذا
الحديث الذي نتكلم فيه الان بقوله لا يقبل الله الا طيبا اعم من ذلك وهو انه لا يقبل
من الاعمال الا ما كان طيبا حلالا فان الطيب توصف به الاعمال والاقوال والاعتقادات
فكل هذه تنقسم الى طيب وخبيث وقد قيل انه يدخل في قوله تعالى قل لا يستوي الخبيث
والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث هذا كله وقد قسم الله الكلام الى طيب وخبيث فقال
ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة وضرب الله مثلا كلمة خبيثة كشجرة خبيثة
وقال اليه يصعد الكلم الطيب ووصف الرسول صلى الله عليه وسلم بانه يحل الطيبات
ويحرم الخبايث وقد قيل انه يدخل في ذلك الاعمال والاقوال والاعتقادات ايضا ووصف
الله المومنين بالطيب في قوله الذين تتوفاهم الملايكة طيبين وان الملايكة تقول عند الموت

اخرجي ايتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب وان الملايكة تسلم عليهم عند
دخول الجنة ويقولون لهم طبتم وقد ورد في حديث ان المومن اذا زار اخا له في الله عز
وجل يقول له الملايكة طبت وطاب ممشاك وتبوات من الجنة منزلا فالمومن كله
طيب قلبه ولسانه وجسده بما سكن في قلبه من الايمان وظهر على لسانه من الذكر
وعلى جوارحه من الاعمال الصالحة التي هي ثمرة الايمان وداخله في اسمه فهذه الطيبات
كلها يقبلها الله عز وجل ومن اعظم ما يحصل به طيبة الاعمال للمومن طيب مطعمه وان
يكون من حلال فبذلك يزكو عمله وفي هذا الحديث اشارة الى انه لا يقبل العمل ولا يزكوا
الا باكل الحلال وان اكل الحرام يفسد العمل ويمنع قبوله فانه قال بعد تقريره ان الله
لا يقبل الا طيبا ان الله امر المومنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من
الطيبات واعملوا صالحا وقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم والمراد بهذا
ان الرسل وامهم مامورون بالاكل من الطيبات التي هي الحلال وبالعمل الصالح فما دام
الاكل حلالا فالعمل صالح مقبول فاذا كان الاكل غير حلال فكيف يكون العمل مقبولا
وما ذكره بعد ذلك من الدعا وانه كيف يتقبل مع الحرام فهو مثال لاستبعاد قبول
الاعمال مع التغذية بالحرام **وقد خرج الطبراني** باسناد فيه نظر عن ابن عباس قال
تليت هذه الاية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا
طيبا فقام سعد بن ابي وقاص فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني مستجاب الدعوة
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا سعد اطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة والذي نفس
محمد بيده ان العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه عمل اربعين يوما
وايما عبد نبت لحمه من سحت فالنار اولى به **وفي مسند الامام احمد** باسناد
فيه نظر ايضا عن ابن عمر قال من اشترى ثوبا بعشرة دراهم في ثمنه درهم حرام لم
يقبل الله له صلاة ما كان عليه ثم ادخل اصبعيه في اذنيه فقال صمتا ان لم اكن
سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويروى من حديث علي مرفوعا معناه ايضا

خرجه البزار وغيره باسناد ضعيف جدا **وخرج الطبراني** باسناد فيه
ضعف من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا خرج الرجل
حاجا بنفقة طيبة ووضع رجله في الغرز فنادى لبيك اللهم لبيك ناداه مناد من السما
لبيك وسعديك زادك حلال وراحلتك حلال وحجك مبرور غير مازور واذا
خرج الرجل بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز فنادى لبيك ناداه مناد من السما
لا لبيك ولا سعديك زادك حرام ونفقتك حرام وحجك غير مبرور ويروى من حديث
عمر نحوه باسناد ضعيف ايضا وروى ابو يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس قال
لا يقبل الله صلاة امرئ في جوفه حرام وقد اختلف العلما في حج من حج بمال حرام
ومن صلى في ثوب حرام هل يسقط عنه فرض الصلاة والحج بذلك وفيه عن الامام
احمد روايتان وهذه الاحاديث المذكورة تدل على انه لا يتقبل العمل مع مباشرة
الحرام لكن القبول قد يراد به الرضا بالعمل ومدح فاعله والثنا عليه بين الملايكة
والمباهاة به وقد يراد به حصول الثواب والاجر عليه وقد يراد به سقوط ذلك
الفرض به من الذمة فان كان المراد هاهنا القبول بالمعنى الاول او الثاني لم يمنع من سقوط
الفرض به من الذمة كما ورد انه لا تقبل صلاة الابق ولا المراة التي زوجها عليها
ساخط ولا من اتى كاهنا ولا من شرب الخمر اربعين يوما والمراد والله اعلم نفي القبول
بالمعنى الاول او الثاني وهو المراد والله اعلم من قوله عز وجل انما يتقبل الله من المتقين
ولهذا كانت هذه الاية يشتد منها خوف السلف على نفوسهم فخافوا ان لا يكونوا
من المتقين الذين يتقبل منهم **وسيل** الامام احمد عن معنى المتقين فيها فقال
تتقي الاشيا فلا يقع فيما لا يحل له **قال** ابو عبد الله النباجي الزاهد رحمه الله خمس
خصال بها تمام العمل الايمان بمعرفة الله عز وجل ومعرفة الحق واخلاص العمل لله
والعمل على السنة واكل الحلال فان فقدت واحدة لم يرتفع العمل وذلك انك اذا
عرفت الله عز وجل ولم تعرف الحق لم تنتفع واذا عرفت الحق ولم تعرف الله لم

تنتفع وان عرفت الله وعرفت الحق ولم تخلص العمل لم تنتفع وان عرفت الله وعرفت
الحق واخلصت العمل ولم يكن على السنه لم تنتفع وان تمت الاربع ولم يكن الاكل من حلال
لم تنتفع وقال وهيب بن الورد لو قمت مقام هذه السارية لم ينفعك حتى تنظر ما
يدخل بطنك حلال او حرام واما الصدقه بالمال الحرام فغير مقبوله كما في صحيح مسلم
عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقبل الله صلاه بغير طهور ولا صدقه من غلول
وفي الصحيحين عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما تصدق احد بصدقه من
كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا اخذها الرحمن بيمينه وذكر الحديث وفي
مسند الامام احمد عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يكتسب عبد مالا من
حرام فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق به فيتقبل منه ولا يتركه خلف ظهره الا كان
زاده الى النار ان الله لا يمحوا السيئ بالسيئ ولكن يمحو السيئ بالحسن ان الخبيث لا يمحو الخبيث
ويروى من حديث دراج عن ابن حجيره عن ابي هريره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
من كسب مالا حراما فتصدق به لم يكن له فيه اجر وكان اصره عليه خرجه ابن حبان في
صحيحه ورواه بعضهم موقوفا على ابي هريره ومن مراسيل القسم بن مخيمره قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصاب مالا من ماثم فوصل به رحمه او تصدق به
او انفقه في سبيل الله جمع الله ذلك جميعا ثم قذف به في نار جهنم وروي عن ابي الدردا
ويزيد بن ميسره انهما جعلا مثل من اصاب مالا من غير حله فتصدق به مثل من اخذ
مال يتيم وكسى به ارمله وسيل ابن عباس عمن كان على عمل فكان يظلم ويأخذ الحرام ثم تاب
فهو يحج ويعتق ويتصدق منه فقال ان الخبيث لا يكفر الخبيث وكذا قال ابن مسعود
ان الخبيث لا يكفر الخبيث ولكن الطيب يكفر الخبيث وقال الحسن ايها المتصدق على
المسكين يرحمه ارحم من قد ظلمت واعلم ان الصدقه بالمال الحرام تقع على وجهين احدهما
ان يتصدق به الخاين والغاصب ونحوهما عن نفسه فهذا هو المراد من هذه الاحاديث
انه لا يتقبل منه بمعنى انه لا يوجر عليه بل ياثم بتصرفه في مال غيره بغير اذنه ولا يحصل

للمالك بذلك اجر لعدم قصده ونيته كذا قاله جماعه من العلما منهم ابن عقيل من اصحابنا وفي
كتاب عبد الرزاق من روايه زيد بن الاخنس الخزاعي انه سال سعيد بن المسيب قال وجدت
لقطه افاتصدق بها قال لا تؤجر انت ولا صاحبها ولعل مراده اذا تصدق بها قبل تعريفها
الواجب ولو اخذ السلطان او بعض نوابه من بيت المال ما لا يستحقه فتصدق منه واعتق
او بنى به مسجدا او غيره مما ينتفع به الناس فالمنقول عن ابن عمر انه كالغاصب اذا تصدق
بما غصبه كذلك قال لعبد الله بن عامر امير البصره وكان الناس قد اجتمعوا عنده وهم
يثنون عليه ببره واحسانه وابن عمر ساكت فطلب منه ان يتكلم فروى له حديث لا
يقبل الله صدقه من غلول ثم قال له وكنت على البصره وقال اسد بن موسى في كتاب
الورع ثنا الفضيل ابن عياض عن منصور عن تميم بن سلمه قال قال ابن عامر لعبد الله بن عمر ارايت هذه العقاب التي نسهلها والعيون التي نفجرها النا فيها اجر فقال ابن عمر
اما علمت ان خبيثا لا يكفر خبيثا قط ثنا عبد الرحمن بن زياد عن ابي المليح عن ميمون بن
مهران قال قال ابن عمر لابن عامر وقد ساله عن العتق مثلك مثل رجل سرق ابل حاج ثم
جاهد بها في سبيل الله فانظر هل يقبل منه وقد كان طايفه من اهل التشديد في الورع كطاوس
ووهيب بن الورد يتوقون الانتفاع بما احدثه مثل هولا الملوك واما الامام احمد
فانه رخص فيما فعلوه من المنافع العامه كالمساجد والقناطر والمصانع فان هذه ينفق
عليها من مال الفي اللهم الا ان يتيقن انهم فعلوا شيا من ذلك بمال حرام كالمكوس والغصوب
ونحوها فحينئذ يتوقى الانتفاع بما عمل بالمال الحرام ولعل ابن عمر انما انكر عليهم اخذهم
لاموال بيت المال لانفسهم ودعواهم ان ما فعلوه منها بعد ذلك فهو صدقه منهم فان
هذا شبيه بالغصوب وعلى مثل هذا يحمل انكار من انكر من العلما على الملوك بنيان
المساجد قال ابو الفرج ابن الجوزي رايت بعض المتقدمين سيل عمن كسب
حلالا وحراما من السلاطين والامرا ثم بنى الاربطه والمساجد هل له ثواب فافتى بما يوجب
طيب قلب المنفق وان له في انفاق ما لا يملكه نوع ستره لانه لا يعرف اعيان المغصوبين
فيرد عليهم قال فقلت واعجبا من متصدرين للفتوى لا يعرفون اصول الشريعه ينبغي ان ينظر في

حال هذا المنفق والا فان كان سلطانا فما يخرج من بيت المال قد عرفت وجوه مصارفه
فكيف يمنع مستحقيه ويشغله بما لا يفيد من بنا مدرسه او رباط وان كان من الامرا
ونواب السلاطين فيجب ان يرد ما يجب رده على من اخذه منه الى بيت المال وان كان
حراما او غصبا فكل تصرف فيه حرام والواجب رده على من اخذ منه او ورثته فان لم
يعرف رد الى بيت المال يصرف في المصالح او في الصدقه ولم يحظ اخذه بغير الاثم
انتهى وانما كلامه في السلاطين الذين عهدهم في وقته الذين يمنعون المستحقين
من الفي حقوقهم ويتصرفون فيه لانفسهم تصرف الملاك بينا ما ينتسبون اليهم
من مدارس واربطه ونحوها مما قد لا يحتاج اليه ويخص به قوم دون قوم فاما
لو فرض امام عادل يعطي الناس حقوقهم من الفي ثم يبني لهم منه ما يحتاجون اليه
من مسجد او مدرسه او مارستان ونحو ذلك كان ذلك جايزا ولو كان بعض من ياخذ
المال لنفسه من بيت المال يبني بما اخذه بنا محتاجا اليه في حال يجوز البنا فيه من
بيت المال لكنه نسبه الى نفسه فقد يتخرج على الخلاف في الغاصب اذا رد
المال الى المغصوب منه على وجه الصدقه والهبه هل يبرا بذلك ام لا وهذا كله اذا
بني على قدر الحاجه من غير سرف ولا زخرفه وقد امر عمر بن عبد العزيز بترميم
مسجد البصره من مال بيت المال ونهاهم ان يتجاوزوا ما تصدع منه وقال اني
لم اجد للبنيان في مال الله حقا وروي عنه انه قال لا حاجه للمسلمين فيما اضر بيت
مالهم واعلم ان من العلما من جعل تصرف الغاصب ونحوه في مال غيره موقوفا على اجازه
مالكه فان اجاز تصرفه فيه جاز وقد حكى بعض اصحابنا روايه عن احمد ان من
اخرج زكاته من مال مغصوب ثم اجازه له المالك جاز وسقطت عنه الزكاه وكذلك خرج
ابن ابي موسى روايه عن احمد انه اذا اعتق عبد غيره عن نفسه ملتزما ضمانه في ماله
ثم اجازه المالك جاز ونفذ عتقه وهو خلاف نص احمد وحكي عن الحنفيه انه لو غصب
شاة وذبحها لمتعته وقرانه ثم اجازها المالك اجزات عنه الوجه الثاني من تصرفات

الغاصب في المال المغصوب ان يتصدق به عن صاحبه اذا عجز عن رده اليه والى
ورثته فهذا جايز عند اكثر العلما منهم مالك وابو حنيفه واحمد وغيرهم قال ابن عبد
البر ذهب الزهري ومالك والثوري والاوزاعي والليث الى ان الغال اذا تفرق اهل
العسكر ولم يصل اليهم انه يدفع الى الامام خمسه ويتصدق بالباقي روي ذلك
عن عباده بن الصامت ومعويه والحسن البصري وهو يشبه مذهب ابن مسعود
وابن عباس لانهما كانا يريان ان يتصدق بالمال الذي لا يعرف صاحبه قال
وقد اجمعوا في اللقطه على جواز الصدقه بها بعد التعريف وانقطاع صاحبها
وجعلوه اذا جا مخيرا بين الاجر والضمان وكذلك الغصوب انتهى وروي عن مالك
بن دينار قال سالت عطا بن ابي رباح عمن عنده مال حرام ولا يعرف اربابه ويريد
الخروج منه قال يتصدق به ولا اقول ان ذلك يجزي عنه قال مالك كان هذا
القول من عطا احب الي من وزنه ذهبا وقال سفين فيمن اشترى من قوم
شيا مغصوبا يرده اليهم فان لم يقدر عليهم تصدق به كله ولا ياخذ راس ماله
وكذا قال فيمن باع شيا ممن يكره معاملته لشبهه ماله قال يتصدق بالثمن
وخالفه ابن المبارك وقال يتصدق بالربح خاصه وقال احمد يتصدق بالربح
وكذا قال فيمن ورث مالا من ابيه وكان ابوه يبيع ممن يكره معاملته انه
يتصدق منه بمقدار الربح وياخذ الباقي وقد روي عن طايفه من الصحابه نحو ذلك
منهم عمر بن الخطاب وعبد الله بن يزيد الانصاري والمشهور عن الشافعي في الاموال
الحرام انها تحفظ ولا يتصدق بها حتى يظهر مستحقها وكان الفضيل بن عياض
يرى ان من عنده مال حرام لا يعرف اربابه انه يتلفه ويلقيه في البحر ولا يتصدق
به وقال لا يتقرب الى الله الا بالطيب والصحيح الصدقه به لان اتلاف المال واضاعته
منهي عنه وارصاده ابدا تعريض له للاتلاف واستيلا الظلمه عليه والصدقه به ليست
عن مكتسبه حتى يكون تقربا منه بالخبيث وانما هي صدقه عن مالكه ليكون نفعه

له في الدنيا الاخره حيث تعذر عليه الانتفاع به في الدنيا **وقوله صلى الله عليه وسلم** ثم ذكر
الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه الى السما يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه
حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك هذا الكلام اشار فيه صلى الله عليه وسلم
الى اداب الدعا والى الاسباب التي تقتضي اجابته والى ما يمنع من اجابته فذكر من الاسباب
التي تقتضي اجابة الدعا اربعه **احدها** اطالة السفر والسفر بمجرده يقتضي اجابة الدعا
كما في حديث ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن دعوه
المظلوم ودعوه المسافر ودعوه الوالد لولده خرجه ابو داود وابن ماجه والترمذي
وعنده دعوه الوالد على ولده وروي مثله عن ابن مسعود من قوله ومتى طال السفر
كان اقرب الى اجابة الدعا لانه مظنه حصول انكسار النفس بطول الغربه عن
الاوطان وتحمل المشاق والانكسار من اعظم اسباب اجابة الدعا والثاني حصول
التبذل في اللباس والهيه بالشعث والاغبرار وهو ايضا من المقتضيات لاجابه
الدعا كما في الحديث المشهور عن النبي صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين مدفوع
بالابواب لو اقسم على الله لابره ولما خرج النبي صلى الله عليه وسلم للاستسقا خرج متبذلا متواضعا
متضرعا وكان مطرف ابن عبد الله قد حبس له ابن اخ فلبس خلقان ثيابه **واخذ** عكازا
بيده فقيل ما هذا قال استكين لربي لعله يشفعني في ابن اخي **الثالث** مد يديه الى ٦٠
السما وهو من اداب الدعا التي يرجى بسببها اجابته وفي حديث سلمان عن النبي صلى الله
عليه وسلم ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع الرجل اليه يديه ان يردهما صفرا خائبتين
خرجه الامام احمد وابو داود والترمذي وابن ماجه وروي نحوه من حديث انس وجابر
وغيرهما وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرفع يديه في الاستسقا حتى يرى بياض ابطيه ورفع
يديه يوم بدر يستنصر على المشركين حتى سقط رداوه عن منكبيه وقد روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم في صفه رفع يديه في الدعا انواع متعدده فمنها انه كان يشير
باصبعه السبابه فقط وروي عنه انه كان يفعل ذلك على المنبر وفعله لما ركب راحلته

وذهب جماعه من العلما الى ان دعا القنوت في الصلاه يشير فيه باصبعه منهم الاوزاعي
وسعيد بن عبد العزيز واسحق بن راهويه وقال ابن عباس وغيره هذا هو الاخلاص
في الدعا وعن ابن سيرين اذا اثنيت على الله فاشر باصبع واحده ومنها انه رفع يديه وجعل
ظهورهما الى جهه القبله وهو مستقبلها وجعل بطونهما مما يلي وجهه وقد رويت
هذه الصفه عن النبي صلى الله عليه وسلم في دعا الاستسقا واستحب بعضهم الرفع في الاستسقا
على هذه الصفه منهم الجوزجاني وقال بعض السلف الرفع على هذا الوجه تضرع
ومنها عكس ذلك وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في الاستسقا ايضا وروي عن
جماعه من السلف انهم كانوا يدعون كذلك وقال بعضهم الرفع على هذا الوجه استجاره
بالله عز وجل واستعاذه به منهم ابن عمر وابن عباس وابو هريره وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه كان اذا استعاذ رفع يديه على هذا الوجه ومنها رفع يديه وجعل كفيه
الى السما وظهورهما الى الارض وقد ورد الامر بذلك في سوال الله عز وجل في غير حديث
وعن ابن عمر وابي هريره وابن سيرين ان هذا الدعا والسوال لله عز وجل ومنها عكس هو
ذلك وهو قلب كفيه وجعل ظهورهما الى السما وبطونهما مما يلي الارض **وفي صحيح مسلم**
عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم استسقى فاشار بظهر كفيه الى السما وخرجه الامام
احمد ولفظه فبسط يديه وجعل ظاهرهما مما يلي السما وخرجه ابو داود ولفظه
استسقى هكذا يعني مد يديه وجعل بطونهما مما يلي الارض **وخرج الامام احمد** من حديث
ابي سعيد الخدري قال كان النبي صلى الله عليه وسلم واقفا بعرفه يدعو هكذا ورفع يديه حيال
ثندويه وجعل بطون كفيه مما يلي الارض وهكذا وصف حماد بن سلمه رفع النبي صلى الله
عليه وسلم يديه بعرفه وروي عن ابن سيرين ان هذا هو الاستجاره وقال الحميدي هذا هو
الابتهال **والرابع** الالحاح على الله بتكرير ذكر ربوبيته وهو من اعظم ما يطلب به اجابة
الدعا **وخرج البزار** من حديث عايشه مرفوعا اذا قال العبد يارب اربعا قال الله
لبيك عبدي سل تعطه **وخرج الطبراني** وغيره من حديث سعد بن ابي خارجه ان قوما

شكوا الى النبي صلى الله عليه وسلم قحوط المطر فقال اجثوا على الركب وقولوا يا رب يا رب ورفع
السبابه الى السما فسقوا حتى احبوا ان يكشف عنهم **وفي المسند** وغيره عن الفضل
بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلاه مثنى مثنى وتشهد في كل ركعتين وتضرع وتخشع
وتمسكن وتقنع يديك يقول ترفعهما الى ربك مستقبلا بهما وجهك وتقول يا رب يا رب
فمن لم يفعل ذلك فهي خداج وقال يزيد الرقاشي عن انس ما من عبد يقول يا رب يا رب
يا رب الا قال له ربه لبيك لبيك وروي عن ابي الدردا وابن عباس انهما كانا يقولان
اسم الله الاكبر رب رب وعن عطا قال ما قال عبد يا رب يا رب ثلاث مرات الا نظر الله
اليه فذكر ذلك للحسن فقال اما تقرؤون القران ثم تلا قوله تعالى الذين يذكرون الله قياما
وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا
سبحانك فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين من انصار ربنا
اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان امنوا بربكم فامنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سياتنا وتوفنا
مع الابرار ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيمه انك لا تخلف الميعاد فاستجاب
لهم ربهم ومن تامل الادعيه المذكوره في القران وجدها غالبا تفتتح باسم الرب كقوله تعالى
ربنا اتنا في الدنيا حسنه وفي الاخره حسنه ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا ربنا ولا تحمل
علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقه لنا به وقوله ربنا لا تزغ قلوبنا
بعد اذ هديتنا ومثل هذا كثير في القران وسيل مالك وسفين عمن يقول في الدعا يا
سيدي فقالا يقول يا رب زاد مالك كما قالت الانبيا في دعايهم واما ما يمنع اجابه الدعا
فقد اشار صلى الله عليه وسلم الى انه التوسع في الحرام اكلا وشربا ولبسا وتغذيه وقد سبق
حديث ابن عباس في هذا المعنى ايضا وان النبي صلى الله عليه وسلم قال لسعد اطب مطعمك تكن
مستجاب الدعوه فاكل الحلال وشربه ولبسه والتغذي به سبب موجب لاجابه الدعا وروي
عكرمه بن عمار ثنا الاصفر قال قيل لسعد ابن ابي وقاص تستجاب دعوتك من بين اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ما رفعت الى فيّ لقمه الا وانا عالم من اين مجيها ومن اين خرجت وعن

وهب بن منبه قال من سره ان يستجيب الله دعوته فليطيب طعمته وعن سهل بن
عبد الله قال من اكل الحلال اربعين صباحا اجيبت دعوته وعن يوسف بن اسباط قال
بلغنا ان دعا العبد يحبس عن السموات بسوء المطعم **وقوله صلى الله عليه وسلم** فانى
يستجاب لذلك معناه كيف يستجاب له فهو استفهام وقع على وجه التعجب والاستبعاد
وليس صريحا في استحاله الاجابه ومنعها بالكليه فيوخذ من هذا ان التوسع في الحرام
والتغذي به من جمله موانع الاجابه وقد يوجد ما يمنع هذا المانع من منعه وقد يكون
ارتكاب المحرمات الفعليه مانعا من الاجابه ايضا وكذلك ترك الواجبات كما في الحديث
ان ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يمنع استجابه دعا الاخيار وفعل الطاعات
يكون موجبا لاستجابه الدعا ولهذا لما توسل الذين دخلوا الغار وانطبقت عليهم
الصخره باعمالهم الصالحه التي اخلصوا فيها لله ودعوا الله بها اجيبت دعوتهم وقال
وهب بن منبه مثل الذي يدعو بغير عمل كمثل الذي يرمي بغير وتر وعنه قال
العمل الصالح يبلغ الدعا ثم تلا قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وعن
عمر رضي الله عنه قال بالورع عما حرم الله يقبل الله الدعا والتسبيح وعن ابي ذر قال
يكفي مع البر من الدعا مثل ما يكفي الطعام من الملح وقال محمد بن واسع يكفي من الدعا مع الورع
اليسير وقيل لسفين لو دعوت الله قال ان ترك الذنوب هو الدعا وقال
ليث راى موسى عليه السلام رجلا رافعا يديه وهو يسال الله مجتهدا فقال موسى اي رب
عبدك دعاك حتى رحمته وانت ارحم الراحمين فما صنعت في حاجته قال يا موسى
لو رفع يديه حتى ينقطع ما نظرت في حاجته حتى ينظر في حقي **وخرج الطبراني**
باسناد ضعيف عن ابن عباس مرفوعا معناه وقال مالك بن دينار اصاب بني اسرايل بلا فخرجوا
مخرجا فاوحى الله تعالى الى نبيهم ان اخبرهم انكم تخرجون الى الصعيد بابدان نجسه وترفعون
الي اكفا قد سفكتم بها الدما وملاتم بها بيوتكم من الحرام الان اشتد غضبي عليكم ولن تزدادوا
مني الا بعدا وقال بعض السلف لا تستبطي الاجابه وقد سددت طرقها بالمعاصي

واخذ هذا المعنى بعض الشعرا فقال

لنحن ندعوا الاله في كل كرب ثم ننساه عند كشف الكروب

كيف نرجو اجابه لدعا قد سددنا طريقها بالذنوب

الحديث الحادي عشر عن الحسن سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم

وريحانته رضي الله عنه قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك
رواه النسايي والترمذي وقال حسن صحيح هذا الحديث خرجه الامام احمد
والترمذي والنسايي وابن حبان في صحيحه والحاكم من حديث بريد بن ابي مريم عن ابي
الحورا عن الحسن بن علي وصححه الترمذي وابو الحورا السعدي قال الاكثرون
اسمه ربيعه بن شيبان ووثقه النسايي وابن حبان وتوقف احمد في ان ابا الحورا اسمه
ربيعه بن شيبان ومال الى التفرقه بينهما وقال الجوزجاني ابو الحورا مجهول لا يعرف
وهذا الحديث قطعه من حديث طويل فيه ذكر قنوت الوتر وعند الترمذي
وغيره زياده في هذا الحديث وهي فان الصدق طمانينه وان الكذب ريبه ولفظ ابن حبان
فان الخير طمانينه وان الشر ريبه وقد خرجه الامام احمد باسناد فيه جهاله عن انس
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دع ما يريبك الى ما لا يريبك وخرجه من وجه اخر اجود
منه موقوفا على انس وخرجه الطبراني من روايه مالك عن نافع عن ابن عمر مرفوعا
قال الدارقطني وانما يروى من قول ابن عمر وعن عمر ويروى عن مالك من قوله انتهى ويروى
باسناد ضعيف عن عثمان بن عطا الخراساني وهو ضعيف عن ابيه عن الحسن عن ابي هريره
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل دع ما يريبك الى ما لا يريبك قال وكيف لي بالعلم
بذلك قال اذا اردت امرا فضع يدك على صدرك فان القلب يضطرب للحرام ويسكن
للحلال وان المسلم الورع يدع الصغيره مخافه الكبيره وقد روي عن عطا الخراساني مرسلا
وخرج الطبراني نحوه باسناد ضعيف عن واثله بن الاسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم وزاد فيه
قيل له فمن الورع قال الذي يقف عند الشبهه وقد روي هذا الكلام موقوفا على جماعه

من الصحابه منهم عمر وابن عمر وابو الدردا وعن ابن مسعود قال ما تريد الى ما يريبك
وحولك اربعه الاف لا تريبك وقال عمر دعوا الربا والريبه يعني ما ارتبتم فيه وان
لم تتحققوا انه ربا ومعنى هذا الحديث يرجع الى الوقوف عند الشبهات واتقايها
فان الحلال المحض لا يحصل للمومن في قلبه منه ريب والريب بمعنى القلق والاضطراب
بل تسكن اليه النفس ويطمين به القلب واما المشتبهات فيحصل بها للقلوب
القلق والاضطراب الموجب للشك وقال ابو عبد الرحمن العمري الزاهد اذا كان العبد
ورعا ترك ما يريبه الى ما لا يريبه وقال الفضيل يزعم الناس ان الورع شديد وما ورد علي
امران الا اخذت باشدهما فدع ما يريبك الى ما لا يريبك وقال حسان بن ابي سنان ما شي
اهون من الورع اذا رابك شي فدعه وهذا انما يسهل على مثل حسان رحمه الله قال
ابن المبارك كتب غلام لحسان بن ابي سنان اليه من الاهواز ان قصب السكر اصابته افه
فاشتر السكر فيما قبلك فاشتراه من رجل فلم يات عليه الا قليل فاذا فيما اشترى
ربح ثلثين الفا قال فاتى صاحب السكر فقال يا هذا ان غلامي كان كتب الي فلم اعلمك
فاقلني فيما اشتريت منك فقال له الاخر قد اعلمتني الان وقد طيبته لك قال
فرجع فلم يحتمل قلبه فاتاه فقال يا هذا اني لم ات هذا الامر من قبل وجهه فاحب ان
تسترد هذا البيع قال فما زال به حتى رد عليه وكان يونس بن عبيد اذا طلب
المتاع ونفق وارسل يشتريه يقول لمن يشتري له اعلم من تشتري منه ان المتاع قد طلب
وقال هشام بن حسان ترك محمد بن سيرين اربعين الفا فيما لا ترون به اليوم باسا وكان
الحجاج بن دينار قد بعث طعاما الى البصره مع رجل وامره ان يبيعه يوم يدخل بسعر يومه
فاتاه كتابه اني قدمت البصره فوجدت الطعام منقصا فحبسته فزاد الطعام فازددت
فيه كذا وكذا فكتب اليه الحجاج انك قد خنتنا وعملت بخلاف ما امرناك به فاذا اتاك
كتابي فتصدق بجميع ثمن ذلك الطعام على فقرا البصره فليتني اسلم اذا فعلت ذلك وتنزه
يزيد بن زريع عن خمسمايه الف من ميراث ابيه فلم ياخذه وكان ابوه يلي الاعمال

للسلاطين وكان يزيد يعمل الخوص ويتقوت منه الي ان مات وكان المسور بن مخرمه
قد احتكر طعاما كثيرا فراي سحابا في الخريف فكرهه فقال الا اراني قد كرهت ما ينفع
المسلمين فالا ان لا اربح فيه شيا فاخبر بذلك عمر بن الخطاب فقال له عمر جزاك الله
خيرا وفي هذا ان المحتكر ينبغي له التنزه عن ربح ما احتكره احتكارا منهيا عنه وقد نص
الامام احمد علي التنزه عن ربح ما لم يدخل في ضمانه لدخوله في ربح ما لم يضمن وقد
نهي عنه النبي صلي الله عليه وسلم فقال احمد في روايه عنه فيمن اجر ما استاجره بربح انه
يتصدق بالربح وقال في روايه عنه في ربح مال المضاربه اذا خالف فيه المضارب انه
يتصدق به وقال في روايه عنه فيما اذا اشتري ثمره قبل صلاحها بشرط القطع ثم تركها
حتي بدا صلاحها انه يتصدق بالزياده وحمله طايفه من اصحابنا علي الاستحباب لان
الصدقه بالشبهات مستحب وروي عن عايشه رضي الله عنها انها سيلت عن اكل الصيد
للمحرم فقالت انما هي ايام قلايل فما رابك فدعه يعني ما اشتبه عليك هل هو حلال او حرام
فاتركه فان الناس اختلفوا في اباحه اكل الصيد للمحرم اذا لم يصده هو وقد يستدل بهذا
علي ان الخروج من اختلاف العلما افضل لانه ابعد عن الشبهه ولكن المحققون من العلما
من اصحابنا وغيرهم علي ان هذا ليس هو علي اطلاقه فان من مسايل الاختلاف ما ثبت فيه
عن النبي صلي الله عليه وسلم رخصه ليس لها معارض فاتباع تلك الرخصه اولي من اجتنابها
وان لم تكن تلك الرخصه بلغت بعض العلما فامتنع منها لذلك وهذا كمن تيقن الطهاره
وشك في الحدث فانه صح عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال لا ينصرف حتي يسمع صوتا او
يجد ريحا لا سيما ان كان شكه في الصلاه فانه لا يجوز له قطعها لصحه النهي عنه وان كان
بعض العلما يوجب ذلك وان كان للرخصه معارض اما من سنه اخري او من عمل الامه
بخلافها فالاولي ترك العمل بها وكذا لو كان قد عمل بها شذوذ من الناس واشتهر في الامه
العمل بخلافها في امصار المسلمين من عهد الصحابه فان الاخذ بما عليه عمل المسلمين
هو المتعين فان هذه الامه قد اجارها الله ان يظهر اهل باطلها علي اهل حقها فما ظهر

العمل به في القرون الثلثه المفضله فهو الحق وما عداه فهو باطل وها هنا امر ينبغي
التفطن له وهو ان التدقيق في التوقف عن الشبهات انما يصلح لمن استقامت احواله
كلها وتشابهت اعماله في التقوي والورع فاما من يقع في انتهاك المحرمات الظاهره ثم يريد ان
يتورع عن شي من دقايق الشبه فانه لا يحتمل له ذلك بل ينكر عليه كما قال ابن عمر لمن
ساله عن دم البعوض من اهل العراق يسلوني عن دم البعوض وقد قتلوا الحسين وسمعت
النبي صلي الله عليه وسلم يقول هما ريحانتاي من الدنيا وسال رجل بشر بن الحرث عن
رجل له زوجه وامه تامره بطلاقها فقال ان كان بر امه في كل شي ولم يبق من برها
الا طلاق زوجته فليفعل وان كان يبرها بطلاق زوجته ثم يقوم بعد ذلك الي امه
فيضربها فلا يفعل وسيل الامام احمد عن رجل يشتري بقلا ويشترط الخوصه يعني
التي يربط بها جرزه البقل فقال احمد ايش هذه المسايل قيل له ان ابراهيم بن ابي نعيم فقال
احمد ان كان ابراهيم ابن ابي نعيم فنعم هذا يشبه ذاك وانما انكر هذه المسايل ممن لا يشبه
حاله وامااهل التدقيق في الورع فانه امر من يشتري له سمنا فجا به علي ورقه فامر برد
الورقه الي البايع وكان احمد لا يستمد من محابر اصحابه وانما يخرج معه محبره يستمد منها
واستاذنه رجل ان يكتب من محبرته فقال له اكتب فهذا ورع مظلم واستاذنه اخر في ذلك
فتبسم وقال لم يبلغ ورعي ولا ورعك هذا وهذا قاله علي وجه التواضع والا فهو كان
في نفسه يستعمل هذا الورع وكان ينكره علي من لم يصل الي هذا المقام بل يتسامح في
المكروهات الظاهره ويقدم علي الشبهات من غير توقف وقوله صلي الله عليه وسلم
فان الخير طمانينه وان الشر ريبه يعني ان الخير تطمين به القلوب والشر ترتاب به
ولا تطمين اليه وفي هذا اشاره الي الرجوع الي القلوب عند الاشتباه وسياتي مزيد لهذا
في الكلام علي حديث النواس بن سمعان ان شا الله تعالي وخرج بن جرير باسناده عن قتاده
عن بشير بن كعب انه قرا هذه الايه فامشوا في مناكبها ثم قال لجاريته ان دريت ما
مناكبها فانت حره لوجه الله قالت مناكبها جبالها فكانما سفع في وجهه ورغب في

يشبه حاله هذا وقد كان احمد
نفسه يستعمل في نفسه هذا الورع

جاريته فسالهم فمنهم من امره ومنهم من نهاه فسال ابا الدردا فقال الخير طمانينه
والشر ريبه فذر ما يريبك الي ما لا يريبك وقوله في الروايه الاخري ان الصدق طمانينه
وان الكذب ريبه يشير الي انه لا ينبغي الاعتماد علي قول كل قايل كما قال في حديث وابصه
وان افتاك الناس وافتوك وانما يعتمد علي قول كل قليل من يقول الصدق وعلامه الصدق
انه تطمين به القلوب وعلامه الكذب انه تحصل به الريبه فلا تسكن القلوب اليه
بل تنفر منه ومن هنا كان العقلا في عهد النبي صلي الله عليه وسلم اذا سمعوا كلامه وما يدعوا
اليه عرفوا انه صادق وانه جا بالحق واذا سمعوا كلام مسيلمه عرفوا انه كاذب
وانه جا بالباطل وقد روي ان عمرو بن العاصي سمعه قبل اسلامه يدعي انه انزل
عليه يا وبر يا وبر لك اذنان وصدر وانك لتعلم يا عمرو فقال والله اني لاعلم انك تكذب
وقال بعض المتقدمين صور ما شيت في قلبك وتفكر فيه ثم قسه الي ضده فانك
اذا ميزت بينهما عرفت الحق من الباطل والصدق من الكذب قال كانك تصور
محمدا صلي الله عليه وسلم ثم تتفكر فيما اتي به من القران فتقرا ان في خلق السماوات والارض
واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس الايه ثم تتصور ضد
محمد صلي الله عليه وسلم فتجده مسيلمه فتتفكر فيما جابه فتقرا الا ايها المخدع
قد هيي لك المضجع يعني قوله لسجاح حين تزوج بها قال فتري هذا يعني القران رصينا
عجيبا يلوط بالقلب ويحسن في السمع وتري ذا يعني قول مسيلمه باردا غثا فاحشا
فتعلم ان محمدا صلي الله عليه وسلم حق اتي بوحي وان مسيلمه كذاب اتي بباطل

الحديث الثاني عشر عن ابي هريره رضي الله عنه عن النبي صلي الله

عليه وسلم قال من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه حديث حسن رواه الترمذي وغيره

هذا الحديث خرجه الترمذي وابن ماجه من روايه الاوزاعي عن قره ابن عبد
الرحمن عن الزهري عن ابي سلمه عن ابي هريره وقال الترمذي غريب وقد حسنه
الشيخ المصنف رحمه الله لان رجال اسناده ثقات وقره بن عبد الرحمن بن حيويل

وثقه قوم وضعفه اخرون وقال ابن عبد البر هذا الحديث محفوظ عن الزهري
بهذا الاسناد من روايه الثقات وهذا موافق لتحسين الشيخ له واما اكثر الايمه فقالوا
ليس هو بمحفوظ بهذا الاسناد وانما هو محفوظ عن الزهري عن علي بن حسين عن النبي صلي
الله عليه وسلم مرسلا كذلك رواه الثقات عن الزهري منهم مالك في الموطا ويونس ومعمر
وابرهيم بن سعد الا انه قال من ايمان المرء تركه ما لا يعنيه وممن قال انه لا يصح الا عن علي
بن حسين مرسلا الامام احمد ويحيي بن معين والبخاري والدارقطني وقد خلط الضعفا
في اسناده علي الزهري تخليطا فاحشا والصحيح فيه المرسل ورواه عبد الله بن عمر العمري
عن الزهري عن علي بن حسين عن ابيه عن النبي صلي الله عليه وسلم فوصله وجعله من مسند
الحسين بن علي وخرجه الامام احمد في مسنده من هذا الوجه والعمري ليس بالحافظ
وخرجه ايضا من وجه اخر عن الحسين عن النبي صلي الله عليه وسلم وضعفه البخاري في
تاريخه من هذا الوجه ايضا وقال لا يصح الا عن علي بن حسين مرسلا وقد روي عن
النبي صلي الله عليه وسلم من وجوه اخر وكلها ضعيفه وهذا الحديث اصل عظيم من
اصول الادب وقد حكي الامام ابو عمرو بن الصلاح عن ابي محمد ابن ابي زيد امام
المالكيه في زمانه انه قال جماع اداب الخير وازمته تتفرع من اربعه احاديث قول
النبي صلي الله عليه وسلم من كان يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت وقوله
صلي الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وقوله للذي اختصر له في الوصيه لا
تغضب وقوله المومن يحب لاخيه ما يحب لنفسه ومعني هذا الحديث ان من
حسن اسلامه ترك ما لا يعنيه من قول وفعل واقتصر علي ما يعنيه من الاقوال
والافعال ومعني يعنيه انه يتعلق عنايته به ويكون من مقصده ومطلوبه والعناية
شده الاهتمام بالشي يقال عناه يعنيه اذا اهتم به وطلبه وليس المراد انه يترك
ما لا عنايه له ولا اراده بحكم الهوي وطلب النفس بل بحكم الشرع والاسلام ولهذا جعله
من حسن الاسلام فاذا حسن اسلام المرء ترك ما لا يعنيه في الاسلام من الاقوال والافعال

فان الاسلام يقتضي فعل الواجبات كما سبق ذكره في شرح حديث جبريل عليه السلام وان
الاسلام الكامل الممدوح يدخل فيه ترك المحرمات كما قال صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون
من لسانه ويده واذا حسن الاسلام اقتضى ترك ما لا يعني كله من المحرمات والمشتبهات
والمكروهات وفضول المباحات التي لا يحتاج اليها فان هذا كله لا يعني المسلم اذا كمل اسلامه
وبلغ الى درجة الاحسان وهو ان يعبد الله كانه يراه فان لم يكن يراه فان الله يراه فمن عبد
الله على استحضار قربه ومشاهدته بقلبه او على استحضار قرب الله منه واطلاعه عليه
فقد حسن اسلامه ولزم من ذلك ان يترك كلما لا يعنيه في الاسلام ويشتغل بما يعنيه فيه
فانه يتولد من هذين المقامين الاستحيا من الله وترك كلما يستحيى منه كما وصى صلى الله عليه
وسلم رجلا ان يستحيي من الله كما يستحيي من رجل من صالح عشيرته لا يفارقه وفي المسند
والترمذي عن ابن مسعود مرفوعا الاستحيا من الله ان تحفظ الراس وما حوى وتحفظ
البطن وما وعا ولتذكر الموت والبلى فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء قال
بعضهم استحيي من الله على قدر قربه منك وخف الله على قدر قدرته عليك وقال
بعض العارفين اذا تكلمت فاذكر سمع الله لك واذا سكت فاذكر نظره اليك وقد
وقعت الاشارة في القران العظيم الى هذا المعنى في مواضع كثيرة كقوله تعالى ولقد خلقنا
الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اذ يتلقى المتلقيان
عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقوله تعالى
وما تكون في شان وما تتلوا منه من قران ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ
تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السما ولا اصغر من
ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين وقال تعالى ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا
لديهم يكتبون واكثر ما يراد بترك ما لا يعني حفظ اللسان من لغو الكلام كما اشير الى ذلك في الايات
الاولى التي في سورة ق وفي المسند من حديث الحسين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من
حسن اسلام المرء قلة الكلام فيما لا يعنيه وخرج الخرايطي من حديث ابن مسعود قال اتى

النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني مطاع في قومي فما امرهم قال له مرهم بافشا السلام
وقلة الكلام الا فيما يعنيهم وفي صحيح ابن حبان عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان في
صحف ابرهيم عليه السلام وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله ان يكون له ساعات ساعة يناجي فيها
ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر فيها في صنع الله وساعة يخلو فيها لحاجته
من المطعم والمشرب وعلى العاقل ان لا يكون ظاعنا الا لثلاث تزود لمعاد او مرمة لمعاش
او لذة في غير محرم وعلى العاقل ان يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه
ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله من
عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه وهو كما قال فان كثيرا من الناس لا يعد
كلامه من عمله فيجازف فيه ولا يتحرى وقد خفي هذا على معاذ بن جبل حتى سال عنه النبي صلى
الله عليه وسلم فقال انؤاخذ بما نتكلم به فقال له ثكلتك امك يا معاذ وهل يكب الناس على مناخرهم
في النار الا حصايد السنتهم وقد نفى الله الخير عن كثير مما يتناجى به الناس بينهم فقال لا خير في
كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وخرج الترمذي
وابن ماجه من حديث ام حبيبة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل كلام
ابن ادم عليه لا له الا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذكر الله عز وجل وقد تعجب قوم
من هذا الحديث عند سفين الثوري فقال سفين وما تعجبكم من هذا اليس قد قال الله
عز وجل لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس اليس قد
قال الله تعالى يوم يقوم الروح والملئكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا
وخرج الترمذي من حديث انس قال توفي رجل من اصحابه يعني النبي صلى الله عليه وسلم
فقال رجل يعني ابشر بالجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم او لا تدري فلعله تكلم بما لا
يعنيه او بخل بما لا يغنيه وقد روي معنى هذا الحديث من وجوه متعددة عن النبي صلى
الله عليه وسلم وفي بعضها انه قتل شهيدا وخرج ابو القسم البغوي في معجمه من حديث
شهاب بن مالك وكان وفد على النبي صلى الله عليه وسلم انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وقالت له امراة

يرسول الله الا تسلم علينا فقال انك من قبيل تقلل الكثير ومنعها ما لا يغنيها وسوالها عما لا يغنيها
وخرج العقيلي من حديث ابي هريرة مرفوعا اكثر الناس ذنوبا اكثرهم كلاما فيما لا يعنيه
قال عمرو بن قيس الملاي مر رجل بلقمان والناس عنده فقال له الست عبد بني فلان قال
بلي قال الذي كنت ترعى عند جبل كذا وكذا قال بلي قال فما بلغ بك ما ارى قال صدق
الحديث وطول السكوت عما لا يعنيني وقال وهب ابن منبه كان في بني اسرائيل رجلان بلغت
بهما عبادتهما ان مشيا على الماء فبينما هما يمشيان في البحر اذا هما برجل يمشي على الهوا
فقالا له يا عبد الله باي شي ادركت هذه المنزلة قال بيسير من الدنيا فطمت نفسي عن
الشهوات وكففت لساني عما لا يعنيني ورغبت فيما دعاني اليه ولزمت الصمت فان اقسمت
على الله ابر قسمي وان سالته اعطاني دخلوا على بعض الصحابة في مرضه ووجهه يتهلل
فسالوه عن سبب تهلل وجهه فقال ما من عملي اوثق عندي من خصلتين كنت لا اتكلم
فيما لا يعنيني وكان قلبي سليما للمسلمين وقال مورق العجلي امر انا في طلبه منذ كذا
وكذا سنة لم اقدر عليه ولست بتارك طلبه ابدا قالوا وما هو قال الكف عما لا يعنيني
رواه ابن ابي الدنيا وروى اسد بن موسى نا ابو معشر عن محمد بن كعب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من يدخل عليكم رجل من اهل الجنة فدخل عبد
الله بن سلام فقام اليه ناس فاخبروه وقالوا اخبرنا باوثق عملك في نفسك قال ان عملي لضعيف
اوثق ما ارجو به سلامة الصدر وتركي ما لا يعنيني وروى ابو عبيدة عن الحسن
قال من علامة اعراض الله عن العبد ان يجعل شغله فيما لا يعنيه وقال سهل التستري
من تكلم فيما لا يعنيه حرم الصدق وقال معروف كلام العبد فيما لا يعنيه خذلان
من الله عز وجل وهذا الحديث يدل على ان ترك ما لا يعني المرء من حسن اسلامه
فاذا ترك ما لا يعنيه وفعل ما يعنيه كله فقد كمل حسن اسلامه وقد جاءت الاحاديث
بفضل من حسن اسلامه وانه تضاعف حسناته وتكفر سياته والظاهر ان كثرة
المضاعفة تكون بحسب حسن الاسلام **ففي صحيح مسلم** عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه

وسلم قال اذا احسن احدكم اسلامه فكل حسنة يعملها تكتب بعشر امثالها الى سبعمية ضعف
وكل سيئة تكتب بمثلها حتى يلقى الله عز وجل فالمضاعفة للحسنة بعشر امثالها لا بد
منه والزيادة على ذلك يكون بحسب احسان الاسلام واخلاص النية والحاجة الى ذلك العمل
وفضله كالنفقة في الجهاد وفي الحج وفي الاقارب وفي اليتامى والمساكين واوقات الحاجة
الى النفقة ويشهد لذلك ما روى عطية عن ابن عمر قال نزلت من جا بالحسنة فله عشر
امثالها في الاعراب قيل له فما للمهاجرين قال ما هو اكثر ثم تلى قوله تعالى وان تك
حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما **وخرج النسائي** من حديث ابي
سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اسلم العبد فحسن اسلامه كتب الله كل حسنة كان
ازلفها ومحيت عنه كل سيئة كان ازلفها ثم كان بعد ذلك القصاص الحسنة بعشر امثالها
الى سبعمية ضعف والسيئة بمثلها الا ان يتجاوز الله وفي رواية اخرى وقيل له ايتنف العمل
والمراد بالحسنات والسيات التي كان ازلفها ما سبق منه قبل الاسلام وهذا يدل على انه
يثاب بحسناته في الكفر اذا اسلم وتمحى عنه سياته اذا اسلم لكن بشرط ان يحسن اسلامه ويتقي
تلك السيات في حال اسلامه ويدل على ذلك ما في صحيح مسلم عن ابن مسعود قال قلنا يا رسول
الله انواخذ بما عملنا في الجاهلية قال اما من احسن منكم في الاسلام فلا يواخذ بها ومن
اسا اخذ بعمله في الجاهلية والاسلام وفيه ايضا عن عمرو بن العاص قال للنبي صلى الله عليه
وسلم لما اسلم اريد ان اشترط قال تشترط ماذا قلت ان يغفر لي قال اما علمت ان الاسلام
يهدم ما كان قبله وخرجه الامام احمد ولفظه ان الاسلام يجب ما كان قبله من الذنوب
وهذا محمول على الاسلام الكامل الحسن جمعا بينه وبين حديث ابن مسعود الذي قبله
وفي صحيح مسلم ايضا عن حكيم بن حزام قال قلت يا رسول الله ارايت امورا كنت اصنعها
في الجاهلية من صدقة او عتاقة او صلة رحم افيها اجر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسلمت على ما اسلفت من خير وفي رواية له قال فقلت والله لا ادع شيا صنعته
في الجاهلية الا صنعت في الاسلام مثله وهذا يدل على ان حسنات الكافر اذا اسلم

وفي صحيح مسلم

يتاب عليها كما دل عليه حديث ابي سعيد المتقدم وقد قيل ان سياته في الشرك تبدل
حسنات ويتاب عليها اخذا من قوله تعالي والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون
النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب
يوم القيامه ويخلد فيه مهانا الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاوليك يبدل
الله سياتهم حسنات وقد اختلف المفسرون في هذا التبديل علي قولين فمنهم من
قال هو في الدنيا يعني ان الله يبدل من اسلم وتاب اليه بدل ما كان عليه من الكفر والمعاصي
الايمان والاعمال الصالحه وحكي هذا القول ابرهيم الحربي في غريب الحديث عن
اكثر المفسرين وسمي منهم ابن عباس وعطا وقتاده والسدي وعكرمه قلت وهو المشهور
عن الحسن قال وقال الحسن وابو مالك وغيرهما هي في اهل الشرك خاصه ليس هي
في اهل الاسلام قلت انما يصح هذا القول علي ان يكون التبديل في الاخره كما سياتي واما
ان قيل انه في الدنيا فالكافر اذا اسلم والمسلم اذا تاب في ذلك سوا بل المسلم اذا تاب فهو احسن
حالا من الكافر اذا اسلم قال وقال اخرون التبديل في الاخره جعلت لهم مكان كل سيه حسنه (الحسين [?])
منهم عمرو وابن ميمون ومكحول وابن المسيب قال وانكره ابو العاليه ومجاهد وخلد
سبلان وفيه موضع انكار ثم ذكر ما حاصله انه يلزم من ذلك ان يكون من كثرت سياته
احسن حالا ممن قلت سياته حيث يعطي مكان كل سيه حسنه ثم قال ولو قال قايل انما
ذكر الله ان يبدل السيات حسنات ولم يذكر العدد كيف تبدل فيجوز ان تبدل ان من
عمل سيه واحده وتاب منها تبدل ميه الف حسنه ومن عمل الف سيه ان تبدل
الف حسنه فيكون حينيذ من قلت سياته احسن حالا قلت هذا القول وهو التبديل
في الاخره قد انكره ابو العاليه وتلي قوله تعالي يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما
عملت من سو تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ورده بعضهم بقوله تعالي ومن
يعمل مثقال ذره شرا يره وقوله ووضع الكتاب فتري المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون
يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيره ولا كبيره الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولكن

قد اجيب عن هذا بان التايب يوقف علي سياته ثم تبدل حسنات قال ابو عثمن
النهدي ان المومن يوتي كتابه في ستر من الله فيقرا سياته فاذا قرا تغير لها لونه حتي
يمر بحسناته فيقراها فيرجع اليه لونه ثم ينظر فاذا سياته قد بدلت حسنات فعند ذلك
يقول هاوم اقروا كتابيه ورواه بعضهم عن ابي عثمن عن ابن مسعود وقال بعضهم عن
ابي عثمن عن سلمان وفي صحيح مسلم من حديث ابي ذر عن النبي صلي الله عليه وسلم قال اني لاعلم
اخر اهل الجنه دخولا الجنه واخر اهل النار خروجا منها رجل يوتي به يوم القيمه فيقال
اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فيعرض الله عليه صغار ذنوبه فيقال
له عملت يوم كذا وكذا وكذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع ان ينكر وهو
مشفق من كبار ذنوبه ان تعرض عليه فيقال له فان لك مكان كل سيه حسنه فيقول يا رب
قد عملت اشيا لا اراها هاهنا قال فلقد رايت رسول الله صلي الله عليه وسلم ضحك حتي بدت
نواجذه فاذا بدلت السيات بالحسنات في حق من عوقب علي ذنوبه بالنار ففي حق من محي
سياته بالاسلام والتوبه النصوح اولي لان محوها بذلك احب الي الله من محوها بالعقاب
وخرج الحاكم من طريق الفضل بن موسي عن ابي العنبس عن ابيه عن ابي هريره قال قال (لانهم [?])
رسول الله صلي الله عليه وسلم ليتمنين اقوام انهم اكثروا من السيات قالوا من يا رسول الله قال
الذين يبدل الله سياتهم حسنات وخرجه ابن ابي حاتم من طريق سليمن بن داود الزهري
عن ابي العنبس عن ابيه عن ابي هريره موقوفا وهو اشبه من المرفوع ويروي مثل هذا
عن الحسن البصري ايضا وهو يخالف قوله المشهور ان التبديل في الدنيا واما
ما ذكره الحربي في التبديل وان من قلت سياته يزاد في حسناته ومن كثرت سياته
يقل من حسناته فحديث ابي ذر صريح برد هذا وانه يعطي مكان كل سيه حسنه
واما قوله يلزم من ذلك ان يكون من كثرت سياته احسن حالا ممن قلت سياته
فيقال انما التبديل في حق من ندم علي سياته وجعلها نصب عينيه فكلما ذكرها ازداد
خوفا ووجلا وحيا من الله ومسارعه الي الاعمال الصالحه المكفره كما قال تعالي

الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا وما ذكرناه كله داخل في العمل الصالح ومن كانت هذه
حاله فانه يتجرع من مرارة الندم والاسف على ذنوبه اضعاف ما ذاق من حلاوتها عند
فعلها ويصير كل ذنب من ذنوبه سببا لاعمال صالحة ماحية له فلا يستنكر بعد هذا تبديل هذه
الذنوب حسنات وقد وردت احاديث صريحة في ان الكافر اذا اسلم وحسن اسلامه
تبدلت سياته في الشرك حسنات فخرج الطبراني من حديث عبد الرحمن بن جبير بن
نفير عن ابي فروة شطب انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ارايت رجلا عمل الذنوب كلها
ولم يترك حاجة ولا داجة فهل له من توبة فقال اسلمت قال نعم قال فافعل الخيرات
واترك السيات فيجعلها الله لك خيرات كلها قال وغدراتي وفجراتي قال نعم قال فما
زال يكبر حتى توارى وخرجه من وجه اخر باسناد ضعيف عن سلمة بن نفيل عن النبي صلى
الله عليه وسلم وخرج ابن ابي حاتم نحوه من حديث مكحول مرسلا وخرج البزار الحديث الاول
وعنده عن ابي طويل شطب الممدود انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكره بمعناه وكذا خرجه ابو
القسم البغوي في معجمه وذكر ان الصواب عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير مرسلا ان رجلا
اتى النبي صلى الله عليه وسلم طويل شطب والشطب في اللغة الممدود فصحفه بعض الرواة
وظنه اسم رجل **الحديث الثالث عشر عن انس بن مالك رضي**
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يومن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه
رواه البخاري ومسلم **هذا الحديث** خرجاه في الصحيحين من حديث قتادة
عن انس ولفظ مسلم حتى يحب لجاره او لاخيه بالشك وخرجه الامام احمد ولفظه لا
يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير وهذه الرواية
تبين معنى الرواية المخرجة في الصحيحين وان المراد بنفي الايمان نفي بلوغ حقيقته
ونهايته فان الايمان كثيرا ما ينفى لانتفاء بعض اركانه وواجباته كقوله صلى الله عليه
وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مومن
ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مومن وقوله لا يومن من لا يامن جاره بوايقه

وقد اختلف العلما في مرتكب الكباير هل يسمى مومنا ناقص الايمان ام لا يسمى مومنا وانما يقال
هو مسلم وليس بمومن على قولين وهما روايتان عن الامام احمد فاما من ارتكب الصغاير فلا
يزول عنه اسم الايمان بالكلية بل هو مومن ناقص الايمان ينقص من ايمانه بحسب ما
ارتكب من ذلك والقول بان مرتكب الكباير يقال له مومن ناقص الايمان مروي عن جابر
بن عبد الله وهو قول ابن المبارك واسحق وابي عبيد وغيرهم والقول بانه مسلم ليس
بمومن مروي عن ابي جعفر محمد بن علي وذكر بعضهم انه المختار عند اهل السنة وقال
ابن عباس الزاني ينزع منه نور الايمان وقال ابو هريرة ينزع منه الايمان فيكون فوقه
كالظلة فاذا تاب عاد اليه وقال عبد الله بن رواحة وابو الدردا الايمان كالقميص
يلبسه الانسان تارة ويخلعه اخرى وكذا قال الامام احمد وغيره والمعنى انه اذا كمل خصال
الايمان لبسه فاذا نقص منها شيا نزعه وكل هذا اشارة الى الايمان الكامل التام الذي لا
ينقص من واجباته شي والمقصود ان من جملة خصال الايمان الواجب ان يحب المرء
لاخيه المومن ما يحب لنفسه ويكره له ما يكرهه لنفسه فاذا زال ذلك عنه فقد
نقص ايمانه بذلك وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي هريرة احب للناس
ما تحب لنفسك تكن [illegible] وقد رتب النبي صلى الله عليه وسلم دخول الجنة على هذه الخصلة
ففي مسند الامام احمد عن يزيد بن اسد القسري قال قال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتحب الجنة قلت نعم قال فاحب لاخيك ما تحب لنفسك **وفي صحيح مسلم** من حديث
عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من احب ان يزحزح عن النار
ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يومن بالله واليوم الاخر وياتي الى الناس الذي يحب
ان يوتى اليه **وفيه ايضا** عن ابي ذر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ابا ذر اني اراك ضعيفا واني احب لك ما احب لنفسي لا تامرن على اثنين ولا تولين مال يتيم
وانما نهاه عن ذلك لما راى من ضعفه وهو صلى الله عليه وسلم يحب هذا لكل ضعيف
وانما كان يتولى امور الناس لان الله قواه على ذلك وامره بدعا الخلق كلهم الى طاعته وان

يتولى سياسة دينهم ودنياهم وقد روي عن علي قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارضى لك ما ارضى لنفسي واكره لك ما اكره لنفسي لا تقرا القران وانت جنب ولا وانت راكع ولا ساجد وكان محمد بن واسع يبيع حمارا له فقال له رجل ارضاه لي فقال لو رضيته لم ابعه وهذا اشارة منه الى انه لا يرضى لاخيه الا ما يرضاه لنفسه وهذا كله من جملة النصيحة لعامة المسلمين التي هي من جملة الدين كما سبق تفسير ذلك في موضعه وذكرنا فيما تقدم حديث النعمن بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل المومنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر خرجاه في الصحيحين وهذا يدل على ان المومن يسوه ما يسو اخاه المومن ويحزنه ما يحزنه وحديث انس الذي نتكلم الان فيه يدل على ان المومن يسره ما يسر اخاه المومن ويريد لاخيه المومن ما يريده لنفسه من الخير وهذا كله انما ياتي من كمال سلامة الصدر من الغل والغش والحسد فان الحسد يقتضي ان يكره الحاسد ان يفوقه احد في خير او يساويه فيه لانه يحب ان يمتاز على الناس بفضايله وينفرد بها عنهم والايمان يقتضي خلاف ذلك وهو ان يشركه المومنون كلهم فيما اعطاه الله من الخير من غير ان ينقص عليه منه شي وقد مدح الله في كتابه من لا يريد العلو في الارض ولا الفساد فقال تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا وروى ابن جرير باسناد فيه نظر عن علي قال ان الرجل ليعجبه من شراك نعله ان يكون اجود من شراك صاحبه فيدخل في قوله تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وكذا روي عن الفضيل بن عياض في هذه الاية قال لا يحب ان يكون نعله اجود من نعل غيره ولا شراكه اجود من شراك غيره وقد قيل ان هذا محمول على انه اراد الفخر على غيره لا مجرد التجمل قال عكرمة وغيره من المفسرين في هذه الاية العلو في الارض التكبر وطلب الشرف والمنزلة عند ذي سلطانها والفساد العمل بالمعاصي وقد ورد ما يدل على انه لا ياثم من كره ان يفوقه الناس في الجمال خرج الامام احمد والحاكم

في صحيحه من حديث ابن مسعود قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وعنده مالك بن مرارة الرهاوي فادركته وهو يقول يا رسول الله قد قسم لي من الجمال ما ترى فما احب احدا من الناس فضلني بشراكين فما فوقهما اليس ذلك هو من البغي فقال لا ليس ذلك بالبغي ولكن البغي من بطر او قال سفه الحق وغمص الناس وخرج ابو داود من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وفي حديثه الكبر بدل البغي فنفى ان يكون محبة الانفراد بالجمال بغيا او كبرا وفسر الكبر والبغي ببطر الحق وهو التكبر عليه والامتناع من قبوله كبرا اذا خالف هواه ومن هنا قال بعض السلف التواضع ان تقبل الحق من كل من جاء به وان كان صغيرا فمن قبل الحق ممن جاء به سوا كان صغيرا او كبيرا وسوا كان يحبه او لا يحبه فهو متواضع ومن ابى قبول الحق تعاظما عليه فهو متكبر وغمص الناس هو احتقارهم وازدراوهم وذلك يحصل من النظر الى النفس بعين الكمال والى غيره بعين النقص وفي الجملة فينبغي للمومن ان يحب للمومنين ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه فان راى في اخيه المسلم نقصا في دينه اجتهد في اصلاحه قال بعض الصالحين من السلف اهل المحبة لله نظروا بنور الله وعطفوا على اهل معاصي الله مقتوا اعمالهم وعطفوا عليهم ليزيلوهم بالمواعظ عن فعالهم واشفقوا على ابدانهم من النار لا يكون المومن مومنا حقا حتى يرضى للناس ما يرضاه لنفسه وان راى في غيره فضيلة فاق بها عليه فتمنى لنفسه مثلها فان كانت تلك الفضيلة دينية كان حسنا وقد تمنى النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه منزلة الشهادة وقال لا حسد الا في اثنين رجل اتاه الله مالا فهو ينفقه اناء الليل واناء النهار ورجل اتاه الله القران فهو يقراه اناء الليل واناء النهار وقال في الذي راى من ينفق ماله في طاعة الله فقال لو ان لي مالا لفعلت فيه كما فعل فهما في الاجر سوا وان كانت دنيوية فلا خير في تمنيها كما قال تعالى فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا واما

قول الله عز وجل ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم علي بعض فقد فسر ذلك بالحسد وهو تمني
الرجل نفس ما اعطي اخوه من اهل ومال وان ينتقل ذلك اليه وفسر بتمني ما هو ممتنع شرعًا
او قدرًا كتمني النسا ان تكن رجالًا او يكون لهن مثل ما للرجال من الفضايل الدينيه كالجهاد
والدنيويه كالميراث والعقل والشهاده ونحو ذلك وقيل ان الايه تشمل ذلك كله ومع
هذا كله فينبغي للمومن ان يحزن لفوات الفضايل الدينيه ولهذا امر ان ينظر في الدين
الي من فوقه وان ينافس في طلب ذلك جهده وطاقته كما قال تعالي وفي ذلك فليتنافس
المتنافسون ولا يكره ان احدًا يشاركه في ذلك بل يحب للناس كلهم المنافسه فيه ويحثهم
علي ذلك وهو من تمام اداء النصيحه للاخوان قال الفضيل ان كنت تحب ان يكون الناس
مثلك فما اديت النصيحه لربك كيف وانت تحب ان يكونوا دونك يشير الي ان اداء النصيحه
لهم ان تحب ان يكونوا فوقه وهذه منزله عاليه ودرجه رفيعه في النصح وليس ذلك
بواجب وانما المامور به في الشرع ان تحب ان يكونوا مثله ومع هذا فاذا فاقه احد في
فضيله دينيه اجتهد علي لحاقه وحزن علي تقصير نفسه وتخلفه عن لحاق السابقين
لا حسدًا لهم علي ما اتاهم الله بل منافسةً لهم وغبطةً وحزنًا علي النفس بتقصيرها وتخلفها
عن درجات السابقين وينبغي للمومن ان لا يزال يري نفسه مقصرًا عن الدرجات
العاليه فيستفيد بذلك امرين نفيسين الاجتهاد في طلب الفضايل والازدياد منها
والنظر الي نفسه بعين النقص وينشا من هذا ان يحب للمومنين ان يكونوا خيرًا منه
لانه لا يرضي لهم ان يكونوا علي مثل حاله كما انه لا يرضي لنفسه بما هي عليه بل هو مجتهد في
اصلاحها وقد قال محمد بن واسع لابنه اما ابوك فلا كثر الله في المسلمين مثله فمن
كان لا يرضي عن نفسه فكيف يحب للمسلمين ان يكونوا مثله مع نصحه لهم بل هو يحب
للمسلمين ان يكونوا خيرًا منه ويحب لنفسه ان تكون خيرًا مما هو عليه وان علم
المرء ان الله قد خصه علي غيره بفضل فاخبر به لمصلحه دينيه وكان اخباره علي
وجه التحدث بالنعم ويري نفسه مقصرًا في الشكر كان جايزًا فقد قال بن مسعود

ما اعلم احدًا اعلم بكتاب الله مني ولا يمنع هذا ان يحب للناس ان يشاركوه فيما خصه
الله به فقد قال ابن عباس اني لامر علي الايه من كتاب الله فاود ان الناس كلهم يعلمون
منها ما اعلم وقال الشافعي وددت ان الناس تعلموا هذا العلم ولم ينسب الي منه شي
وكان عتبه الغلام اذا اراد ان يفطر يقول لبعض اخوانه المطلعين علي اعماله اخرج الي
ما او تمرات افطر عليها ليكون لك مثل اجري **الحديث الرابع عشر**
عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا يحل
دم امري مسلم الا باحدي ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق
للجماعه رواه البخاري ومسلم **هذا الحديث** خرجاه في الصحيحين من روايه
الاعمش عن عبد الله بن مره عن مسروق عن ابن مسعود وفي روايه لمسلم التارك
للاسلام بدل قوله لدينه وفي هذا المعني احاديث متعدده فخرج مسلم من حديث
عايشه عن النبي صلي الله عليه وسلم مثل حديث بن مسعود **وخرج الترمذي والنسايي**
وابن ماجه من حديث عثمان عن النبي صلي الله عليه وسلم قال لا يحل دم امري مسلم
الا باحدي ثلاث رجل كفر بعد اسلامه او زنا بعد احصانه او قتل نفسًا بغير نفس
وفي روايه للنسايي رجل زنا بعد احصانه فعليه الرجم او قتل عمدًا فعليه القود
او ارتد بعد اسلامه فعليه القتل وقد روي هذا المعني عن النبي صلي الله عليه وسلم
من روايه بن عباس وابي هريره وانس وغيرهم وقد ذكرنا حديث انس فيما تقدم
وفيه تفسير ان هذه الثلاث خصال هي حق الاسلام التي يستباح بها دم من شهد
ان لا اله الا الله وان محمدًا رسول الله والقتل بكل المسلمين واحده من هذه
الخصال الثلاث متفق عليه بين المسلمين اما زنا الثيب فاجمع المسلمون علي ان حده
الرجم حتي يموت وقد رجم النبي صلي الله عليه وسلم ماعزًا والغامديه وكان في القران
الذي نسخ لفظه والشيخ والشيخه اذا زنيا فارجموهما البته نكالًا من الله والله
عزيز حكيم وقد استنبط بن عباس الرجم من القران من قوله تعالي يا اهل الكتاب

قد جاكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قال فمن
كفر بالرجم فقد كفر بالقران من حيث لا يحتسب ثم تلى هذه الايه وقال كان
الرجم مما اخفوا اخرجه النسايي والحاكم وقال صحيح الاسناد ويستنبط ايضا من
قوله تعالى انا انزلنا التوريه فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا
الى قوله وان احكم بينهم بما انزل الله قال الزهري بلغنا انها نزلت في اليهوديين
اللذين رجمهما النبي صلى الله عليه وسلم وقال اني احكم بما في التوريه وامر بهما فرجما
وخرج مسلم في صحيحه من حديث البرا بن عازب قصه رجم اليهوديين وقال
في حديثه فانزل الله يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر وانزل ومن لم
يحكم بما انزل الله فاوليك هم الكافرون في الكفار كلها وخرجه الامام احمد وعنده فانزل الله
لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر الى قوله ان اوتيتم هذا فخذوه يقولون ايتوا محمدا
فان افتاكم بالتحميم والجلد فخذوه وان افتاكم بالرجم فاحذروا الى قوله ومن لم يحكم
بما انزل الله فاوليك هم الكافرون قال في اليهود وروي من حديث جابر قصه
رجم اليهوديين وفي حديثه قال فانزل الله فان جاوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم
الى قوله وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط وكان الله تعالى قد امر ان لا يحبس النسا
الزواني الى ان يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا ثم جعل الله لهن السبيل ففي
صحيح مسلم عن عباده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خذوا عني خذوا عني قد جعل
الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد ميه وتغريب عام والثيب بالثيب جلد ميه والرجم
وقد اخذ بظاهر هذا الحديث جماعه من العلما واوجبوا جلد الثيب ميه ثم رجمه
كما فعل علي بشراحه الهمدانيه وقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنه رسول الله
يشير الى ان كتاب الله فيه جلد الزانيين من غير تفصيل بين ثيب وبكر وجات السنه برجم
الثيب خاصه مع استنباطه من القران ايضا وهذا القول هو المشهور عن الامام
احمد واسحق وهو قول الحسن وطايفه من السلف وقالت طايفه منهم ان

كان الثيبان شيخين رجما وجلدا وان كانا شابين رجما بغير جلد لان ذنب الشيخ اقبح
لا سيما بالزنا وهذا قول ابي ابن كعب وروي عنه مرفوعا ولا يصح رفعه وهو
روايه عن احمد واسحق ايضا واما النفس بالنفس فمعناه ان المكلف اذا قتل نفسا
بغير حق عمدا فانه يقتل بها وقد دل القران على ذلك بقوله تعالى وكتبنا عليهم فيها
ان النفس بالنفس وقال تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر
والعبد بالعبد والانثى بالانثى ويستثنى من عموم قوله النفس بالنفس صور منها ان يقتل
الوالد ولده فالجمهور على انه لا يقتل به وصح ذلك عن عمر وروي عن النبي صلى الله عليه
وسلم من وجوه متعدده وقد تكلم في اسانيدها وقال مالك ان تعمد قتله تعمدا لا يشك
فيه مثل ان يذبحه فانه يقتل به وان حذفه بسيف او عصى لم يقتل وقال
البتي يقتل بقتله بجميع وجوه العمد للعمومات ومنها ان يقتل الحر عبدا فاكثرون
على انه لا يقتل به وقد وردت في ذلك احاديث في اسانيدها مقال وقيل يقتل بعبد
غيره دون عبده وهو قول ابي حنيفه واصحابه وقيل يقتل بعبده وعبد غيره
وهو روايه عن الثوري وقول طايفه من اهل الحديث لحديث سمره عن النبي صلى الله عليه
وسلم من قتل عبده قتلناه ومن جدع جدعناه وقد طعن فيه الامام احمد وغيره
وقد اجمعوا على انه لا قصاص بين العبيد والاحرار في الاطراف وهذا يدل على ان هذا
الحديث مطرح لا يعمل به وهذا مما يستدل به على ان المراد بقوله تعالى النفس بالنفس
الاحرار لانه ذكر بعده القصاص في الاطراف وهو مختص بالاحرار ومنها ان يقتل
المسلم كافرا فان كان حربيا لم يقتل به بغير خلاف لان قتل الحربي مباح بلا ريب وان
كان ذميا او معاهدا فالجمهور على انه لا يقتل به ايضا وفي صحيح البخاري عن علي عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقتل مسلم بكافر وقال ابو حنيفه وجماعه من فقها الكوفيين
يقتل به وقد روى ربيعه عن ابن البيلماني عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قتل رجلا من اهل
القبله برجل من اهل الذمه وقال انا احق من وفى بذمته وهذا مرسل ضعيف قد ضعفه

الامام احمد وابو عبيد وابرهيم الحربي والجوزجاني وابن المنذر والدارقطني وقال بن
البيلماني ضعيف لاتقوم به حجة اذا وصل الحديث فكيف بما يرسله وقال الجوزجاني
انما اخذه ربيعة عن ابرهيم بن ابي يحيى عن بن المنكدر عن بن البيلماني وابن ابي يحيى متروك
الحديث وفي مراسيل ابي داود حديث اخر مرسل ان النبي صلى الله عليه وسلم قتل يوم
خيبر مسلما بكافر قتله غيلة وقال انا اولى واحق من وفى بذمته وهذا مذهب مالك
واهل المدينة ان القتل غيلة لايشترط له المكافاة فيقتل فيه المسلم بالكافر وعلى هذا حملوا
حديث بن البيلماني ايضا على تقدير صحته ومنها ان يقتل الرجل امراة فيقتل بها بغير
خلاف وفي كتاب عمرو بن حزم عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل يقتل بالمراة وصح انه صلى الله
عليه وسلم قتل يهوديا قتل جارية واكثر العلما على انه لايدفع الى اوليا الرجل شي وروي عن علي
انه يدفع اليهم نصف الدية لان دية المراة نصف دية الرجل وهو قول طايفة من
السلف واحمد في رواية عنه واما التارك لدينه المفارق الجماعة فالمراد به من
ترك الاسلام وارتد عنه وفارق جماعة المسلمين كما جا التصريح بذلك في حديث عثمن
وانما استثناه مع من يحل دمه من اهل الشهادتين باعتبار ما كان عليه قبل الردة وحكم
الاسلام لازم له بعدها ولهذا يستتاب ويطلب منه العود الى الاسلام وفي الزامه
بقضا ما فاته في زمن الردة من العبادات اختلاف مشهور بين العلما وايضا فقد
يترك دينه ويفارق الجماعة وهو مقر بالشهادتين ويدعي الاسلام كما اذا جحد شيا من اركان
الاسلام او سب الله ورسوله او كفر ببعض الملايكة او النبيين او الكتب المذكورة في القران
مع العلم بذلك وفي صحيح البخاري عن بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من بدل
دينه فاقتلوه ولا فرق في هذا بين الرجل والمراة عند اكثر العلما ومنهم من قال لا
تقتل المراة اذا ارتدت كما لايقتل نسا اهل الحرب في الحرب وانما يقتل رجالهم وهذا قول
ابي حنيفة واصحابه وجعلوا الكفر الطاري كالاصلي والجمهور فرقوا بينهما وجعلوا الطاري
اغلظ لما سبقه من الاسلام ولهذا يقتل بالردة عنه من لايقتل من اهل الحرب

كالشيخ الفاني والزمن والاعمى ولا يقتلون في الحرب وقوله صلى الله عليه وسلم
التارك لدينه المفارق للجماعة يدل على انه لو تاب ورجع الى الاسلام لم يقتل لانه ليس
بتارك لدينه بعد رجوعه ولا مفارق للجماعة فان قيل بل استثنا هذا ممن يعصم دمه
من اهل الشهادتين يدل على انه يقتل ولو كان مقرا بالشهادتين كما يقتل الزاني المحصن
وقاتل النفس وهذا يدل على ان المرتد لاتقبل توبته كما حكي عن الحسن وان يحمل ذلك
على من ارتد ممن ولد على الاسلام فانه لاتقبل توبته وانما تقبل توبة من كان كافرا
ثم اسلم ثم ارتد على قول طايفة من العلما منهم الليث بن سعد واحمد في رواية عنه
واسحق قيل انما استثناه من المسلمين باعتبار ما كان عليه قبل مفارقة دينه كما سبق
تقريره وليس هذا كالثيب الزاني وقاتل النفس لان قتلهما عقوبة لجريمتهما الماضية وجب
ولا يمكن تلافي ذلك واما المرتد فانما قتل لوصف قايم به في الحال وهو ترك دينه
ومفارقة الجماعة فاذا عاد الى دينه والى موافقة الجماعة فالوصف الذي ابيح به دمه
قد انتفى فتزول اباحة دمه والله اعلم فان قيل فقد خرج النساي من حديث عايشة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لايحل دم امري مسلم الا باحدى ثلاث خصال زان محصن
يرجم ورجل قتل متعمدا فيقتل ورجل يخرج من الاسلام حارب الله ورسوله فيقتل او يصلب
او ينفى من الارض وهذا يدل على ان المراد من جمع بين الردة والمحاربة قيل قد خرج
ابو داود حديث عايشة بلفظ اخر وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايحل
دم امري مسلم يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله الا في احدى ثلاث زنا
بعد احصان فانه يرجم ورجل خرج محاربا لله ورسوله فانه يقتل او يصلب او ينفى من
الارض او يقتل نفسا فيقتل بها وهذا يدل على ان من وجد منه الحراب من المسلمين
خير الامام فيه مطلقا كما يقوله علما اهل المدينة مالك وغيره والرواية الاولى قد تحمل
على ان المراد بخروجه عن الاسلام خروجه عن احكام الاسلام وقد تحمل على ظاهرها ويستدل
بذلك من يقول ان اية المحاربة تختص بالمرتدين فمن ارتد وحارب فعل به ما في الاية

ومن حارب من غير رده اقيمت عليه احكام المسلمين من القصاص والقطع في
السرقه وهذا روايه عن احمد لكنها غير مشهوره عنه وكذا قالت طايفه من السلف
ان ايه المحاربه تختص بالمرتدين منهم ابو قلابه وغيره وبكل حال فحديث عايشه
الفاظه مختلفه وقد روي عنها مرفوعا وروي عنها موقوفا وحديث ابن مسعود
لفظه لا اختلاف فيه وهو ثابت متفق على صحته ولكن يقال على هذا انه قد ورد قتل
المسلم بغير احدى هذه الخصال الثلاث فمنها في اللواط وقد جا من حديث
ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم اقتلوا الفاعل والمفعول به واخذ به كثير من
العلما مالك واحمد وقالوا انه موجب للقتل بكل حال محصنا كان او غير
محصن وقد روي عن عثمن انه قال لا يحل دم امري مسلم الا باربع فذكر الثلاثه
المتقدمه وزاد ورجل عمل عمل قوم لوط ومنها من اتى ذات محرم وقد روي الامر
بقتله وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قتل من تزوج بامراه ابيه واخذ بذلك طايفه
من العلما واوجبوا قتله مطلقا محصنا كان او غير محصن ومنها الساحر وفي
الترمذي من حديث جندب مرفوعا حد الساحر ضربه بالسيف وذكر ان
الصحيح وقفه على جندب وهو مذهب جماعه من العلما منهم عمر بن عبد العزيز ومالك
واحمد واسحق ولكن هولا يقولون انه يكفر بسحره فيكون حكمه حكم المرتدين ومنها قتل
من وقع على بهيمه وقد ورد فيه حديث مرفوع وقال به طايفه من العلما
ومنها من ترك الصلاه فانه يقتل عند كثير من العلما مع قولهم انه ليس بكافر وقد سبق
ذكر ذلك مستوفى ومنها قتل شارب الخمر في المره الرابعه وقد ورد الامر به عن
النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه متعدده واخذ بذلك عبد الله بن عمرو بن العاص
وغيره واكثر العلما على ان القتل انتسخ وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالشارب في المره الرابعه
فلم يقتله وفي صحيح البخاري ان رجلا كان يوتى به النبي صلى الله عليه وسلم في الخمر فلعنه
رجل وقال ما اكثر ما يوتى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله

ورسوله ولم يقتله بذلك وقد روي قتل السارق في المره الخامسه وقيل ان بعض
الفقها ذهب اليه ومنها ما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا بويع
الخليفتين فاقتلوا الاخر منهما اخرجه مسلم من حديث ابي سعيد وقد ضعف
العقيلي احاديث هذا الباب كلها ومنها قوله صلى الله عليه وسلم من اتاكم وامركم جميع
على رجل واحد فاراد ان يشق عصاكم او يفرق جماعتكم فاقتلوه وفي روايه فاضربوا
راسه بالسيف كاينا من كان وقد خرجه مسلم من روايه عرفجه ومنها من شهر ايضا ١٢
السلاح خرج النساي من حديث ابن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من شهر السلاح
ثم وضعه فدمه هدر وقد روي عن ابن الزبير مرفوعا وموقوفا وقال البخاري انما هو موقوف
وسيل احمد عن معنى هذا الحديث فقال ما ادري ما هذا وقال اسحق بن راهويه
انما يريد من شهر سلاحه ثم وضعه في الناس حتى استعرض الناس فقد حل قتله وهو مذهب
الحروريه يستعرضون الرجال والنسا والذريه وقد روي عن عايشه ما يخالف
تفسير اسحق خرج الحاكم من روايه علقمه بن ابي علقمه عن امه ان غلاما شهر السيف
على مولاه في امره سعيد بن العاص وتفلت به عليه فامسكه الناس عنه فدخل المولى
على عايشه فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اشار بحديده الى احد
من المسلمين يريد قتله فقد وجب دمه فاخذه مولاه فقتله وقال صحيح على شرط
الشيخين وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قتل دون ماله فهو شهيد
وفي روايه ومن قتل دون دمه فهو شهيد فاذا اريد مال المرء او دمه دافع
عنه بالاسهل فالاسهل هذا مذهب الشافعي واحمد وهل يجب عليه ان ينوي انه لا يريد
قتله ام لا فيه روايتان عن الامام احمد وذهب طايفه الى ان من اراد ماله او
دمه ابيح له قتله ابتدا او دخل ودخل على ابن عمر لص فقام اليه بالسيف صلتا
فلولا انهم حالوا بينه وبينه لقتله وسيل الحسن عن لص دخل بيت رجل ومعه
حديده قال اقتله باي قتله قدرت عليه وهولا اباحوا قتله وان ولى

هازبا من غير جنايه منهم ايوب السختياني وخرج الامام احمد من حديث عباده
بن الصامت عن النبي صلي الله عليه وسلم قال الدار حرمك فمن دخل عليك حرمك فاقتله
ولكن في اسناده ضعف ومنها قتل الجاسوس المسلم اذا تجسس للكفار علي المسلمين
وقد توقف فيه احمد واباح قتله طايفه من اصحاب مالك وابن عقيل من اصحابنا ومن
المالكيه من قال ان تكرر ذلك منه ابيح قتله واستدل من اباح قتله بقول النبي صلي
الله عليه وسلم في حق حاطب بن ابي بلتعه لما كتب الكتاب الي اهل مكه يخبرهم بسير النبي صلي
الله عليه وسلم اليهم ويامرهم باخذ حذرهم فاستاذن عمر في قتله فقال انه شهد بدرا
فلم يقل انه لم يات ما يبيح دمه وانما علل بوجود مانع من قتله وهو شهوده بدرا
ومغفره الله لاهل بدر وهذا المانع منتف في حق من بعده ومنها ما اخرجه ابو داود
في المراسيل من روايه بن المسيب ان النبي صلي الله عليه وسلم قال من ضرب اباه فاقتلوه
وروي مسندا من وجه اخر لا يصح واعلم ان من هذه الاحاديث المذكوره ما لا يصح
ولا يعرف به قايل معتبر كحديث من ضرب اباه فاقتلوه وحديث قتل السارق في المره
الخامسه وباقي النصوص كلها يمكن ردها الي حديث ابن مسعود وذلك ان حديث
بن مسعود تضمن انه لا يستباح دم المسلم الا باحدي ثلاث خصال اما ان يترك دينه
ويفارق جماعه المسلمين واما ان يزني وهو محصن واما ان يقتل نفسا بغير حق فيوخذ
منه ان قتل المسلم لا يستباح الا باحدي ثلاثه انواع ترك الدين واراقه الدم المحرم وانتهاك
الفرج المحرم فهذه الانواع الثلاثه هي التي تبيح دم المسلم دون غيرها فاما انتهاك الفرج
المحرم فقد ذكر في الحديث انه الزنا بعد الاحصان وهذا والله اعلم علي وجه المثال
فان المحصن قد تمت عليه النعمه بنيل هذه الشهوه بالنكاح فاذا اتاها بعد ذلك من
فرج محرم عليه ابيح دمه وقد ينتفي شرط الاحصان فيخلفه شرط اخر وهو كون الفرج
لا يستباح بحال اما مطلقا كاللواط او في حق الواطي كمن وطي ذات محرم بعقد او
غيره فهذا الوصف هل يكون قايما مقام الاحصان وخلفا عنه هذا هو محل

النزاع بين العلما والاحاديث داله علي انه يكون خلفا عنه ويكتفي به في اباحه الدم واما
سفك الدم الحرام فهل يقوم مقامه اثاره الفتن الموديه الي سفك الدما كتفريق جماعه
المسلمين وشق العصا والمبايعه لامام ثان ودل الكفار علي عورات المسلمين
هذا هو محل النزاع وقد روي عن عمر ما يدل علي اباحه القتل بمثل هذا وكذلك
شهر السلاح لطلب القتل هل يقوم مقام القتل في اباحه الدم ام لا فابن الزبير وعايشه راياه
قايما مقام القتل الحقيقي في ذلك وكذلك قطع الطريق بمجرده هل يبيح القتل ام لا لانه مظنه
لسفك الدما المحرمه وقول الله عز وجل من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض
فكانما قتل الناس جميعا يدل علي انه انما يباح قتل النفس بشيئين احدهما بالنفس والثاني
بالفساد في الارض ويدخل في الفساد في الارض الحراب والرده والزنا فان ذلك كله فساد
في الارض وكذلك تكرر شرب الخمر والاصرار عليه هو مظنه سفك الدما المحرمه وقد
اجمع الصحابه في عهد عمر علي حده ثمانين وجعلوا السكر مظنه الافترا والقذف الموجب
لجلد الثمانين ولما قدم وفد عبد القيس علي النبي صلي الله عليه وسلم ونهاهم عن الاشربه
والانتباذ في الظروف قال ان احدكم ليقوم الي ابن عمه يعني اذا شرب فيضربه بالسيف
وكان فيهم رجل قد اصابته جراحه من ذلك فكان يخبا وها حيا من النبي صلي الله عليه
وسلم فهذا كله يرجع الي اباحه الدم بالقتل اقامه لمظان القتل مقام حقيقته لكن هل
نسخ ذلك ام حكمه باق هذا هو محل النزاع واما ترك الدين ومفارقه الجماعه فمعناه الارتدا
عن دين المسلمين ولو اتي بالشهادتين فلو سب الله ورسوله وهو مقر بالشهادتين ابيح دمه
لانه قد ترك بذلك دينه وكذلك لو استهان بالمصحف والقاه في القاذورات او جحد
ما يعلم من الدين بالضروره كالصلاه وما اشبه ذلك مما يخرج من الدين وهل يقوم مقام
ذلك ترك شي من اركان الاسلام الخمس هذا ينبني علي انه هل يخرج من الدين بالكليه بذلك
ام لا فمن راه خروجا عن الدين كان عنده كترك الشهادتين وانكارهما ومن لم يره خروجا
عن ذلك فاختلفوا هل يلحق بتارك الدين في القتل لكونه ترك احد مباني الاسلام ام لا لكونه

في

الخروج عن الدين ومن هذا الباب ما قاله كثير من العلما في قتل الداعيه الى البدع فانهم
نظروا الى ان ذلك شبيها بالخروج عن الدين وهو ذريعة وسبيل اليه فان استخفى بذلك
ولم يدع غيره كان حكمه حكم المنافقين اذا استخفوا واذا دعى الى ذلك تغلظ جرمه بافسادا
دين الامه وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم الامر بقتال الخوارج وقتلهم وقد
اختلف العلما في حكمهم فمنهم من قال هم كفار فيكون قتلهم لكفرهم ومنهم من قال انما يقتلون
لفسادهم في الارض بسفك دما المسلمين وتكفيرهم لهم وهو قول مالك وطايفه من
اصحابنا واجازوا الابتدا بقتالهم والاجهاز على جريحهم ومنهم من قال ان دعوا الى ما هم عليه
قوتلوا وان اظهروه ولم يدعوا اليه لم يقاتلوا وهو نص احمد واسحق وهو يرجع الى قتال
من دعى الى بدعه مغلظه ومنهم من لم ير البداه بقتالهم حتى يبدوا بقتال او بما يبيح قتالهم
من سفك دم ونحوه كما روي عن علي وهو قول الشافعي وكثير من اصحابنا وقد روي من
وجوه متعدده ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بقتل رجل كان يصلي وقال لو قتل لكان اول
فتنه واخرها وفي روايه لو قتل لم يختلف رجلان من امتي حتى يخرج الدجال خرجه الامام
احمد وغيره فيستدل بهذا على قتل المبتدع اذا كان قتله يكف شره عن المسلمين ويحسم
ماده الفتن وقد حكى ابن عبد البر وغيره عن مذهب مالك جواز قتل الداعي الى البدعه
فرجعت نصوص القتل كلها الى ما في حديث ابن مسعود بهذا التقرير ولله الحمد وكثير من العلما
يقول في كثير من هذه النصوص التي ذكرناها انها منسوخه بحديث بن مسعود وفي هذا
نظر من وجهين احدهما انه لا يعلم ان حديث بن مسعود كان متاخرا عن تلك النصوص
كلها لاسيما وابن مسعود من قدما المهاجرين وكثير من تلك النصوص يرويها من تاخر
اسلامه كابي هريره وجرير بن عبد الله ومعويه فان هولا كلهم رووا حديث قتل شارب
الخمر في المره الرابعه والثاني ان الخاص لا ينسخ بالعام ولو كان العام متاخرا عنه في
الصحيح الذي عليه جمهور العلما لان دلاله الخاص على معناه بالنص ودلاله العام عليه
بالظاهر عند الاكثرين فلا يبطل الظاهر حكم النص وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم

امر بقتل رجل كذب عليه في حياته وقال لحي من العرب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارسلني وامرني ان احكم في دمائكم واموالكم وهذا روي من وجوه متعدده كلها ضعيفه
وفي بعضها ان هذا الرجل كان قد خطب امراه منهم في الجاهليه فابوا ان يزوجوه وانه لما
قال لهم هذه المقاله صدقوه ونزل على تلك المراه وحينيذ فهذا الرجل قد زنا ونسب
اباحه ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم وهذا كفر وردة عن الدين وفي صحيح مسلم ان النبي صلى الله
عليه وسلم امر عليا بقتل القبطي الذي كان يدخل على ام ولده ماريه وكان الناس يتحدثون بذلك
فلما وجده علي مجبوبا تركه وقد حمله بعضهم على ان القبطي لم يكن اسلم بعد وان المعاهد اذا
فعل ما يوذي المسلمين انتقض عهده فكيف اذا اذى النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم
بل كان مسلما ولكنه نهي عن ذلك فلم ينته حتى تكلم الناس بسببه في فراش النبي صلى الله عليه وسلم
واذى النبي صلى الله عليه وسلم في فراشه مبيح للدم لكن لما ظهرت براته بالعيان تبين للناس براه
ماريه فزال السبب المبيح للقتل وقد روي عن الامام احمد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان له
يقتل بغير هذه الاسباب الثلاثه التي في حديث بن مسعود وغيره ليس له ذلك كانه يشير
الى انه صلى الله عليه وسلم كان له ان يعزر بالقتل اذا راى ذلك مصلحه لانه صلى الله عليه وسلم معصوم
من التعدي والحيف واما غيره فليس له ذلك لانه غير مامون عليه التعدي بالهوى
قال ابو داود سمعت احمد سيل عن حديث ابي بكر ما كانت لاحد بعد النبي صلى الله عليه
وسلم قال لم يكن لابي بكر ان يقتل رجلا الا باحدى ثلاث والنبي صلى الله عليه وسلم كان له ان يقتل
وحديث ابي بكر المشار اليه هو ان رجلا كلم ابا بكر فاغلظ له فقال له ابو برزه الا اقتله يا خليفه
رسول الله فقال ابو بكر ما كانت لاحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم وعلى هذا يتخرج حديث
الامر بقتل هذا القبطي ويتخرج عليه ايضا حديث الامر بقتل السارق فان كان صحيحا فان
فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بقتله في اول مره فراجعوه فيه فقطعه ثم فعل ذلك
اربع مرات وهو يامر بقتله فيراجع فيه فيقطع حتى قطعت اطرافه الاربع ثم قتل
في الخامسه والله تعالى اعلم

الحديث الخامس عشر عن ابي هريره

رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يومن بالله واليوم الاخر فليقل
خيرًا او ليصمت ومن كان يومن بالله واليوم الاخر فليلزم جاره ومن كان يومن بالله
واليوم الاخر فليكرم ضيفه رواه البخاري ومسلم هذا الحديث خرجاه من طرق عن ابي
هريره وفي بعض الفاظها فلا يوذ جاره وفي بعضها فليحسن قرى ضيفه وفي بعضها فليصل
رحمه بدل ذكر الجار وخرجاه ايضا بمعناه من حديث ابي شريح الخزاعي عن النبي صلى الله عليه
وسلم وقد روي هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث عايشه وابن مسعود وعبد
الله بن عمرو وابي ايوب الانصاري وابن عباس وغيرهم من الصحابه فقوله صلى الله عليه وسلم
من كان يومن بالله واليوم الاخر فليفعل كذا وكذا يدل على ان هذه الخصال من خصال الايمان
وقد سبق ان الاعمال تدخل في الايمان وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم الايمان بالصبر
والسماحه قال الحسن المراد الصبر عن المعاصي والسماحه بالطاعه واعمال الايمان
تاره تتعلق بحقوق الله كادا الواجبات وترك المحرمات ومن ذلك قول الخير والصمت
عن غيره وتاره تتعلق بحقوق عباده كاكرام الضيف واكرام الجار والكف عن اذاه فهذه ثلاثه
اشيا يومر بها المومن احدها قول الخير والصمت عما سواه وقد روي الطبراني من حديث
اسود بن اصرم المحاربي قال قلت يا رسول الله اوصني قال هل تملك لسانك قلت ما املك
اذا لم املك لساني قال فهل تملك يدك قلت فما املك اذا لم املك يدي قال فلا تقل
بلسانك الا معروفا ولا تبسط يدك الا الى خير وقد ورد ان استقامه اللسان من خصال
الايمان كما في المسند عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم
قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه وخرج الطبراني من حديث انس عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لا يبلغ عبد حقيقه الايمان حتى يخزن من لسانه وخرج الطبراني
من حديث معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انك لن تزال سالما ما سكت
فاذا تكلمت كتب لك او عليك وفي مسند الامام احمد عن عبد الله بن عمرو بن العاصي عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال من صمت نجا وفي الصحيحين عن ابي هريره عن النبي صلى الله

عليه وسلم قال ان الرجل ليتكلم بالكلمه ما يتبين ما فيها يزل بها في النار ابعد ما بين المشرق
والمغرب وخرج الامام احمد والترمذي من حديث ابي هريره عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان الرجل ليتكلم بالكلمه لا يرى بها باسًا يهوي بها سبعين خريفًا في النار وفي صحيح البخاري
عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليتكلم بالكلمه من رضوان الله لا
يلقي لها بالا يرفعه الله بها درجات وان العبد ليتكلم بالكلمه من سخط الله لا
يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم وخرج الامام احمد من حديث سليمان بن سحيم عن امه
قالت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل ليدنو من الجنه حتى ما يكون بينه
وبينها الا ذراع فيتكلم بالكلمه فيتباعد منها ابعد من صنعا وخرج الامام احمد والترمذي
والنسائي من حديث بلال بن الحرث قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان احدكم
ليتكلم بالكلمه من رضوان الله ما يظن ان تبلغ ما بلغت فيكتب الله بها رضوانه الى يوم
يلقاه وان احدكم ليتكلم بالكلمه من سخط الله ما يظن ان تبلغ ما بلغت فيكتب الله عليه بها
سخطه الى يوم يلقاه وقد ذكرنا فيما سبق حديث ام حبيبه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال كلام ابن ادم عليه لا له الا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وذكر الله عز وجل
فقوله صلى الله عليه وسلم ليقل خيرًا او ليصمت امر بقول الخير وبالصمت عما عداه وهذا
يدل على انه ليس هناك كلام يستوي قوله والصمت عنه بل اما ان يكون خيرًا فيكون
مامورًا بقوله واما ان يكون غير خير فيكون مامورًا بالصمت عنه وحديث معاذ وام
حبيبه يدلان على هذا وخرج ابن ابي الدنيا حديث معاذ بن جبل ولفظه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال له يا معاذ ثكلتك امك وهل تقول شيا الا وهو لك او عليك وقد
قال الله عز وجل اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد وقد اجمع السلف الصالح على ان الذي عن يمينه يكتب الحسنات والذي عن
شماله يكتب السيات وقد روي ذلك مرفوعًا من حديث ابي امامه باسناد ضعيف
وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان احدكم يصلي فانه يناجي ربه والملك عن يمينه

وروي من حديث حذيفة مرفوعًا ان عن يمينه كاتب الحسنات واختلفوا هل
يكتب كلما تكلم به او لا يكتب الا ما فيه ثواب وعقاب على قولين مشهورين وقال علي
بن ابي طلحة عن ابن عباس يكتب كلما تكلم به من خير او شر حتى انه ليكتب قوله اكلت وشربت
ذهبت جئت حتى اذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله فاقر منه ما كان فيه من خير او
شر والقي سايره فذلك قوله يمحوا الله ما يشا ويثبت وعنده ام الكتاب وعن يحيى بن ابي كثير
قال ركب رجل الحمار فعثر به فقال تعس الحمار فقال صاحب اليمين ما هي حسنة اكتبها
وقال صاحب الشمال ما هي سيية فاكتبها فاوحى الله الى صاحب الشمال ما ترك صاحب اليمين
من شي فاكتبه فاثبت في السيات تعس الحمار وظاهر هذا ان ما ليس بحسنة فهو سيية
وان كان لا يعاقب عليها فان بعض السيات قد لا يعاقب عليها وقد تقع مكفرة باجتناب
الكباير ولكن زمانها قد خسره صاحبها حيث ذهب باطلا فيحصل له بذلك حسرة في القيمة واسف
عليه وهو نوع عقوبة وخرج الامام احمد وابو داود والنساي من حديث ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه الا قاموا على
عن مثل جيفة حمار وكان لهم حسرة وخرجه الترمذي ولفظه ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا
الله فيه ولم يصلوا على نبيهم الا كان عليهم ترة فان شا عذبهم وان شا غفر لهم وفي رواية لابي
داود والنساي من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضجعا
لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة زاد النساي ومن قام مقاما لم يذكر الله كانت عليه من
الله ترة وخرج ايضا من حديث ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من قوم
يجلسون مجلسا لا يذكرون الله فيه الا كانت عليهم حسرة يوم القيمة وان دخلوا الجنة
وقال مجاهد ما جلس قوم مجلسا فتفرقوا قبل ان يذكروا الله الا تفرقوا عن انتن من ريح
الجيفة وكان مجلسهم يشهد عليهم بغفلتهم وما جلس قوم مجلسا فذكروا الله قبل ان يتفرقوا
الا تفرقوا عن اطيب من ريح المسك وكان مجلسهم يشهد لهم بذكرهم وقال بعض السلف
يعرض على ابن ادم يوم القيمة ساعات عمره فكل ساعة لم يذكر الله فيها تتقطع نفسه

عليها حسرات وخرجه الطبراني من حديث عايشة مرفوعا ما من ساعة تمر بابن ادم
لم يذكر الله فيها الا تحسر عليها يوم القيمة فمن هنا يعلم ان ما ليس بخير من الكلام فالسكو[ت]
عنه افضل من التكلم به اللهم الا ما تدعو اليه الحاجة مما لا بد منه وقد روي عن ابن مسعود
قال اياكم وفضول الكلام حسب امري ما بلغ حاجته وعن النخعي قال يهلك الناس في فضول
المال والكلام وايضا فان الاكثار من الكلام الذي لا حاجة اليه يوجب قساوة القلب
كما في الترمذي من حديث ابن عمر مرفوعا لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فان كثرة الكلام بغير
ذكر الله تقسي القلب وان ابعد الناس عن الله القلب القاسي وقال عمر من كثر كلامه كثر
سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كانت النار اولى به وخرجه
العقيلي من حديث ابن عمر مرفوعا باسناد ضعيف وقال محمد بن عجلان انما الكلام اربعة
ان تذكر الله وتقرا القران وتسال عن علم فتخبر به او تكلم فيما يعنيك من امر دنياك وقال
رجل لسلمان اوصني قال لا تكلم قال ما يستطيع من عاش في الناس ان لا يتكلم قال فان تكلمت
فتكلم بحق او اسكت وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه ياخذ بلسانه ويقول هذا
اوردني الموارد وقال ابن مسعود رضي الله عنه والله الذي لا اله الا هو ما على الارض احق
بطول سجن من لسان وقال وهب ابن منبه اجمعت الحكما ان راس الحكم الصمت وقال
شميط بن عجلان يا ابن ادم انك ما سكت فانت سالم فاذا تكلمت فخذ حذرك اما لك واما
عليك وهذا باب يطول استقصاوه والمقصود ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالكلام
بالخير والسكوت عما ليس بخير وخرج الامام احمد وابن حبان من حديث البرا بن عازب
ان رجلا قال يا رسول الله علمني عملا يدخلني الجنة فذكر الحديث وفيه قال فاطعم الجايع
واسق الظمان وامر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق ذلك فكف لسانك الا من
خير فليس الكلام مامورا به على الاطلاق ولا السكوت كذلك بل لا بد من الكلام بالخير
والسكوت عن الشر وكان السلف كثيرا ما يمدحون الصمت عن الشر وعما لا يعني لشدته
على النفس وعظم ذلك يقع فيه الناس كثيرا فكانوا يعالجون انفسهم ويجاهدونها على

السكوت عما لا يعنيه قال الفضيل بن عياض ما حج ولا رباط ولا جهاد اشد من حبس اللسان
ولو اصبحت يهمك لسانك اصبحت في غم شديد وقال سجن اللسان سجن المومن ولو اصبحت
يهمك لسانك اصبحت في غم شديد وسيل ابن المبارك عن قول لقمان لابنه ان كان الكلام من
فضه فان الصمت من ذهب فقال معناه لو كان الكلام بطاعه الله من فضه فان
الصمت عن معصيه الله من ذهب وهذا يرجع الي ان الكف عن المعاصي افضل من عمل
الطاعات وقد سبق القول في هذا مستوفي وتذاكروا عند الاحنف بن قيس ايما
افضل الصمت او النطق فقال قوم الصمت افضل فقال الاحنف المنطق افضل لان
فضل الصمت لا يعدو صاحبه والمنطق الحسن ينتفع به من سمعه وقال رجل من العلما
عند عمر بن عبد العزيز رحمه الله الصامت علي علم كالمتكلم علي علم فقال عمر اني لارجوا
ان يكون المتكلم علي علم افضلهما يوم القيمه حالا وذلك ان منفعته للناس وهذا صمته لنفسه
فقال له يا امير المومنين وكيف بفتنه المنطق فبكا عمر عند ذلك بكا شديدا
ولقد خطب عمر بن عبد العزيز يوما فرق الناس وبكوا فقطع خطبته فقيل له لو اتممت
كلامك رجونا ان ينفع الله به فقال عمر ان القول فتنه والفعل اولي بالمومن من القول
وكنت من مده طويله قد رايت في المنام امير المومنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
وسمعته يتكلم في هذه المسله والظن اني فاوضته فيها وفهمت من كلامه ان التكلم بالخير
افضل من السكوت واظن انه وقع في اثنا الكلام ذكر سليمن بن عبد الملك وان عمر قال
ذلك له وقد روي عن سليمن بن عبد الملك انه قال الصمت منام العقل والمنطق
يقظته ولا يتم حال الا بحال يعني لا بد من الصمت والكلام وما احسن ما قال عبيد الله بن
جعفر فقيه اهل مصر في وقته وكان احد الحكما اذا كان المرء يحدث في مجلس
فاعجبه الحديث فليسكت واذا كان ساكتا فاعجبه السكوت فليحدث وهذا حسن
فان من كان كذلك كان سكوته وحديثه لمخالفه هواه واعجابه بنفسه ومن كان كذلك
كان جديرا بتوفيق الله اياه وتسديده في نطقه وسكوته لان كلامه وسكوته يكون

لله عز وجل **وفي مراسيل الحسن** عن النبي صلي الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه عز وجل
قال علامه الطهر ان يكون قلب العبد عندي معلقا فاذا كان كذلك لم ينسني علي حال
واذا كان كذلك مننت عليه بالاشتغال بي كيلا ينساني فاذا نسيني حركت قلبه فان تكلم تكلم لي
وان سكت سكت لي فذلك الذي تاتيه المعونه من عندي خرجه ابراهيم بن الجنيد وبكل حال
فالتزام الصمت مطلقا واعتقاده قربه اما مطلقا او في بعض العبادات كالحج والاعتكاف والصيام
منهي عنه وروي من حديث ابي هريره عن النبي صلي الله عليه وسلم انه نهي عن صيام الصمت
وخرج الاسمعيلي من حديث علي قال نهانا رسول الله صلي الله عليه وسلم عن الصمت في
العكوف **وفي سنن ابي داود** من حديث علي عن النبي صلي الله عليه وسلم قال لا صمات يوما
الي الليل وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لامراه حجت مصمته ان هذا لا يحل هذا من
عمل الجاهليه وروي عن علي بن الحسين زين العابدين انه قال صوم الصمت حرام الثاني مما امر به
النبي صلي الله عليه وسلم في هذا الحديث للمومنين اكرام الجار وفي بعض الروايات النهي عن اذي الجار
فاما اذي الجار فمحرم فان الاذي بغير حق محرم لكل احد ولكن في حق الجار هو اشد تحريما
وفي الصحيحين عن ابن مسعود عن النبي صلي الله عليه وسلم انه سيل اي الذنب اعظم قال ان
تجعل لله ندا وهو خلقك قيل ثم اي قال ان تقتل ولدك مخافه ان يطعم معك قيل ثم اي قال
ان تزاني حليله جارك **وفي مسند الامام احمد** عن المقداد بن الاسود قال قال رسول
الله صلي الله عليه وسلم ما تقولون في الزنا قالوا حرام حرمه الله ورسوله فهو حرام الي يوم القيمه
فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لان يزني الرجل بعشر نسوه ايسر عليه من ان يزني
بامراه جاره قال فما تقولون في السرقه قالوا حرمها الله ورسوله فهي حرام قال لان يسرق
الرجل من عشره ابيات ايسر عليه من ان يسرق من جاره **وفي صحيح البخاري** عن ابي شريح عن
النبي صلي الله عليه وسلم قال والله لا يومن والله لا يومن والله لا يومن من لا يامن جاره بوايقه
خرجه الامام احمد وغيره عن ابي هريره **وفي صحيح مسلم** عن ابي هريره عن النبي صلي الله عليه وسلم
قال لا يدخل الجنه من لا يامن جاره بوايقه **وخرج الامام احمد والحاكم** من حديث ابي هريره

قال قيل يا رسول الله ان فلانه تصلي الليل وتصوم النهار وفي لسانها شي يوذي جيرانها قال لا
خير فيها هي في النار وقيل له ان فلانه تصلي المكتوبه وتصوم رمضان وتتصدق بالاثوار
وليس لها شي غيره ولا توذي احدا قال هي في الجنه ولفظ الامام احمد ولا توذي بلسانها
جيرانها وخرج الحاكم من حديث ابي جحيفة قال جا رجل الي النبي صلي الله عليه وسلم يشكو جاره
فقال له اطرح متاعك في الطريق قال فجعل الناس يمرون به فيلعنونه فجا الي النبي صلي الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله ما لقيت من الناس قال وما لقيت منهم قال يلعنوني قال فقد
لعنك الله قبل الناس قال يا رسول الله فاني لا اعود وخرجه ابو داود بمعناه من حديث
ابي هريره ولم يذكر فيه فقد لعنك الله قبل الناس وخرج الخرايطي من حديث ام سلمه
قالت دخلت شاة لجار لنا فاخذت قرصة لنا فقمت اليها فاخذتها من بين لحييها
فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم انه لا قليل من اذي الجار واما اكرام الجار والاحسان اليه
فمامور به وقد قال الله عز وجل واعبدوا الله ولا تشركوا به شيا وبالوالدين احسانا وبذي
القربي واليتامي والمساكين والجار ذي القربي والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل
وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا فجمع الله تعالي في هذه الايه بين ذكر حقه
علي العبد وحقوق العباد علي العبد ايضا وجعل العباد الذين امر بالاحسان اليهم خمسة انواع
احدها من بينه وبين الانسان قرابه وخص منهم الوالدين بالذكر لامتيازهما عن
ساير الاقارب بما لا يشركهما فيه فانهما كانا السبب في وجود الولد ولهما حق التربيه
والتاديب وغير ذلك الثاني من هو ضعيف محتاج الي الاحسان وهو نوعان من هو محتاج
لضعف بدنه وهو اليتيم ومن هو محتاج لقله ماله وهو المسكين والثالث من له حق
القرب والمخالطه وجعلهم ثلاثه انواع جار ذو قربي وجار جنب وصاحب بالجنب
وقد اختلف المفسرون في تاويل ذلك فمنهم من قال الجار ذو القربي الجار الذي له قرابه
والجار الجنب الاجنبي ومنهم من ادخل المراه في الجار ذي القربي ومنهم من ادخلها في الجار
الجنب ومنهم من ادخل الرفيق في السفر في الجار الجنب وقد روي عن النبي صلي الله عليه وسلم

انه كان يقول في دعايه اعوذ بك من جار السو في دار الاقامه فان جار البادي يتحول ومنهم من
قال الجار ذو القربي الجار المسلم والجار الجنب الكافر وفي مسند البزار من حديث جابر مرفوعا
الجيران ثلاثه جار له حق واحد وهو ادني الجيران حقا وجار له حقان وجار له ثلاثه حقوق
وهو افضل الجيران حقا فاما الذي له حق واحد فجار مشرك لا رحم له له حق الجوار واما
الذي له حقان فجار مسلم له حق الاسلام وحق الجوار واما الذي له ثلاثه حقوق فجار مسلم
ذو رحم له حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم وقد روي هذا الحديث من وجوه اخر
متصله ومرسله ولا تخلو كلها من مقال وقيل الجار ذو القربي هو القريب الجوار الملاصق
والجار الجنب البعيد الجوار وفي صحيح البخاري عن عايشه قالت قلت يا رسول الله ان لي
جارين فالي ايهما اهدي قال الي اقربهما منك بابا وقال طايفه من السلف حد الجوار
اربعون دارا وقيل مستدار اربعين دارا من كل جانب وفي مراسيل الزهري ان رجلا
اتي النبي صلي الله عليه وسلم يشكو جارا له فامر النبي صلي الله عليه وسلم بعض اصحابه ان ينادي الا ان
اربعين دارا جار قال الزهري اربعون هكذا واربعون هكذا واربعون هكذا واربعون
هكذا يعني من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وسيل الامام احمد عمن
يطبخ قدرا وهو في دار السبيل ومعه في الدار نحو ثلاثين او اربعين نفسا يعني انهم سكان معه
في الدار فقال يبدا بنفسه وبمن يعول فان فضل فضل اعطي الاقرب اليه وكيف يمكنه ان
يعطيهم كلهم قيل له لعل الذي هو جاره يتهاون بذلك ليس له عنده موقع فراي انه لا يبعث
اليه واما الصاحب بالجنب ففسره طايفه بالزوجه وفسره طايفه منهم ابن عباس بالرفيق
في السفر ولم يريد اخراج الصاحب الملازم في الحضر انما اراد ان صحبه السفر تكفي فالصحبه
الدايمه في الحضر اولي ولهذا قال سعيد بن جبير هو الرفيق الصالح وقال زيد بن اسلم هو
جليسك في الحضر ورفيقك في السفر وقال ابن زيد هو الرجل يعتريك ويلم بك لتنفعه وفي
المسند والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلي الله عليه وسلم قال خير الاصحاب
عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره الرابع من هو وارد علي الانسان

غير مقيم عنده وهو ابن السبيل يعني المسافر اذا ورد الي بلد اخر وفسره بعضهم بالضيف
يعني به ابن السبيل اذا نزل ضيفا علي احد والخامس ملك اليمين وقد وصي النبي صلي الله عليه
بهم كثيرا وامر بالاحسان اليهم وروي كما وصي به عند مونه الصلاه وما ملكت ايمانكم وادخل
بعض السلف في هذه الايه ما يملكه الانسان من الحيوانات والبهايم ولنرجع الي شرح
حديث ابي هريره في اكرام الجار وفي الصحيحين عن عايشه وابن عمر عن النبي صلي الله عليه
وسلم قال ما زال جبريل يوصيني بالجار حتي ظننت انه سيورثه فمن انواع الاحسان الي الجار
مواساته عند حاجته وفي المسند عن عمر عن النبي صلي الله عليه وسلم قال لا يشبع المومن
دون جاره وخرج الحاكم من حديث ابن عباس عن النبي صلي الله عليه وسلم قال ليس المومن الذي
يشبع وجاره جايع وفي روايه اخري عن ابن عباس عن النبي صلي الله عليه وسلم قال ما امن من بات
شبعانا وجاره طاويا وفي المسند عن عقبه بن عامر عن النبي صلي الله عليه وسلم قال اول
خصمين يوم القيمه جاران وفي كتاب الادب للبخاري عن ابن عمر عن النبي صلي الله عليه وسلم
قال كم من جار متعلق بجاره يوم القيمه فيقول يا رب هذا اغلق بابه دوني فمنع معروفه
وخرج الطبراني الخرايطي وغيره باسناد ضعيف من حديث عطا الخراساني عن
عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي صلي الله عليه وسلم من اغلق بابه دون جاره مخافه
علي اهله وماله فليس ذلك بمومن وليس بمومن من لم يامن جاره بوايقه اتدري ما حق الجار
اذا استعانك اعنته واذا استقرضك اقرضته واذا افتقر عدت عليه واذا مرض عدته
واذا اصابه خير هنيته واذا اصابته مصيبه عزيته واذا مات اتبعت جنازته ولا
تستطل عليه بالبنا فتحجب عنه الريح الا باذنه ولا توذه بقتار ريح قدرك الا ان تغرف
له منها وان اشتريت فاكهه فاهد له فان لم تفعل فادخلها سرا ولا تخرج بها ولدك ليغيظ
بها ولده ورفع هذا الكلام منكر ولعله من تفسير عطا الخراساني وقد روي ايضا عن عطا عن
الحسن عن جابر مرفوعا ادني حق الجوار ان لا توذي جارك بقتار قدرك الا ان تقدح له منها
وفي صحيح مسلم عن ابي ذر قال اوصاني خليلي صلي الله عليه وسلم اذا طبخت مرقا فاكثر ماه ثم انظر

الي اهل بيت جيرانك فاصبهم منها بمعروف وفي روايه ان النبي صلي الله عليه قال له يا ابا ذر
اذا طبخت مرقه فاكثر ماها وتعاهد جيرانك وفي المسند والترمذي عن
عبد الله بن عمرو بن العاص انه ذبح شاه فقال هل اهديتم منها لجارنا اليهودي ثلث مرات
ثم قال سمعت النبي صلي الله عليه وسلم يقول ما زال جبريل يوصيني بالجار حتي ظننت انه سيورثه
وفي الصحيحين عن ابي هريره عن النبي صلي الله عليه وسلم لا يمنعن احدكم جاره ان يغرز
خشبه في جداره ثم يقول ابو هريره مالي اراكم عنها معرضين والله لارمين بها بين
اكتافكم ومذهب الامام احمد ان الجار يلزمه ان يمكن جاره من وضع خشبه علي جداره
اذا احتاج الجار الي ذلك ولم يضر بجداره لهذا الحديث الصحيح وظاهر كلامه ان يجب عليه ان
يواسيه من فضل ما عنده بما لا يضر به اذا علم حاجته قال المروذي قلت لابي عبد
الله اني اسمع السايل في الطريق يقول اني جايع فقال قد يصدق وقد يكذب قلت
فاذا كان لي جار اعلم انه يجوع قال تواسيه قلت اذا كان قوتي رغيفين قال تطعمه
شيا ثم قال الذي جا في الحديث انما هو الجار وقال المروذي قلت لابي عبد الله
الاغنيا يجب عليهم المواساه قال اذا كان قوم يضعون شيا علي شي كيف لا يجب عليهم
قلت اذا كان للرجل قميصان او قلنسوتان يجب عليه المواساه قال اذا كان يحتاج الي
ان يكون فضلا وهذا نص منه في وجوب المواساه من الفاضل ولم يخصه بالجار ونصه
الاول يقتضي اختصاصه بالجار وقال في روايه ابن هاني في السوال يكذبون احب
الينا لو صدقوا ما وسعنا الا مواساتهم وهذا يدل علي وجوب مواساه الجايع من
الجيران وغيرهم وفي الصحيح عن ابي موسي عن النبي صلي الله عليه وسلم قال اطعموا الجايع
وعودوا المريض وفكوا العاني وفي المسند وصحيح الحاكم عن عمر عن النبي صلي
الله عليه وسلم ايما اهل عرصه اصبح فيهم امرو جايعا فقد بريت منهم ذمه الله عز
وجل ومذهب احمد ومالك انه يمنع الجار ان يتصرف في خاص ملكه بما يضر بجاره
فيجب عندهما كف الاذي عن الجار بمنع احداث الانتفاع المضر به ولو كان المنتفع
قال

انما ينتفع بخاص ملكه وتجب عند احمد ان يبذل للجار ما يحتاج اليه ولا ضرر عليه في
بذله واعلا من هذين ان يصبر على اذى جاره ولا يقابله بالاذى ويروى من حديث ابي ذر
يرفعه ان الله يحب الرجل يكون له الجار يوذيه جواره فيصبر على اذاه حتى يفرق بينهما
موت او ظعن خرجه الامام احمد **وفي مراسيل ابي عبد الرحمن الحبلي** ان رجلا
جا الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو اليه جاره فقال النبي صلى الله عليه وسلم كف اذاك عنه واصبر
لاذاه فكفى بالموت مفرقا خرجه ابن ابي الدنيا الثالث مما امر به صلى الله عليه وسلم
المومنين اكرام الضيف والمراد احسان ضيافته **وفي الصحيحين** من حديث ابي شريح
قال ابصرت عيناي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمعته اذناي حين تكلم به قال من كان يومن
بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه جايزته قالوا وما جايزته قال يوم وليلة قال والضيافة
ثلاثة ايام وما كان بعد ذلك فهو صدقة **وخرج مسلم** من حديث ابي شريح ايضا عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال الضيافة ثلاثة ايام وجايزته يوم وليلة وما انفق عليه بعد ذلك فهو
صدقة ولا يحل له ان يثوي عنده حتى يوثمه قالوا يا رسول الله وكيف يوثمه قال يقيم عنده ولا
شي له يقريه به **وخرج الامام احمد** من حديث ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه قالها ثلاثا قالوا وما كرامة الضيف يا رسول
الله قال ثلاثة ايام فما جلس بعد ذلك فهو صدقة ففي هذه الاحاديث ان جايزة الضيف
يوم وليلة وان الضيافة ثلاثة ايام ففرق بين الجايزة والضيافة واكد الجايزة وقد ورد في
تاكيدها احاديث اخر **فخرج ابو داود** من حديث المقدام بن معدي كرب عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ليلة الضيف حق على كل مسلم فمن اصبح بفنايه فهو عليه دين ان شا اقتضى وان شا
ترك وخرجه ابن ماجه ولفظه ليلة الضيف حق على كل مسلم **وخرج الامام احمد** وابو
داود من حديث المقدام عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ايما رجل اضاف قوما فاصبح الضيف
محروما فان نصره حق على كل مسلم حتى ياخذ بقرى ليلة من زرعه وماله **وفي
الصحيحين** عن عقبة بن عامر قال قلنا يا رسول الله انك تبعثنا فننزل بقوم لا يقرونا

فما ترى فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نزلتم بقوم فامروا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا
فان لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم **وخرج الامام احمد والحاكم** من
حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ايما ضيف نزل بقوم فاصبح الضيف محروما
فله ان ياخذ بقدر قراه ولا حرج عليه وقال عبد الله بن عمرو من لم يضف فليس من
محمد ولا ابراهيم وقال عبد الله بن الحرث بن جزء من لم يكرم ضيفه فليس من محمد ولا
من ابراهيم وقال ابو هريرة لقوم نزل عليهم فاستضافهم فلم يضيفوه فتنحى ونزل فدعاهم
الى طعامه فلم يجيبوه فقال لهم لا تنزلون الضيف ولا تجيبون الدعوة ما انتم من الاسلام على شي
فعرفه رجل منهم فقال له انزل عافاك الله قال هذا شر وشر لا تنزلون الا من تعرفون
وروى عن ابي الدردا نحو هذه القصة الا انه قال لهم ما انتم من الدين الا مثل هذه واشار الى
هدبة في ثوبه وهذه النصوص تدل على وجوب الضيافة يوما وليلة وهو قول الليث
واحمد وقال احمد له المطالبة بذلك اذا منعه لانه حق له واجب وهل ياخذ بيده من
ماله اذا منعه او يرفعه الى الحاكم على روايتين منصوصتين عنه وقال حميد بن زنجويه
ليلة الضيف واجبة وليس له ان ياخذ قراه منهم قهرا الا ان يكون مسافرا في مصالح
المسلمين العامة دون مصلحة نفسه وقال الليث بن سعد لو نزل الضيف بالعبد
اضافه من المال الذي بيده وللضيف ان ياكل وان لم يعلم ان سيده اذن له لان الضيافة
واجبة وهو قياس قول احمد لانه نص على انه يجوز اجابة دعوة العبد الماذون له في التجارة
وقد روي عن جماعة من الصحابة انهم اجابوا دعوة المملوك وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه
وسلم ايضا فاذا جاز له ان يدعو الناس الى طعامه ابتدا وجاز لهم اجابة دعوته فاضافته
لمن نزل به اولى ومنع مالك والشافعي وغيرهما من دعوة العبد الماذون له بدون
اذن سيده ونقل علي بن سعيد عن احمد ما يدل على وجوب الضيافة للغزاة خاصة لمن
مروا بهم ثلاثة ايام والمشهور عنه الاول وهو وجوبها لكل ضيف نزل بقوم واختلف
قوله هل تجب على اهل الامصار والقرى ام تختص باهل القرى ومن كان على طريق يمر به المسافرون

علي روايتين منصوصتين عنه والمنصوص عنه انها تجب للمسلم والكافر وخص كثير من اصحابه
الوجوب للمسلم كما لا تجب نفقه الاقارب مع اختلاف الدين على احدى الروايتين عنه واما
اليومان الاخران وهما الثاني والثالث فهما تمام الضيافه والمنصوص عن احمد انه لا يجب
الا الجايزه الاولى وقال قد فرق بين الجايزه والضيافه والجايزه اوكد ومن اصحابنا من اوجب
الضيافه ثلاثه ايام منهم ابو بكر عبد العزيز وابن ابي موسى والامدي وما بعد الثلاث فهو
صدقه وظن بعض الناس ان الضيافه ثلاثه ايام بعد اليوم والليله الاولى ورده احمد بقوله
صلى الله عليه وسلم الضيافه ثلاثه ايام فما زاد فهو صدقه ولو كان كما ظن هذا لكانت اربعه
قلت ونظير هذا قوله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الى قوله وبارك
فيها وقدر فيها اقواتها في اربعه ايام والمراد في تمام الاربعه وهذا الحديث الذي احتج به احمد
قد تقدم من حديث ابي شريح وخرجه البخاري من حديث ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من كان يومن بالله واليوم الاخر فليحسن قرى ضيفه قيل يا رسول الله وما قرى الضيف
قال ثلاث فما كان بعد فهو صدقه قال حميد بن زنجويه عليه ان يتكلف له في اليوم
والليله من الطعام اطيب مما ياكله هو وعياله وفي تمام الثلاث يطعمه من طعامه وفي
هذا نظر وسنذكر حديث سلمان بالنهي عن التكلف للضيف ونقل اشهب عن مالك
قال جايزته يوم وليله يكرمه ويتحفه ويخصه يوما وليله وثلاثه ايام ضيافه وكان ابن عمر يمتنع
من الاكل من مال من نزل عليه فوق ثلاثه ايام ويامر ان ينفق عليه من ماله ولصاحب
المنزل ان يامر الضيف بالتحول عنه بعد الثلاث لانه قضى ما عليه وفعل ذلك
الامام احمد وقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل له ان يثوي عنده حتى يحرجه يعني يقيم عنده حتى يضيق
عليه لكن هل هذا في الايام الثلاثه ام فيما زاد عليها فاما فيها ليس بواجب فلا شك في تحريمه واما
فيما هو واجب وهو اليوم والليله فينبني على انه هل تجب الضيافه على من لا يجد شيا ام لا تجب
الا على من وجد ما يضيف به فان قيل لا تجب الا على من يجد ما يضيف به وهو قول
طايفه من اهل الحديث منهم حميد بن زنجويه لم يحل للضيف ان يستضيف من هو عاجز عن

ضيافته وقد روي من حديث سلمان قال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
نتكلف للضيف ما ليس عندنا فاذا نهي المضيف ان يتكلف للضيف ما ليس عنده
دل على انه لا يجب عليه المواساه للضيف الا بما عنده فاذا لم يكن عنده فضل لم
يلزمه شي واما اذا اثر على نفسه كما فعل الانصاري الذي نزل فيه ويوثرون على انفسهم
ولو كان بهم خصاصه فذاك مقام فضل واحسان وليس بواجب ولو علم الضيف
انهم لا يضيفونه الا بقوتهم وقوت صبيانهم وان الصبيه يتاذون بذلك لم يجز له
استضافتهم حينيذ عملا بقوله صلى الله عليه وسلم ولا يحل له ان يقيم عنده حتى يحرجه
وايضا فالضيافه نفقه واجبه فلا تجب الا على من عنده فضل عن قوته وقوت
عياله كنفقه الاقارب وزكاه الفطر وقد انكر الخطابي تفسير تاثيمه بان يقيم عنده
ولا شي له يقريه به وقال اراه غلطا وكيف ياثم في ذلك وهو لا يتسع لقراه ولا يجد سبيلا
اليه وانما الكلفه على قدر الطاقه قال وانما وجه الحديث انه كره له المقام عنده
بعد ثلاث ليلا يضيق صدره بمكانه فتكون الصدقه منه على وجه المن والاذى
فيبطل اجره وهذا الذي قاله فيه نظر فانه قد صح تفسيره في الحديث بما انكره وانما
وجهه انه اذا اقام عنده ولا شي له يقريه به فربما دعاه ضيق صدره به وحرجه الى
ما ياثم به في قول او فعل وليس المراد انه ياثم بترك قراه مع عجزه عنه والله اعلم

الحديث السادس عشر عن ابي هريره رضي الله عنه

ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم اوصني قال لا تغضب فردد مرارا قال لا تغضب
رواه البخاري هذا الحديث خرجه البخاري من طريق ابي حصين الاسدي عن ابي
صالح عن ابي هريره ولم يخرجه مسلم لان الاعمش رواه عن ابي صالح واختلف عليه في
اسناده فقيل عنه عن ابي صالح عن ابي هريره كقول ابي حصين وقيل عنه عن ابي صالح
عن ابي سعيد الخدري وعند يحيى ابن معين ان هذا هو الصحيح وقيل عنه عن ابي صالح
عن ابي هريره وابي سعيد وقيل عنه عن ابي صالح عن ابي هريره او جابر وقيل عنه عن ابي

صالح عن رجل من الصحابه غير مسمى **وخرج الترمذي** هذا الحديث من طريق ابي
حصين ايضاً ولفظه جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله علمني شيا ولا تكثر علي لعلي
اعيه قال لا تغضب فردد ذلك مراراً كل ذلك يقول لا تغضب وفي رواية اخرى
لغير الترمذي قال قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنه ولا تكثر علي قال لا تغضب
فهذا الرجل طلب من النبي صلى الله عليه وسلم ان يوصيه وصيه وجيزه جامعه لخصال
الخير ليحفظها عنه خشيه ان لا يحفظها لكثرتها فوصاه النبي صلى الله عليه وسلم ان لا
يغضب ثم ردد هذه المسله عليه مراراً والنبي صلى الله عليه وسلم يردد عليه هذا الجواب
فهذا يدل على ان الغضب جماع الشر وان التحرز منه جماع الخير ولعل هذا الرجل الذي
سال النبي صلى الله عليه وسلم هو ابو الدردا فقد خرج الطبراني من حديث ابي الدردا قال
قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنه قال لا تغضب ولك الجنه وقد روي الاحنف بن قيس
عن عمه جاريه بن قدامه ان رجلاً قال يا رسول قل لي قولا واقلل علي لعلي اعقله قال لا تغضب
فاعاد عليه مراراً كل ذلك يقول لا تغضب خرجه الامام احمد وفي روايه له ان جاريه بن
قدامه قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم فذكره فهذا يغلب على الظن ان السايل هو جاريه
بن قدامه ولكن ذكر الامام احمد عن يحيى القطان انه قال هكذا قال هشام يعني ان هشاماً
ذكر في الحديث ان جاريه سال النبي صلى الله عليه وسلم قال يحيى وهم يقولون لم يدرك النبي
صلى الله عليه وسلم وكذا قال العجلي وغيره انه تابعي ليس بصحابي **وخرج الامام احمد** من
حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
قال قلت يا رسول الله اوصني قال لا تغضب قال الرجل ففكرت حين قال النبي
صلى الله عليه وسلم ما قال فاذا الغضب يجمع الشر كله رواه مالك في الموطا عن الزهري
عن حميد مرسلا **وخرج الامام احمد** من حديث عبد الله بن عمرو انه سال النبي صلى الله
عليه وسلم ماذا يباعدني من غضب الله عز وجل قال لا تغضب وقول الصحابي فكرت
فيما قال النبي صلى الله عليه وسلم فاذا الغضب يجمع الشر كله يشهد لما ذكرناه ان الغضب

جماع الشر قال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر وقيل لابن المبارك اجمع لنا حسن
الخلق في كلمه قال ترك الغضب وكذا فسر الامام احمد واسحق بن راهويه حسن
الخلق بترك الغضب وقد روي ذلك مرفوعاً اخرجه محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلا ٥
من حديث ابي العلا بن الشخير ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه فقال يا
رسول الله اي العمل افضل قال حسن الخلق ثم اتاه عن يمينه فقال اي العمل افضل
قال حسن الخلق ثم اتاه عن شماله فقال يا رسول الله اي العمل افضل قال حسن الخلق ثم
اتاه من بعده يعني من خلفه فقال يا رسول الله اي العمل افضل فالتفت اليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لك لا تفقه حسن الخلق هو ان لا تغضب ان استطعت
وهذا مرسل فقوله صلى الله عليه وسلم لمن استوصاه لا تغضب يحتمل امرين احدهما
ان يكون مراده الامر بالاسباب التي توجب حسن الخلق من الكرم والسخا والحلم والحيا
والتواضع والاحتمال وكف الاذي والصفح والعفو وكظم الغيظ والطلاقه والبشر
ونحو ذلك من الاخلاق الجميله فان النفس اذا تخلقت بهذه الاخلاق وصارت
لها عادة اوجب لها ذلك دفع الغضب عند حصول اسبابه والثاني ان يكون المراد
لا تعمل بمقتضى الغضب اذا حصل لك بل جاهد نفسك على ترك تنفيذه والعمل بما يامر
به فان الغضب اذا ملك ابن ادم كان كالامر الناهي له ولهذا المعنى قال الله عز وجل
ولما سكت عن موسى الغضب فاذا لم يمتثل الانسان ما يامره به غضبه وجاهد
نفسه على ذلك اندفع عنه شر الغضب وربما سكن غضبه وذهب عاجلا فكانه
حينئذٍ لم يغضب والى هذا المعنى وقعت الاشاره في القران بقوله عز وجل واذا ما
غضبوا هم يغفرون وبقوله عز وجل والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله
يحب المحسنين وكان النبي صلى الله عليه وسلم يامر من غضب بتعاطي اسباب تدفع عنه
الغضب وتسكنه ويمدح من ملك نفسه عند غضبه **ففي الصحيحين** عن
سليمان بن صرد قال استب رجلان عند النبي صلى الله عليه وسلم ونحن عنده جلوس

فاحدهما يسب صاحبه مغضبًا قد احمر وجهه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعلم
كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقالوا للرجل الا
تسمع ما يقول النبي صلى الله عليه وسلم قال اني لست بمجنون **وخرج الامام احمد** والترمذي
من حديث ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبته الا ان الغضب
جمرة في قلب ابن ادم افما رايتم الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن احس من ذلك
شيا فليلزق بالارض **وخرج الامام احمد** وابو داود من حديث ابي ذر ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال اذا غضب احدكم وهو قايم فليجلس فان ذهب عنه الغضب والا
فليضطجع وقد قيل ان المعنى في هذا ان القايم متهيئ للانتقام والجالس دونه في ذلك
والمضطجع ابعد عنه فامره بالتباعد عن حالة الانتقام ويشهد لذلك انه روي من
حديث سنان بن سعد عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم ومن حديث الحسن مرسلا عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال الغضب جمرة في قلب الانسان توقد الا ترى الى حمرة عينيه
وانتفاخ اوداجه فاذا احس احدكم من ذلك شيا فليجلس ولا يعدونه الغضب
والمراد انه يحبسه في نفسه ولا يعديه الى غيره بالاذى بالفعل ولهذا المعنى قال
النبي صلى الله عليه وسلم في الفتن ان المضطجع فيها خير من القاعد والقاعد فيها خير من القايم
والقايم خير من الماشي والماشي خير من الساعي وان كان هذا على وجه ضرب المثال
في الاسراع في الفتن الا ان المعنى ان من كان اقرب الى الاسراع فيها فهو شر ممن كان
ابعد عن ذلك **وخرج الامام احمد** من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذا غضب احدكم فليسكت قالها ثلاثا وهذا ايضا دوا عظيم للغضب لان الغضبان
يصدر منه في حال غضبه من القول ما يندم عليه في حال زوال غضبه كثيرا من
السباب وغيره مما يعظم ضرره فاذا سكت زال هذا الشر كله عنه وما احسن قول
مورق العجلي رحمه الله ما امتلات غيظا قط ولا تكلمت في غضب قط بما اندم عليه
اذا رضيت وغضب يوما عمر بن عبد العزيز فقال له ابنه عبد الملك رحمهما الله انت

يا امير المومنين مع ما اعطاك الله وفضلك به تغضب هذا الغضب فقال له او ما تغضب
يا عبد الملك قال عبد الملك وما يغني عني سعة جوفي اذا لم اردد فيه الغضب حتى لا يظهر
فهولا قوم ملكوا انفسهم عند الغضب رضي الله عنهم **وخرج الامام احمد وابو داود**
من حديث عروة بن محمد السعدي انه كلمه رجل فاغضبه فقام فتوضا ثم قال حدثني ابي عن
جدي عطية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغضب من الشيطان وان الشيطان
خلق من النار وانما تطفا النار بالما فاذا غضب احدكم فليتوضا وروى ابو نعيم باسناده عن ابي مسلم
الخولاني انه كلم معوية بشي وهو على المنبر فغضب ثم نزل فاغتسل ثم عاد الى المنبر وقال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الغضب من الشيطان والشيطان من النار
والما يطفي النار فاذا غضب احدكم فليغتسل **وفي الصحيحين** عن ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب
وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما تعدون الصرعة فيكم
قلنا الذي لا يصرعه الرجال قال ليس ذاك ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب
وخرج الامام احمد وابو داود والترمذي وابن ماجه من حديث معاذ بن انس الجهني
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يستطيع ان ينفذه دعاه الله يوم القيمة على
رووس الخلايق حتى يخيره في اي الحور شا **وخرج الامام احمد** من حديث ابن عمر عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ما تجرع عبد جرعة افضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغا
وجه الله عز وجل ومن حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من جرعة احب
الى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد ما كظم عبد لله الا ملا الله جوفه ايمانا وخرج
ابو داود معناه من رواية بعض الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ملاه الله امنا
وايمانا وقال ميمون بن مهران جا رجل الى سلمان فقال يا ابا عبد الله اوصني قال لا
تغضب قال امرتني ان لا اغضب وانه ليغشاني ما لا املك قال فان غضبت
فامسك لسانك ويدك خرجه ابن ابي الدنيا وملك لسانه ويده هو الذي اشار اليه النبي صلى

الله عليه وسلم يامره لمن غضب ان يجلس و يضطجع و يامره له ان يسكت قال عمر
بن عبد العزيز قد افلح من عصم من الهوى والغضب والطمع وقال الحسن اربع من
كن فيه عصمه الله من الشيطان وحرمه علي النار من ملك نفسه عند الرغبه والرهبه
والشهوه والغضب وهذه الاربعه التي ذكرها الحسن هي مبدا الشر كله فان الرغبه
في الشي هو ميل النفس اليه لاعتقاد نفعه فمن حصل له رغبه في شي حملته تلك الرغبه
علي طلب ذلك الشي من كل وجه يظنه موصلا اليه وقد يكون كثير منها محرما وقد
يكون ذلك الشي المرغوب فيه محرما والرهبه هي الخوف من الشي واذا خاف الانسان
من شي تسبب في دفعه عنه بكل طريق يظنه دافعا له وقد يكون كثير منها محرما والشهوه
هي ميل النفس الي ما يلايمها وتلتذ به وقد تميل كثيرا الي ما هو محرم كالزنا والسرقه وشرب
الخمر بل والي الكفر والسحر والنفاق والبدع والغضب هو غليان دم القلب طلبا لدفع
الموذي عند خشيته او طلبا للانتقام ممن حصل منه الاذي بعد وقوعه وينشا
من ذلك كثير من الافعال المحرمه كالقتل والضرب وانواع الظلم والعدوان وكثير من
الاقوال المحرمه كالقذف والسب والفحش وربما ارتقي الي درجه الكفر كما جري لجبله
ابن الايهم وكالايمان التي لا يجوز التزامها شرعا وكطلاق الزوجه الذي يعقب الندم والواجب
علي المومن ان تكون شهوته مقصورة علي طلب ما اباحه الله وربما تناولها بنيه صالحه
فاثيب عليها وان يكون غضبه دفعا للاذي في الدين له ولغيره وانتقاما ممن عصي الله ورسوله
كما قال تعالي قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم
مومنين ويذهب غيظ قلوبهم وهذه كانت حال النبي صلي الله عليه وسلم فانه كان
لا ينتقم لنفسه ولكن اذا انتهكت حرمات الله لم يقم لغضبه شي ولم يضرب بيده
خادما ولا امراه الا ان يجاهد في سبيل الله وخدمه انس عشر سنين فما قال له اف
قط ولا قال له لشي فعله لم فعلت كذا ولا لشي لم يفعله الا فعلت كذا وفي روايه
انه كان اذا لامه بعض اهله قال صلي الله عليه وسلم دعوه فلو قضي شي كان وفي روايه

للطبراني قال انس خدمت رسول الله صلي الله عليه وسلم عشر سنين فما دريت شيا
قط وافقه ولا شيا قط خالفه رضي منه الله بما كان وسيلت عايشه عن خلق رسول
الله صلي الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القران يعني انه تادب بادابه وتخلق باخلاقه
فما مدحه القران كان فيه رضاه وما ذمه القران كان فيه سخطه وجا في روايه
عنها قالت كان خلقه القران يرضي لرضاه ويسخط لسخطه وكان صلي الله عليه وسلم لشده
حيايه لا يواجه احدا بما يكره بل تعرف الكراهه في وجهه كما في الصحيح عن ابي سعيد
قال النبي صلي الله عليه وسلم اشد حيا من العذرا في خدرها فاذا راي شيا يكرهه عرفناه كان
في وجهه ولما بلغه ابن مسعود قول القايل هذه قسمه ما اريد بها وجه الله شق عليه
صلي الله عليه وسلم وتغير وجهه وغضب ولم يزد علي ان قال قد اوذي موسي باكثر من
هذا فصبر وكان صلي الله عليه وسلم اذا راي او سمع ما يكرهه الله غضب لذلك وقال فيه
ولم يسكت وقد دخل بيت عايشه فراي سترا فيه تصاوير فتلون وجهه وهتكه وقال
ان من اشد الناس عذابا يوم القيمه الذين يصورون هذه الصور ولما شكي اليه الامام
الذي يطيل بالناس صلاته حتي يتاخر بعضهم عن الصلاه معه غضب واشتد غضبه
ووعظ الناس وامر بالتخفيف ولما راي النخامه في قبله المسجد تغيظ وحكها وقال
ان احدكم اذا كان في الصلاه فان الله حيال وجهه فلا يتنخمن حيال وجهه في الصلاة
وكان من دعايه صلي الله عليه وسلم اسالك كلمه الحق في الغضب والرضا وهذا عزيز جدا
وهو ان الانسان لا يقول سوي الحق سوا غضب او رضي فان اكثر الناس اذا غضب لا
يتوقف فيما يقول وخرج الطبراني من حديث انس مرفوعا ثلاث من اخلاق الايمان
من اذا غضب لم يدخله غضبه في باطل ومن اذا رضي لم يخرجه رضاه من حق ومن
اذا قدر لم يتعاط ما ليس له وقد روي عن النبي صلي الله عليه وسلم انه اخبر عن رجلين ممن
كان قبلنا كان احدهما عابدا وكان الاخر مسرفا علي نفسه فكان العابد يعظه فلا ينتهي
فراه يوما علي ذنب استعظمه فقال والله لا يغفر الله لك فغفر الله للمذنب

واحبط عمل العابد وقال ابو هريرة لقد تكلم بكلمة اوبقت دنياه واخرته فكان ابو هريرة يحذر الناس ان يقولوا مثل هذه الكلمة في غضب وقد خرجه الامام احمد وابو داود فهذا غضب لله ثم تكلم في حال غضبه لله بما لا يجوز وحتم على الله بما لا يعلم فاحبط الله عمله فكيف بمن تكلم في غضبه لنفسه ومتابعة هواه بما لا يجوز وفي صحيح مسلم عن عمران بن حصين انهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره وامراة من الانصار على ناقة فضجرت فلعنتها فسمع النبي صلى الله عليه وسلم فقال خذوا متاعها ودعوها وفيه ايضا عن جابر قال سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ورجل من الانصار على ناضح له فتلدن عليه بعض التلدن فقال له سر لعنك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل عنه فلا يصحبنا ملعون لا تدعوا على انفسكم ولا تدعوا على اولادكم ولا تدعوا على اموالكم لا توافقوا من الله ساعة يسال فيها عطا فيستجيب لكم فهذا كله يدل على ان دعا الغضبان قد يجاب اذا صادف ساعة اجابة وانه ينهى عن الدعا على نفسه واهله وماله في الغضب واما ما قاله مجاهد في قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم قال هو الواصل لاهله وولده وماله اذا غضب عليه قال اللهم لا تبارك فيه اللهم العنه يقول لو يعجل له ذلك لاهلك من دعا عليه فاماته فهذا يدل على انه لا يستجاب جميع ما يدعو به الغضبان على نفسه واهله وماله والحديث دل على انه قد يستجاب لمصادفته ساعة اجابة واما ما روي عن الفضيل بن عياض قال ثلاثة لا يلامون على غضب الصايم والمريض والمسافر وعن الاحنف بن قيس قال يوحي الله الى الحافظين اللذين مع ابن ادم لا تكتبا على عبدي في ضجره شيا وعن ابي عمران الجوني قال ان المريض اذا جزع فاذنب قال الملك الذي على اليمين للملك الذي على الشمال لا تكتب خرجه ابن ابي الدنيا فهذا كله لا يعرف له اصل صحيح من الشرع يدل عليه والاحاديث التي ذكرناها من قبل تدل على خلافه وقول النبي صلى الله عليه وسلم اذا غضبت فاسكت يدل على ان الغضبان مكلف في حال غضبه بالسكوت

فيكون حينيذ مواخذا بالكلام وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه امر من غضب ان يتلافى غضبه بما يسكنه من اقوال وافعال وهذا هو عين التكليف له بقطع الغضب فكيف يقال انه غير مكلف في حال غضبه بما يصدر منه وقال عطا بن ابي رباح ما ابكى العلما بكا اخر العمر من غضبة يغضبها احدهم فتهدم عمل خمسين سنة او ستين سنة او سبعين سنة ورب غضبة قد اقحمت صاحبها مقحما ما استقاله خرجه ابن ابي الدنيا وان من قال من السلف ان الغضبان اذا كان سبب غضبه مباحا كالمرض والسفر او طاعة كالصوم لا يلام عليه انما مراده لا اثم عليه اذا كان مما يقع منه في حال الغضب كثيرا من كلام يوجب تضجرا او سبا ونحوه كما قال صلى الله عليه وسلم انما انا بشر ارضى كما يرضى البشر واغضب كما يغضب البشر فايما مسلم سببته او جلدته فاجعلها له كفارة فاما ما كان من كفر او ردة او قتل نفس او اخذ مال بغير حق ونحو ذلك فهذا لا يشك مسلم انهم لم يريدوا ان الغضبان لا يواخذ به وكذلك ما يقع من الغضبان من طلاق وعتاق او يمين فانه يواخذ بذلك كله بغير خلاف وفي مسند الامام احمد عن خويلة بنت ثعلبة امراة اوس بن الصامت انها راجعت زوجها فغضب فظاهر منها وكان شيخا كبيرا قد سا خلقه وضجر وانها جات الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعلت تشكو اليه ما تلقى من سو خلقه فانزل الله اية الظهار وامره رسول الله صلى الله عليه وسلم بكفارة الظهار في قصة طويلة وخرجها ابن ابي حاتم من وجه اخر عن ابي العالية ان خويلة غضب زوجها فظاهر منها فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك وقالت انه لم يرد الطلاق فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما اراك الا حرمت عليه وذكر القصة بطولها وفي اخرها قال فحول الله الطلاق فجعله ظهارا فهذا الرجل ظاهر في حال غضبه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرى حينيذ ان الظهار طلاق وقد قال انها حرمت عليه بذلك يعني لزمه الطلاق فلما جعله الله ظهارا مكفرا الزمه بالكفارة ولم يلغه وروى مجاهد عن ابن عباس ان رجلا قال له اني طلقت امراتي ثلثا وانا غضبان فقال ان ابن عباس لا

يستطيع ان يحل لك ما حرم الله عليك عصيت ربك وحرمت عليك امراتك خرجه الجوزجاني
والدارقطني باسناد على شرط مسلم **وخرج القاضي اسمعيل** بن اسحق في كتاب احكام القران
باسناد صحيح عن عايشه قالت اللغو في الايمان ما كان في المرا والهزل والمزاحه والحديث
الذي لا يعقد عليه القلب وايمان الكفاره كل يمين حلفت عليها على جد من الامر
في غضب او غيره لتفعلن او لتتركن فذلك عقد الايمان فيها الكفاره وكذا رواه بن وهب
عن يونس عن الزهري عن عروه عن عايشه وهذا من اصح الاسانيد وهذا يدل
على ان الحديث المروي عنها مرفوعا لا طلاق ولا عتاق في اغلاق اما انه غير صحيح او
ان تفسيره بالغضب غير صحيح وقد صح عن غير واحد من الصحابه انهم افتوا ان يمين
الغضبان منعقده وفيها الكفاره وما روي عن بن عباس مما يخالف ذلك فلا يصح
اسناده وقال الحسن طلاق السنه ان يطلقها واحده طاهرا من غير جماع وهو
بالخيار ما بينه وبين ان تحيض ثلاث حيض فان بدا له ان يراجعها كان املك بذلك
فان كان غضبان ففي ثلاث حيض او في ثلاثه اشهر ان كانت لا تحيض ما يذهب
غضبه قال الحسن لقد بين الله لئلا يندم احد في طلاق كما امره الله خرجه القاضي
اسمعيل وقد جعل كثير من العلما الكنايات مع الغضب كالصريح في انه يقع بها
الطلاق ظاهرا ولا يقبل تفسيرها مع الغضب بغير الطلاق ومنهم من جعل
الغضب مع الكنايات كالنيه فاوقع بذلك الطلاق في الباطن ايضا فكيف يجعل الغضب
مانعا من وقوع صريح الطلاق

الحديث السابع عشر

عن شداد بن اوس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب الاحسان على كل شي
فاذا قتلتم فاحسنوا القتله واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحه وليحد احدكم شفرته وليرح
ذبيحته رواه مسلم **هذا الحديث** خرجه مسلم دون البخاري من روايه
ابي قلابه عن ابي الاشعث الصنعاني عن شداد ابن اوس وتركه البخاري لانه لم يخرج
في صحيحه لابي الاشعث شيا وهو شامي ثقه وقد روي نحوه من حديث سمره

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل محسن فاحسنوا فاذا قتل احدكم فليكرم
مقتوله واذا ذبح فليحد شفرته وليرح ذبيحته خرجه بن عدي **وخرج الطبراني**
من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا حكمتم فاعدلوا واذا قتلتم فاحسنوا فان
الله محسن يحب المحسنين فقوله صلى الله عليه وسلم ان الله كتب الاحسان على كل شي
وفي روايه لابي اسحق الفزاري في كتاب السير عن خلد عن ابي قلابه عن النبي صلى الله عليه
وسلم ان الله كتب الاحسان على كل شي او قال على كل خلق هكذا اخرجها مرسله وبالشك في
في كل شي او كل خلق ظاهره يقتضي انه كتب على كل مخلوق الاحسان فيكون كل شي او كل مخلوق
هو المكتوب عليه والمكتوب هو الاحسان وقيل ان المعنى ان الله كتب الاحسان الى كل شي
او في كل شي او كتب الاحسان في الولايه على كل شي فيكون المكتوب عليه غير مذكور وانما المذكور
المحسن اليه ولفظ الكتابه يقتضي الوجوب عند اكثر الفقها والاصوليين خلافا لبعضهم وانما
استعمال لفظه الكتابه في القران فيما هو واجب حتم اما شرعا كقوله ان الصلاه كانت
على المومنين كتابا موقوتا وقوله كتب عليكم الصيام كتب عليكم القتال او فيما هو واقع
قدرا لا محاله كقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي وقوله اولئك كتب في قلوبهم الايمان
وقال النبي صلى الله عليه وسلم في قيام شهر رمضان اني خشيت ان يكتب عليكم وقال امرت
بالسواك حتى خشيت ان يكتب علي وقال كتب على ابن ادم حظه من الزنا فهو مدرك ذلك
لا محاله وحينيذ فهذا الحديث نص في وجوب الاحسان وقد امر الله به فقال ان الله
يامر بالعدل والاحسان وقال واحسنوا ان الله يحب المحسنين وهذا الامر بالاحسان
تاره يكون للوجوب كالاحسان الى الوالدين والارحام بمقدار ما يحصل به البر والصله
والاحسان الى الضيف بقدر ما يحصل به قراه على ما سبق ذكره وتاره يكون للندب
كصدقه التطوع ونحوها وهذا الحديث يدل على وجوب الاحسان في كل شي من الاعمال
لكن احسان كل شي بحسبه فالاحسان في الاتيان بالواجبات الظاهره والباطنه الاتيان
بها على وجه كمال واجباتها فهذا القدر من الاحسان فيها واجب واما الاحسان

ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر
ان الارض يرثها عبادي الصالحون

باكمال مستحباتها فليس بواجب والاحسان في ترك المحرمات الانتها عنها وترك ظاهرها
وباطنها كما قال تعالى وذروا ظاهر الاثم وباطنه فهذا القدر من الاحسان فيها واجب
واما الاحسان في الصبر على المقدورات فان ياتي بالصبر عليها على وجهه من غير
تسخط ولا جزع والاحسان الواجب في معاملة الخلق ومعاشرتهم القيام بما اوجب
الله من حقوق ذلك كله والاحسان الواجب في ولاية الخلق وسياستهم القيام
بواجبات الولاية كلها والقدر الزايد على الواجب في ذلك كله احسان ليس بواجب
والاحسان في قتل ما يجوز قتله من الناس والدواب ازهاق نفسه على اسرع الوجوه
واسهلها واوحاها من غير زياده في التعذيب فانه ايلام لا حاجه اليه وهذا النوع هو
الذي ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ولعله ذكره على سبيل المثال او لحاجته
الى بيانه في تلك الحال فقال اذا قتلتم فاحسنوا القتله واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحه
والقتله والذبحه بالكسر اي الهيه والمعنى احسنوا هيه الذبح وهيه القتل وهذا
يدل على وجوب الاسراع في ازهاق النفوس التي يباح ازهاقها على اسهل الوجوه وقد
حكى ابن حزم الاجماع على وجوب الاحسان في الذبيحه واسهل وجوه قتل الادمي ضربه بالسيف
على العنق قال تعالى في حق الكفار فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب وقال تعالى
سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق وقد قيل انه عين الموضع
الذي يكون الضرب فيه اسهل على المقتول وهو فوق العظام دون الدماغ ووصى
دريد بن الصمة قاتله ان يقتله كذلك وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا بعث سريه
تغزو في سبيل الله قال لهم لا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا وخرج ابو داود وابن ماجه
من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اعف الناس قتله اهل الايمان
وخرج احمد وابو داود من حديث عمران بن حصين وسمره بن جندب ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن المثله وخرجه البخاري من حديث عبد الله بن
يزيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن المثله وخرج الامام احمد من حديث

مُره
يعلى بن مره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تمثلوا بعبادي وخرج ايضا من حديث رجل
من الصحابه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مثل بذي روح ثم لم يتب مثل الله به يوم القيمه
واعلم ان القتل المباح يقع على وجهين احدهما ان يكون قصاصا فلا يجوز التمثيل فيه بالمقتص
منه بل يقتل كما قتل فان كان قد مثل بالمقتول فهل يمثل به كما فعل وهو قول ملك والشافعي
ام لا يقتل الا بالسيف فيه قولان احدهما انه يفعل به كما فعل
واحمد في المشهور عنه وفي الصحيحين عن انس قال خرجت جاريه عليها اوضاح
بالمدينه فرماها يهودي بحجر فجي بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها رمق
فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلان قتلك فرفعت راسها فقال لها في الثالثه
فلان قتلك فخفضت راسها فدعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضخ راسه بين الحجر ين
وفي روايه لهما فاخذ فاعترف وفي روايه لمسلم ان رجلا من اليهود قتل جاريه من
الانصار على حلي لها ثم القاها في القليب ورضخ راسها بالحجاره فاخذ فاتي به النبي صلى الله
عليه وسلم فامر به ان يرجم حتى يموت فرجم حتى مات والقول الثاني لا قود الا بالسيف وهو
قول الثوري وابي حنيفه وروايه عن احمد وعن احمد روايه ثالثه يفعل به كما فعل الا ان
يكون حرقه بالنار او مثل به فيقتل بالسيف للنهي عن المثله وعن التحريق بالنار نقلها عنه
الاثرم وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا قود الا بالسيف خرجه ابن ماجه واسناده
ضعيف قال احمد يروى لا قود الا بالسيف وليس اسناده بجيد وحديث انس يعني في قتل
اليهودي بالحجاره اسند منه واجود ولو مثل به ثم قتله مثل ان قطع اطرافه ثم قتله فهل
يكتفى بقتله ام يصنع به كما صنع فيقطع اطرافه ثم يقتل على قولين احدهما يفعل به كما فعل
سوا وهو قول ابي حنيفه والشافعي واحمد في احدى الروايتين واسحق وغيرهم والثا ني
يكتفى بقتله وهو قول الثوري واحمد في روايه وابي يوسف ومحمد وقال مالك ان فعل
ذلك به على سبيل التمثيل والتعذيب فعل به كما فعل وان لم يكن على هذا الوجه اكتفي بقتله
الوجه الثاني ان يكون القتل للكفر اما الكفر اصلي او لرده عن الاسلام فاكثر العلما على كراهه
المثله فيه ايضا وانه يقتل بالسيف وقد روي عن طايفه من السلف جواز التمثيل فيه

فيه بالتحريق بالنار وغير ذلك كما فعله خلد بن الوليد وغيره وروي عن ابي بكر انه حرق
الفجاه بالنار وروي ان ام قرفه الفزاريه ارتدت في عهد ابي بكر الصديق فامر بها
فشدت ذوايبها في اذناب قلوصين او فرسين ثم صاح بهما فتقطعت المراه واسانيد
هذه القصه منقطعه وقد ذكر ابن سعد في طبقاته بغير اسناد ان زيد بن حارثه
قتلها هذه القتله على عهد النبي صلى الله عليه وسلم واخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وصح عن
علي انه حرق المرتدين وانكر ذلك ابن عباس عليه وقيل انه لم يحرقهم وانما دخن عليهم
حتى ماتوا وقيل انه قتلهم ثم حرقهم ولا يصح ذلك وروي عنه انه جي بمرتد فامر به فوطي
بالارجل حتى مات واختار ابن عقيل من اصحابنا جواز القتل بالتمثيل للكفر لا سيما اذا تغلظ
وحمل النهي عن المثله على القتل بالقصاص واستدل من اجاز ذلك بحديث العرنيين
وقد خرجاه في الصحيحين من حديث انس ان ناسا من عرينه قدموا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينه فاجتووها فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شيتم ان
تخرجوا الى ابل الصدقه فتشربون من البانها وابوالها ففعلوا فصحوا ثم مالوا على
الرعا فقتلوهم وارتدوا عن الاسلام وساقوا ذود رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم فبعث في اثرهم فاتي بهم فقطع ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم وتركهم
في الحره حتى ماتوا وفي روايه ثم نبذوا في الشمس حتى ماتوا وفي روايه وسمرت اعينهم
والقوا في الحره يستسقون فلا يسقون وفي روايه للترمذي قطع ايديهم وارجلهم من
خلاف وفي روايه للنساي وصلبهم وقد اختلف العلما في وجه عقوبه هولا فمنهم من
قال من فعل مثل فعلهم فارتد وحارب واخذ المال صنع به كما صنع بهولا وروي هذا
عن طايفه منهم ابو قلابه وهو روايه عن احمد ومنهم من قال بل كان قبل نزول الحدود
وايه المحاربه ثم نسخ بذلك وهو قول جماعه منهم الاوزاعي وابو عبيد ومنهم من قال نسخ ما
فعل بالعرنيين النهي عن المثله ومنهم من قال هذا يدل على جواز التمثيل بمن تغلظت
جرايمه في الجمله وانما نهي عن التمثيل في القصاص وهو قول ابن عقيل من اصحابنا ومنهم من

قال

قال بل كما فعله النبي صلى الله عليه وسلم بهم انما كان بايه المحاربه ولم ينسخ شي من ذلك وقالوا انما
قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم وقطع ايديهم لانهم اخذوا المال ومن اخذ المال وقتل قطع وقتل
وصلب حتما فيقتل لقتله ويقطع لاخذه المال يده ورجله من خلاف ويصلب لجمعه بين
الجنايتين وهما القتل واخذ المال وهذا قول الحسن وروايه عن احمد وانما سمل اعينهم
لانهم سملوا اعين الرعاه كذا اخرجه مسلم من حديث انس وذكر ابن شهاب انهم قتلوا
الراعي ومثلوا به وذكر ابن سعد انهم قطعوا يده ورجله وغرزوا الشوك في لسانه وعينيه
حتى مات وحينيذ فقد يكون قطعهم وسمل اعينهم وتعطيشهم قصاصا وهذا يتخرج على
قول من يقول ان المحارب اذا جنى جنايه توجب القصاص استوفيت منه قبل قتله
وهو مذهب احمد لكن هل يستوفى منه تحتما كقتله ام على وجه القصاص فيسقط بعفو
الولي على روايتين عنه ولكن روايه الترمذي انه قطعهم من خلاف يدل على ان قطعهم
للمحاربه الا ان يكونوا قد قطعوا ايد الراعي ورجله من خلاف والله اعلم وقد روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه كان اذن في التحريق بالنار ثم نهى عنه كما في صحيح البخاري عن ابي هريره قال
بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعث فقال ان وجدتم فلانا وفلانا الرجلين من قريش
فاحرقوهما بالنار ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اردنا الخروج اني كنت امرتكم
ان تحرقوا فلانا وفلانا بالنار وان النار لا يعذب بها الا الله فان وجدتموهما فاقتلوهما
وفيه ايضا عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تعذبوا بعذاب الله عز وجل
وخرج الامام احمد وابو داود والنساي من حديث ابن مسعود قال كنا مع النبي صلى
الله عليه وسلم فمررنا بقريه نمل قد احرقت فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال انه
لا ينبغي لبشر ان يعذب بعذاب الله عز وجل وقد حرق خلد جماعه في الرده وروي
عن طايفه من الصحابه تحريق من عمل عمل قوم لوط وروي عن علي انه اشار على ابي بكر
ان يقتله ثم يحرقه بالنار واستحسن ذلك اسحق بن راهويه ليلا يكون تعذيبا بالنار ه
وفي مسند الامام احمد ان عليا لما ضربه ابن ملجم قال افعلوا به كما اراد رسول الله صلى الله عليه

وسلم ان بفعل برجل اراد قتله قال اقتلوه ثم حرقوه واكثر العلما علي كراهه التحريق بالنار حتى
للهوام قال ابرهيم النخعي تحريق العقرب بالنار مثله ونهت ام الدرداء عن تحريق البرغوث
بالنار وقال احمد لا يشوي السمك في النار وهو حي وقال الجراد اهون لانه لا دم له
وقد ثبت عن النبي صلي الله عليه وسلم انه نهى عن صبر البهايم وهو ان تحبس البهيمه ثم
تضرب بالنبل ونحوه حتى تموت **ففي الصحيحين** عن انس ان النبي صلي الله عليه وسلم نهى ان
تصبر البهايم **وفيهما ايضًا** عن ابن عمر انه مر بقوم نصبوا دجاجه يرمونها
فقال ابن عمر من فعل هذا ان رسول الله صلي الله عليه وسلم لعن من فعل هذا **وخرج
مسلم** من حديث ابن عباس عن النبي صلي الله عليه وسلم انه نهى ان يتخذ شي فيه الروح غرضًا
والغرض هو الذي يرمي فيه بالسهام **وفي مسند الامام احمد** عن ابي هريره ان النبي صلي
الله عليه وسلم نهى عن الرميه ان ترمي الدابه ثم توكل ولكن تذبح ثم يرموا ان شاوا وفي هذا المعنى
احاديث كثيره فلهذا امر النبي صلي الله عليه وسلم باحسان القتل والذبح وامر ان تحد الشفره
وان تراح الذبيحه يشير الي ان الذبح بالاله الحاده يريح الذبيحه بتعجيل زهوق نفسها **وخرج
الامام احمد وابن ماجه** من حديث ابن عمر قال امر رسول الله صلي الله عليه وسلم بحد
الشفار وان توارى عن البهايم وقال اذا ذبح احدكم فليجهز يعني فليسرع الذبح وقد ورد
الامر بالرفق بالذبيحه عند ذبحها **وخرج ابن ماجه** من حديث ابي سعيد الخدري
قال مر رسول الله صلي الله عليه وسلم برجل وهو يجر شاه باذنها فقال رسول الله صلي
الله عليه وسلم دع اذنها وخذ بسالفتها والسالفه مقدم العنق **وخرج الخلال
والطبراني** من حديث عكرمه عن ابن عباس قال مر رسول الله صلي الله عليه وسلم برجل
واضع رجله علي صفحة شاه وهو يحد شفرته وهي تلحظ اليه ببصرها فقال افلا قبل هذا
اتريد ان تميتها موتات وقد روي عن عكرمه مرسلا اخرجه عبد الرزاق وغيره
وفيه زياده هلا احددت شفرتك قبل ان تضجعها وقال الامام احمد تقاد الي الذبح قودًا
رفيقًا وتوارى السكين عنها ولا تظهر السكين الا عند الذبح امر رسول الله صلي الله

عليه وسلم بذلك وقال يروي عن ابن سابط انه قال ان البهايم جبلت علي كل شي الا علي انها تعرف
ربها وتخاف الموت وقد ورد الامر بقطع الاوداج عند الذبح كما خرجه ابو داود من
حديث عكرمه عن ابن عباس وابي هريره عن النبي صلي الله عليه وسلم انه نهى عن شريطه الشيطان
وهي التي تذبح فيقطع الجلد ولا تفري الاوداج وخرجه ابن حبان في صحيحه وعنده قال عكرمه
كانوا يقطعون منها الشي اليسير ثم يدعونها حتى تموت ولا يقطعون الودج فنهى عن ذلك
وروي عبد الرزاق في كتابه عن محمد بن راشد عن الوضين بن عطا قال ان جزارا
فتح بابا علي شاه ليذبحها فانفلتت منه حتى جات النبي صلي الله عليه وسلم فاتبعها فاخذ يسحبها
برجلها فقال لها النبي صلي الله عليه وسلم اصبري لامر الله وانت يا جزار فسقها الي الموت
سوقًا رفيقًا **وباسناده** عن ابن سيرين ان عمر راي رجلا يسحب شاه برجلها ليذبحها فقال
له ويلك قدها الي الموت قودا جميلا وروي محمد بن زياد ان ابن عمر راي قصابا يجر شاه
فقال سقها الي الموت سوقا جميلا فاخرج القصاب شفرته فقال ما اسوقها سوقا جميلا
وانا اريد ان اذبحها الساعه فقال سقها سوقا جميلا **وفي مسند الامام احمد** عن معويه
بن قره عن ابيه ان رجلا قال للنبي صلي الله عليه وسلم يا رسول الله اني لاذبح الشاه وانا ارحمها فقال
النبي صلي الله عليه وسلم والشاه ان رحمتها رحمك الله وقال مطرف بن عبد الله ان الله ليرحم برحمه
العصفور وقال نوف البكالي ان رجلا ذبح عجولا بين يدي امه فخبل فبينا هو تحت شجره
فيها وكر فيه فرخ فوقع الفرخ الي الارض فرحمه فاعاده في مكانه فرد الله اليه قوته
وقد روي من غير وجه عن النبي صلي الله عليه وسلم انه نهى ان توله والده عن ولدها وهو
عام في بني ادم وغيرهم **وفي سنن ابي داود** ان النبي صلي الله عليه وسلم سيل عن الفرع فقال
هو حق وان تتركوه حتى يكون بكرا ابن مخاض او ابن لبون فتعطيه ارمله او تحمل عليه في سبيل
الله خير من ان تذبحه فيلصق لحمه بوبره وتكفي اناك وتوله ناقتك والمعنى ان ولد الناقه
اذا ذبح وهو صغير عند ولادته لم ينتفع بلحمه ويتضرر صاحبه بانقطاع لبن ناقته فيكفي
اناه وهو المحلب الذي تحلب فيه الناقه وتوله الناقه علي ولدها بفقدها اياه ه

الحديث الثامن عشر عن

ابي ذر ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال اتق الله حيث
ما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن رواه الترمذي وقال
حديث حسن وفي بعض النسخ صحيح هذا الحديث خرجه الترمذي من رواية سفين
الثوري عن حبيب بن ابي ثابت عن ميمون بن ابي شبيب عن ابي ذر وخرجه ايضا بهذا
الاسناد عن ميمون عن معاذ وذكر عن شيخه محمود بن غيلان انه قال حديث
ابي ذر اصح فهذا الحديث قد اختلف في اسناده وقيل فيه عن حبيب عن ميمون ان
النبي صلي الله عليه وسلم وصي بذلك مرسلا ورجح الدارقطني هذا المرسل وقد حسن الترمذي
هذا الحديث وما وقع في بعض النسخ من تصحيحه فبعيد ولكن الحاكم خرجه وقال
صحيح علي شرط الشيخين وهو وهم من وجهين احدهما ان ميمون بن ابي شبيب ويقال
ابن شبيب لم يخرج له البخاري في صحيحه شيا ولا مسلم الا في مقدمة كتابه حديثا عن المغيرة
بن شعبة والثاني ان ميمون بن ابي شبيب لم يصح سماعه من احد من الصحابة قال الفلاس
ليس في شي من رواياته عن الصحابة سمعت ولم اخبر ان احدا يزعم انه سمع من اصحاب
النبي صلي الله عليه وسلم وقال ابو حاتم الرازي روايته عن ابي ذر وعايشة غير متصلة
وقال ابو داود لم يدرك عايشة ولم ير عليا وحينيذ فلم يدرك معاذا بطريق الاولي
وراي البخاري وشيخه علي بن المديني وابي زرعة وابي حاتم وغيرهم ان الحديث لا يتصل
الا بصحة اللقي وكلام الامام احمد يدل علي ذلك ونص عليه الشافعي في الرسالة وهذا
كله خلاف راي مسلم رحمه الله وقد روي عن النبي صلي الله عليه وسلم انه وصي بهذه
الوصية معاذا واباذر من وجوه اخر فخرج البزار من حديث ابن لهيعة عن ابي
الزبير عن ابي الطفيل عن معاذ ان النبي صلي الله عليه وسلم بعثه الي قوم فقال يا رسول
الله اوصني قال افش السلام وابذل الطعام واستحي من الله استحيا رجل ذا هيبة
من اهلك واذا اسات فاحسن ولتحسن خلقك ما استطعت وخرج الطبراني

والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ان معاذ بن جبل اراد سفرا فقال يا رسول
الله اوصني قال اعبد الله ولا تشرك به شيا قال يا رسول الله زدني قال اذا اسات
فاحسن قال يا رسول الله زدني قال استقم ولتحسن خلقك وخرج الامام احمد من
حديث دراج عن ابي الهيثم عن ابي ذر ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال له اوصيك
بتقوي الله في سر امرك وعلانيته واذا اسات فاحسن ولا تسالن احدا شيا وان
سقط سوطك ولا تقبض امانة ولا تقض بين اثنين وخرج ايضا من وجه اخر
عن ابي ذر قال قلت يا رسول الله علمني عملا يقربني من الجنة ويباعدني من النار قال
اذا عملت سيية فاعمل حسنة فانها عشر امثالها قال قلت يا رسول الله امن
الحسنات لا اله الا الله قال هي احسن الحسنات وخرج ابن عبد البر في التمهيد
باسناد فيه نظر عن انس قال بعث النبي صلي الله عليه وسلم معاذا الي اليمن فقال يا معاذ
اتق الله وخالق الناس بخلق حسن واذا عملت سيية فاتبعها حسنة فقال قلت
يا رسول الله لا اله الا الله من الحسنات هي قال هي من اكبر الحسنات وقد رويت
وصية النبي صلي الله عليه وسلم لمعاذ من حديث ابن عمر وغيره بسياق مطول من وجوه
فيها ضعف ويدخل في هذا المعني حديث ابي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم انه سيل ما
اكثر ما يدخل الناس الجنة قال تقوي الله وحسن الخلق خرجه الامام احمد وابن ماجه
والترمذي وصححه وابن حبان في صحيحه فهذه الوصية وصية عظيمة جامعة لحقوق
الله وحقوق عباده فان حق الله علي عباده ان يتقوه حق تقاته والتقوي وصية
الله للاولين والاخرين قال تعالي ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم
ان اتقوا الله واصل التقوي ان يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية
تقيه منه فتقوي العبد لربه ان يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه
وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه وتارة
تضاف التقوي الي اسم الله عز وجل كقوله تعالي واتقوا الله الذي اليه تحشرون

وقوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله
خبير بما تعملون فاذا اضيفت التقوي اليه سبحانه فالمعنى اتقوا سخطه وغضبه وهو
اعظم ما يتقى وعن ذلك ينشا عقابه الدنيوي والاخروي قال تعالي ويحذركم الله
نفسه وقال تعالي هو اهل التقوي واهل المغفرة فهو سبحانه اهل ان يخشي ويهاب
ويجل ويعظم في صدور عباده حتى يعبدوه ويطيعوه لما يستحقه من الاجلال
والاكرام وصفات الكبريا والعظمه وقوه البطش وشده الباس **وفي الترمذي**
عن انس عن النبي صلي الله عليه وسلم في هذه الايه هو اهل التقوي واهل المغفرة قال الله قال
تعالي انا اهل ان اتقى فمن اتقاني فلم يجعل معي الها اخر فانا اهل ان اغفر له وتارة
تضاف التقوي الي عقاب الله والي مكانه كالنار او الي زمانه كيوم القيمه كما قال تعالي
واتقوا النار التي اعدت للكافرين وقال فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت
للكافرين وقال واتقوا يوما ترجعون فيه الي الله واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس
شيا ويدخل في التقوي الكامل فعل الواجبات وترك المحرمات والشبهات وربما
دخل فيها بعد ذلك فعل المندوبات وترك المكروهات وهو اعلي درجات التقوي قال
تعالي الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدي للمتقين الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاه
ومما رزقناهم ينفقون والذين يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون
وقال تعالي ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر والمليكه والكتاب والنبيين واتي المال
علي حبه ذوي القربي واليتامي الي قوله اوليك الذين صدقوا واوليك هم المتقون وقال
معاذ بن جبل ينادي يوم القيمه اين المتقون فيقومون في كنف من الرحمن لا يحتجب منهم
ولا يستتر قالوا له من المتقون قال قوم اتقوا الشرك وعبادة الاوثان واخلصوا لله
بالعبادة وقال ابن عباس المتقون الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من
الهدي ويرجون رحمته في التصديق بما جا به وقال الحسن المتقون اتقوا ما حرم عليهم
وادوا ما افترض عليهم وقال عمر بن عبد العزيز ليس تقوي الله بصيام النهار ولا بقيام الليل

والتخليط فيما بين ذلك ولكن تقوي الله ترك ما حرم الله واداما افترض الله فمن رزق
بعد ذلك خيرا فهو خير الي خير وقال طلق بن حبيب التقوي ان تعمل بطاعه الله علي
نور من الله ترجوا ثواب الله وان تترك معصية الله علي نور من الله تخاف عقاب الله
وعن ابي الدرداء قال تمام التقوي ان يتقي الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذره وحتى
يترك بعض ما يري انه حلال خشيه ان يكون حراما يكون حجابا بينه وبين الحرام فان الله
قد بين للعباد الذي يصيرهم اليه فقال فمن يعمل مثقال ذره خيرا يره ومن يعمل مثقال
ذره شرا يره فلا تحقرن شيا من الخير ان تفعله ولا شيا من الشر ان تتقيه وقال الحسن ما
زالت التقوي بالمتقين حتى تركوا كثيرا من الحلال مخافه الحرام وقال الثوري انما سموا
متقين لانهم اتقوا ما لا يتقى وقال موسى ابن اعين المتقون تنزهوا عن اشيا من الحلال مخافه
ان يقعوا في الحرام فسماهم الله متقين وقد سبق حديث لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين
حتى يدع ما لا باس به حذرا مما به باس وحديث من اتقى الشبهات استبرا لدينه
وعرضه قال ميمون بن مهران المتقي اشد محاسبه لنفسه من الشريك الشحيح لشريكه
وقال ابن مسعود في قوله اتقوا الله حق تقاته قال ان يطاع فلا يعصي وان يذكر فلا ينسى
وان يشكر فلا يكفر وخرجه الحاكم مرفوعا والموقوف اصح وشكره يدخل فيه جميع فعل
الطاعات ومعنى ذكره فلا ينسى ذكر العبد بقلبه لاوامر الله في حركاته وسكناته وكلماته
فيمتثلها ولنواهيه في ذلك كله فيجتنبها وقد يغلب استعمال التقوي علي اجتناب المحرمات
كما قال ابو هريرة وسيل عن التقوي فقال هل اخذت طريقا ذا شوك قال نعم قال
فكيف صنعت قال اذا رايت الشوك عدلت عنه او جاوزته او قصرت عنه قال
ذاك التقوي واخذ هذا المعنى ابن المعتز فقال " خل الذنوب صغيرها وكبيرها
فهو التقي " واصنع كماش فوق ارض الشوك يحذر ما يري " لا تحقرن صغيرة
ان الجبال من الحصي " واصل التقوي ان يعلم العبد ما يتقي ثم يتقي قال عون بن
عبد الله تمام التقوي ان تبتغي علم ما لم تعلم منها الي ما علمت منها وذكر معروف الكرخي

عن بكر بن خنيس قال كيف يكون متقيا من لا يدري ما يتقي ثم قال معروف اذا كنت لا تحسن
تتقي اكلت الربا واذا كنت لا تحسن تتقي لقيتك امراه فلم تغض بصرك واذا كنت لا تحسن
تتقي وضعت سيفك على عاتقك وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمه اذا رايت
امتي قد اختلفت فاعمد الى سيفك فاضرب به احدا ثم قال معروف وبمجلسي هذا لعله
كان ينبغي لنا ان نتقيه ثم قال ومجيكم معي من المسجد الى ها هنا كان ينبغي لنا ان نتقيه اليس
جا في الحديث انه فتنه للمتبوع مذله للتابع يعني مشي الناس خلف الرجل وفي الجمله فالتقوى
هي وصيه الله لجميع خلقه ووصيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته وكان صلى
الله عليه وسلم اذا بعث اميرا على سريه اوصاه في خاصه نفسه بتقوى الله وبمن معه
من المسلمين خيرا ولما خطب صلى الله عليه وسلم في حجه الوداع يوم النحر وصى الناس
بتقوى الله وبالسمع والطاعه لايمتهم ولما وعظ الناس وقالوا له كانها موعظه مودع
فاوصنا ~~فاوصنا~~ فاوصنا قال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعه وفي حديث
ابي ذر الطويل الذي خرجه ابن حبان وغيره قلت يا رسول الله اوصني قال اوصيك
بتقوى الله فانه راس الامر كله **وخرج الامام احمد** من حديث ابي سعيد
الخدري قال قلت يا رسول الله اوصني قال اوصيك بتقوى الله فانه راس كل شي وعليك
بالجهاد فانه رهبانيه الاسلام وخرجه غيره ولفظه قال عليك بتقوى الله فانها جماع
كل خير وفي الترمذي عن يزيد بن سلمه انه سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
اني سمعت منك حديثا كثيرا فاخاف ان ينسيني اوله اخره فحدثني بكلمه يكون جماعا
قال اتق الله فيما تعلم ولم يزل السلف الصالح يتواصون بها كان ابو بكر الصديق رضي الله
عنه يقول في خطبته اما بعد فاني اوصيكم بتقوى الله وان تثنوا عليه بما هو اهله
وان تخلطوا الرغبه بالرهبه وتجمعوا الالحاف بالمساله فان الله عز وجل اثنى
على زكريا واهل بيته فقال انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا
وكانوا لنا خاشعين ولما حضرته الوفاه وعهد الى عمر دعاه فوصاه بوصيه واول

ما قال له اتق الله يا عمر وكتب عمر الى ابنه عبد الله اما بعد فاني اوصيك بتقوى الله
عز وجل فانه من اتقاه وقاه ومن اقرضه جزاه ومن شكره زاده فاجعل التقوى
نصب عينيك وجلا قلبك واستعمل علي بن ابي طالب رجلا على سريه فقال له اوصيك
بتقوى الله الذي لا بد لك من لقايه ولا منتهى لك دونه وهو يملك الدنيا والاخره وكتب
عمر بن عبد العزيز الى رجل اوصيك بتقوى الله عز وجل التي لا يقبل غيرها ولا يرحم
الا اهلها ولا يثيب الا عليها فان الواعظين بها كثير والعاملين بها قليل جعلنا الله
واياك من المتقين ولما ولي خطب فحمد الله واثنى عليه وقال اوصيكم بتقوى الله الناس
عز وجل فان تقوى الله عز وجل خلف من كل شي وليس من تقوى الله خلف وقال
رجل ليونس ابن عبيد اوصني فقال اوصيك بتقوى الله والاحسان فان الله مع الذين اتقوا
والذين هم محسنون وقال له رجل يريد الحج اوصني فقال له اتق الله فمن اتقى الله فلا وحشه
عليه وقيل لرجل من التابعين عند موته اوصنا فقال اوصيكم بخاتمه سوره
النحل ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وكتب رجل من السلف الى اخ له اوصيك
بتقوى الله فانها اكرم ما اسررت وازين ما اظهرت وافضل ما ادخرت اعاننا
الله واياكم عليها واوجب لنا ولكم ثوابها وكتب رجل منهم الى اخ له اوصيك وانفسنا
بالتقوى فانها خير زاد الاخره والاولى واجعلها الى كل خير سبيلك ومن كل شر
مهربك فقد توكل الله عز وجل لاهلها بالنجاه مما يحذرون والرزق من حيث لا
يحتسبون وقال شعبه كنت اذا اردت الخروج قلت للحكم الك حاجه فقال
اوصيك بما اوصى به النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل اتق الله حيث ما كنت واتبع السيه
الحسنه تمحها وخالق الناس بخلق حسن وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول
في دعايه اللهم اني اسالك الهدى والتقى ٥ والعفه والغنى وقال ابو ذر قرا رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذه الايه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ثم قال يا ابا ذر لو ان الناس
كلهم اخذوا بها لكفتهم **فقوله صلى الله عليه وسلم** اتق الله حيث ما كنت مراده

في السر والعلانية حيث يراه الناس وحيث لا يرونه وقد ذكرنا من حديث ابي ذر
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له اوصيك بتقوى الله في سر امرك وعلانيته وكان النبي
صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اسالك خشيتك في الغيب والشهادة وخشية الله في
الغيب والشهادة هي المنجيات وقد سبق من حديث ابي الطفيل عن معاذ ان النبي من
صلى الله عليه وسلم قال له استحي من الله استحياء رجل ذا هيبة من اهلك وهذا هو السبب
الموجب لخشية الله في السر فان من علم ان الله يراه حيث كان وانه مطلع على باطنه
وظاهره وسره وعلانيته واستحضر ذلك في خلواته اوجب له ذلك ترك المعاصي في
السر والى هذا المعنى الاشارة في القران بقوله عز وجل واتقوا الله ان الله كان عليكم
رقيبا كان بعض السلف يقول لاصحابه زهدنا الله واياكم في الحرام زهد من قدر
عليه في الخلوة فعلم ان الله يراه فتركه من خشيته او كما قال وقال الشافعي اعز
الاشيا ثلاثة الجود من قلة والورع في خلوة وكلمة الحق عند من يرجى ويخاف
وكتب ابن السماك الواعظ الى اخ له اما بعد اوصيك بتقوى الله الذي هو نجيك
في سريرتك ورقيبك في علانيتك فاجعل الله من بالك على كل حالك في ليلك ونهارك
وخف الله بقدر قربه منك وقدرته عليك واعلم انك بعينه ليس تخرج من سلطانه
الى سلطان غيره ولا من ملكه الى ملك غيره فليعظم منه حذرك وليكثر منه وجلك
والسلام وقال ابو الجلد اوحى الله الى نبي من الانبيا قل لقومك ما بالكم تسترون
الذنوب من خلقي وتظهرونها لي ان كنتم ترون اني لا اراكم فانتم مشركون بي وان كنتم
ترون اني اراكم فلم جعلتموني اهون الناظرين اليكم وكان وهيب بن الورد يقول خف الله
على قدر قدرته عليك واستحي منه على قدر قربه منك وقال له رجل عظني فقال
اتق الله ان يكون اهون الناظرين اليك كان بعض السلف يقول اتراك ترحم من لم تقر
عينه بمعصيتك حتى علم ان لا عين تراه غيرك وقال بعضهم ابن ادم ان كنت حيث
ركبت المعصية لم تصف لك من عين ناظرة اليك فلما خلوت بالله وحده صفت

لك معصيته ولم تستحي منه حياك من بعض خلقه ما انت الا احد رجلين ان كنت
ظننت انه لا يراك فقد كفرت وان كنت علمت انه يراك فلم يمنعك منه ما منعك من
اضعف خلقه لقد اجترات دخل بعضهم غيضة ذات شجر فقال لو خلوت
هاهنا بمعصية من كان يراني فسمع هاتفا بصوت ملا الغيضة الا يعلم من خلق وهو
وهو اللطيف الخبير راود بعضهم اعرابية وقال لها ما يرانا الا الكواكب قالت فاين
مكوكبها راى محمد بن المنكدر رجلا واقفا مع امراة يكلمها فقال ان الله يراكما سترنا الله
واياكما قال الحرث المحاسبي المراقبة علم القلب بقرب الرب وسيل الجنيد
مقال بما يستعان على غض البصر قال بعلمك ان نظر الله اليك اسبق من نظرك الى ما تنظره
وكان الامام احمد ينشد اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا ان ما تخفي عليه يغيب
كان ابن السماك ينشد يا مدمن الذنب اما تستحي والله في الخلوة ثانيكا
غرك من ربك امهاله وستره طول مساويكا
والمقصود ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وصى معاذا بتقوى الله سرا وعلانية ارشده الى ما يعينه
ان على ذلك وهو ان يستحي من الله كما يستحي من رجل ذي هيبة من قومه ومعنى ذلك ان يستشعر
دايما بقلبه قرب الله منه واطلاعه عليه فيستحي من نظره اليه وقد امتثل معاذ ما
وصاه به النبي صلى الله عليه وسلم وكان عمر قد بعثه على عمل فقدم وليس معه شي فعاتبته
امراته فقال كان معي ضاغط يعني من يضيق علي ويمنعني من اخذ شي وانما اراد معاذ
ربه عز وجل فظنت امراته ان عمر بعث معه رقيبا فقامت تشكوه الى الناس
ومن صار له هذا المقام حالا دايما او غالبا فهو من المحسنين الذين يعبدون الله
كانهم يرونه ومن المحسنين الذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش الا اللمم وفي الجملة
فتقوى الله في السر هو علامة كمال الايمان وله تاثير عظيم في القا الله لصاحبه
الثنا في قلوب المومنين وفي الحديث ما اسر عبد سريرة الا البسه الله رداها علانية

ان خيرًا فخير وان شرًا فشر وروي هذا مرفوعًا وروي عن ابن مسعود من قوله
وقال ابو الدرداء ليتق احدكم ان تلعنه قلوب المومنين وهو لا يشعر يخلوا
بمعاصي الله فيلقي الله له البغض في قلوب المومنين قال سليمن التيمي ان الرجل ليصيب الذنب
في السر فيصبح وعليه مذلته وقال غيره ان العبد ليذنب الذنب فيما بينه وبين
الله ثم يجي الي اخوانه فيرون اثر ذلك عليه وهذا من اعظم الادله علي وجود الاله الحق المجاري
بذرات الاعمال في الدنيا قبل الاخره ولا يضيع عنده عمل عامل ولا ينفع من قدرته
حجاب ولا استتار فالسعيد من اصلح ما بينه وبين الله فانه من اصلح ما بينه وبين الله اصلح
الله ما بينه وبين الخلق ومن التمس محامد الناس بسخط الله عاد حامده من الناس
له ذامًا قال ابو سليمن الخاسر من ابدي للناس صالح عمله وبارز بالقبيح من هو اقرب
اليه من حبل الوريد ومن اعجب ما روي في هذا المعني ما روي عن ابي جعفر السايح قال
كان حبيب ابو محمد تاجرًا يكري الدراهم فمر ذات يوم فاذا هو بصبيان يلعبون فقال
بعضهم لبعض قد جا اكل الربا فنكس راسه وقال يا رب افشيت سري الي الصبيان
فرجع فجمع ماله كله وقال يا رب اني اسير واني قد اشتريت نفسي منك بهذا المال فاعتقني
فلما اصبح تصدق بالمال كله واخذ في العباده ثم مر ذات يوم باوليك الصبيان فلما
راوه قال بعضهم لبعض اسكتوا فقد جا حبيب العابد فبكي وقال يا رب انت تذم مره
وتحمد مره وكله من عندك قوله صلي الله عليه وسلم واتبع السيه الحسنه تمحها لما كان
العبد مامورًا بالتقوي في السر والعلانيه مع انه لا بد ان يقع منه احيانًا تفريط في التقوي
اما بترك بعض المامورات او بارتكاب بعض المحظورات فامره ان يفعل ما يمحوا
به هذه السيه وهو ان يتبعها بالحسنه قال الله عز وجل واقم الصلاه طرفي النهار
وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيات ذلك ذكري للذاكرين **وفي الصحيحين**
عن ابن مسعود ان رجلا اصاب من امراه قبله ثم اتي النبي صلي الله عليه وسلم فذكر ذلك له
فسكت النبي صلي الله عليه وسلم حتي نزلت هذه الايه فدعاه فقراها عليه فقال رجل

هذا له خاصه قال بل للناس عامه وقد وصف الله المتقين في كتابه بمثل ما وصي به النبي صلي الله
عليه وسلم في هذه الوصيه في قوله عز وجل وسارعوا الي مغفره من ربكم وجنه عرضها
السموات والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون في السرا والضرا والكاظمين الغيظ والعا
فين عن الناس والله يحب المحسنين والذين اذا فعلوا فاحشه او ظلموا انفسهم ذكروا
الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا علي ما فعلوا وهم يعلمون
اوليك جزاوهم مغفره من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين
فوصف المتقين بمعامله الخلق بالاحسان اليهم بالانفاق وكظم الغيظ والعفو عنهم فجمع
بين وصفهم ببذل الندي واحتمال الاذي وهذا هو غايه حسن الخلق الذي وصي به النبي
صلي الله عليه وسلم لمعاذ ثم وصفهم بانهم اذا فعلوا فاحشه او ظلموا انفسهم ذكروا الله
فاستغفروا لذنوبهم ولم يصروا عليها فدل علي ان المتقين قد يقع منهم احيانًا كباير وهي
الفواحش وصغاير وهي ظلم النفس لكنهم لا يصرون عليها بل يذكرون الله عقب وقوعها
فيستغفرونه ويتوبون اليه منها والتوبه هي ترك الاصرار ومعني قوله ذكروا الله اي
ذكروا عظمته وشده بطشه وانتقامه وما توعد به علي المعصيه من العقاب
فيوجب ذلك لهم الرجوع في الحال والاستغفار وترك الاصرار وقال الله عز وجل
ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون **وفي الصحيحين**
عن النبي صلي الله عليه وسلم قال اذنب عبد ذنبًا فقال رب اني عملت ذنبا فاغفر لي
فقال الله علم عبدي ان له ربًا يغفر الذنب وياخذ بالذنب قد غفرت لعبدي ثم
اذنب ذنبا اخر الي ان قال في الرابعه فليعمل ما شا يعني ما دام علي هذا الحال كلما
اذنب ذنبًا استغفر منه **وفي الترمذي** من حديث ابي بكر الصديق رضي الله عنه
عن النبي صلي الله عليه وسلم قال ما اصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مره **وخرج**
الحاكم من حديث عقبه بن عامر ان رجلا اتي النبي صلي الله عليه وسلم فقال يا رسول الله احدنا
يذنب قال يكتب عليه قال ثم يستغفر منه قال يغفر له ويتاب عليه ولا يمل الله حتي تملوا

وخرج الطبراني باسناد ضعيف عن عايشه قالت جا حبيب بن الحرث الي النبي
صلي الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني رجل مقراف للذنوب قال فتب الي الله عز
وجل قال اتوب ثم اعود قال فكلما اذنبت فتب قال يا رسول الله اذا تكثر ذنوبي
قال فعفو الله اكثر من ذنوبك يا حبيب بن الحرث وخرجه بمعناه من حديث انس
مرفوعا باسناد ضعيف وباسناده عن عبد الله بن عمرو قال من ذكر خطيه عملها
فوجل قلبه منها واستغفر الله لم يحبسها شي حتي يمحاها وروي بن ابي الدنيا باسناده عن علي
قال خياركم كل مفتن تواب قيل فان عاد قال يستغفر الله ويتوب قيل فان عاد قال
يستغفر الله ويتوب قيل حتي متي قال حتي يكون الشيطان هو المحسور وخرج بن
ماجه من حديث بن مسعود مرفوعا التايب من الذنب كمن لا ذنب له وقيل للحسن
الا يستحيي احدنا من ربه يستغفر من ذنوبه ثم يعود ثم يستغفر ثم يعود فقال ود الشيطان
لو ظفر منكم بهذه فلا تملوا من الاستغفار وروي عنه انه قال ما اري هذا الا من اخلاق
المومنين يعني ان المومن كلما اذنب تاب وقد روي المومن مفتن تواب وروي من
حديث جابر باسناد ضعيف مرفوعا المومن واه راقع فسعيد من هلك علي رقعه وقال
عمر بن عبد العزيز في خطبته من احسن منكم فليحمد الله ومن اسا فليستغفر الله فانه
لابد لاقوام يعملوا اعمالا وظفها الله في رقابهم وكتبها عليهم وفي روايه اخري عنه
انه قال ايها الناس من الم بذنب فليستغفر الله وليتب فان عاد فليستغفر الله
وليتب فان عاد فليستغفر الله وليتب فانما هي خطايا مطوقه في اعناق الرجال
وان الهلاك كل الهلاك في الاصرار عليها ومعني هذا ان العبد لابد ان يفعل ما قدر
عليه من الذنوب كما قال النبي صلي الله عليه وسلم كتب علي بن ادم حظه من الزنا فهو مدرك
ذلك لا محاله ولكن الله جعل للعبد مخرجا مما وقع فيه من الذنوب بالتوبه والاستغفار
فان فعل فقد تخلص من شر الذنب وان اصر علي الذنب هلك وفي المسند من
حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلي الله عليه وسلم قال ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم ويل

احدهم الخطيه وجزاها مكتوبه علي بابه وكفارتها فان كفرها كانت له خزيا في الدنيا وان لم يكفرها كانت
خزيا في الاخره فما اعطاكم الله خيرا مما اعطي بني اسرايل ومن يعمل سوا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله
يجد الله غفورا رحيما

97

لاقماع القول ويل للمصرين علي ما فعلوا وهم يعلمون وفسر اقماع القول بمن كانت اذناه كالقمع
لما يسمع من الحكمه والموعظه الحسنه فاذا دخل شي من ذلك في اذنه خرج من الاخري
ولم ينتفع بشي مما سمع وقوله صلي الله عليه وسلم اتبع السيه الحسنه قد يراد بالحسنه التوبه
من تلك السيه وقد ورد ذلك صريحا في حديث مرسل خرجه بن ابي الدنيا من مراسيل محمد
بن جبير ان النبي صلي الله عليه وسلم لما بعث معاذا الي اليمن قال يا معاذ اتق الله ما استطعت
واعمل بقوتك لله عز وجل ما اطقت واذكر الله عز وجل عند كل شجره وحجر وان احدثت
ذنبا فاحدث عنده توبه ان سرا فسر وان علانيه فعلانيه وخرجه ابو نعيم بمعناه من وجه
اخر ضعيف عن معاذ وقال قتاده قال سلمان اذا اسات سيه في سريره فاحسن حسنه
في سريره واذا اسات سيه في علانيه فاحسن حسنه في علانيه لكي تكون هذه بهذه وهذا
يحتمل انه اراد بالحسنه التوبه او اعم منها وقد اخبر الله في كتابه ان من تاب من ذنبه فانه
يغفر له ذنبه او يتاب عليه في مواضع كثيره كقوله تعالي انما التوبه علي الله للذين يعملون السو
بجهاله ثم يتوبون من قريب فاوليك يتوب الله عليهم وقوله ثم ان ربك للذين عملوا السو بجهاله
ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم وقوله الا من تاب وامن وعمل
عملا صالحا فاوليك يبدل الله سيياتهم حسنات وقوله واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا
ثم اهتدي وقوله الا من تاب وامن وعمل صالحا فاوليك يدخلون الجنه ولا يظلمون شيا
وقوله والذين اذا فعلوا فاحشه او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم الايتين
قال عبد الرزاق انا جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس قال بلغني ان ابليس حين
نزلت هذه الايه والذين اذا فعلوا فاحشه الايه بكي وقال بن سيرين اعطانا الله
هذه الايه مكان ما جعل لبني اسرايل في كفارات ذنوبهم وقال بن عباس في قوله تعالي
ما جعل عليكم في الدين من حرج قال هو سعه الاسلام وما جعل الله لامه محمد من التوبه والكفا
وظاهر هذه النصوص يدل علي ان من تاب الي الله توبه نصوحا واجتمعت شروط
التوبه في حقه فانه يقطع بقبول الله توبته كما يقطع بقبول اسلام الكافر اذا اسلم

اسلاما صحيحا وهذا قول الجمهور وكلام ابن عبد البر يدل على انه اجماع ومن الناس من قال
لا يقطع بقبول التوبة بل يرجى وصاحبها تحت المشيه وان تاب واستدلوا بقوله ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فجعل الذنوب كلها تحت مشيته
وربما استدل بمثل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبه نصوحا عسى ربكم
ان يكفر عنكم سياتكم وبقوله فاما من تاب وامن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين
وقوله وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون لعلكم تفلحون وقوله واخرون اعترفوا بذنوبهم
خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم والظاهر ان هذا في حق التايب
لان الاعتراف يقتضي الندم وفي حديث عايشه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان العبد
اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه والصحيح قول الاكثرين وهذه الايات لا تدل
على عدم القطع فان الكريم اذا اطمع لم يقطع من رجايه المطمع ومن هنا قال ابن عباس
ان عسى من الله واجبه نقله عنه علي بن ابي طلحه وقد ورد جزا الايمان والعمل الصالح
بلفظ عسى ايضا ولم يدل ذلك على انه غير مقطوع به كما في قوله انما يعمر مساجد الله من
امن بالله واليوم الاخر واقام الصلاه واتى الزكاه ولم يخش الا الله فعسى اوليك ان يكونوا
من المهتدين واما قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فان التايب ممن شا ان يغفر له كما اخبر
بذلك في مواضع كثيره من كتابه وقد يراد بالحسنه في قول النبي صلى الله عليه وسلم اتبع السيه
الحسنه ما هو اعم من التوبه كما في قوله تعالى واقم الصلاه طرفي النهار وزلفا من الليل ان
الحسنات يذهبن السيات وقد روي من حديث معاذ ان الرجل الذي نزلت بسببه هذه
الايه امره النبي صلى الله عليه وسلم ان يتوضا ويصلي **وخرج الامام احمد** وابو داود
والترمذي والنساي وابن ماجه من حديث ابي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر ثم يصلي ثم يستغفر الله الا غفر الله له ثم
قرا هذه الايه والذين اذا فعلوا فاحشه او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم
وفي الصحيحين عن عثمان انه توضا ثم قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضا

نحو وضوئي هذا ثم قال من توضا نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما
نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه **وفي مسند الامام احمد** عن ابي الدردا رضي الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من توضا فاحسن الوضو ثم قام فصلى
ركعتين او اربعا يحسن فيهما الركوع والخشوع ثم استغفر الله عز وجل غفر له **وفي
الصحيحين** عن انس قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاه رجل فقال يا رسول الله
اني اصبت حدا فاقمه علي قال ولم يساله عنه فحضرت الصلاه فصلى مع النبي صلى
الله عليه وسلم فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم الصلاه قام اليه الرجل فقال يا رسول الله اني
اصبت حدا فاقم في كتاب الله قال اليس قد صليت معنا قال نعم قال فان الله قد غفر
لك ذنبك او قال حدك وخرجه مسلم بمعناه من حديث ابي امامه وخرجه ابن جرير
الطبري من وجه اخر عن ابي امامه وفي حديثه قال فانك من خطيتك كما ولدتك امك
فلا تعد وانزل الله واقم الصلاه طرفي النهار الايه **وفي الصحيحين** عن ابي هريره عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ارايتم لو ان نهرا بباب احدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات
هل يبقى من درنه شي قالوا لا يبقى من درنه شي قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحوا
الله بهن الخطايا **وفي صحيح مسلم عن عثمان** رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
من توضا فاحسن الوضو خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت اظفاره **وفيه
عن ابي هريره** رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الا ادلكم على ما يمحوا الله به الخطايا
ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضو على المكاره وكثره الخطا الى
المساجد وانتظار الصلاه بعد الصلاه فذلكم الرباط فذلكم الرباط **وفي الصحيحين**
عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما
تقدم من ذنبه ومن قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام
ليله القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه **وفيهما عن ابي هريره**
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه

كيوم ولدته امه **وفي صحيح مسلم** عن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه
وسلم قال ان الاسلام يهدم ما كان قبله وان الهجره تهدم ما كان قبلها وان الحج يهدم ما
كان قبله **وفيه من حديث ابي قتاده** عن النبي صلي الله عليه وسلم قال في صوم عاشورا
احتسب علي الله ان يكفر السنه التي قبله وقال في صوم يوم عرفه احتسب علي الله ان يكفر
السنه التي قبله والتي بعده **وخرج الامام احمد من حديث عقبه بن عامر** رضي الله عنه
عن النبي صلي الله عليه وسلم قال مثل الذي يعمل السيات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل كانت عليه درع
ضيقة قد خنقته ثم عمل حسنه فانفكت حلقة ثم عمل حسنه اخري فانفكت اخري حتي تخرج
الي الارض ومما يكفر الخطايا ذكر الله عز وجل وقد ذكرنا فيما تقدم ان النبي صلي الله عليه وسلم
سيل عن قول لا اله الا الله امن الحسنات هي قال هي احسن الحسنات **وفي الصحيحين**
عن ابي هريره عن النبي صلي الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده في يوم ميه مره حطت
خطاياه وان كانت مثل زبد البحر **وفيهما عنه** عن النبي صلي الله عليه وسلم قال من قال
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو علي كل شي قدير في يوم
مايه مره كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له ميه حسنه ومحيت عنه ميه سيه
وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتي يمسي ولم يات احد بافضل مما جا به الا احد
عمل افضل من ذلك **وفي المسند** وكتاب ابن ماجه عن ام هاني عن النبي صلي الله عليه وسلم
قال لا اله الا الله لا تترك ذنبا ولا يسبقها عمل **وخرج الترمذي** عن انس عن النبي
صلي الله عليه وسلم انه مر بشجره يابسة الورق فضربها بعصاه فتناثر الورق فقال ان
الحمد لله وسبحان الله ولا اله الا الله والله اكبر لتساقط من ذنوب العبد كما يتساقط
ورق هذه الشجره وخرجه الامام احمد باسناد صحيح عن انس ان رسول الله صلي الله عليه
وسلم قال ان سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر تنفض الخطايا كما تنفض الشجره
ورقها والاحاديث في هذا كثيره جدا يطول الكتاب بذكرها وسيل الحسن عن رجل
لا يتحاشي من معصيه الا ان لسانه لا يفتر من ذكر الله تعالي فقال ان ذلك لعون حسن

وسيل الامام احمد عن رجل اكتسب مالا من شبهه صلاته وتسبيحه يحط عنه شيا من
ذلك فقال ان صلي وسبح يريد به ذلك فارجوا قال الله تعالي خلطوا عملا صالحا واخر
سيا وقال مالك بن دينار البكا علي الخطيه يحط الخطايا كما يحط الريح الورق اليابس
وقال عطا من جلس مجلسا من مجالس الذكر كفر به عشره مجالس من مجالس الباطل وقال
شويس العدوي وكان من قدما التابعين ان صاحب اليمين امير او قال امين علي
صاحب الشمال فاذا عمل ابن ادم سيه فاراد صاحب الشمال ان يكتبها قال له صاحب
اليمين لا تعجل لعله يعمل حسنه فان عمل حسنه القي واحده بواحده وكتب له تسع حسنات
فيقول الشيطان يا ويله من يدرك تضعيف ابن ادم **وخرج الطبراني** باسناد فيه
نظر عن ابي مالك الاشعري عن النبي صلي الله عليه وسلم قال اذا نام ابن ادم قال الملك للشيطان
اعطني صحيفتك فيعطيه اياها فما وجد في صحيفته من حسنه محي بها عشر سيات
من صحيفه الشيطان وكتبهن حسنات فاذا اراد احدكم ان ينام احدكم فليكبر ثلاثا
وثلاثين تكبيره ويحمد الله اربعا وثلاثين تحميده ويسبح الله ثلاثا وثلاثين تسبيحه فتلك ميه وهذا
غريب ومنكر وروي وكيع نا الاعمش عن ابي اسحق عن ابي الاحوص قال قال عبد الله
يعني ابن مسعود وددت اني صولحت علي ان اعمل كل يوم تسع خطيات وحسنه وهذا
اشاره منه الي ان الحسنه تمحي بها التسع خطيات ويفضل له ضعف واحد من
ثواب الحسنه فيكتفي به والله اعلم وقد اختلف الناس في مسلتين احداهما هل تكفر
الاعمال الصالحه الكباير والصغاير ام لا تكفر سوي الصغاير فمنهم من قال لا تكفر
سوي الصغاير وقد روي هذا عن عطا وغيره من السلف في الوضو انه يكفر الصغاير
وقال سلمان الفارسي في الوضو انه يكفر الجراحات الصغار والمشي الي المساجد يكفر
اكبر من ذلك والصلاه تكفر اكبر من ذلك خرجه محمد بن نصر المروزي واما الكباير
فلا بد لها من التوبه لان الله امر العباد بالتوبه وجعل من لم يتب ظالما واتفقت
الامه علي ان التوبه فرض والفرايض لا تودي الا بنيه وقصد ولو كانت الكباير

تقع مكفرةً بالوضو والصلاة وادا بقيه اركان الاسلام لم يحتج الي التوبه وهذا باطل
بالاجماع وايضًا فلو كُفرت الكبائر بفعل الفرايض لم يبق لاحدٍ ذنب يدخل به النار
اذا اتى بالفرايض وهذا يشبه قول المرجيه وهو باطل هذا ماذكره بن عبد البر
في كتابه التمهيد وحكى اجماع المسلمين على ذلك واستدل عليه باحاديث منها قول
النبي صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعه الي الجمعه ورمضان الي رمضان مكفرات
لما بينهنَّ ما اجتنبت الكبائر وهو مخرج في الصحيحين من حديث ابي هريره وهذا يدل
على ان الكبائر لا تكفرها هذه الفرايض وقد حكى ابن عطيه في تفسيره في معنى هذا الحديث قولين
احدهما وحكاه عن جمهور اهل السنه ان اجتناب الكبائر شرط لتكفير هذه الفرايض
للصغائر فان لم تُجتنب لم تكفر هذه الفرايض شيًا بالكليه والثاني انها تكفر الصغائر مطلقًا
ولا تكفر الكبائر وان وجدت لكن بشرط التوبه من الصغائر وعدم الاصرار عليها ورجح
هذا القول وحكاه عن الحذاق وقوله بشرط التوبه من الصغائر وعدم الاصرار
عليها مراده انه اذا اصر عليها صارت كبيره فلم تكفرها الاعمال والقول الاول
الذي حكاه غريب مع انه قد حُكي عن ابي بكر عبد العزيز بن جعفر من اصحابنا مثله
وفي صحيح مسلم عن عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من امري مسلم
تحضره صلاة مكتوبه فيحسن وضوها وخشوعها وركوعها الا كانت كفاره لما
قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيره وذلك الدهر كله وفي مسند الامام احمد
عن سلمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يتطهر الرجل يعني يوم الجمعه فيحسن طهوره
ثم ياتي الجمعه فينصت حتى يقضي الامام صلاته الا كان كفارةً ما بينه وبين الجمعه المقبله
ما اجتُنبت المقتله وخرج النساي وابن حبان والحاكم من حديث ابي سعيد وابي
هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده ما من عبد يصلي الصلوات
الخمس ويصوم رمضان ويخرج الزكاه ويجتنب الكبائر السبع الا فتحت له ابواب الجنه
ثم قيل له ادخل بسلام وخرج الامام احمد والنساي من حديث ابي ايوب عن النبي

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم معناه ايضا وخرج الحاكم معناه من حديث عبيد بن عمير عن ابيه
عن النبي صلى الله عليه وسلم ويروى من حديث بن عمر مرفوعًا يقول الله عز وجل ابن ادم
اذكرني من اول النهار ساعه ومن اخر النهار ساعه اغفر لك ما بين ذلك الا الكبائر او تتوب
منها وقال بن مسعود الصلوات الخمس كفارات لما بينهنَّ ما اجتنبت الكبائر وقال
سلمان حافظوا على هذه الصلوات الخمس فانهنَّ كفارات لهذه الجراح ما لم تُصب المقتله
قال بن عمر لرجل اتخاف النار ان تدخلها قال نعم قال برّ امك فوالله لين النت لها الكلام
واطعمتها الطعام لتدخلنَّ الجنه ما اجتنبت الموجبات وقال قتاده انما وعد الله
المغفره لمن اجتنب الكبائر وذُكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا الكبائر وسددوا وابشروا
وذهب قوم من اهل الحديث وغيرهم الي ان هذه الاعمال تُكفر الكبائر ومنهم بن حزم
الظاهري واياه عنى ابن عبد البر في كتاب التمهيد وبالرد عليه وقال قد كنت ارغب
بنفسي عن الكلام في هذا الباب لولا قول ذلك القايل وخشيت ان يغتر به جاهل فينهمك
في الموبقات اتكالا على انها تكفرها الصلوات دون الندم والاستغفار والتوبه والله
نساله العصمه والتوفيق قلت وقد وقع مثل هذا في كلام طايفه من اهل الحديث
في الوضوء ونحوه ووقع مثله في كلام بن المنذر في قيام ليله القدر قال يرجي لمن قامها
ان يغفر له ذنوبه صغيرها وكبيرها فان كان مرادهم ان من اتى بفرايض الاسلام وهو
مصر على الكبائر يغفر له الكبائر قطعًا فهذا باطل قطعًا يعلم بالضروره من الدين
بطلانه وقد سبق قول النبي صلى الله عليه وسلم من اسا في الاسلام اخذ بالاول
والاخر يعني بعمله في الجاهليه والاسلام وهذا اظهر من ان نحتاج الي بيان وان
اراد هذا القايل ان من ترك الاصرار على الكبائر وحافظ على الفرايض من غير
توبه ولا ندم على ما سلف منه كُفرت ذنوبه كلها بذلك واستدل بظاهر
قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم وقال السيات تشمل الكباير
والصغاير فكما ان الصغاير تُكفر باجتناب الكباير من غير قصد ولا نيه فكذلك

[illegible]

الكباير وقد يستدل لذلك بان الله وعد المومنين والمتقين بالمغفرة وبتكفير السيات
وهذا مذكور في غير موضع من القران وقد صار هذا من المتقين فانه فعل الفرايض
واجتنب الكباير واجتناب الكباير لا يحتاج الى نية وقصد فهذا القول يمكن
ان يقال في الجملة والصحيح قول الجمهور ان الكباير لا تكفر بدون التوبة لان التوبة
فرض على العباد وقد قال عز وجل ومن لم يتب فاوليك هم الظالمون وقد فسرت
الصحابة كعمر وعلي وابن مسعود التوبة بالندم ومنهم من فسرها بالعزم على ان لا يعود
وقد روي ذلك مرفوعا من وجه فيه ضعف لكن لا نعلم مخالف من الصحابة في هذا
وكذلك التابعون ومن بعدهم كعمر بن عبد العزيز والحسن وغيرهما واما النصوص
الكثيرة المتضمنة مغفرة الذنوب وتكفير السيات للمتقين كقوله ان تتقوا الله
يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سياتكم ويغفر لكم وقوله ومن يومن ويعمل صالحا يكفر عنه
سياته ويدخله جنات وقوله ومن يتق الله يكفر عنه سياته ويعظم له اجرا فانه
لم يبين في هذه الايات خصال التقوى ولا العمل الصالح ومن جملة ذلك التوبة
النصوح فمن لم يتب فهو ظالم غير متق وقد بين في سورة ال عمران خصال التقوى
التي يغفر لاهلها ويدخلهم الجنة فذكر منها الاستغفار وعدم الاصرار فلم يضمن
تكفير السيات ومغفرة الذنوب الا لمن كان على هذه الصفة والله اعلم ومما يستدل
به على ان الكباير لا تكفر بدون التوبة منها او العقوبة عليها حديث عبادة بن الصامت
قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال بايعوني على ان لا تشركوا بالله شيا ولا تسرقوا
ولا تزنوا وقرا عليهم الاية فمن وفى منكم فاجره على الله ومن اصاب من ذلك شيا
فعوقب به فهو كفارة له ومن اصاب من ذلك شيا فستره الله عليه فهو الى الله
ان شا عذبه وان شا غفر له خرجاه في الصحيحين وفي رواية لمسلم من اتى منكم
حدا فاقيم عليه فهو كفارته وهذا يدل على ان الحدود كفارات قال الشافعي
لم اسمع في هذا الباب ان الحد يكون كفارة لاهله شيا احسن من حديث عبادة بن الصامت

وقوله فعوقب به يعم العقوبات الشرعية وهي الحدود المقدرة او غير المقدرة
كالتعزيرات ويشمل العقوبات القدرية كالمصايب والاسقام والالام فانه صح
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يصيب المسلم نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن
حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه وروي عن علي ان الحد كفارة لمن اقيم عليه
وذكر ابن جرير الطبري في هذه المسلة اختلافا بين الناس ورجح ان اقامة الحد بمجرده
كفارة ووهن القول بخلاف ذلك جدا قلت وقد روي عن سعيد بن المسيب وصفوان
بن سليم ان اقامة الحد ليس بكفارة ولا بد معه من التوبة ورجحه طايفة من المتاخرين
منهم البغوي وابو عبد الله بن تيمية في تفسيريهما وهو قول ابن حزم الظاهري والاول
قول مجاهد وزيد بن اسلم واما حديث ابي هريرة المرفوع لا ادري الحدود طهارة
لاهلها ام لا فقد خرجه الحاكم وغيره واعله البخاري وقال لا يثبت وانما هو من
مراسيل الزهري وهي ضعيفة وغلط عبد الرزاق فوصله قال وقد صح عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان الحدود كفارة ومما يستدل به من قال الحد ليس بكفارة قوله
تعالى في المحاربين ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل
ان تقدروا عليهم وظاهره ان يجتمع لهم عقوبة الدنيا والاخرة ويجاب عنه بانه ذكر
عقوبتهم في الدنيا وعقوبتهم في الاخرة ولا يلزم اجتماعهما واما استثنا من تاب
فانما استثناه من عقوبة الدنيا خاصة فان عقوبة الاخرة تسقط بالتوبة قبل
القدرة وبعدها وقوله صلى الله عليه وسلم ومن اصاب شيا من ذلك فستره الله عليه
فهو الى الله ان شا عذبه وان شا غفر له صريح في ان هذه الكباير من لقي الله بها كان
تحت مشيته وهذا يدل على ان اقامة الفرايض لا تكفرها ولا تمحوها فان عموم
المسلمين يحافظون على الفرايض لا سيما من بايعهم النبي صلى الله عليه وسلم وخرج من
ذلك من لقي الله وقد تاب منها بالنصوص الدالة من الكتاب والسنة على ان من تاب
الى الله تاب الله عليه وغفر له فبقي من لم يتب داخلا تحت المشية وايضا فيدل على ان

الكبائر لا تكفرها الاعمال لان الله تعالى لم يجعل للكبائر في الدنيا كفارة واجبة وانما جعل الكفارة
للصغائر ككفارة وطي المظاهر ووطي المراة في الحيض على حديث ابن عباس الذي ذهب اليه الامام احمد وغيره
وكفارة من ترك شيا من واجبات الحج او ارتكب بعض محظوراته وهي اربعة اجناس هدي وعتق
وصدقة وصيام ولهذا لا تجب الكفارة في قتل العمد عند جمهور العلما ولا في اليمين الغموس ايضا
عند اكثرهم وانما يومر القاتل بعتق رقبة استحبابا كما في حديث واثلة بن الاسقع انهم جاوا الى
النبي صلى الله عليه وسلم في صاحب لهم قد اوجب فقال اعتقوا عنه رقبة يعتقه الله بها من النار
ومعنى اوجب عمل عملا يجب له به النار ويقال انه كان قتل قتيلا وفي صحيح مسلم عن ابن عمر انه ضرب
عبدا له فاعتقه وقال ليس لي فيه من الاجر مثل هذا واخذ عودا من الارض اني سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم يقول من لطم مملوكه او ضربه فان كفارته ان يعتقه فان قيل فالمجامع في رمضان
يومر بالكفارة والفطر في رمضان من الكبائر قيل ليست الكفارة للفطر ولهذا لا تجب عند الاكثر
على كل مفطر في رمضان عمدا وانما هي لهتك حرمة نهار رمضان بالجماع ولهذا لو كان مفطرا
فطرا لا يجوز له في نهار رمضان ثم جامع للزمته الكفارة عند الامام احمد لما ذكرنا ومما يدل
على ان تكفير الواجبات مختص بالصغائر ما خرجه البخاري عن حذيفة قال بينا نحن جلوس
عند عمر اذ قال ايكم يحفظ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتنة قال قلت فتنة
الرجل في اهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والامر بالمعروف والنهي عن
المنكر قال ليس عن هذا اسالك وخرجه مسلم بمعناه وظاهر هذا السياق يقتضي رفعه وفي رواية
للبخاري ان حذيفة قال سمعته يقول فتنة الرجل فذكره وهذا كالصريح في رفعه وفي رواية
لمسلم ان هذا من كلام عمر واما قول النبي صلى الله عليه وسلم للذي قال له اصبت حدا فاقمه
علي فتركه حتى صلى ثم قال ان الله غفر لك حدك فليس صريحا في ان المراد به شي من الكبائر
لان حدود الله محارمه كما قال تعالى تلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه
وقوله تلك حدود الله فلا تعتدوها وقوله تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله
جنات الاية الى قوله ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا وفي حديث العرباض

بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم في ضرب مثل الاسلام بالصراط المستقيم الذي على جنبتيه
سوران قال والسوران حدود الله وقد سبق ذكره بتمامه فكل من اصاب شيا من محارم
الله فقد اصاب حدوده وركبها وتعداها وعلى تقدير ان يكون الحد الذي اصابه كبيرة فهذا
الرجل جا نادما تائبا واسلم نفسه الى اقامة الحد عليه والندم توبة والتوبة تكفر الكبائر بغير تردد
وقد روي ما يستدل به على ان الكبائر تكفر ببعض الاعمال الصالحة فخرج الامام احمد
والترمذي من حديث ابن عمر ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اصبت
ذنبا عظيما فهل لي من توبة قال هل لك من ام قال لا قال فهل لك من خالة قال نعم قال فبرها
وخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم وقال على شرط الشيخين لكن خرجه الترمذي من وجه اخر مرسلا
وذكر ان المرسل اصح من الموصول وكذا قال علي بن المديني والدارقطني وروي عن عمر ان رجلا
قال له قتلت نفسا قال امك حية قال لا قال فابوك قال نعم قال فبره واحسن اليه
ثم قال عمر لو كانت امه حية فبرها واحسن اليها رجوت ان لا تطعمه النار ابدا وعن
ابن عباس معناه ايضا وكذلك المراة التي عملت بالسحر بدومة الجندل وقدمت المدينة
تسال عن توبتها فوجدت النبي صلى الله عليه وسلم قد توفي فقال لها اصحابه لو كان ابواك
حيين او احدهما كانا يكفيانك خرجه الحاكم وقال فيه اجماع الصحابة حدثان وفاة
الرسول صلى الله عليه وسلم على ان بر الابوين يكفيانها وقال مكحول والامام احمد بر الوالدين
كفارة الكبائر وروي عن بعض السلف في حمل الجنائز انه يحط الكبائر وروي مرفوعا من وجوه
لا تصح وقد صح من رواية ابي بردة ان ابا موسى لما حضرته الوفاة قال يا بني اذكروا صاحب
الرغيف كان رجل يتعبد في صومعة اراه سبعين سنة فشبه الشيطان في عينه امراة
فكان معها سبعة ايام وسبع ليال ثم كشف عن الرجل غطاوه فخرج تائبا ثم ذكر انه بات
بين مساكين فتصدق عليهم برغيف رغيف فاعطوه رغيفا ففقده صاحبه الذي كان
يعطاه فلما علم بذلك اعطاه الرغيف واصبح ميتا فوزنت السبعون سنة بالسبع الليالي فرجحت
الليالي ووزن الرغيف بالسبع الليالي فرجح الرغيف وروي ابن المبارك باسناده في كتاب البر

شرط

الله

والصلة عن بن مسعود قال عبد الله رجل سبعين سنه ثم اصاب فاحشة فاحبط عمله ثم اصابته
زمانه واقعد فراي رجلا يتصدق علي مساكين فجا اليه فاخذ منه رغيفا فتصدق به علي
مسكين فغفر الله له ورد عليه عمل سبعين سنه وهذه كلها لا دلاله فيها علي تكفير الكبائر
بمجرد العمل لان كل من ذكر فيها كان تائبا نادما من ذنبه وانما كان سواله عن عمل صالح يتقرب
به الي الله بعد التوبه حتي يمحوا به اثر الذنب بالكليه فان الله شرط في قبول التوبه
ومغفره الذنوب بها العمل الصالح كقوله الا من تاب وامن وعمل صالحا وقوله واني لغفار لمن
تاب وامن وعمل صالحا وقوله فاما من تاب وامن وعمل صالحا فعسي ان يكون من المفلحين وفي هذا
متعلق لمن يقول ان التائب بعد التوبه في المشيه وكان هذا حال كثير من الخائفين
من السلف وقال بعضهم لرجل هل اذنبت ذنبا قال نعم قال فعلمت ان الله كتبه عليك
قال نعم قال فاعمل حتي تعلم ان الله قد محاه ومنه قول ابن مسعود ان المومن يري ذنوبه كانه
في اصل جبل يخاف ان يقع عليه وان الفاجر يري ذنوبه كذباب طار علي انفه فقال به هكذا
خرجه البخاري وكانوا يتهمون اعمالهم وتوباتهم ويخافون ان لا يكون قد قبل منهم ذلك فكان يوجب
لهم شده الخوف وكثره الاجتهاد في الاعمال الصالحه قال الحسن ادركت اقواما لو انفق احدهم
مل الارض ما امن لعظم الذنب في نفسه وقال ابن عون لا تثق بكثره العمل فانك لا تدري يقبل منك ام لا
ولا تامن ذنوبك فانك لا تدري كفرت عنك ام لا ان عملك مغيب عنك كله والاظهر والله اعلم
في هذه المسله اعني مسله تكفير الكبائر بالاعمال انه ان اريد ان الكبائر تمحي بمجرد الاتيان بالفرائض
وتقع الكبائر مكفره بذلك كما تكفر الصغائر باجتناب الكبائر فهذا باطل وان اريد انه قد يوازن
يوم القيمه بين الكبائر وبين بعض الاعمال فتمحي الكبيره بما يقابلها من العمل ويسقط العمل فلا
يبقي له ثواب فهذا قد يقع وقد تقدم عن ابن عمر انه لما اعتق مملوكه الذي ضربه قال ليس لي
فيه من الاجر شي حيث كان كفاره لذنبه ولم يكن ذنبه من الكبائر فكيف بما كان من الاعمال مكفرا
للكبائر وسبق ايضا قول من قال من السلف ان السيه تمحي ويسقط نظيرها حسنه من الحسنات
التي هي ثواب العمل فاذا كان هذا في الصغائر فكيف بالكبائر فان بعض الكبائر قد تحبط بعض

الاعمال المنافيه لها كما يبطل المن والاذي الصدقه وتبطل المعامله بالربا الجهاد كما قالت عايشه
وقال حذيفه قذف المحصنه يهدم عمل ميه سنه وروي عنه مرفوعا خرجه البزار وكما يبطل
ترك صلاه العصر العمل فلا يستنكر ان يبطل ثواب العمل الذي يكفر الكبائر وقد خرج البزار
في مسنده والحاكم من حديث بن عباس عن النبي صلي الله عليه وسلم قال يوتي بحسنات العبد وسياته
يوم القيمه فيقص او يقضي بعضها من بعض فان بقيت له حسنه وسع الله له بها في الجنه وخرج
بن ابي حاتم من حديث بن لهيعه حدثني عطا بن دينار عن سعيد بن جبير في قول الله عز وجل فمن يعمل
مثقال ذره خيرا يره قال كان المسلمون يرون لا يوجرون علي الشي القليل اذا اعطوه فيجي المسكين
فيستقلون ان يعطوه تمره وكسره وجوزه ونحو ذلك فيردونه ويقولون ما هذا شي انما نوجر
علي ما نعطي ونحن نحبه وكان اخرون يرون انهم لا يلامون علي الذنب اليسير الكذبه والنظر
والغيبه واشباه ذلك يقولون انما وعد الله النار علي الكبائر فرغبهم الله في القليل من الخير
ان يعملوه فانه يوشك ان يكثر وحذرهم اليسير من الشر فانه يوشك ان يكثر فنزلت فمن يعمل مثقال ذره
يعني وزن اصغر النمل يعني في كتابه ويسره ذلك قال يكتب لكل بر وفاجر بكل سيه سيه
واحده وبكل حسنه عشر حسنات فاذا كان يوم القيمه ضاعف الله حسنات المومن ايضا بكل
واحده عشرا فيمحوا عنه بكل حسنه عشر سيات فمن زادت حسناته علي سياته مثقال ذره
دخل الجنه وظاهر هذا انه تقع المقاصه وهذا يوافق قول من قال بان من رجحت حسناته
علي سياته بحسنه واحده اثيب بتلك الحسنه خاصه وسقط باقي حسناته في مقابله سياته خلافا
لمن قال يثاب بالجميع وتسقط سياته كانها لم تكن وهذا في الكبائر اما في الصغائر فانه قد تمحي بالاعمال
الصالحه مع بقا ثوابها كما قال صلي الله عليه وسلم الا ادلكم علي ما يمحوا الله به الخطايا ويرفع به الدرجات
اسباغ الوضو علي المكاره وكثره الخطا الي المساجد وانتظار الصلاه بعد الصلاه فاثبت لهذه الاعمال
تكفير الخطايا ورفع الدرجات وكذلك قوله صلي الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله وحده لا شريك
له ميه مره كتب له ميه حسنه ومحيت عنه ميه سيه وكانت له عدل عشر رقاب فهذا
يدل علي ان الذكر يمحوا السيات ويبقي ثوابه لعامله مضاعفا وكذلك سيات التايب توبه

بين حسنات وسيئات ثم تسقط الحسنات المقابلة للسيئات انتهى
ويبقى ما يفضل منها بعد المقاصة ع

نصوحا تكفر عنه وتبقى له حسناته كما قال تعالى حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنه قال رب اوزعني ان
اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه واصلح لي في ذريتي اني تبت اليك واني
من المسلمين اوليك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سياتهم في اصحاب الجنه وعد
الصدق الذي كانوا يوعدون وقال عز وجل والذي جا بالصدق وصدق به اوليك هم المتقون
لهم ما يشاون عند ربهم ذلك جزا المحسنين ليكفر الله عنهم اسوا الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن
الذي كانوا يعملون فلما وصفهم لا بالتقوى والاحسان دل على انهم ليسوا مصرين على الذنوب
بل هم تايبون منها وقوله ليكفر الله عنهم اسوا الذي عملوا يدخل فيه الكباير لانها اسوا الاعمال
وقال ومن يتق الله يكفر عنه سياته ويعظم له اجرا فرتب على التقوى المتضمنه لفعل الواجبات
وترك المحرمات تكفير السيات وتعظيم الاجر واخبر الله عن المومنين المتفكرين في خلق
السموات والارض انهم قالوا ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ان امنوا بربكم فامنا ربنا فاغفر لنا
ذنوبنا وكفر عنا سياتنا فخص الذنوب واخبر انه استجاب لهم ذلك وانه كفر عنهم سياتهم وادخلهم
الجنات وقوله فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سياتنا فخص الذنوب بالمغفره والسيات بالتكفير فقد
يقال السيات تخص الصغاير والذنوب يراد بها الكباير فالسيات تكفر لان الله جعل لها كفارات
في الدنيا شرعيه وقدريه والذنوب تحتاج الى مغفره تقي صاحبها من شرها والمغفره والتكفير
متقاربان فان المغفره قد قيل انها ستر الذنوب وقيل وقايه شر الذنب مع ستره ولهذا يسمى
ما ستر الراس ووقاه في الحرب مغفرا ولا يسمى كل ساتر للراس مغفرا وقد اخبر الله عن الملايكه انهم يدعون
للمومنين التايبين بالمغفره ووقايه السيات والتكفير من هذا الجنس لان اصل الكفر الستر والتغطيه
ايضا وقد فرق بعض المتاخرين بينهما بان التكفير محو اثر الذنب حتى كانه لم يكن والمغفره تتضمن
مع ذلك افضال الله على العبد واكرامه وفي هذا نظر وقد يفسر بان مغفره الذنوب بالاعمال
الصالحه تقلبها حسنات وتكفيرها بالمكفرات محوها فقط وفيه ايضا نظر فانه قد صح ان
الذنوب المعاقب عليها بدخول النار تبدل حسنات فالمكفره بعمل صالح تكون كفاره لها ولا
وتحتمل معنيين اخرين احدهما ان المغفره لا تحصل الا مع عدم العقوبه والمواخذه لانها

وقايه شر الذنب بالكليه والتكفير قد يقع بعد العقوبه فان المصايب الدنيويه كلها
مكفرات للخطايا وهي عقوبات وكذلك العفو يقع مع العقوبه وبدونها وكذلك الرحمه
والثاني ان الكفارات من الاعمال ما جعلها الله لمحو الذنوب المكفره بها ويكون ذلك هو
ثوابها ليس لها ثواب غيره والغالب عليها ان تكون من جنس مخالفه هوى النفوس وتجشم
المشقه فيه كاجتناب الكباير الذي جعله الله كفاره للصغاير واما الاعمال التي تغفر بها
الذنوب فهي ما عدا ذلك وتجتمع فيها المغفره والثواب عليها كالذكر الذي يكتب به الحسنات
وتمحى به السيات وعلى هذا الوجه فيفرق بين الكفارات من الاعمال وغيرها واما تكفير
الذنوب ومغفرتها اذا اضيف ذلك الى الله فلا فرق بينهما وعلى الوجه الاول يكون
بينهما فرق ايضا ويشهد لهذا الوجه الثاني امران احدهما قول ابن عمر لما اعتق العبد الذي
ضربه ليس لي في عتقه من الاجر شي واستدل بانه كفاره والثاني المصايب الدنيويه كلها
كفارات للذنوب وقد قال كثير من الصحابه وغيرهم من السلف انه لا ثواب فيها مع التكفير
وان كان بعضهم قد خالف في ذلك ولا يقال فقد فسر الكفارات في حديث المنام باسباغ
الوضو في المكروهات ونقل الاقدام الى الصلوات وقال من فعل ذلك عاش بخير ومات
بخير وكان من خطيته كيوم ولدته امه وهذه كلها مع تكفيرها للسيات ترفع الدرجات
ويحصل عليها الثواب لانا نقول قد يجتمع في العمل الواحد شيان يرفع باحدهما الدرجات
ويكفر بالاخر السيات فالوضو نفسه يثاب عليه لكن اسباغه في شده البرد من جنس الالام
التي تحصل للنفوس في الدنيا فيكون كفاره في هذه الحال واما في غير هذه الحال فتغفر به
الخطايا كما يغفر بالذكر وغيره وكذلك المشي الى الجماعات هو قربه وطاعه ويثاب عليه ولكن
ما يحصل للنفس به من المشقه والالم بالتعب والنصب هو كفاره وكذلك حبس النفس
في المسجد لانتظار الصلاه وقطعها عن مالوفاتها من الخروج الى المواضع التي تميل النفوس اليها
اما للكسب الدنيا او للتنزه هو من هذه الجهه مولم للنفس فيكون كفاره وقد جا في الحديث
ان احدى خطوتي الماشي الى المسجد ترفع له درجه والاخرى تحط خطيه وهذا يقوي ما

ذكرناه وان ما حصل به التكفير غير ما حصل به رفع الدرجات والله اعلم وعلى هذا فيجتمع في
العمل الواحد تكفير السيات ورفع الدرجات من جهتين ويوصف في كل حال بكلي الوصفين
فلا تنافي بين تسميته كفاره وبين الاخبار عنه بمضاعفه الثواب بها او وصفه برفع الدرجات
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعه الى الجمعه ورمضان الى رمضان مكفرات
لما بينهن ما اجتنبت الكباير فان في حبس النفس على المواظبه على الفرايض من مخالفه هواها
وكفها عما تميل اليه ما يوجب ذلك تكفير الصغاير وكذلك الشهاده في سبيل الله تكفر الذنوب
بما يحصل بها من الالم وترفع الدرجات بما اقترن بها من الاعمال الصالحه بالقلب والبدن
فتبين بهذا ان بعض الاعمال يجتمع فيها ما يوجب رفع الدرجات وتكفير السيات من
جهتين ولا يكون بينهما منافاه وهذا ثابت في الذنوب الصغاير بلا ريب واما الكباير فقد تكفر
بالشهاده مع حصول الاجر للشهيد لكن الشهيد ذو الخطايا في رابع درجه من درجات
الشهدا كذا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث فضاله ابن عبيد خرجه الامام احمد
والترمذي واما مغفره الذنوب ببعض الاعمال مع توفير اجرها وثوابها فقد دل عليه
الاحاديث الصحيحه في الذكر وقد قيل ان تلك السيات تكتب حسنات ايضا كما في حديث
ابي مالك الاشعري الذي سبق ذكره وذكرنا ايضا عن بعض السلف انه يمحى بازا السيه الواحده
ضعف واحد من اضعاف ثواب الحسنه ويبقى له تسع حسنات والظاهر ان هذا مختص
بالصغاير واما في الاخره فيوازن بين الحسنات والسيات ويقص بعضها من بعض فمن
رجحت حسناته على سياته فقد نجا ودخل الجنه وسوا في هذا الصغاير والكباير وهكذا
من كانت له حسنات وعليه مظالم فاستوفى المظلومون حقوقهم من حسناته
وبقي له حسنه دخل بها الجنه قال بن مسعود ان كان وليا لله فضل له مثقال ذره
ضاعفها الله له حتى يدخل الجنه وان كان شقيا قال الملك رب فنيت حسناته وبقي له
طالبون كثير قال خذوا من سياتهم فاضعفوها الى سياته ثم صكوا له صكا الى النار خرجه
بن ابي حاتم وغيره والمراد ان تفضيل مثقال الذره من الحسنات انما هو بفضل الله عز وجل

لمضاعفته لحسنات المومن وبركته فيها وهكذا حال من كانت له حسنات وسيات وازاد
الله رحمته فضل له من حسناته ما يدخله به الجنه وكله من فضل الله ورحمته فانه لا يدخل احد
الجنه الا بفضل الله ورحمته وخرج ابو نعيم باسناد ضعيف عن علي مرفوعا اوحى الله الى نبي من
انبيا بني اسرايل قل لاهل طاعتي من امتك لا يتكلوا على اعمالهم فاني لا اناصر عبدا الحساب يوم القيمه
اشا ان اعذبه الا عذبته وقل لاهل معصيتي من امتك لا يلقوا بايديهم فاني اغفر الذنب العظيم ولا
ابالي ومصداق هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح من نوقش الحساب عذب وفي
روايه هلك والله اعلم المسله الثانيه ان الصغاير هل تجب التوبه منها كالكباير ام لا لانها تقع
مكفره باجتناب الكباير لقوله تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم وندخلكم مدخلا
كريما هذا مما اختلف الناس فيه فمنهم من اوجب التوبه منها وهو قول اصحابنا وغيرهم من الفقها
والمتكلمين وغيرهم وقد امر الله بالتوبه عقيب ذكر الصغاير والكباير فقال تعالى قل للمومنين يغضوا
من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمومنات يغضضن
من ابصارهن ويحفظن فروجهن الى قوله وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون لعلكم تفلحون وامر
بالتوبه من الصغاير بخصوصها في قوله يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا
منهم ولا نسا من نسا عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بيس الاسم
الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فاوليك هم الظالمون ومن الناس من لم يوجب التوبه منها
وحكي عن طايفه من المعتزله ومن المتاخرين من قال يجب احد امرين اما التوبه منها
او الاتيان ببعض المكفرات للذنوب من الحسنات وحكى بن عطيه في تفسيره في تكفير الصغاير
بامتثال الفرايض واجتناب الكباير قولين احدهما وحكاه عن جماعه من الفقها واهل
الحديث انه يقطع بتكفيرها بذلك قطعا لظاهر الايه والحديث والثاني وحكاه عن
الاصوليين انه لا يقطع بذلك بل يحمل على غلبه الظن وقوه الرجا وهو في مشيه الله عز
وجل اذ لو قطع بتكفيرها لكانت الصغاير في حكم المباح الذي لا تبعه فيه وذلك نقض
لعرى الشريعه قلت قد يقال لا يقطع بتكفيرها لان احاديث التكفير المطلقه بالاعمال

جاءت مقيدة بتحسين العمل كما ورد ذلك في الوضوء والصلاة وحينئذ فلا يتحقق وجود حسن العمل
الذي يوجب التكفير وعلى هذا الاختلاف الذي ذكره ابن عطية ينبني الاختلاف في وجوب التوبة
من الصغائر وقد خرج ابن جرير من رواية الحسن ان قوما اتوا عمر فقالوا انا نرى اشياء من كتاب الله
لا يعمل بها فقال لرجل منهم اقرات القران كله قال نعم قال فهل احصيته في نفسك قال اللهم لا قال
فهل احصيته في بصرك فهل احصيته في لفظك هل احصيته في اثرك ثم تتبعهم حتى اتى على اخرهم
ثم قال ثكلت عمر امه اتكلفونه ان يقيم على الناس كتاب الله قد علم ربنا انه سيكون لنا سيئات قال
وتلا ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما وباسناده عن انس بن مالك
انه قال لم ار مثل الذي بلغنا عن ربنا تعالى لم نخرج له عن كل اهل ومال ثم سكت ثم قال والله لما
خلقنا ربنا اهون من ذلك لقد تجاوز لنا عما دون الكبائر فما لنا ولها ثم تلا ان تجتنبوا كبائر ما تنهون
عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما وخرجه البزار في مسنده مرفوعا والموقوف اصح
وقد وصف الله المحسنين باجتناب الكبائر قال تعالى ويجزي الذين احسنوا بالحسنى الذين يجتنبون
كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة وفي تفسير اللمم قولان للسلف احدهما
انه مقدمات الفواحش كاللمس والقبلة وعن ابن عباس هو ما دون الحدين وعيد حد الاخرة بالنار
وحد الدنيا والثاني انه الالمام بشيء من الفواحش والكبائر مرة واحدة ثم يتوب منه وروي عن
ابن عباس وابي هريرة وروي عنه مرفوعا بالشك في رفعه قال اللمم من الزنا ثم يتوب فلا يعود
واللمم من شرب الخمر ثم يتوب فلا يعود واللمم من السرقة ثم يتوب فلا يعود ومن فسر الاية
بهذا قال لا بد ان يتوب منه بخلاف من فسره بالمقدمات فانه لم يشترط توبة والظاهر
ان القولين صحيحان وان كلاهما مراد من الاية وحينئذ فالمحسن هو من لا ياتي بكبيرة الا
نادرا ثم يتوب منها ومن اذا اتى بصغيرة كانت مغمورة في حسناته المكفرة لها ولا بد ان لا
يكون مصرا عليها كما قال تعالى ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون وروي عن ابن عباس انه قال
لا صغيرة مع اصرار ولا كبيرة مع استغفار وروي مرفوعا من وجوه ضعيفة واذا صارت
الصغائر كبائر بالمداومة عليها فلابد للمحسنين من اجتناب المداومة على الصغائر حتى يكونوا

مجتنبين لكبائر الاثم والفواحش وقال الله عز وجل وما عند الله خير وابقى للذين امنوا وعلى ربهم
يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم
واقاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون
وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فاجره على الله فهذه الايات تضمنت وصف
المومنين بقيامهم بما اوجب الله عليهم من الايمان والتوكل واقام الصلاة والانفاق مما رزقهم
الله والاستجابة لله في جميع طاعاته ومع هذا فهم يجتنبون كبائر الاثم والفواحش فهذا هو تحقيق
التقوى ووصفهم في معاملتهم للخلق بالمغفرة عند الغضب وندبهم الى العفو والاصلاح واما
قوله والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون فليس منافيا للعفو فان الانتصار يكون باظهار القدرة
على الانتقام ثم يقع العفو بعد ذلك فيكون اتم واكمل قال النخعي في هذه الاية كانوا يكرهون
ان يستذلوا فاذا قدروا عفوا وقال مجاهد كانوا يكرهون للمومن ان يذل نفسه فيجترئ عليه
الفساق فالمومن اذا بغي عليه يظهر القدرة على الانتقام ثم يعفو بعد ذلك وقد جرى مثل
هذا لكثير من السلف منهم قتادة وغيره فهذه الايات تتضمن جميع ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم
في وصيته لمعاذ فانها تضمنت اصول خصال التقوى بفعل الواجبات والانتهاء عن كبائر المحرمات
ومعاملة الخلق بالاحسان والعفو ولازم هذا انه ان وقع منهم شيء من الاثم من غير الكبائر والفواحش
يكون مغمورا بالخصال التقوى المقتضية لتكفيرها ومحوها واما الايات التي في سورة ال عمران
فوصف فيها المتقين بالاحسان الى الخلق وبالاستغفار من الفواحش وظلم النفس وعدم الاصرار عقيب
على ذلك وهذا هو الاكمل وهو احرى بالتوبة والاستغفار عند كل ذنب من الذنوب صغيرا
كان او كبيرا كما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم وصى بذلك معاذا وقد ذكرناه فيما سبق وانما بسطنا
القول في هذا لان حاجة الخلق اليه شديدة وكل احد يحتاج الى معرفة هذا ثم الى العمل بمقتضاه والله
الموفق والمعين وقوله صلى الله عليه وسلم اتبع السيئة الحسنة تمحها ظاهره ان السيئات تمحى
بالحسنات وقد تقدم ذكر الايات التي فيها ان السيئة تمحى من صحف الملائكة بالحسنة اذا عملت
بعدها قال عطية العوفي بلغني انه من بكى على خطيئة محيت عنه وكتبت له حسنة وعن عبد

الله بن عمرو وقال من ذكر خطيئة عملها فوجل قلبه منها فاستغفر الله عز وجل لم يحبسها شي حتى
يمحوها عنه الرحمن وقال بشر بن الحارث بلغني عن الفضيل بن عياض قال بكا النهار يمحوا ذنوب
العلانية وبكا الليل يمحوا ذنوب السر وقد ذكرنا قول النبي صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على ما يمحوا
الله به الخطايا ويرفع به الدرجات الحديث وقالت طايفة لا تمحى الذنوب من صحايف
الاعمال بتوبة ولا غيرها بل لا بد ان يوقف عليها صاحبها ويقراها يوم القيمة واستدلوا
بقوله تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب
لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وفي الاستدلال بهذه الاية نظر لانه انما ذكر فيها
حال المجرمين وهم اهل الجرايم والذنوب العظيمة فلا يدخل فيهم المومنون التايبون من
ذنوبهم او المغمورة ذنوبهم بحسناتهم واظهر من هذا الاستدلال بقوله فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقد ذكر بعض المفسرين ان هذا القول هو
الصحيح عند المحققين وقد روي هذا القول عن الحسن البصري وبلال بن سعد الدمشقي
قال الحسن في العبد يذنب ثم يتوب ويستغفر يغفر له ولكن لا يمحاه من كتابه دون ان
يقفه عليه ثم يساله عنه ثم بكى الحسن بكا شديدا وقال لو لم نبك الا للحيا من ذلك المقام لكان
ينبغي لنا ان نبكي وقال بلال بن سعد ان الله يغفر الذنوب ولكن لا يمحوها من الصحيفة حتى يوقفه
عليها يوم القيمة وان تاب وقال ابو هريرة يدني الله العبد يوم القيمة فيضع عليه كنفه
فيستره من الخلايق كلها ويدفع اليه كتابه في ذلك الستر فيقول اقرا يا ابن ادم كتابك فيقرا فيمر
بالحسنة فيبيض لها وجهه ويسر بها قلبه فيقول الله اتعرف يا عبدي فيقول اي رب اعرف فيقول اني قبلتها منك
فيسجد فيقول ارفع راسك وعد في كتابك فيمر بالسيئة فيسود لها وجهه ويوجل منها قلبه وترتعد
منها فرايصه ويأخذه من الحيا من ربه ما لا يعلمه غيره فيقول اتعرف يا عبدي فيقول
نعم يا رب فيقول اني قد غفرتها لك فيسجد فلا يرى منه الخلايق الا السجود حتى ينادي بعضهم
بعضا طوبى لهذا العبد الذي لم يعص الله قط ولا يدرون ما قد لقي فيما بينه وبين ربه عز وجل
مما قد وقفه عليه وقال ابو عثمان النهدي عن سلمان يعطى الرجل صحيفته يوم القيمة فيقرا

اعلاها فاذا سيئاته فاذا كاد يسوء ظنه نظر في اسفلها فاذا حسناته ثم ينظر في اعلاها فاذا هي
قد بدلت حسنات وروي عن ابي عثمن عن ابن مسعود وعن ابي عثمن من قوله وهو اصح
وروى ابن ابي حاتم باسناده عن بعض اصحاب معاذ بن جبل قال يدخل الجنة الجنة على اربعة
اصناف المتقين ثم الشاكرين ثم الخايفين ثم اصحاب اليمين قيل لم سموا اصحاب اليمين قال لانهم
عملوا الحسنات والسيات فاعطوا كتبهم بايمانهم فقرؤا سياتهم حرفا حرفا قالوا يا ربنا هذه
سياتنا فاين حسناتنا فعند ذلك محى الله السيات وجعلها حسنات فعند ذلك قالوا هاؤم
اقرؤا كتابيه فهم اكثر اهل الجنة واهل هذا القول قد يحملون احاديث محو السيات بالحسنات
على محو عقوباتها دون محو كتابتها من الصحف والله اعلم وقوله صلى الله عليه وسلم وخالق الناس
بخلق حسن هذا من خصال التقوى ولا تتم التقوى الا به وانما افرده بالذكر للحاجة الى بيانه فان كثيرا
من الناس يظن ان التقوى هي القيام بحق الله دون حقوق عباده فنص له على الامر باحسان العشرة
للناس فانه كان قد بعثه الى اليمن معلما لهم ومفقها وقاضيا ومن كان كذلك فانه يحتاج الى
مخالقة الناس بخلق حسن ما لا يحتاج اليه غيره ممن لا حاجة للناس به ولا يخالطهم وكثيرا ما
يغلب على من يعتني بالقيام بحقوق الله والانعكاف على محبته وخشيته وطاعته اهمال حقوق
العباد بالكلية او التقصير فيها والجمع بين القيام بحقوق الله وحقوق عباده عزيز جدا لا يقوى
عليه الا الكمل من الانبيا والصديقين وقال الحارث المحاسبي ثلاثة اشيا عزيزة او معدومة
حسن الوجه مع الصيانة وحسن الخلق مع الديانة وحسن الاخا مع الامانة وقال بعض
السلف جلس داود عليه السلام خاليا فقال الله عز وجل ما لي اراك خاليا قال هجرت الناس
فيك يا رب العالمين قال يا داود الا ادلك على ما تستبقي وجوه الناس وتبلغ فيه رضاي خالق
الناس باخلاقهم واحتجز الايمان بيني وبينك وقد عد الله في كتابه مخالقة الناس بخلق حسن
من خصال التقوى بل بدا بذلك في قوله اعدت للمتقين الذين ينفقون في السرا والضرا والكاظمين
الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وروى ابن ابي الدنيا باسناده عن سعيد
المقبري قال بلغنا ان رجلا جا الى عيسى بن مريم عليه السلام فقال يا معلم الخير كيف اكون تقيا

لله عز وجل كما ينبغي له قال يستبين من الامر تحب الله بقلبك كله وتعمل بكل جلك وقوتك ما استطعت وترحم ابن جنسك كما ترحم نفسك قال من ابن جنسي يا معلم الخير قال ولد ادم كلهم وما لا تحب ان يؤتى اليك فلا تاته الى احد وانت تتقي لله عز وجل كما ينبغي له وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم حسن الخلق اكمل خصال الايمان كما خرج الامام احمد وابو داود من حديث ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اكمل المومنين ايمانا احسنهم خلقا وخرجه محمد بن نصر المروزي وزاد فيه وان المرء ليكون مومنا وان في خلقه شي فينقص ذلك من ايمانه **وخرج الامام احمد وابو داود والنسائي وابن ماجه** من حديث اسامه بن شريك قال قالوا يا رسول الله ما افضل ما اعطي المرء المسلم قال الخلق الحسن واخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان صاحب الخلق الحسن يبلغ بخلقه درجه الصيام القايم ليلا يشتغل المريد للتقوى عن حسن الخلق بالصوم والصلاه ويظن ان ذلك يقطعه عن فضلهما **فخرج الامام احمد** من حديث عايشه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المومن ليدرك بحسن خلقه درجات الصايم القايم واخبر ان حسن الخلق اثقل ما يوضع في الميزان وان صاحبه احب الناس الى الله واقربهم من النبيين مجلسا **فخرج الامام احمد وابو داود والترمذي** من حديث ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من شي يوضع في الميزان اثقل من حسن الخلق وان صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجه الصوم والصلاه **وخرج ابن حبان في صحيحه** من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم باحبكم الى الله واقربكم مني مجلسا يوم القيمه قالوا بلى قال احسنكم خلقا وقد سبق حديث ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم اكثر ما يدخل الجنه تقوى الله وحسن الخلق **وخرج ابو داود** من حديث ابي امامه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انا زعيم ببيت في اعلا الجنه لمن حسن خلقه وخرجه الترمذي وابن ماجه بمعناه من حديث انس وقد روي عن السلف تفسير حسن الخلق البذله والعطيه والبشر الحسن وكان الشعبي كذلك وعن ابن المبارك قال هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الاذى وسيل سلام بن ابي مطيع عن حسن الخلق فانشد

" تراه اذا ما جيته متهللا ... كانك تعطيه الذي انت سايله "

وقال الامام احمد حسن الخلق ان لا تغضب ولا تحتد وعنه انه قال حسن الخلق ان تحتمل ما يكون من الناس وقال اسحق بن راهويه هو بسط الوجه وان لا تغضب ونحو ذلك قال محمد بن نصر وقال بعض اهل العلم حسن الخلق كظم الغيظ لله واظهار الطلاقه والبشر الا للمبتدع والفاجر والعفو عن الزالين الا تاديبا او اقامه حد وكف الاذى عن كل مسلم او معاهد الا تغيير منكر او اخذ بمظلمه لمظلوم من غير تعد **وفي مسند الامام احمد** من حديث معاذ بن انس الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال افضل الفضايل ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن شتمك **وخرج الحاكم** من حديث عقبه بن عامر الجهني قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عقبه الا اخبرك بافضل اخلاق اهل الدنيا والاخره تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك **وخرج الطبراني** من حديث علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الا ادلك على اكرم اخلاق اهل الدنيا والاخره ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك ٥

الحديث التاسع عشر عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

قال كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا غلام اني اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سالت فاسال الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامه لو اجتمعت على ان ينفعوك بشي لم ينفعوك الا بشي كتبه الله لك وان اجتمعوا على ان يضروك بشي لم يضروك الا بشي قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي روايه غير الترمذي احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخا يعرفك في الشده واعلم ان ما اخطاك لم يكن ليصيبك وما اصابك لم يكن ليخطيك واعلم ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا **هذا الحديث** خرجه الترمذي من روايه حنش الصنعاني عن ابن عباس وخرجه الامام احمد من حديث حنش ايضا مع اسنادين منقطعين ولم يميز لفظ بعضها من بعض ولفظ حديثه يا غلام او يا غليم الا اعلمك كلمات ينفعك الله بهن فقلت بلى فقال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخا يعرفك في الشده واذا سالت فسل الله واذا استعنت فاستعن بالله قد جف القلم بما هو كاين فلو ان الخلق كلهم جميعا ارادوا

اخرجه

ان ينفعوك بشي لم يقضه الله لم يقدروا عليه وان ارادوا ان يضروك بشي لم يكتبه الله عليك لم
يقدروا عليه واعلم ان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا وان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان
مع العسر يسرا وهذا اللفظ اتم من اللفظ الذي ذكره الشيخ رحمه الله وعزاه الى غير الترمذي واللفظ
الذي ذكره الشيخ رواه عبد بن حميد في مسنده باسناد ضعيف عن عطا عن بن عباس وكذلك
عزاه بن الصلاح في الاحاديث الكليه التي هي اصل اربعين الشيخ رحمه الله الى عبد بن حميد وغيره
وقد روي هذا الحديث عن بن عباس من طرق كثيره من روايه ابنه علي ومولاه عكرمه وعطا بن
ابي رباح وعمرو بن دينار وعبيد الله بن عبد الله وعمر مولى غفره وابن ابي مليكه وغيرهم واصح الطرق
كلها طريق حنش الصنعاني التي خرجها الترمذي كذا قاله بن منده وغيره وقد روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه وصى ابن عباس بهذه الوصيه من حديث علي بن ابي طالب وابي سعيد وسهل بن سعد وعبد
الله بن جعفر وفي اسانيد ما كلها ضعف وذكر العقيلي ان اسانيد الحديث كلها لينه وبعضها اصلح من
بعض وبكل حال فطريق حنش التي خرجها الترمذي حسنه جيده وهذا الحديث يتضمن وصايا
عظيمه وقواعد كليه من اهم امور الدين حتى قال بعض اهل اني تدبرت هذا الحديث فادهشني
وكدت اطيش فوا اسفا من الجهل بهذا الحديث وقلة التفهم لمعناه قلت وقد افردت
لشرحه جزا كبيرا ونحن نذكر هاهنا مقاصده على وجه الاختصار ان شا الله تعالى فقوله
صلى الله عليه وسلم احفظ الله يعني احفظ حدوده وحقوقه واوامره ونواهيه وحفظ ذلك هو
الوقوف عند اوامره بالامتثال وعند نواهيه بالاجتناب وعند حدوده فلا يتجاوز ما امر به
واذن فيه الى ما نهي عنه فمن فعل ذلك فهو من الحافظين لحدود الله الذين مدحهم الله في كتابه
وقال عز وجل هذا ما توعدون لكل اواب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب وجا بقلب منيب
وفسر الحفيظ هاهنا بالحافظ لاوامر الله وبالحافظ لذنوبه ليتوب منها ومن اعظم ما
يجب حفظه من اوامر الله الصلاه وقد امر الله بالمحافظه عليها فقال حافظوا على الصلوات
والصلاه الوسطى ومدح المحافظين عليها بقوله والذين هم على صلواتهم يحافظون وقال النبي
صلى الله عليه وسلم من حافظ عليها كان له عند الله عهد ان يدخله الجنه وفي حديث اخر من

حافظ عليهن كن له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيمه وكذلك الطهاره فانها مفتاح الصلاه وقال
النبي صلى الله عليه وسلم لا يحافظ على الوضوا الا مومن ومما يومر بحفظه الايمان قال الله عز وجل
واحفظوا ايمانكم فان الايمان يقع الناس فيها كثيرا ويهمل كثير منهم ما يجب بها فلا يحفظه ولا يلتزمه
ومن ذلك حفظ الراس والبطن كما في حديث بن مسعود المرفوع الاستحيا من الله حق الحيا ان تحفظ
الراس وما وعا وتحفظ البطن وما حوى خرجه الامام احمد والترمذي وحفظ الراس وما وعا
يدخل فيه حفظ السمع والبصر واللسان من المحرمات وحفظ البطن وما وعى يتضمن حفظ القلب
عن الاصرار على محرم قال عز وجل واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه وقد جمع الله ذلك كله في
قوله ان السمع والبصر والفواد كل اوليك كان عنه مسولا ويتضمن ايضا حفظ البطن من ادخال
الحرام اليه من الماكل والمشارب ومن اعظم ما يجب حفظه من نواهي الله عز وجل اللسان والفرج
وفي حديث ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حفظ ما بين لحييه وما بين رجليه دخل الجنه
خرجه الحاكم وخرج الامام احمد من حديث ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حفظ
ما بين فقميه وفرجه دخل الجنه وامر الله عز وجل بحفظ الفروج ومدح الحافظين لها فقال قل
للمومنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم وقال والحافظين فروجهم والحافظات
والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما وقال قد افلح المومنون الذين
هم في صلاتهم خاشعون الى قوله والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم
فانهم غير ملومين وقال ابو ادريس الخولاني اول ما وصى الله به ادم عند اهباطه الى الارض
حفظ فرجه وقال لا تضعه الا في حلال قوله صلى الله عليه وسلم يحفظك يعني ان من حفظ
حدود الله وراعى حقوقه حفظه الله فان الجزا من جنس العمل كما قال تعالى واوفوا بعهدي
اوف بعهدكم وقال اذكروني اذكركم وقال ان تنصروا الله ينصركم وحفظ الله لعبده يدخل
فيه نوعان احدهما حفظه له في مصالح دنياه كحفظه في بدنه وولده واهله وماله قال الله
عز وجل له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله قال بن عباس هم الملايكه
يحفظونه بامر الله فاذا جا القدر خلوا عنه وقال علي رضي الله عنه ان مع كل رجل ملكين يحفظانه

مما لم يقدر فاذا جا القدر خليا بينه وبينه وان الاجل جنة حصينة وقال مجاهد ما من عبد الا
له ملك يحفظه في نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فما من شي ياتيه الا قال وراك الا شيا
اذن الله فيه فيصيبه **وخرج الامام احمد** وابو داود والنساي من حديث بن عمر قال لم
يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدع هولا الدعوات حين يمسي وحين يصبح اللهم اني اسلك العافيه في
الدنيا والاخره اللهم اني اسلك العفو والعافيه في ديني ودنياي واهلي ومالي اللهم استر عوراتي وامن
روعتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي واعوذ بعظمتك
ان اغتال من تحتي ومن حفظ الله في صباه وقوته حفظه الله في كبره وضعف قوته ومتعه
بسمعه وبصره وحوله وقوته وعقله كان بعض العلما قد جاوز المايه سنه وهو ممتع بقوته وعقله
فوثب يوما وثبة شديدة فعوتب في ذلك فقال هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر
فحفظها الله علينا في الكبر وعكس هذا ان بعض السلف راى شيخا يسال الناس فقال ان هذا ضيع
الله في صغره فضيعه الله في كبره وقد يحفظ الله العبد بصلاحه بعد موته في ذريته كما قيل
في قوله تعالى وكان ابوهما صالحا انهما حفظا بصلاح ابيهما قال سعيد بن المسيب لابنه لازيدن
في صلاتي من اجلك رجا ان احفظ فيك ثم تلا هذه الايه وكان ابوهما صالحا وقال عمر بن عبد العزيز
ما من مومن يموت الا حفظه الله في عقبه وعقب عقبه وقال بن المنكدر ان الله ليحفظ بالرجل
الصالح ولده وولد ولده والدويرات التي حوله فما يزالون في حفظ من الله وستر ومتى كان
العبد مشتغلا بطاعة الله فان الله يحفظه في تلك الحال وفي مسند الامام احمد عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال كانت امراه في بيت فخرجت في سريه من المسلمين وتركت ثنتي عشره
عنزا وصيصيتها كانت تنسج بها قال ففقدت عنزا لها وصيصيتها فقالت يا رب
انك ضمنت لمن خرج في سبيلك ان تحفظ عليه واني قد فقدت عنزا من غنمي وصيصيتي واني انشدك عنزي وصيصيتي قال وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر شده مناشدتها
ربها تبارك وتعالى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصبحت عنزها ومثلها وصيصيتها ومثلها
والصيصية هي الصنارة التي يغزل بها وينسج بها فمن حفظ الله حفظه الله من كل اذى قال
بعض السلف من اتقى الله فقد حفظ نفسه ومن ضيع تقواه فقد ضيع نفسه والله الغني عنه

من عجيب حفظ الله لمن حفظه ان يجعل الحيوانات الموذيه بالطبع حافظة له من الاذى كما
جرى لسفينه مولى النبي صلى الله عليه وسلم حين كسر به المركب وخرج الى جزيره فراى الاسد
فجعل يمشي معه حتى دله على الطريق فلما اوقفه عليها جعل يهمهم كانه يودعه ثم رجع عنه وروي
ورؤي ابرهيم بن ادهم نايما في بستان وعنده حيه في فمها طاقه نرجس فما زالت تذب عنه حتى
استيقظ وعكس هذا ان من ضيع الله ضيعه الله فضاع بين خلقه حتى يدخل عليه الضرر والاذى
ممن كان يرجو نفعه من اهله وغيرهم كما قال بعض السلف اني لاعصي الله فاعرف ذلك في
خلق خادمي ودابتي النوع الثاني من الحفظ وهو اشرف النوعين حفظ الله العبد في دينه
وايمانه فيحفظه في حياته من الشبهات المضله ومن الشهوات المحرمه ويحفظ عليه دينه
عند موته فيتوفاه على الايمان قال بعض السلف اذا احضر الرجل الموت يقال للملك شم
راسه قال اجد في راسه القران قال شم قلبه قال اجد في قلبه الصيام قال شم قدميه قال اجد
في قدميه القيام قال حفظ نفسه فحفظه الله **وفي الصحيحين** عن البرا بن عازب عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه امره ان يقول عند منامه ان قبضت نفسي فارحمها وان ارسلتها فاحفظها
بما تحفظ به عبادك الصالحين وفي حديث عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم علمه ان يقول اللهم
احفظني بالاسلام قايما واحفظني بالاسلام قاعدا واحفظني بالاسلام راقدا ولا تطع في عدوا ولا
حاسدا اخرجه بن حبان في صحيحه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يودع من اراد سفرا فيقول استودع
الله دينك وامانتك وخواتيم عملك وكان يقول ان الله اذا استودع شيا حفظه خرجه النساي
وغيره وفي الجمله فالله عز وجل يحفظ على المومن الحافظ لحدوده دينه ويحول بينه وبين
ما يفسد عليه دينه بانواع من الحفظ وقد لا يشعر العبد ببعضها وقد يكون كارها له كما قال
في حق يوسف عليه السلام كذلك لنصرف عنه السو والفحشا انه من عبادنا المخلصين قال
بن عباس في قوله تعالى ان الله يحول بين المرء وقلبه قال يحول بين المومن وبين المعصيه التي تجره
الى النار وقال الحسن وذكر اهل المعاصي هانوا عليه فعصوه ولو عزوا عليه لعصمهم وقال بن مسعود
ان العبد ليهم بالامر من التجاره والاماره حتى ييسر له فينظر الله اليه فيقول للملايكه اصرفوه عنه

فاني ان بشرته لما دخلت النار فيصرف الله عنه فيظل يشطير يقول سبقني فلان دهاني فلان وما
هو الافضل الله عز وجل وخرج الطبراني من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول
الله عز وجل ان من عبادي من لا يصلح ايمانه الا الفقر وان بسطت عليه افسده ذلك وان من
عبادي من لا يصلح ايمانه الا الغنا ولو افقرته لافسده ذلك وان من عبادي من لا يصلح ايمانه
الا الصحه ولو اسقمته لافسده ذلك وان من عبادي من لا يصلح ايمانه الا السقم ولو اصححته
لافسده ذلك وان من عبادي من يطلب بابا من العباده فاكفه عنه لكيلا يدخله العجب
اني ادبر عبادي بعلمي بما في قلوبهم اني عليم خبير وقوله صلى الله عليه وسلم احفظ الله تجده
تجاهك وفي رواية امامك معناه ان من حفظ حدود الله وراعى حقوقه وجد الله معه في كل
احواله حيث توجه يحوطه وينصره ويحفظه ويوفقه ويسدده فان الله مع الذين اتقوا
والذين هم محسنون قال قتاده من يتق الله يكن معه ومن يكن الله معه فمعه الفئة التي لا تغلب
والحارس الذي لا ينام والهادي الذي لا يضل كتب بعض السلف الى اخ له اما بعد فان كان
الله معك فمن تخاف وان كان عليك فمن ترجوا وهذه المعية الخاصة هي المذكورة في قوله تعالى لموسى
وهرون لا تخافا انني معكما اسمع وارى وقول موسى ان معي ربي سيهدين وفي قول النبي صلى الله عليه
وسلم لابي بكر وهما في الغار ما ظنك باثنين الله ثالثهما فهذه المعية الخاصة تقتضي النصر والتاييد والحفظ
والاعانة بخلاف المعية العامة المذكورة في قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو
سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا وقوله ولا يستخفون من الله وهو معهم
اذ يبيتون ما لا يرضى من القول فان هذه المعية تقتضي علمه واطلاعه ومراقبته لاعمالهم فهي
مقتضية لتخويف العباد منه والمعية الاولى تقتضي حفظ العبد وحياطته ونصره فمن
حفظ الله وراعى حقوقه وجده امامه وتجاهه على كل حال فاستانس به واستغنى به عن خلقه
كما في حديث افضل الايمان ان يعلم العبد ان الله معه حيث كان وقد سبق وروي عن بنان
الحمال انه دخل البرية وحده على طريق تبوك فاستوحش فهتف به هاتف لم تستوحش
اليس حبيبك معك وقيل لبعضهم الا تستوحش وحدك فقال كيف استوحش وهو يقول انا

جليس من ذكرني وقيل لآخر نراك وحدك فقال من يكون الله معه كيف يكون وحده وقيل
لآخر اما معك مونس قال بلى قيل له اين هو قال امامي ومعي وخلفي وعن يميني وعن شمالي وفوقي
وكان الشبلي ينشد " اذا نحن ادلجنا وانت امامنا كفى لمطايانا بذكراك هاديا " "
قوله صلى الله عليه وسلم تعرف الى الله في الرخا يعرفك في الشده يعني ان العبد اذا اتقى الله
وحفظ حدوده وراعى حقوقه في حال رخايه فقد تعرف بذلك الى الله وصار بينه وبين
ربه معرفة خاصة فعرفه ربه في الشده وراعى له تعرفه اليه في الرخا فنجاه من الشدايد
بهذه المعرفة وهذه معرفة خاصة تقتضي قرب العبد من ربه ومحبته له واجابته
لدعايه فمعرفة العبد لربه نوعان احدهما المعرفة العامة وهي معرفة الاقرار به
والتصديق والايمان وهذه عامة للمومنين والثاني معرفة خاصة تقتضي ميل القلب الى الله
بالكلية والانقطاع اليه والانس به والطمانينة بذكره والحياء منه والهيبة له وهذه المعرفة
الخاصة هي التي يدور حولها العارفون كما قال بعضهم مساكين اهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا
اطيب ما فيها قيل له وما هو قال معرفة الله عز وجل وقال احمد بن عاصم الانطاكي احب ان لا
اموت حتى اعرف مولاي وليس معرفة الاقرار به ولكن المعرفة التي اذا عرفته استحييت منه
ومعرفة الله لعبده ايضا نوعان معرفة عامة وهي علمه سبحانه بعباده واطلاعه على ما
اسروه وما اعلنوه كما قال ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه وقال هو
اعلم بكم اذ انشاكم من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم والثاني معرفة خاصة وهي تقتضي
محبته لعبده وتقريبه اليه واجابة دعايه والنجاة من الشدايد وهي المشار اليها بقول
النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه ولا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا
احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ورجله التي يمشي بها ويده التي
يبطش بها فلين سالني لاعطينه ولين استعاذ بي لاعيذنه وفي رواية ولين دعاني لاجيبنه
ولما هرب الحسن من الحجاج دخل الى بيت حبيب ابي محمد فقال له حبيب يا با سعيد اليس بينك وبين
ربك ما تدعوه فيسترك من هولا ادخل البيت فدخل ودخل الشرط على اثره فلم يروه فذكر

ذلك للحجاج فقال بل كان في البيت الا ان الله طمس اعينهم فلم يروه واجتمع الفضيل بن عياض
بشعوانة العابدة فسالها الدعا فقالت يا فضيل وما بينك وبينه ما ان دعوته اجابك فغشي
على الفضيل وقيل لمعروف ما الذي هيجك الى الانقطاع والعبادة وذكر له الموت والبرزخ والجنة
والنار فقال معروف ان ملكا هذا كله بيده ان كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا
وفي الجملة فمن عامل الله بالتقوى والطاعة في حال رخايه عامله الله باللطف والاعانة في
حال شدته وخرج الترمذي من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من
سره ان يستجيب الله له عند الشدايد فليكثر الدعا في الرخا وخرج ابن ابي حاتم وغيره من رواية
يزيد الرقاشي عن انس يرفعه ان يونس عليه السلام لما دعا في بطن الحوت قالت الملايكة يا رب
هذا صوت معروف من بلاد غريبة فقال الله عز وجل اما تعرفون ذلك قالوا ومن هو قال
عبدي يونس قالوا عبدك يونس الذي لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مستجابة قال نعم قالوا
يا رب افلا ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتنجيه من البلا قال بلى فامر الله الحوت فطرحه بالعرا
وقال الضحاك بن قيس اذكروا الله في الرخا يذكركم في الشدة ان يونس عليه السلام كان يذكر الله
تعالى فلما وقع في بطن الحوت قال الله عز وجل فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى
يوم يبعثون وان فرعون كان طاغيا ناسيا لذكر الله فلما ادركه الغرق قال امنت انه فقال
الله الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وقال سلمان الفارسي اذا كان الرجل دعا في السرا
فنزلت به ضرا فدعا الله تعالى قالت الملايكة صوت معروف فشفعوا له واذا كان ليس
يدعو في السرا فنزلت به ضرا فدعا الله قالت الملايكة صوت ليس بمعروف فلا يشفعون له
وقال رجل لابي الدرداء اوصني فقال اذكر الله في السرا يذكرك عز وجل في الضرا وعنه انه قال
ادع الله في يوم سرايك لعله ان يستجيب لك في يوم ضرايك واعظم الشدايد التي تنزل بالعبد في
الدنيا الموت وما بعده اشد منه ان لم يكن مصير العبد الى خير فالواجب على المومن الاستعداد
للموت وما بعده في حال الصحة بالتقوى والاعمال الصالحة قال الله عز وجل يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين

نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون فمن ذكر الله في حال صحته ورخايه واستعد حينئذ
للقاء الله بالموت وما بعده ذكره الله عند هذه الشدايد فكان معه فيها ولطف به واعانه وتولاه
وثبته على التوحيد فلقيه وهو عنه راض ومن نسي الله في حال صحته ورخايه ولم يستعد حينئذ
للقايه نسيه الله في هذه الشدايد بمعنى انه اعرض عنه واهمله فاذا نزل الموت بالمومن المستعد
له احسن الظن بربه وجاته البشرى من الله فاحب لقا الله واحب الله لقاه والفاجر بعكس ذلك
وحينئذ يفرح المومن ويستبشر بما قدمه مما هو قادم عليه ويندم المفرط ويقول يا حسرتا على
ما فرطت في جنب الله قال ابو عبد الرحمن السلمي قبل موته كيف لا ارجو ربي وقد صمت له ثمانين
رمضان وقال ابو بكر بن عياش لابنه عند موته اترى الله يضيع لابيك اربعين سنة يختم القران
كل ليلة وختم ادم بن ابي اياس القران وهو مسجى للموت ثم قال بحبي لك الا رفقت بي في هذا المصرع
كنت اوملك لهذا اليوم كنت ارجوك لا اله الا الله ثم قضى ولما احتضر زكريا بن عدي رفع يديه
وقال اللهم اني اليك لمشتاق وقال عبد الصمد الزاهد عند موته سيدي لهذه الساعة خباتك
ولهذا اليوم اقتنيتك حقق حسن ظني بك وقال قتادة في قول الله عز وجل ومن يتق الله يجعل له
مخرجا قال من الكرب عند الموت وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في هذه الاية ينجيه من كل
كرب في الدنيا والاخرة وقال زيد بن اسلم في قوله عز وجل ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل
عليهم الملايكة الاية قال يبشر بذلك عند موته وفي قبره ويوم يبعث فانه لفي الجنة وما ذهبت
فرحة البشارة من قلبه وقال ثابت البناني في هذه الاية بلغنا ان المومن حين يبعثه الله من
قبره يتلقاه ملكاه اللذان كانا معه في الدنيا فيقولان له لا تخف ولا تحزن فيومن الله خوفه
ويقر الله عينه فما من عظيمة تغشى الناس يوم القيمة الا هي للمومن قرة عين لما هداه الله
ولما كان يعمل في الدنيا قوله صلى الله عليه وسلم اذا سالت فسال الله واذا استعنت فاستعن
بالله هذا منتزع من قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين فان السوال لله هو دعاوه والرغبة اليه
والدعا هو العبادة كذا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث النعمن بن بشير وتلا قوله تعالى
وقال ربكم ادعوني استجب لكم خرجه احمد وابو داود والترمذي والنساي وابن ماجه وخرج

الترمذي من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العباده فتضمن هذا الكلام ان يسال الله
عز وجل ولا يسال غيره وان يستعان بالله دون غيره فاما السوال فقد امر الله بمسالته فقال
وسلوا الله من فضله وفي الترمذي عن ابن مسعود مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم سلوا الله من فضله
فان الله يحب ان يسال وفيه ايضا عن ابي هريره مرفوعا من لا يسال الله يغضب عليه وفي
حديث اخر ليسال احدكم ربه حاجته كلها حتى يساله شسع نعله اذا انقطع وفي النهي عن
مسله المخلوقين احاديث كثيره صحيحه وقد بايع النبي صلى الله عليه وسلم جماعه من اصحابه على ان لا يسالوا
الناس شيا منهم ابو بكر الصديق وابو ذر وثوبان وكان احدهم يسقط سوطه او خطام ناقته فلا
يسال احدا ان يناوله اياه وخرج ابن ابي الدنيا من حديث ابي عبيده بن عبد الله بن مسعود ان
رجلا جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان بني فلان اغاروا علي فذهبوا بابني وابلي فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم ان ال محمد كذا وكذا اهل بيت ما لهم مد من طعام او صاع فسل الله عز وجل
فرجع الى امراته فقالت ما قال لك فاخبرها فقالت نعم ما رد عليك فما لبث ان رد الله عليه
ابنه وابله اوفر ما كانت فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فصعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر فحمد
الله واثنى عليه وامر الناس بمسله الله عز وجل والرغبه اليه وقرا ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول
هل من داع فاستجيب له هل من سايل فاعطيه سوله هل من مستغفر فاغفر له وخرج المحاملي
وغيره من حديث ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى من ذا الذي دعاني فلم اجبه وسالني
فلم اعطه واستغفرني فلم اغفر له وانا ارحم الراحمين واعلم ان سوال الله عز وجل دون خلقه هو
المتعين لان السوال فيه اظهار الذل من السايل والمسكنه والحاجه والافتقار وفيه الاعتراف بقدره
المسوول على دفع هذا الضرر ونيل المطلوب وجلب المنافع ودر المضار ولا يصلح الذل والافتقار
الا لله وحده لانه حقيقه العباده وكان الامام احمد يدعو ويقول اللهم كما صنت وجهي
عن السجود لغيرك فصنه عن المسله لغيرك ولا يقدر على كشف الضر وجلب النفع سواه
كما قال وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وقال

ما يفتح الله للناس من رحمه فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده والله سبحانه يحب
ان يسال ويرغب اليه في الحوايج ويلح في سواله ودعايه ويغضب على من لا يساله ويستدعي
من عباده سواله وهو قادر على اعطا خلقه كلهم سولهم من غير ان ينقص من ملكه شي والمخلوق
بخلاف ذلك كله يكره ان يسال ويحب ان لا يسال لعجزه وفقره وحاجته ولهذا قال وهب بن
منبه لرجل كان ياتي الملوك ويحك تاتي من يغلق عنك بابه ويظهر لك فقره ويواري عنك غناه
وتدع من يفتح لك بابه بنصف الليل ونصف النهار ويظهر لك غناه ويقول ادعني استجب لك
وقال طاوس لعطا اياك ان تطلب حوايجك الى من اغلق دونك بابه ويجعل دونها حجابه وعليك
بمن بابه مفتوح الى يوم القيمه امرك ان تساله ووعدك ان يجيبك واما الاستعانه
بالله عز وجل دون غيره من الخلق فلان العبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه ودفع
مضاره ولا معين له على مصالح دينه ودنياه الا الله عز وجل فمن اعانه الله فهو المعان ومن
خذله فهو المخذول وهذا تحقيق معنى قول لا حول ولا قوه الا بالله فان المعنى لا تحول للعبد
من حال الى حال ولا قوه له على ذلك الا بالله وهذه كلمه عظيمه وهي كنز من كنوز الجنه فالعبد
محتاج الى الاستعانه بالله في فعل المامورات وترك المحظورات والصبر على المقدورات
كلها في الدنيا وعند الموت وبعده من اهوال البرزخ ويوم القيمه ولا يقدر على الاعانه
على ذلك الا الله عز وجل فمن حقق الاستعانه عليه في ذلك كله اعانه وفي الحديث الصحيح عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ومن ترك الاستعانه
بالله واستعان بغيره وكله الله الى من استعان به فصار مخذولا كتب الحسن الى عمر بن عبد
العزيز لا تستعن بغير الله فيكلك الله اليه ومن كلام بعض السلف يا رب عجبت لمن يعرفك كيف
يرجو غيرك وعجبت لمن يعرفك كيف يستعين بغيرك قوله صلى الله عليه وسلم جف القلم بما هو
كاين وفي روايه اخرى رفعت الاقلام وجفت الصحف هو كنايه عن تقدم كتابه المقادير كلها
والفراغ منها من امد بعيد فان الكتاب اذا فرغ من كتابته ورفعت الاقلام عنه وطال عهده
فقد رفعت عنه الاقلام وجفت الاقلام التي كتب بها من مدادها وجفت الصحيفه التي كتب فيها

بالمراد المكتوب به فيها وهذا من احسن الكنايات وابلغها وقد دل الكتاب والسنن الصحيحه
الكثيره على مثل هذا المعنى قال الله عز وجل ما اصاب من مصيبه في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب
من قبل ان نبراها ان ذلك على الله يسير وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الله كتب مقادير الخلايق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنه وفيه
ايضا عن جابر ان رجلا قال يا رسول الله فيم العمل اليوم افيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير
ام فيما يستقبل قال لا بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل قال اعملوا فكل
ميسر لما خلق له وخرج الامام احمد وابو داود والترمذي من حديث عباده بن الصامت
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اول ما خلق الله القلم ثم قال اكتب فجرى في تلك الساعه بما هو
كاين الى يوم القيمه والاحاديث في المعنى كثيره جدا يطول ذكرها فقوله صلى الله عليه وسلم
فلو ان الخلق جميعا ارادوا ان ينفعوك بشي لم يقضه الله لم يقدروا عليه وان ارادوا ان يضروك
بشي لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه هذه رواية الامام احمد ورواية الترمذي بهذا المعنى
ايضا والمراد انما يصيب العبد في دنياه مما يضره او ينفعه فكله مقدر عليه ولا يصيب
العبد الا ما كتب له من ذلك في الكتاب السابق ولو اجتهد الخلق على ذلك كلهم جميعا وقد دل
القران على مثل هذا في قوله عز وجل قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا وقوله ما اصاب من مصيبه
في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب وقوله قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم
وخرج الامام احمد من حديث ابي الدردا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
لكل شي حقيقه وما بلغ عبد حقيقه الايمان حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطيه وما اخطاه لم يكن
ليصيبه وخرج ابو داود وابن ماجه من حديث زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم معنى ذلك
ايضا واعلم ان مدار جميع هذه الوصيه على هذا الاصل وما ذكر قبله وبعده فهو متفرع عليه وراجع
اليه فان العبد اذا علم انه لن يصيبه الا ما كتب الله من خير وشر ونفع وضر وان اجتهاد الخلق كلهم
على خلاف المقدور غير مفيد البته علم حينيذ ان الله وحده هو الضار النافع المعطي المانع فاوجب
ذلك للعبد توحيد ربه عز وجل وافراده بالطاعه وحفظ حدوده فان المعبود انما يقصد

بعبادته جلب المنافع ودفع المضار ولهذا ذم الله من يعبد من لا ينفع ولا يضر ولا يغني عن عابده
شيا فمن علم انه لا ينفع ولا يضر ولا يعطي ولا يمنع غير الله اوجب له ذلك افراده بالخوف والرجا
والمحبه والسوال والتضرع والدعا وتقديم طاعته على طاعه الخلق جميعا وان يتقي سخطه ولو
كان فيه سخط الخلق جميعا وافراده بالاستعانه به والسوال له واخلاص الدعا له في حال الشده
وحال الرخا بخلاف ما كان المشركون عليه من اخلاص الدعا له عند الشدايد ونسيانه في الرخا
ودعا من يرجون نفعه من دونه قال الله عز وجل قل ارايتم ما تدعون من دون الله ان ارادني
الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمه هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه
يتوكل المتوكلون وقوله صلى الله عليه وسلم واعلم ان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا يعني ان ما اصاب
العبد من المصايب المولمه المكتوبه عليه اذا صبر عليها كان له في الصبر خير كثير وفي روايه
عمر مولى غفره وغيره عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم زياده اخرى قبل هذا الكلام وهي فان استطعت ان تعمل
لله بالرضا في اليقين فافعل وان لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا وفي روايه اخرى من
روايه علي بن عبد الله بن عباس عن ابيه لكن اسنادها ضعيف زياده اخرى بعد هذا وهي قلت يا رسول
الله كيف اصنع باليقين قال ان تعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطيك وان ما اخطاك لم يكن ليصيبك
فاذا انت احكمت باب اليقين ومعنى هذا ان حصول اليقين للقلب بالقضا السابق والتقدير
الماضي يعين العبد على ان ترضى نفسه بما اصابه فمن استطاع ان يعمل في اليقين بالقضا والقدر على
الرضا بالمقدور فليفعل فان لم يستطع الرضا فان في الصبر على المكروه خيرا كثيرا فهاتان درجتان
للمومن بالقضا والقدر في المصايب احداهما ان يرضى بذلك وهذه درجه عاليه رفيعه جدا
قال الله عز وجل ما اصاب من مصيبه الا باذن الله ومن يومن بالله يهد قلبه قال علقمه هي
المصيبه تصيب الرجل فيعلم انها من عند الله فيسلم لها ويرضى وخرج الترمذي من حديث
انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعايه اسالك الرضا بعد القضا ومما يدعو المومن الى الرضا بالقضا
تحقيق ايمانه بمعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يقضي الله للمومن قضا الا كان خيرا له ان اصابته سرا

شكر كان خيرا له وان اصابته ضرا صبر كان خيرا له وليس ذلك الا للمومن وجا رجل الى النبي صلى الله
عليه وسلم فسأله ان يوصيه وصية جامعة موجزة فقال لا تتهم الله في قضايه قال ابو
الدردا ان الله اذا قضا قضا احب ان يرضى به وقال ابن مسعود ان الله بقسطه وعدله
جعل الروح والفرح في اليقين والرضا وجعل الهم والحزن في الشك والسخط فالراضي لا يتمنى غير
ما هو عليه من شدة ورخا كذا روي عن عمر وابن مسعود وغيرهما وقال عمر بن عبد العزيز
اصبحت وما لي سرور الا في مواقع القضا والقدر فمن وصل الى هذه الدرجة كان عيشه كله
في نعيم وسرور قال الله تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فلنحيينه حياة طيبة
قال بعض السلف الحياة الطيبة هي القناعة والرضا وقال عبد الواحد بن زيد الرضا باب الله الاعظم
وجنة الدنيا ومستراح العابدين واهل الرضا تارة يلاحظون حكمة المبتلي وخيرته لعبده في البلا
وانه غير متهم في قضايه وتارة يلاحظون ثواب الرضا فينسيهم الم المقضي به وتارة يلاحظون
عظمة المبتلي وجلاله وكماله فيستغرقون في مشاهدة ذلك حتى لا يشعرون بالالم وهذا يصل اليه
خواص اهل المعرفة والمحبة حتى ربما تلذذوا بما اصابهم لملاحظتهم صدوره عن حبيبهم كما قال بعضهم
اوجدهم في عذابه عذوبة وسيل بعض التابعين عن حاله في مرضه فقال احبه اليه احبه الي
وسيل سمنون هل يجد المحب الم البلا فقال لا وقال بعضهم عذابه فيك عذب ٭ وبعده فيك قرب
وانت عندي كروحي ٭ بل انت منها احب ٭ حسبي من الحب اني ٭ لما تحب احب ٭
والدرجة الثانية ان يصبر على البلا وهذه لمن لم يستطع الرضا بالقضا فالرضا فضل مندوب اليه
مستحب والصبر واجب على المومنين حتم وفي الصبر خير كثير فان الله امر به ووعد عليه جزيل الاجر
قال عز وجل انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقال وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم
مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اوليك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واوليك هم المهتدون
قال الحسن الرضا عزيز ولكن الصبر معول المومن والفرق بين الرضا والصبر ان الصبر كف النفس
وحبسها عن التسخط مع وجود الالم وتمني زوال ذلك وكف الجوارح عن العمل بمقتضى الجزع والرضا
انشراح الصدر وسعته بالقضا وترك تمني زوال ذلك المولم وان وجد الاحساس بالالم لكن

الرضا يخففه لما يباشر القلب من روح اليقين والمعرفة واذا قوي الرضا فقد يزيل الاحساس
بالالم بالكلية كما سبق قوله صلى الله عليه وسلم واعلم ان النصر مع الصبر هذا موافق لقول الله
عز وجل قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فية قليلة غلبت فية كثيرة باذن الله والله مع
الصابرين وقوله تعالى ان يكن منكم ماية صابرة يغلبوا مايتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله
والله مع الصابرين وقال عمر لاشياخ من بني عبس بم قاتلتم الناس قالوا بالصبر لم نلق قوما الا صبرنا لهم
كما صبروا لنا وقال بعض السلف كلنا يكره الموت والم الجراح ولكن نتفاضل بالصبر وقال البطال
الشجاعة صبر ساعة وهذا في جهاد العدو الظاهر وهو جهاد الكفار وكذلك جهاد العدو الباطن
وهو جهاد النفس والهوى فان جهادهما من اعظم الجهاد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم المجاهد من
جاهد نفسه في الله وقال عبد الله بن عمرو لمن ساله عن الجهاد ابدا بنفسك فجاهدها وابدا بنفسك فاغزها
وقال بقية بن الوليد انا ابرهيم بن ادهم ثنا الثقة عن علي ابن ابي طالب قال اول ما تنكرون من جهادكم
جهادكم انفسكم وقال ابرهيم بن ابي عبلة لقوم جاوا من الغزو قد جيتم من الجهاد الاصغر فما فعلتم
في الجهاد الاكبر قالوا وما الجهاد الاكبر قال جهاد القلب ويروى هذا مرفوعا من حديث جابر باسناد
ضعيف ولفظه قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر قالوا وما الجهاد الاكبر قال مجاهدة العبد
لهواه ويروى من حديث سعد بن سنان عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس عدوك الذي اذا قتلك
ادخلك الجنة واذا قتلته كان لك نورا اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقال ابو بكر الصديق في وصيته
لعمر رضي الله عنهما حين استخلفه ان اول ما احذرك نفسك التي بين جنبيك فهذا الجهاد يحتاج ايضا الى
صبر فمن صبر على مجاهدة نفسه وهواه وشيطانه غلب وحصل له النصر والظفر وملك نفسه
فصار عزيزا ملكا ومن جزع ولم يصبر على مجاهدة ذلك غلب وقهر واسر وصار عبدا ذليلا اسيرا
في يدي شيطانه وهواه كما قيل ٭ اذا المرء لم يغلب هواه اقامه ٭ بمنزلة فيها العزيز ذليل ٭ قال
ابن المبارك رحمه الله من صبر فما اقل ما يصبر ومن جزع فما اقل ما يتمتع فقوله صلى الله عليه وسلم ان النصر
مع الصبر يشمل النصر في الجهادين جهاد العدو الظاهر وجهاد العدو الباطن فمن صبر فيهما نصر وظفر
بعدوه ومن لم يصبر فيهما وجزع قهر وصار اسير العدو او قتيلا له قوله صلى الله عليه وسلم وان

الفرج مع الكرب هذا يشهد له قوله عز وجل وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته
وقول النبي صلى الله عليه وسلم ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره خرجه الامام احمد وخرجه
ابنه عبد الله في حديث طويل وفيه علم الله يوم الغيث انه ليشرف عليكم ازلين قنطين فيظل
يضحك قد علم ان غيركم الى قريب والمعنى انه سبحانه يعجب من قنوط عباده عند احتباس القطر
عنهم وقنوطهم وياسهم من الرحمة وقد اقترب وقت فرجه ورحمته لعباده بانزال الغيث
عليهم وتغييره لحالهم وهم لا يشعرون وقال تعالى فاذا اصاب به من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون
وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين وقال تعالى حتى اذا استياس الرسل وظنوا
انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا وقال حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله الا ان
نصر الله قريب وقال حاكيا عن يعقوب انه قال لبنيه يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف
واخيه ولا تياسوا من روح الله ثم قص قصة اجتماعهم عقب ذلك وكم قص سبحانه من قصص
تفريج كربات انبيائه عند تناهي الكرب كانجاء نوح ومن معه في الفلك وانجاء ابرهيم من النار وفدائه
لولده الذي امر بذبحه وانجاء موسى وقومه من اليم واغراق عدوهم وقصة ايوب ويونس وقصص
محمد صلى الله عليه وسلم مع اعدائه وانجائه منهم كقصته في الغار ويوم بدر ويوم احد ويوم الاحزاب
ويوم حنين وغير ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم وان مع العسر يسرا هو منتزع من قوله تعالى سيجعل
الله بعد عسر يسرا وقوله عز وجل ان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وخرج البزار في مسنده
وابن ابي حاتم واللفظ له من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو جاء العسر فدخل هذا الجحر لجاء
اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه فانزل الله عز وجل فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وروى ابن
جرير وغيره من حديث الحسن مرسلا نحوه وفي حديثه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر
يسرين وروى ابن ابي الدنيا باسناده عن ابن مسعود قال لو ان العسر دخل في جحر لجاء اليسر حتى يدخل
معه ثم قال قال الله تعالى ان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وباسناده ان ابا عبيدة حصر فكتب
اليه عمر يقول مهما ينزل بامرئ شدة يجعل الله له بعدها فرجا وانه لن يغلب عسر يسرين
وانه يقول اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ومن لطائف اسرار اقتران

الفرج بالكرب واليسر بالعسر ان الكرب اذا اشتد وعظم وتناهى حصل للعبد الاياس من كشفه من
جهة المخلوقين وتعلق قلبه بالله وحده وهذا هو حقيقة التوكل على الله وهو من اعظم الاسباب
التي يطلب بها الحوائج فان الله يكفي من توكل عليه كما قال ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال الفضيل
والله لو يئست من الخلق حتى لا تريد منهم شيئا لاعطاك مولاك كل ما تريد وذكر ابرهيم بن ادهم عن بعضهم
قال ما سال السائلون مسالة هي انجح من ان يقول العبد ما شاء الله قال يعني بذلك التفويض الى الله
عز وجل وقال سعيد بن سالم القداح بلغني ان موسى عليه السلام كانت له الى الله حاجة فطلبها فابطات
عليه فقال ما شاء الله فاذا حاجته بين يديه فعجب فاوحى الله اليه اما علمت ان قولك ما شاء الله انجح ما طلبت
به الحوائج وروى ادم بن ابي اياس في تفسيره باسناده عن محمد بن اسحق قال جاء مالك الاشجعي الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال اسر ابني عوف فقال له ارسل اليه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرك ان
تكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله فاتاه الرسول فاخبره فاكب عوف يقول لا حول ولا قوة
الا بالله وكانوا قد شدوه بالقد فسقط القد عنه فخرج فاذا هو بناقة لهم فركبها فاقبل فاذا بسرح
القوم الذين كانوا شدوه فصاح بهم فاتبع اخرها اولها فلم يفجا ابويه الا وهو ينادي بالباب فقال ابوه
عوف ورب الكعبة فقالت امه واسوءتاه وعوف كئيب بالم ما هو فيه من القد فاستبق الاب
والخادم اليه فاذا عوف قد ملا الفناء ابلا فقص على ابيه امره وامر الابل فاتى ابوه رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاخبره بخبر عوف وخبر الابل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنع بها ما
احببت وما كنت صانعا بابلك ونزل ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
ومن يتوكل على الله فهو حسبه الاية وايضا فان المومن اذا استبطا الفرج وايس منه بعد كثرة دعائه
وتضرعه ولم يظهر عليه اثر الاجابة يرجع الى نفسه باللائمة وقال لها انما اتيت من قبلك ولو كان
فيك خير لاجبت وهذا اللوم احب الى الله من كثير من الطاعات فانه يوجب انكسار العبد
لمولاه واعترافه له بانه اهل لما نزل به من البلاء وانه ليس باهل لاجابة الدعاء فلذلك يسرع اليه حينئذ
اجابة الدعاء وتفريج الكرب فانه تعالى عند المنكسرة قلوبهم من اجله قال وهب تعبد رجل زمانا
ثم بدت له الى الله حاجة فصام سبعين سبتا ياكل في كل سبت احدى عشرة تمرة ثم سال الله

حاجته فلم يعطها فرجع الى نفسه فقال مثلك اتيت لو كان فيك خير اعطيت حاجتك فنزل اليه عند
ذلك ملك فقال يا ابن ادم ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت وقد قضى الله حاجتك خرجه ابن ابي
الدنيا ولبعض المتقدمين في هذا المعنى

عسى ما ترى ان لا يدوم وان ترى له فرجا مما الح به الدهر
عسى فرج ياتي به الله انه له كل يوم في خليقته امر
اذا لاح عسر فارج يسرا فانه قضى الله ان العسر يتبعه اليسر

الحديث العشرون عن ابي مسعود البدري رضي الله عنه

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحي فاصنع ما شئت
رواه البخاري **هذا الحديث** خرجه البخاري من رواية منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش عن ابي
مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم فاختلف في اسناده لكن اكثر الحفاظ حكموا بان القول قول من قال عن ابي
مسعود منهم البخاري وابو زرعة الرازي والدارقطني وغيرهم ويدل على صحة ذلك انه قد روي من وجه
اخر عن ابي مسعود من رواية مسروق عنه وخرجه الطبراني من حديث ابي الطفيل عن النبي صلى
الله عليه وسلم ايضا فقوله صلى الله عليه وسلم ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى يشير الى
ان هذا ماثور عن الانبيا المتقدمين وان الناس تداولوه بينهم وتوارثوه عنهم قرنا بعد قرن وهذا
يدل على ان النبوات المتقدمة جاءت بهذا الكلام واشتهر بين الناس حتى وصل الى اول هذه الامة
وفي بعض الروايات قال لم يدرك الناس من كلام النبوة الاولى الا هذا اخرجها حميد بن زنجويه وغيره
وقوله اذا لم تستحي فاصنع ما شئت في معناه قولان احدهما انه ليس بمعنى الامر ان يصنع ما
شاء ولكنه على معنى الذم والنهي عنه واهل هذه المقالة لهم طريقان احدهما انه امر بمعنى التهديد
والوعيد والمعنى اذا لم يكن لك حيا فاعمل ما شئت فان الله يجازيك عليه كقوله اعملوا ما شئتم انه بما
تعملون بصير وقوله فاعبدوا ما شئتم من دونه وقول النبي صلى الله عليه وسلم من باع الخمر فليشقص
الخنازير يعني ليقطعها اما لبيعها او لاكلها وامثلته متعددة وهذا اختيار جماعة منهم ابو العباس
ثعلب والطريق الثاني انه امر ومعناه الخبر والمعنى من لم يستحي صنع ما شاء فان المانع من فعل

القبايح هو الحيا فمن لم يكن له حيا انهمك في كل فحشا ومنكر وما يمتنع من مثله من له حيا على حد قوله صلى
الله عليه وسلم من كذب علي فليتبوا مقعده من النار هذا اختيار ابي عبيد القسم بن سلام رحمه الله وابن قتيبة
ومحمد بن نصر المروزي وغيرهم وروى ابو داود عن الامام احمد ما يدل على مثل هذا القول وروى ابن لهيعة
عن ابي قبيل عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا ابغض الله عبدا نزع منه الحيا فلم تلقه
الا بغيضا متبغضا ونزع منه الامانة فاذا نزع منه الامانة نزع منه الرحمة فاذا نزع منه الرحمة نزع منه
ربقة الاسلام فاذا نزع منه ربقة الاسلام لم تلقه الا شيطانا مريدا خرجه حميد بن زنجويه وخرجه
ابن ماجه بمعناه باسناد ضعيف عن ابن عمر مرفوعا ايضا وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال ان
الله اذا اراد بعبد هلاكا نزع منه الحيا فاذا نزع منه الحيا لم تلقه الا مقيتا ممقتا فاذا كان مقيتا
ممقتا نزع منه الامانة فلم تلقه الا خاينا مخونا فاذا كان خاينا مخونا نزع منه الرحمة فلم تلقه الا فظا
غليظا فاذا كان فظا غليظا نزع ربق الايمان من عنقه فاذا نزع ربق الايمان من عنقه لم تلقه الا شيطانا
لعينا ملعنا وعن ابن عباس قال الحيا والايمان في قرن فاذا نزع الحيا تبعه الاخر خرجه كله حميد بن
زنجويه في كتاب الادب وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الحيا من الايمان كما في الصحيحين عن ابن عمر ان
النبي صلى الله عليه وسلم مر على رجل وهو يعاتب اخاه في الحيا يقول انك لتستحيي كانه يقول قد
اضر بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه فان الحيا من الايمان ولفظه البخاري **وفي الصحيحين**
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحيا لا ياتي الا بخير وفي رواية لمسلم قال الحيا خير كله او قال الحيا
كله خير **وخرج الامام احمد والنسائي** من حديث الاشج العصري قال قال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان فيك لخلقين يحبهما الله قلت ما هما قال الحلم والحيا قلت اقديما كان او حديثا قال بل
قديما قلت الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله وقال اسمعيل بن ابي خالد دخل عيينة بن حصن على
النبي صلى الله عليه وسلم وعنده رجل فاستسقى فاتى بما فستره النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا
قال الحيا اوتوها ومنعتموها واعلم ان الحيا نوعان احدهما ما كان خلقا وجبلة غير مكتسب وهو من
اجل الاخلاق التي يمنحها الله العبد ويجبله عليها ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الحيا لا ياتي الا بخير
فانه يكف عن ارتكاب القبايح ودناة الاخلاق ويحث على استعمال مكارم الاخلاق ومعاليها

فهو من خصال الإيمان بهذا الاعتبار وقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال من استحيا اختفى ومن اختفى اتقى ومن اتقى وُقي وقال الجراح بن عبد الله الحكمي وكان فارس أهل الشام تركت الذنوب حياء أربعين سنة ثم أدركني الورع وعن بعضهم قال رأيت المعاصي نذالة فتركتها مروءة فاستحالت ديانة والثاني ما كان مكتسبًا من معرفة الله ومعرفة عظمته وقربه من عباده واطلاعه عليهم وعلمه بخائنة الأعين وما تخفي الصدور فهذا من أعلا خصال الإيمان بل هو من أعلا درجات الإحسان وقد تقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل استحي من الله كما تستحي رجلًا من صالح عشيرتك وفي حديث ابن مسعود الاستحياء من الله أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وأن تذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله خرجه الإمام أحمد والترمذي مرفوعًا وقد يتولد الحياء من الله من مطالعة نعمه ورؤية التقصير في شكرها فإذا سلب العبد الحياء المكتسب والغريزي لم يبق له ما يمنعه من ارتكاب القبيح والأخلاق الدنية فصار كأنه لا إيمان له وقد روي من مراسيل الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحياء حياءان طرف من الإيمان والآخر عجز ولعله من كلام الحسن وكذلك قال بشير بن كعب العدوي لعمران بن حصين إنا نجد في بعض الكتب أن منه سكينة ووقار لله ومنه ضعف فغضب عمران رضي الله عنه وقال أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعارض فيه والأمر كما قاله عمران رضي الله عنه فإن الحياء الممدوح في كلام النبي صلى الله عليه وسلم إنما يريد به الخلق الذي يحث على فعل الجميل وترك القبيح فأما الضعف والعجز الذي يوجب التقصير في شيء من حقوق الله أو حقوق عباده فليس هو من الحياء إنما هو ضعف وخور وعجز ومهانة والله أعلم والقول الثاني في معنى قوله إذا لم تستحي فاصنع ما شئت أنه أمر بفعل ما يشاء على ظاهر لفظه وأن المعنى إذا كان الذي تريد فعله مما لا يستحيى من فعله لا من الله ولا من الناس لكونه من أفعال الطاعات أو من جميل الأخلاق والآداب المستحسنة فاصنع منه حينئذ ما شئت وهذا قول جماعة من الأئمة منهم أبو إسحاق المروزي الشافعي وحكي مثله عن الإمام أحمد ووقع كذلك في بعض نسخ مسائل أبي داود والذي في النسخ المعتمدة التامة كما حكيناه عنه من قبل وكذلك حكاه عنه الخلال في كتاب الأدب ومن هذا قول بعض السلف وقد سئل عن المروءة فقال أن لا تعمل في السر شيئًا تستحي

منه في العلانية وسيأتي قول النبي صلى الله عليه وسلم الإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله وروى عبد الرزاق في كتابه عن معمر عن أبي إسحاق عن رجل من مزينة قال قيل يا رسول الله ما أفضل ما أوتي الرجل المسلم قال الخلق الحسن قال فما شر ما أوتي المسلم قال إذا كرهت أن يرى عليك شيء في نادي القوم فلا تفعله إذا خلوت **وخرج الطبراني** من حديث أبي مالك الأشعري قال قلت يا رسول الله ما تمام البر قال أن تعمل في السر عمل العلانية وخرجه أيضًا من حديث أبي عامر السكوني قال قلت يا رسول الله فذكره وحكى أبو عبيد في معنى الحديث قولًا آخر حكاه عن جرير قال معناه أن يريد الرجل أن يعمل الخير فيدعه حياء من الناس كأنه يخاف مذهب الرياء يقول فلا يمنعك الحياء من المضي لما أردت كما جاء في الحديث إذا جاءك الشيطان وأنت تصلي فقال إنك ترائي فزدها طولًا ثم قال أبو عبيد وهذا الحديث ليس يجيء سياقه ولا لفظه على هذا التفسير ولا على هذا يحمله الناس قلت لو كان على ما قاله جرير لكان لفظ الحديث إذا استحييت مما لا يستحيا منه فافعل ما شئت ولا يخفى بعد هذا من لفظ الحديث ومعناه والله أعلم

الحديث الحادي والعشرون

عن سفيان بن عبد الله قال قلت يا رسول الله قل لي قولًا لا أسأل عنه أحدًا غيرك قال قل آمنت بالله ثم استقم رواه مسلم **هذا الحديث** خرجه مسلم من رواية هشام بن عروة عن أبيه عن سفيان وسفيان هو ابن عبد الله الثقفي الطائفي له صحبة وكان عاملًا لعمر بن الخطاب على الطائف وقد روي عن سفيان بن عبد الله من وجوه أخر بزيادات فخرجه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من رواية الزهري عن محمد بن عبد الرحمن بن ماعز وعند الترمذي عبد الرحمن بن ماعز عن سفيان بن عبد الله قال قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قلت يا رسول الله ما أخوف ما تخاف علي فأخذ بلسان نفسه ثم قال هذا وقال الترمذي حسن صحيح وخرجه الإمام أحمد والنسائي من رواية عبد الله بن سفيان الثقفي عن أبيه أن رجلًا قال يا رسول الله مرني بأمر في الإسلام لا أسأل عنه أحدًا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم قلت فما أتقي فأومأ إلى لسانه ٥ قول سفيان بن عبد الله للنبي صلى الله عليه وسلم قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا بعدك طلب منه أن يعلمه كلامًا جامعًا لأمر الإسلام كافيًا حتى لا يحتاج بعده إلى غيره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قل آمنت بالله ثم استقم وفي الرواية الأخرى

قل ربي الله ثم استقم هذا منتزع من قوله عز وجل ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم
الملايكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون وقوله عز وجل ان الذين قالوا ربنا
الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اوليك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون
وخرج النسائي في تفسيره من رواية سهيل بن [ابي] **حزم** ثنا ثابت عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قرا ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فقال قد قالها الناس ثم كفروا فمن مات عليها فهو من اهل
الاستقامة وخرجه الترمذي ولفظه فقال قد قال الناس ثم كفر اكثرهم فمن مات عليها فهو ممن فيه ع
استقام وقال حسن غريب وسهيل تكلم فيه من قبل حفظه وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه في تفسير ثم [استقاموا]
قال لم يشركوا بالله شيا وعنه قال لم يلتفتوا الى اله غيره وعنه قال ثم استقاموا على ان الله ربهم
وعن ابن عباس باسناد ضعيف قال هذه ارخص اية في كتاب الله قالوا ربنا الله ثم استقاموا على شهادة
ان لا اله الا الله وروي نحوه عن انس ومجاهد والاسود بن هلال وزيد بن اسلم والسدي وعكرمة وغيرهم
وروي عن عمر بن الخطاب انه قرا هذه الاية على المنبر ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فقال لم يروغوا
روغان الثعلب وروى علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ثم استقاموا قال استقاموا على اداء
فرايضه وعن ابي العالية قال ثم اخلصوا له الدين والعمل وعن قتادة قال استقاموا على طاعة الله
وكان الحسن اذا قرا هذه الاية قال اللهم انت ربنا فارزقنا الاستقامة ولعل من قال ان المراد الاستقامة
على التوحيد انما اراد التوحيد الكامل الذي يحرم صاحبه على النار وهو تحقيق معنا لا اله الا الله فان
الاله هو الذي يطاع فلا يعصى خشية واجلالا ومهابة ومحبة ورجا وتوكلا ودعا والمعاصي كلها
قادحة في هذا التوحيد لانها اجابة لداعي الهوى وهو الشيطان قال عز وجل افرايت من اتخذ الهه
هواه قال الحسن وغيره هو الذي لا يهوى شيا الا ركبه فهذا ينافي الاستقامة على التوحيد واما على
رواية من روى قل امنت بالله فالمعنى اظهر لان الايمان يدخل فيه الاعمال عند السلف ومن تابعهم
من اهل الحديث وقال الله عز وجل فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير
فامره ان يستقيم هو ومن تاب معه وان لا يجاوز وا ما امر وا به وهو الطغيان واخبر انه بصير باعمالهم
مطلع عليها وقال تعالى فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواهم وقال قتادة امر محمد صلى الله
عليه وسلم ان يستقيم على امر الله وقال الثوري على القران وعن الحسن قال لما نزلت هذه الاية شمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فما روي ضاحكا خرجه ابن ابي حاتم وذكر القشيري وغيره عن بعضهم
انه راى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال له يا رسول الله قلت شيبتني هود واخواتها فما شيبك
منها قال قوله فاستقم كما امرت وقال عز وجل قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه
واستغفروه وقد امر الله باقامة الدين عموما كما قال شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا
اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه وامر باقام الصلاة في غير موضع
من كتابه كما امر بالاستقامة على التوحيد في تلك الايتين فالاستقامة هي سلوك الصراط المستقيم وهو
الدين القيم من غير تعريج عنه يمنة ولا يسرة ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة وترك
المنهيات كلها كذلك فصارت هذه الوصية جامعة لخصال الدين كلها وفي قوله عز وجل فاستقيموا
اليه واستغفروه اشارة الى انه لا بد من تقصير في الاستقامة المامور بها فيجبر ذلك بالاستغفار المقتضي
للتوبة والرجوع الى الاستقامة فهو كقول النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة
الحسنة تمحها وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان الناس لن يطيقوا الاستقامة حق الاستقامة كما خرجه الامام
احمد وابن ماجه من حديث ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال استقيموا ولن تحصوا واعلموا ان خير اعمالكم
الصلاة ولا يحافظ على الوضوء الا مومن وفي رواية للامام احمد سددوا وقاربوا ولا يحافظ على الوضوء
الا مومن وفي الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سددوا وقاربوا فالسداد هو حقيقة
الاستقامة وهو الاصابة في جميع الاقوال والاعمال والمقاصد كالذي يرمي الى غرض فيصيبه وقد
امر النبي صلى الله عليه وسلم عليا ان يسال الله السداد والهدى وقال له اذكر بالسداد تسديدك السهم
وبالهدى هدايتك الطريق والمقاربة ان يصيب ما قرب من الغرض فيكون مقاربة عن غير عمد
ويدل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الحكم بن حزن الكلفي ايها الناس انكم لن تعملوا ولن تطيقوا
كل ما امرتكم ولكن سددوا وابشروا والمعنى اقصدوا التسديد والاصابة والاستقامة فانهم لو سددوا
في العمل كله لكانوا قد فعلوا ما امروا به كله فاصل الاستقامة استقامة القلب على التوحيد كما فسر ابو بكر
الصديق وغيره قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا بانهم لم يلتفتوا الى غيره فمتى استقام القلب على

معرفة الله وعلى خشيته واجلاله ومهابته ومحبته وارادته ورجايه ودعايه والتوكل عليه والاعراض
عما سواه استقامت الجوارح كلها على طاعته فان القلب هو ملك الاعضاء وهي جنوده فاذا استقام
الملك استقامت جنوده ورعاياه وكذلك فسر قوله عز وجل فاقم وجهك للدين حنيفا باخلاص القصد
لله وارادته وحده لا شريك له واعظم ما يراعي استقامته بعد القلب من الجوارح اللسان فانه ترجمان القلب
والمعبر عنه ولهذا لما امر النبي صلى الله عليه وسلم بالاستقامة وصاه بعد ذلك بحفظ لسانه وفي مسند
الامام احمد عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه
حتى يستقيم لسانه وفي الترمذي عن ابي سعيد الخدري مرفوعا وموقوفا اذا اصبح ابن ادم فان الاعضا كلها
تكفر اللسان فتقول اتق الله فينا فان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا

الحديث الثاني والعشرون

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ان رجلا سال النبي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ارايت اذا صليت المكتوبات وصمت رمضان واحللت الحلال وحرمت الحرام
ولم ازد على ذلك شيا اادخل الجنة قال نعم رواه مسلم **هذا الحديث** خرجه مسلم من رواية ابي الزبير
عن جابر وزاد في اخره قال والله لا ازيد على ذلك شيا وخرجه ايضا من رواية الاعمش عن ابي صالح وابي
سفين عن جابر قال قال النعمن بن قوقل يا رسول الله ارايت اذا صليت المكتوبة وحرمت الحرام
واحللت الحلال ولم ازد على ذلك شيا اادخل الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم وقد فسر بعضهم تحليل الحلال
باعتقاد حله وتحريم الحرام باعتقاد حرمته مع اجتنابه ويحتمل ان يراد بتحليل الحلال اتيانه ويكون
الحلال هاهنا عبارة عما ليس بحرام فيدخل فيه الواجب والمستحب والمباح ويكون المعنى انه يفعل ما
ليس بمحرم عليه ولا يتعدى ما ابيح له الى غيره ويجتنب المحرمات وقد روي عن طايفة من السلف
منهم ابن مسعود وابن عباس في قول الله عز وجل الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اوليك يومنون
به قالوا يحلون حلاله ويحرمون حرامه ولا يحرفونه عن مواضعه والمراد بالتحريم والتحليل
فعل الحلال واجتناب الحرام كما ذكر في هذا الحديث وقد قال الله في حق الكفار الذين كانوا يغيرون
تحريم الشهور الحرم انما النسي زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطيوا
عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله والمراد انهم كانوا يقاتلون في الشهر الحرام عاما فيحلونه بذلك

ويمنعون من القتال

ويمنعون من القتال فيه عاما فيحرمونه بذلك وقال الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل
الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا وهذه الاية نزلت بسبب قوم
امتنعوا من تناول بعض الطيبات زهدا في الدنيا وتقشفا وبعضهم حرم ذلك على نفسه اما بيمين
حلف بها او بتحريمه على نفسه وذلك كله لا يوجب تحريمه في نفس الامر وبعضهم امتنع منه من غير
يمين ولا تحريم فسمى الجميع تحريما حيث قصد الامتناع منه اضرارا بالنفس وكفا لها عن شهواتها
ويقال في الامثال فلان لا يحلل ولا يحرم اذا كان لا يمتنع من فعل حرام ولا يقف عند ما ابيح له وان
كان يعتقد تحريم الحرام فيجعلون من فعل الحرام ولا يتحاشى منه محللا له وان كان لا يعتقد حله وبكل
حال فهذا الحديث يدل على ان من قام بالواجبات وانتهى عن المحرمات دخل الجنة وقد تواترت
الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى او ما هو قريب منه كما خرجه النسائي وابن حبان والحاكم من
حديث ابي هريره وابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد يصلي الصلوات الخمس ويصوم رمضان
ويخرج الزكاة ويجتنب الكباير السبع الا فتحت له ابواب الجنة يدخل من ايها شا ثم تلا ان تجتنبوا كباير
ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم وخرج الامام احمد والنسائي من حديث ابي ايوب الانصاري عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال من عبد الله لا يشرك به شيا واقام الصلاة واتى الزكاة وصام رمضان واجتنب
الكباير فله الجنة او دخل الجنة وفي المسند عن ابن عباس ان ضمام بن ثعلبة وفد على النبي صلى الله عليه وسلم
فذكر له الصلوات الخمس والصيام والزكاة والحج وشرايع الاسلام كلها فلما فرغ قال اشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله وساودي هذه الفرايض واجتنب ما نهيتني عنه لا ازيد ولا انقص قال ان صدق
دخل الجنة وخرجه الطبراني من وجه اخر وفي حديثه قال والخامسة قال لا ارب لي فيها يعني
الفواحش ثم قال لاعملن بها ومن اطاعني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لين صدق ليدخلن
الجنة وفي صحيح البخاري عن ابي ايوب ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم اخبرني بعمل يدخلني الجنة قال
تعبد الله ولا تشرك به شيا وتقيم الصلاة وتوتي الزكاة وتصل الرحم وخرجه مسلم الا ان عنده انه قال
اخبرني بعمل يدنيني من الجنة ويباعدني من النار وعنده في رواية فلما ادبر قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان تمسك بما امر به دخل الجنة وفي الصحيحين عن ابي هريرة ان اعرابيا قال يا رسول الله

دلني على عمل اذا عملته دخلت الجنة قال تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي
الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال والذي بعثك بالحق لا ازيد على هذا شيئا ابدا ولا انقص منه
فلما ولى قال النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى رجل من اهل الجنة فلينظر الى هذا وفي الصحيحين
عن ابي طلحة بن عبيد الله ان اعرابيا جا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثاير الراس فقال يا رسول الله اخبرني
ماذا فرض الله علي من الصلوات فقال الصلوات الخمس الا ان تطوع شيئا فقال اخبرني بما فرض الله علي من
الصيام فقال شهر رمضان الا ان تطوع شيئا قال فاخبرني بما فرض الله علي من الزكاة فاخبره رسول الله
صلى الله عليه وسلم بشرايع الاسلام قال والذي اكرمك بالحق لا اتطوع شيئا ولا انقص مما فرض الله علي شيئا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افلح ان صدق او دخل الجنة ان صدق ولفظه للبخاري وفي صحيح مسلم
عن انس ان اعرابيا سال النبي صلى الله عليه وسلم فذكره بمعناه وزاد فيه حج البيت من استطاع اليه سبيلا فقال
والذي بعثك بالحق لا ازيد عليهن ولا انقص منهن فقال النبي صلى الله عليه وسلم لئن صدق ليدخلن الجنة ومراد
الاعرابي انه لا يزيد على الصلاة المكتوبة والزكاة المفروضة وصيام رمضان وحج البيت شيئا من التطوع
ليس مراده انه لا يعمل بشي من شرايع الاسلام وواجباته غير ذلك وهذه الاحاديث لم يذكر فيها
اجتناب المحرمات لان السايل انما ساله عن الاعمال التي يدخل بها عاملها الجنة وخرج الترمذي
من حديث ابي امامة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب في حجة الوداع يقول ايها الناس اتقوا
الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وادوا زكاة اموالكم واطيعوا اذا امركم تدخلوا جنة ربكم وقال حسن
صحيح وخرجه الامام احمد وعنده اعبدوا ربكم بدل قوله اتقوا الله وخرجه بقي ابن مخلد في مسنده
من وجه اخر ولفظ حديثه صلوا خمسكم وصوموا شهركم وحجوا بيتكم وادوا زكاة اموالكم طيبة بها
انفسكم تدخلوا جنة ربكم وخرج الامام احمد باسناده عن ابن المنتفق قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو
بعرفات فقلت ثنتان اسالك عنهما ما ينجيني من النار وما يدخلني الجنة فقال لئن كنت اوجزت في
المسالة لقد اعظمت واطولت فاعقل عني اذا اعبد الله لا تشرك به شيئا واقم الصلاة المكتوبة وادِ
الزكاة المفروضة وصم رمضان وما تحب ان يفعله بك الناس فافعله بهم وما تكره ان ياتي اليك الناس
فذر الناس منه وفي رواية له ايضا قال اتق الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة وتحج

البيت وتصوم رمضان ولم يزد على ذلك وقيل ان هذا الصحابي هو وافد بني المنتفق واسمه لقيط
فهذه الاعمال اسباب مقتضية لدخول الجنة وقد يكون ارتكاب المحرمات موانع ويدل على
هذا ما خرجه الامام احمد من حديث عمرو بن مرة الجهني قال جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله شهدت ان لا اله الا الله وانك رسول الله وصليت الخمس واديت زكاة مالي
وصمت شهر رمضان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات على هذا كان مع النبيين والصديقين
والشهدا يوم القيمة هكذا ونصب اصبعيه ما لم يعق والديه وقد ورد ترتيب دخول الجنة على
فعل بعض هذه الاعمال كالصلاة ففي الحديث المشهور من صلى الصلوات لوقتها كان له عند
الله عهد ان يدخله الجنة وفي الحديث الصحيح من صلى البردين دخل الجنة وهذا كله من ذكر السبب
المقتضي الذي لا يعمل عمله الا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه ويدل على هذا ما خرجه الامام
احمد عن بشير بن الخصاصية قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم لابايعه فاشترط علي شهادة ان لا اله
الا الله وان محمدا عبده ورسوله وان اقيم الصلاة وان اوتي الزكاة وان احج حجة الاسلام وان اصوم
رمضان وان اجاهد في سبيل الله فقلت يا رسول الله اما اثنتين فوالله ما اطيقهما الجهاد والصدقة
فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ثم حركها وقال فلا جهاد ولا صدقة فبم تدخل الجنة اذا قلت
يا رسول الله انا ابايعك فبايعته عليهن كلهن ففي هذا الحديث انه لا يكفي في دخول الجنة هذه
الخصال بدون الزكاة والجهاد وقد ثبت في الاحاديث الصحيحة ان ارتكاب بعض الكباير يمنع دخول
الجنة كقوله لا يدخل الجنة قاطع وقوله لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر وقوله لا
تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا والاحاديث التي جاءت في منع دخول الجنة بالدين
حتى يقضى وفي الصحيح ان المومنين اذا جازوا الصراط حبسوا على قنطرة يقتص منهم مظالم
كانت بينهم في الدنيا وقال بعض السلف ان الرجل ليحبس على باب الجنة مية عام بالذنب كان
يعمله في الدنيا فهذه كلها موانع ومن هنا يظهر معنى الاحاديث التي جاءت في ترتيب دخول الجنة
على مجرد التوحيد ففي الصحيحين عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد قال لا اله الا
الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة قلت وان زنا وان سرق قال وان زنا وان سرق قالها ثلاثا

ثم قال في الرابعة على رغم انف ابي ذر فخرج ابو ذر وهو يقول وان رغم انف ابي ذر وفيهما عن عباده
بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده
ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وان الجنة حق والنار حق
ادخله الله الجنة على ما كان من عمل **وفي صحيح مسلم** عن ابي هريره او ابي سعيد بالشك عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال اشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك بهما فيحجب عن
الجنة وفيه عن ابي هريره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له يوما من لقيت يشهد ان لا اله الا الله مستيقنا
بها قلبه فبشره بالجنة وفي المعنى احاديث كثيره جدا **وفي الصحيحين عن انس** ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال يوما لمعاذ ما من عبد يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله الا حرمه الله على النار
وفيهما عن عتبان بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله قد حرم على النار من قال لا اله الا
الله يبتغي بها وجه الله فقال طايفه من العلما ان كلمه التوحيد سبب مقتضي لدخول الجنة وللنجاه
من النار لكن له شروط وهي الايمان بالفرايض وموانع وهي اتيان الكباير قال الحسن للفرزدق ان
للا اله الا الله شروطا فاياك وقذف المحصنه وروي عنه انه قال هذا العمود فاين الطنب يعني
ان كلمه التوحيد عمود الفسطاط ولكن لا يثبت الفسطاط بدون اطنابه وهي فعل الواجبات
وترك المحرمات وقيل للحسن ان ناسا يقولون من قال لا اله الا الله دخل الجنة فقال من قال لا
اله الا الله فادى حقها وفرضها دخل الجنة وقيل لوهب بن منبه اليس لا اله الا الله مفتاح الجنة قال بلى
ولكن ما من مفتاح الا وله اسنان فان جيت بمفتاح له اسنان فتح لك والا لم يفتح لك ويشبه هذا
ما روي عن ابن عمر انه سيل عن لا اله الا الله هل يضر معها عمل كما لا ينفع مع تركها عمل فقال ابن عمر
عش ولا تغتر وقالت طايفه منهم الزهري كان هذا قبل الفرايض والحدود فمن هولا من اشار
الى انها نسخت ومنهم من قال بل ضم اليها شروط زيدت عليها وزياده الشرط هل هي نسخ ام لا فيه
خلاف مشهور بين الاصوليين وفي هذا كله نظر فان كثيرا من هذه الاحاديث متاخر بعد الفرايض
والحدود وقال الثوري نسختها الفرايض والحدود فيحتمل ان يكون مراده ما اراده هولا ويحتمل ان
يكون مراده ان وجوب الفرايض والحدود تبين بها ان عقوبات الدنيا لا تسقط بمجرد الشهادتين

فكذلك عقوبات الاخره ومثل هذا البيان وازاله الابهام كان السلف يسمونه نسخا وليس هو نسخا في الاصطلاح
المشهور وقالت طايفه هذه النصوص المطلقه جات مقيده بان يقولها بصدق واخلاص واخلاصها
وصدقها يمنع الاصرار معها على معصيه وجا من مراسيل الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم من قال لا
اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما اخلاصها قال ان تحجزك عما حرم الله وروي ذلك مسندا من
وجوه اخر ضعيفه ولعل الحسن اشار بكلامه الذي حكيناه عنه من قبل الى هذا فان تحقق القلب بمعنى
لا اله الا الله وصدقه فيها واخلاصه بها يقتضي ان يرسخ فيه تاله الله وحده اجلالا وهيبه ومخافه
ومحبه ورجا وتعظيما وتوكلا ويمتلي بذلك وينتفي عنه تاله ما سواه من المخلوقين ومتى كان كذلك لم
يبق فيه محبه ولا اراده ولا طلب لغير ما يريده الله ويحبه ويطلبه وينتفي بذلك من القلب جميع اهوا
النفوس واراداتها ووساوس الشيطان فمن احب شيا واطاعه واحب عليه وابغض عليه فهو الهه
فمن كان لا يحب ولا يبغض الا لله ولا يوالي ولا يعادي الا له فالله الهه حقا ومن احب لهواه وابغض
له ووالى عليه وعادى عليه فالهه هواه كما قال تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه قال الحسن هو
الذي لا يهوى شيا الا ركبه وقال قتاده هو الذي كلما هوي شيا ركبه وكلما اشتهى شيا اتاه لا
يحجزه عن ذلك ورع ولا تقوى ويروى من حديث ابي امامه مرفوعا ما تحت ظل السما اله يعبد
اعظم عند الله من هوى متبع وكذلك من اطاع الشيطان في معصيه الله فقد عبده كما قال عز وجل
الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان فتبين بهذا انه لا يصح تحقيق معنى قول لا اله الا الله
الا لمن لم يكن في قلبه اصرار على محبه ما يكرهه الله ولا على اراده ما لا يريده الله ومتى كان في القلب
شي من ذلك كان ذلك نقصا في التوحيد وهو من نوع الشرك الخفي ولهذا قال مجاهد في قوله تعالى
لا يشركون بي شيا قال لا يحبون غيري وفي صحيح الحاكم عن عايشه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشرك
اخفى من دبيب الذر على الصفا في الليله الظلما وادناه ان تحب على شي من الجور وتبغض على شي من
العدل وهل الدين الا الحب والبغض قال الله عز وجل قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
وهذا نص في ان محبه ما يكرهه الله وبغض ما يحبه متابعه للهوى والموالاه على ذلك والمعاداه
عليه من الشرك الخفي **وخرج ابن ابي الدنيا** من حديث انس مرفوعا لا تزال لا اله الا الله تمنع

العباد من سخط الله ما لم يوثروا دنياهم على صفقة دينهم فاذا اثروا صفقة دنياهم على دينهم ثم قالوا لا اله الا
الله ردت عليهم وقال الله كذبتم فتبين بهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم من شهد ان لا اله الا الله صادقا
من قلبه حرمه الله على النار وان من دخل النار من اهل هذه الكلمة فلقلة صدقه في قولها فان هذه الكلمة اذا
صدقت طهرت من القلب كل ما سوى الله فمن صدق في قوله لا اله الا الله لم يحب سواه ولم يرج الا
اياه ولم يخش احدا الا الله ولم يتوكل الا على الله ولم يبق له بقية من اثار نفسه وهواه ومتى بقي في القلب
اثر لسوى الله فمن قلة الصدق في قولها نار جهنم تطفى بنور ايمان الموحدين كما في الحديث المشهور
تقول النار للمومن جز يا مومن فقد اطفا نورك لهبي وفي مسند الامام احمد عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المومنين بردا وسلاما كما كانت على ابرهيم حتى ان للنار
ضجيجا من بردهم فهذا ميراث ورثه المومنون من حال ابرهيم عليه السلام فنار المحبة في قلوب
المومنين تخاف منها نار جهنم قال الجنيد قالت النار يا رب لو لم اطعك هل كنت تعذبني بشي هو اشد
مني قال نعم كنت اسلط عليك ناري الكبرى قالت وهل نار اعظم مني واشد قال نعم نار محبتي اسكنتها
قلوب اوليايي المومنين وفي هذا يقول ـــــــ بعضهم ٥ ففي فواد المحب نار هوى ٥
احر نار الجحيم ابردها ٥ ويشهد لهذا المعنى حديث معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان اخر كلامه
لا اله الا الله دخل الجنة فان المحتضر لا يكاد يقولها الا باخلاص وتوبة وندم على ما مضى وعزم على ان لا
يعود الى مثله ورجح هذا القول الخطابي في مصنف له مفرد في التوحيد وهو حسن

الحديث الثالث والعشرون عن ابي مالك الاشعري رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطهور شطر الايمان والحمد لله تملا الميزان وسبحان الله والحمد لله
تملان او تملا ما بين السموات والارض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضيا والقران حجة
لك او عليك كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها او موبقها رواه مسلم **هذا الحديث**
خرجه مسلم من رواية يحيى بن ابي كثير ان زيد بن سلام حدثه ان ابا سلام حدثه عن ابي مالك الاشعري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث وفي اكثر نسخ صحيح مسلم والصبر ضيا وفي
بعضها والصيام ضيا وقد اختلف في سماع يحيى بن ابي كثير من زيد بن سلام فانكره يحيى بن معين

واثبته الامام احمد وفي هذه الرواية التصريح بسماعه منه وخرج هذا الحديث النسايي وابن ماجه من
رواية معوية بن سلام عن اخيه زيد بن سلام عن جده ابي سلام عن عبد الرحمن بن غنم عن ابي مالك فزاد في
اسناده عبد الرحمن بن غنم ورجح هذه الرواية بعض الحفاظ وقال معوية بن سلام اعلم بحديث اخيه
زيد من يحيى بن ابي كثير ويقوي ذلك انه قد روي عن عبد الرحمن بن غنم عن ابي مالك من وجه اخر وحينيذ
فتكون رواية مسلم منقطعة وفي حديث معوية بعض المخالفة لحديث يحيى بن ابي كثير فان لفظ حديثه
عند ابن ماجه اسباغ الوضو شطر الايمان والحمد لله ملء الميزان والتسبيح والتكبير ملء السما والارض
والصلاة نور والزكاة برهان والصبر ضيا والقران حجة لك او عليك كل الناس يغدو فبايع نفسه
فمعتقها او موبقها **وخرج الترمذي** حديث يحيى بن ابي كثير الذي خرجه مسلم ولفظ حديثه الوضو
شطر الايمان وباقي حديثه مثل سياق مسلم **وخرج الامام احمد والترمذي** من حديث رجل من
بني سليم قال عدهن رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده او في يدي التسبيح نصف الميزان والحمد لله
تملاه والتكبير يملا ما بين السما والارض والصوم نصف الصبر والطهور نصف الايمان فقوله
صلى الله عليه وسلم الطهور شطر الايمان فسر بعضهم الطهور هاهنا بترك الذنوب كما في قوله تعالى انهم
اناس يتطهرون وقوله وثيابك فطهر وقوله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال الايمان
نوعان فعل وترك فنصفه فعل المامورات ونصفه ترك المحظورات وهو تطهير النفس بترك
المعاصي وهذا القول محتمل لولا ان رواية الوضو شطر الايمان ترده وكذلك رواية اسباغ الوضو
وايضا ففيه نظر من جهة المعنى فان كثيرا من الاعمال تطهر النفس من الذنوب السابقة كالصلاة فكيف
لا تدخل في اسم الطهور ومتى دخلت الاعمال او بعضها في اسم الطهور لم يتحقق كون ترك الذنوب
شطر الايمان والصحيح الذي عليه الاكثرون ان المراد بالطهور هاهنا التطهر بالما من الاحداث
ولذلك بدا مسلم بتخريجه في ابواب الوضو وكذلك خرجه النسايي وابن ماجه وغيرهما وعلى هذا
فاختلف الناس في معنى كون الطهور بالما شطر الايمان فمنهم من قال المراد بالشطر الجزء لا انه النصف
بعينه فيكون الطهور جزءا من الايمان وهذا فيه ضعف لان الشطر انما يعرف استعماله
لغة في النصف ولان في حديث الرجل من بني سليم الطهور نصف الايمان كما سبق ومنهم من

قال المعني انه يضاعف ثواب الوضو الى نصف ثواب الايمان لكن من غير تضعيف وفي هذا
نظر وبعد ومنهم من قال الايمان يكفر الكباير كلها والوضو يكفر الصغاير فهو شطر الايمان بهذا الاعتبار
وهذا يرده حديث من اسا في الاسلام اخذ بما عمل في الجاهليه وقد سبق ذكره ومنهم من قال
الوضو يكفر الذنوب مع الايمان فصار نصف الايمان وهذا ضعيف ومنهم من قال المراد بالايمان
هاهنا الصلاه كما في قوله عز وجل وما كان الله ليضيع ايمانكم والمراد صلاتكم الى بيت المقدس فاذا كان
المراد بالايمان الصلاه فالصلاه لا تقبل الا بطهور فصار الطهور شطر الصلاه بهذا الاعتبار حكي
هذا التفسير محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاه عن اسحق بن راهويه عن يحيى بن ادم وانه قال في معني
قولهم لا ادري نصف العلم ان العلم انما هو ادري ولا ادري فاحدهما نصف الاخر قلت كل شي كان تحته
نوعان فاحدهما نصف له وسوا كان عدد النوعين على السوا او احدهما ازيد من الاخر ويدل
على هذا حديث قسمت الصلاه بيني وبين عبدي نصفين والمراد قراه الصلاه ولهذا فسرها بالفاتحه
والمراد انها مقسومه للعباده والمسله فالعباده حق الرب والمسله حق العبد وليس المراد
قسمه كلمها على السوا وقد ذكر هذا الخطابي واستشهد بقول العرب نصف السنه سفر ونصفها
حضر قال وليس على تساوي الزمانين فيهما لكن على انقسام الزمانين لهما وان تفاوتت مدتاهما وبقول
شريح وقيل له كيف اصبحت قال اصبحت ونصف الناس علي غضبان يريد ان الناس بين محكوم له
ومحكوم عليه فالمحكوم عليه غضبان والمحكوم له راض عنه فهما حزبان مختلفان وبقول الشاعر
اذا مت كان الناس نصفين شامت بموتي ومثن بالذي كنت افعل
ومراده انهم ينقسمون قسمين قلت ومن هذا المعني حديث ابي هريره المرفوع في الفرايض
انها نصف العلم خرجه بن ماجه فان احكام المكلفين نوعان نوع يتعلق بالحياه ونوع يتعلق بما بعد
الموت وهذا هو الفرايض وقال ابن مسعود الفرايض ثلث العلم ووجه ذلك الحديث الذي
خرجه ابو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا العلم ثلثه وما سوي ذلك
فهو فضل ايه محكمه او سنه قايمه او فريضه عادله وروي عن مجاهد انه قال المضمضه
والاستنشاق نصف الوضو ولعله اراد ان الوضو قسمان احدهما مذكور في القران والثاني

ماخوذ من السنه وهو المضمضه والاستنشاق او اراد ان المضمضه والاستنشاق
يطهر باطن الجسد وغسل ساير الاعضا يطهر ظاهره فهما نصفان بهذا الاعتبار ومنه
قول بن مسعود الصبر نصف الايمان واليقين الايمان كله وجا من روايه يزيد الرقاشي عن
انس مرفوعا الايمان نصفان نصف في الصبر ونصف في الشكر فلما كان الايمان يشمل فعل الواجبات
وترك المحرمات ولا ينال ذلك كله الا بالصبر كان الصبر نصف الايمان فهكذا يقال في الوضو
انه نصف الصلاه وايضا فالصلاه تكفر الذنوب والخطايا بشرط اسباغ الوضو واحسانه فصار
شطر الصلاه بهذا الاعتبار ايضا كما في صحيح مسلم عن عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من
مسلم يتطهر فيتم الطهور الذي كتب عليه فيصلي هذه الصلوات الخمس الا كانت كفاره لما بينهن وفي
روايه له من اتم الوضو كما امره الله فالصلوات المكتوبات كفارات لما بينهن وايضا فالصلاه
مفتاح الجنه والوضو مفتاح الصلاه كما خرجه الامام احمد والترمذي من حديث جابر مرفوعا وكل
من الوضو والصلاه موجب لفتح ابواب الجنه كما في صحيح مسلم عن عقبه بن عامر سمع النبي صلى الله عليه وسلم
يقول ما من مسلم يتوضا فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلي ركعتين يقبل عليهما بقلبه ووجهه الا
وجبت له الجنه وعن عقبه عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما منكم من احد يتوضا فيبلغ او يسبغ الوضو
ثم يقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنه الثمانيه
يدخل من ايها شا وفي الصحيحين عن عباده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال اشهد ان لا اله لا شريك له
الا الله وحده وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله وابن امته وكلمته القاها الى مريم
وروح منه وان الجنه حق وان النار حق ادخله الله من اي ابواب الجنه الثمانيه شا فاذا كان الوضو
مع الشهادتين موجبا لفتح ابواب الجنه صار الوضو نصف الايمان بالله ورسوله بهذا الاعتبار
وايضا فالوضو من خصال الايمان الخفيه التي لا يحافظ عليها الا مومن كما في حديث ثوبان
وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يحافظ على الوضو الا مومن والغسل من الجنابه قد ورد انه اداء
الامانه كما خرجه العقيلي من حديث ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خمس من جا بهن
مع ايمان دخل الجنه من حافظ على الصلوات الخمس على وضوبهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن

واعطي الزكاه من ماله طيب النفس بها قال وكان يقول وايم الله لا يفعل ذلك الا مومن وصام
رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا وادي الامانه قالوا يا ابا الدرداء وما اداء الامانه قال
الغسل من الجنابه فان الله لم يامن ابن ادم علي شي من دينه غيرها **وخرج ابن ماجه من حديث**
ابي ايوب عن النبي صلي الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعه الي الجمعه واداء الامانه كفاره
لما بينهن قيل وما اداء الامانه قال الغسل من الجنابه فان تحت كل شعره جنابه وحديث ابي الدرداء
الذي قبله جعل فيه الوضوء من اجزاء الصلاه وجاء في حديث اخر خرجه البزار من روايه شبابه بن
سوار ثنا المغيره بن مسلم عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريره مرفوعا الصلاه ثلاثه اثلاث الطهور
ثلث والركوع ثلث والسجود ثلث فمن اداها بحقها قبلت منه وقبل منه ساير عمله ومن ردت
عليه صلاته رد عليه ساير عمله وقال تفرد به المغيره والمحفوظ عن ابي صالح عن كعب من قوله فعلي
هذا التقسيم الوضوء ثلث الصلاه الا ان تجعل الركوع والسجود كالشي الواحد لتقاربهما في الصوره
فيكون الوضوء نصف الصلاه ايضا ويحتمل ان يقال خصال الايمان كلها من الاعمال والاقوال
تطهر القلب وتزكيه واما الطهاره بالما فهي تختص بتطهير الجسد وتنظيفه فصارت خصال الايمان
قسمين احدهما يطهر الظاهر والاخر يطهر الباطن فهما نصفان بهذا الاعتبار والله اعلم بمراده ومراد
رسوله صلي الله عليه وسلم في ذلك كله وقوله صلي الله عليه وسلم والحمد لله تملا الميزان وسبحان الله والحمد لله
تملا او تملان ما بين السما والارض فهذا شك من الراوي في لفظه وفي روايه النسائي وابن ماجه والتسبيح
والتكبير ملء السما والارض وفي حديث الرجل من بني سليم التسبيح نصف الميزان والحمد لله تملاه
والتكبير يملا ما بين السما والارض **وخرج الترمذي** من حديث الافريقي عن عبد الله بن يزيد عن
عبد الله بن عمرو عن النبي صلي الله عليه وسلم قال التسبيح نصف الميزان والحمد لله تملاه ولا اله الا الله ليس لها
دون الله حجاب حتي تصل اليه وقال ليس اسناده بالقوي قلت اختلف في اسناده علي الافريقي فروي عنه
عن ابي علقمه عن ابي هريره عن النبي صلي الله عليه وسلم وفيه زياده والله اكبر ملا السموات والارض وروي
جعفر الفريابي في كتاب الذكر وغيره من حديث علي عن النبي صلي الله عليه وسلم قال الحمد لله ملا الميزان
وسبحان الله نصف الميزان ولا اله الا الله والله اكبر ملء السموات والارض وما بينهن **وخرج**

الفريابي ايضا من حديث معاذ بن جبل عن النبي صلي الله عليه وسلم قال كلمتان احداهما ليس لها
ناهيه دون العرش والاخري تملا ما بين السما والارض لا اله الا الله والله اكبر فقد تضمنت هذه
الاحاديث فضل هذه الكلمات الاربع التي هي افضل الكلام وهي سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر فاما الحمد لله فاتفقت الاحاديث كلها علي انه يملا الميزان وقد قيل انه ضرب مثل
وان المعني لو كان الحمد جسما لملا الميزان وقيل بل الله عز وجل يمثل اعمال بني ادم واقوالهم صورا ترى
يوم القيمه وتوزن كما قال النبي صلي الله عليه وسلم ياتي القران يوم القيمه تقدمه البقره وال عمران
كانهما غمامتان او غيايتان او فرقان من طير صواف وقال كلمتان حبيبتان الي الرحمن ثقيلتان في
الميزان خفيفتان علي اللسان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقال اثقل ما يوضع في الميزان الخلق الحسن
وكذلك المومن ياتيه عمله الصالح في قبره في احسن صوره والكافر ياتيه عمله في اقبح صوره وروي
ان الصلاه والصيام والزكاه واعمال البر تكون حول الميت في قبره تدافع عنه وان القران يصعد
فيشفع له واما سبحان الله ففي روايه مسلم سبحان الله والحمد لله تملا او تملان ما بين السما والارض فشك
الراوي في الذي يملا ما بين السما والارض هل هو الكلمتان او احداهما وفي روايه النسائي وابن ماجه
التسبيح والتكبير ملء السما والارض وهذه الروايه اشبه وهل المراد انهما معا يملان ما بين السما والارض
او ان كلا منهما يملا ذلك هذا محتمل وفي حديث ابي هريره والرجل الاخر ان التكبير وحده يملا ما بين
السما والارض وبكل حال فالتسبيح دون التحميد في الفضل كما جاء صريحا في حديث علي وابي هريره
وعبد الله بن عمرو والرجل من بني سليم ان التسبيح نصف الميزان والحمد لله تملاه وسبب ذلك ان التحميد
اثبات المحامد كلها لله فدخل في ذلك اثبات صفات الكمال ونعوت الجلال كلها والتسبيح هو
تنزيه الله عن النقايص والعيوب والافات والاثبات اكمل من السلب ولهذا لم يرد التسبيح مجردا
لكن مقرونا بما يدل علي اثبات الكمال فتاره يقرن بالحمد كقوله سبحان الله وبحمده وسبحان الله والحمد لله
وتاره باسم من الاسما الداله علي العظمه والجلال كقوله سبحان الله العظيم فان كان حديث ابي مالك يدل
علي ان الذي يملا ما بين السما والارض هو مجموع التسبيح والتكبير فالامر ظاهر وان كان المراد ان كلا منهما
يملا ذلك فان الميزان اوسع مما بين السما والارض فما يملا الميزان فهو اكثر مما يملا ما بين السما والارض

ويدل عليه انه صح عن سلمان رضي الله عنه انه قال يوضع الميزان يوم القيمة فلو وزن فيه السموات
والارض لوسعت فتقول الملايكة يا رب لمن يزن هذا فيقول الله تعالى لمن شئت من خلقي فتقول
الملايكة سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وخرجه الحاكم مرفوعًا وصححه ولكن الموقوف هو المشهور
واما التكبير ففي حديث ابي هريره والرجل من بني سليم انه وحده يملا ما بين السما والارض وفي حديث علي
ان التكبير مع التهليل يملا السموات والارض وما بينهن واما التهليل وحده فانه يصل الى الله من
غير حجاب بينه وبينه **وخرج الترمذي** من حديث ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ما قال عبد لا اله الا الله مخلصًا الا فتحت له ابواب السما حتى تفضي الى العرش ما اجتنبت الكباير
وقال ابو امامه ما من عبد يهلل تهليله فينهنهها شي دون العرش وورد انه لا يعدلها شي في
الميزان في حديث البطاقه المشهور وقد خرجه احمد والترمذي والنسايي وفي اخره عند الامام
احمد ولا يثقل شي باسم الله الرحمن الرحيم وفي المسند عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ان نوحًا لما حضرته الوفاه قال لابنه امرك بلا اله الا الله فان السموات السبع والارضين السبع
لو وضعت في كفه ووضعت لا اله الا الله في كفه رجحت بهن لا اله الا الله وفيه ايضًا عن عبد الله
بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان موسى عليه السلام قال يا رب علمني شيًا اذكرك به وادعوك
به قال يا موسى قل لا اله الا الله قال كل عبادك يقول هذا انما اريد شيًا تخصني به قال يا موسى لو ان
السموات السبع وعامرهن غيري والارضين السبع في كفه ولا اله الا الله في كفه مالت بهن لا اله
الا الله وقد اختلف الناس في اي الكلمتين افضل اكلمة الحمد ام كلمة التهليل وقد حكى هذا الاختلاف
ابن عبد البر وغيره وقال النخعي كانوا يرون ان الحمد اكثر الكلام تضعيفًا وقال الثوري ليس يضاعف
من الكلام مثل الحمد لله والحمد يتضمن اثبات جميع انواع الكمال لله فيدخل فيه التوحيد وفي
مسند الامام احمد عن ابي سعيد وابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله اصطفى من الكلام
اربعًا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فمن قال سبحان الله كتبت له عشرون حسنه
او حطت عنه عشرون سيه ومن قال الله اكبر مثل ذلك ومن قال لا اله الا الله مثل ذلك ومن
قال الحمد لله رب العالمين من قبل نفسه كتبت له ثلاثون حسنه او حطت عنه ثلاثون سيه

وقد روي هذا عن كعب من قوله وقيل انه اصح من المرفوع قوله صلى الله عليه وسلم والصلاه نور والصدقه
برهان والصبر ضيا وفي بعض نسخ صحيح مسلم والصيام ضيا فهذه الانواع الثلاثه من الاعمال انوار
كلها لكن منها ما يختص بنوع من انواع النور فالصلاه نور مطلق ويروى باسنادين فيهما نظر عن انس عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلاه نور المومن فهي للمومنين في الدنيا نور في قلوبهم وبصايرهم تشرق بها
قلوبهم وتستنير بصايرهم ولهذا كانت قره عين المتقين كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول جعلت قره
عيني في الصلاه خرجه احمد والنسايي وفي روايه الجايع يشبع والظمان يروى وانا لا اشبع من حب الصلاه
وفي المسند عن ابن عباس قال قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد حبب اليك الصلاه فخذ منها ما
شيت وخرج ابو داود من حديث رجل من خزاعه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا بلال اقم الصلاه
وارحنا بها قال مالك بن دينار قرات في التوراه يا ابن ادم لا تعجز ان تقوم بين يدي في صلاتك باكيا
فانا الذي اقتربت بقلبك وبالغيب رايت نوري يعني ما يفتح للمصلي في الصلاه من الرقه والبكا
وخرج الطبراني من حديث عباده بن الصامت مرفوعًا اذا حافظ العبد على صلاته فاقام وضوها
وركوعها وسجودها والقراه فيها قالت حفظك الله كما حفظتني وصعد بها الى السما ولها نور حتى
تنتهي الى الله عز وجل فتشفع لصاحبها وهي نور للمومنين في قبورهم ولا سيما صلاه الليل كما قال ابو
الدردا صلوا ركعتين في ظلم الليل لظلمه القبور وكانت رابعه قد فترت عن وردها بالليل فاتاها
ات في منامها فانشدها "صلاتك نور والعباد رقود" "ونومك ضد للصلاه عنيد"
وهي في الاخره نور للمومنين في ظلمات القيمه وعلى الصراط فان الانوار تقسم لهم على حسب اعمالهم وفي المسند
وصحيح ابن حبان عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر الصلاه فقال من حافظ عليها
كانت له نورًا وبرهانًا ونجاه يوم القيمه ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نور ولا برهان ولا نجاه
وخرج الطبراني باسناد فيه نظر عن ابن عباس وابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى الصلوات
الخمس في جماعه جاز على الصراط كالبرق اللامع في اول زمره من السابقين وجا يوم القيمه ووجهه
كالقمر ليله البدر واما الصدقه فهي برهان والبرهان هو الشعاع الذي يلي وجه الشمس ومنه
حديث ابي موسى ان روح المومن تخرج من جسده لها برهان كبرهان الشمس ومنه سميت

الحجة القاطعة برهانا لوضوح دلالتها على ما دلت عليه فكذلك الصدقة برهان على صحة الايمان
وطيب النفس بها علامة على وجود حلاوة الايمان وطعمه كما في حديث عبد الله بن معوية الغاضري
عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من فعلهن فقد طعم طعم الايمان من عبد الله وحده وانه لا اله الا الله
وادى زكاة ماله طيبة بها نفسه رافدة عليه في كل عام وذكر الحديث خرجه ابو داود وقد ذكرنا
قريبا حديث ابي الدردا فيمن ادى زكاة ماله طيبة بها نفسه قال وكان يقول لا يفعل ذلك
الا مومن وسبب هذا ان المال تحبه النفوس وتبخل به فاذا سمحت باخراجه لله عز وجل دل على
صحة ايمانها بالله ووعده ووعيده ولهذا منعت العرب الزكاة بعد النبي صلى الله عليه وسلم وقاتلهم
الصديق رضي الله عنه على منعها والصلاة ايضا برهان على صحة الاسلام وقد خرج الامام احمد والترمذي
من حديث كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلاة برهان وقد ذكرنا في شرح حديث امرت
ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة ان
الصلاة هي الفارقة بين الكفر والاسلام وهي ايضا اول ما يحاسب به المرء يوم القيمة فان تمت صلاته
فقد افلح وانجح وقد سبق حديث عبد الله بن عمرو فيمن حافظ عليها انها تكون له نورا وبرهانا ونجاة
يوم القيمة واما الصبر فانه ضيا والضيا هو النور الذي يحصل فيه نوع حرارة واحراق كضيا
الشمس بخلاف القمر فانه نور محض فيه اشراق بغير احراق قال الله عز وجل هو الذي جعل
الشمس ضيا والقمر نورا ومن هنا وصف الله شريعة موسى بانها ضيا كما قال ولقد اتينا موسى وهرون
الفرقان وضيا وذكرا للمتقين وان كان قد ذكر ان في التورية نورا كما قال انا انزلنا التورية فيها هدى
ونور لكن الغالب على شريعتهم الضيا لما فيها من الاصار والاغلال والاثقال ووصف شريعة محمد
صلى الله عليه وسلم بانها نور لما فيها من الحنيفية السمحة قال تعالى قد جاكم من الله نور وكتاب مبين
وقال الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل يامرهم
بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبايث ويضع عنهم اصرهم والاغلال
التي كانت عليهم فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اوليك هم المفلحون
ولما كان الصبر شاقا على النفوس يحتاج الى مجاهدة النفس وحبسها وكفها عما تهواه كان ضيا فان

معنى الصبر في اللغة الحبس ومنه قتل الصبر وهو ان يحبس الرجل حتى يقتل والصبر المحمود انواع منه
صبر على طاعة الله عز وجل ومنه صبر عن معاصي الله عز وجل ومنه صبر على اقدار الله عز وجل والصبر
على الطاعات وعن المحرمات افضل من الصبر على الاقدار المولمة صرح بذلك السلف منهم سعيد بن
جبير وميمون بن مهران وغيرهما وقد روي باسناد ضعيف من حديث علي مرفوعا ان الصبر على
المصيبة يكتب به للعبد ثلثمية درجة وان الصبر على الطاعة يكتب به له ستمية درجة وان الصبر
عن المعاصي يكتب له به تسعمية درجة وقد خرجه ابن ابي الدنيا وابن جرير الطبري ومن افضل انواع الصبر
الصيام فانه يجمع الصبر على الانواع الثلاثة لانه صبر على طاعة الله عز وجل وصبر عن معاصي الله لان العبد يترك
شهواته لله ونفسه قد تنازعه اليها ولهذا في الحديث الصحيح ان الله عز وجل يقول كل عمل ابن ادم له الا
الصيام فانه لي وانا اجزي به انه ترك شهوته وطعامه وشرابه من اجلي وفيه ايضا صبر على الاقدار
المولمة بما قد يحصل للصايم من الجوع والعطش وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمي شهر الصيام شهر الصبر
وقد جا في حديث الرجل من بني سليم عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الصوم نصف الصبر وربما عسر الوقوف
على سر كونه نصف الصبر اكثر من عسر الوقوف على سر كون الطهور شطر الايمان والله اعلم وقوله
صلى الله عليه وسلم والقران حجة لك او عليك قال الله عز وجل وننزل من القران ما هو شفا ورحمة للمومنين
ولا يزيد الظالمين الا خسارا قال بعض السلف ما جالس احد القران فقام عنه سالما بل اما ان يربح او
قال — ان يخسر ثم تلى هذه الاية وروي عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يمثل القران
يوم القيمة رجلا فيوتى بالرجل قد حمله فخالف امره فيتمثل له خصما فيقول يا رب حملته اياي فبيس
حامل تعدى حدودي وضيع فرايضي وركب معصيتي وترك طاعتي فما يزال يقذف عليه بالحجج حتى يقال
شانك به فياخذه بيده فما يرسله حتى يكبه على منخره في النار ويوتى بالرجل الصالح كان قد حمله وحفظ
امره فيتمثل خصما دونه فيقول يا رب حملته اياي فخير حامل حفظ حدودي وعمل بفرايضي واجتنب
معصيتي واتبع طاعتي فما يزال يقذف له بالحجج حتى يقال شانك به فياخذ بيده فما يرسله حتى يلبسه
حلة الاستبرق ويعقد عليه تاج الملك ويسقيه كاس الخمر وقال ابن مسعود القران شافع
مشفع وماحل مصدق فمن جعله امامه قاده الى الجنة ومن جعله خلف ظهره قاده الى النار

وعنه قال يجيء القران يوم القيمة فيشفع لصاحبه فيكون قايدا الى الجنة او يشهد عليه فيكون سايقا
الى النار وقال ابو موسى الاشعري ان هذا القران كاين لكم اجرا وكاين عليكم وزرا فاتبعوا القران ولا يتبعكم
القران فانه من اتبع القران هبط به على رياض الجنة ومن اتبعه القران زج في قفاه فقذفه في النار
قوله صلى الله عليه وسلم كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها او موبقها وخرج الامام احمد وابن
حبان من حديث كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الناس غاديان فمبتاع نفسه فمعتقها
وموبقها وفي رواية خرجها الطبراني الناس غاديان فبايع نفسه فموبقها وفادٍ نفسه فمعتقها وقال الله
عز وجل ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها والمعنى قد
افلح من زكى نفسه بطاعة الله وخاب من دساها بالمعاصي فالطاعة تزكي النفس وتطهرها فترتفع
والمعاصي تدسي النفس وتقمعها فتنخفض وتصير كالذي يدس في التراب ودل الحديث على ان كل
انسان فهو ساع في هلاك نفسه او في فكاكها فمن سعى في طاعة الله فقد باع نفسه لله واعتقها
من عذابه ومن سعى في معصية الله فقد باع نفسه بالهوان واوبقها بالاثام الموجبة لغضب الله
وعقابه قال الله عز وجل ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الى قوله فاستبشروا
ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم وقال ومن الناس من يشري نفسه ابتغا مرضات الله
والله رؤف بالعباد وقال قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة الا ذلك هو
الخسران المبين وفي الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انزل الله
عليه وانذر عشيرتك الاقربين يا معشر قريش اشتروا انفسكم من الله لا اغني عنكم من الله شيا يا بني عبد
المطلب لا اغني عنكم من الله شيا وفي رواية للبخاري يا بني عبد مناف اشتروا انفسكم من الله يا بني عبد المطلب
اشتروا انفسكم من الله يا عمة رسول الله يا فاطمة بنت محمد اشتريا انفسكما من الله لا
املك لكما من الله شيا وفي رواية لمسلم انه دعا قريشا فاجتمعوا فعم وخص فقال يا بني كعب
ابن لؤي انقذوا انفسكم من النار يا بني مرة بن كعب انقذوا انفسكم من النار يا بني عبد شمس
انقذوا انفسكم من النار يا بني عبد مناف انقذوا انفسكم من النار يا بني هاشم انقذوا
انفسكم من النار يا بني عبد المطلب انقذوا انفسكم من النار يا فاطمة انقذي نفسك من

النار فاني لا املك لكم من الله شيا وخرج الطبراني والخرايطي من حديث ابن عباس مرفوعا
من قال اذا اصبح سبحان الله وبحمده الف مرة فقد اشترى نفسه من الله تعالى وكان من اخر
يومه عتيقا من النار وقد اشترى جماعة من السلف انفسهم من الله باموالهم فمنهم من تصدق بماله
كله كحبيب ابي محمد ومنهم من تصدق بوزنه فضة ثلاث مرات او اربعا كخالد الطحان
ومنهم من كان يجتهد في الاعمال الصالحة ويقول انما انا اسير اسعى في فكاك رقبتي منهم عمرو
بن عتبة وكان بعضهم يسبح كل يوم اثني عشر الف تسبيحة بقدر ديته كانه قد قتل نفسه فهو
يفتكها بديتها قال الحسن المومن في الدنيا كالاسير يسعى في فكاك رقبته لا يامن شيا حتى يلقى
الله عز وجل وقال ابن ادم انك تغدو وتروح في طلب الارباح فليكن همك نفسك فانك لن تربح مثلها
ابدا قال ابو بكر بن عياش قال لي رجل مرة وانا شاب خلص رقبتك ما استطعت في الدنيا من رق
الاخرة فان اسير الاخرة غير مفكوك ابدا قال فوالله ما نسيتها بعد وكان بعض السلف يبكي
ويقول ليس لي نفسان انما لي نفس واحدة اذا ذهبت لم اجد اخرى وقال محمد بن الحنفية ان
الله عز وجل جعل الجنة ثمنا لانفسكم فلا تبيعوها بغيرها وقال من كرمت نفسه عليه لم يكن للدنيا
عنده قدر وقيل له من اعظم الناس قدرا قال من لم ير الدنيا كلها لنفسه خطرا وانشد بعض المتقدمين

اثامن بالنفس النفيسة ربها وليس لها في الخلق كلهم ثمن
بها تملك الاخرى فان انا بعتها بشي من الدنيا فذاك هو الغبن
لان ذهبت نفسي بدنيا اصيبها لقد ذهبت نفسي وقد ذهب الثمن

الحديث الرابع والعشرون عن ابي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم فيما يروي عن ربه عز وجل انه قال يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم
محرما فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني اهدكم يا عبادي كلكم
جايع الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني اكسكم
يا عبادي انكم تخطيون بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب جميعا فاستغفروني اغفر لكم يا عبادي
انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم

كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم
كانوا على افجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم
وجنكم قاموا في صعيد واحد فسالوني فاعطيت كل انسان مسالته ما نقص ذلك مما عندي
الا كما ينقص المخيط اذا ادخل البحر يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا
فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه رواه مسلم **هذا الحديث**
خرجه مسلم من رواية سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن ابي ادريس الخولاني عن ابي ذر
وفي اخره قال سعيد بن عبد العزيز كان ابو ادريس الخولاني اذا حدث بهذا الحديث جثى على
ركبتيه وخرجه مسلم ايضا من رواية قتادة عن ابي قلابة عن ابي اسما الرحبي عن ابي ذر عن النبي صلى
الله عليه وسلم ولم يسق لفظه ولكنه قال وساق الحديث بنحو سياق ابي ادريس وحديث ابي
ادريس اتم وخرجه الامام احمد والترمذي وابن ماجه من رواية شهر بن حوشب عن عبد الرحمن
بن غنم عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يا عبادي كلكم ضال الا من
هديت فسلوني الهدى اهدكم وكلكم فقير الا من اغنيت فسلوني ارزقكم وكلكم مذنب الا من عافيت
فمن علم منكم اني ذو قدرة على المغفرة واستغفرني غفرت له ولا ابالي ولو ان اولكم واخركم وحيكم
وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على اتقى قلب عبد من عبادي ما زاد ذلك في ملكي جناح بعوضة ولو
ان اولكم واخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا في صعيد واحد فسال كل انسان منكم ما
بلغت امنيته فاعطيت كل سايل منكم ما نقص ذلك من ملكي الا كما لو ان احدكم مر بالبحر فغمس فيه
ابرة ثم رفعها اليه ذلك باني جواد واجد ماجد افعل ما اريد عطاي كلام وعذابي كلام انما امري
لشي اذا اردت ان اقول له كن فيكون وهذا لفظ الترمذي وقال حديث حسن وخرجه الطبراني
بمعناه من حديث ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم الا ان اسناده ضعيف وحديث ابي
ذر قال الامام احمد هو اشرف حديث لاهل الشام صح فقوله صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه يا
عبادي اني حرمت الظلم على نفسي يعني انه منع نفسه من الظلم لعباده كما قال عز وجل وما انا
للعبيد وقال وما الله يريد ظلما للعباد وقال وما الله يريد ظلما للعالمين وقال وما ربك بظلام

للعبيد وقال ان الله لا يظلم الناس شيئا وقال ان الله لا يظلم مثقال ذرة وقال ومن يعمل من الصالحات
وهو مومن فلا يخاف ظلما ولا هضما والهضم ان ينقص من جزا حسناته والظلم ان يعاقب بذنوب
غيره ومثل هذا كثير في القران وهو مما يدل على ان الله قادر على الظلم ولكنه لا يفعله فضلا منه
وجودا وكرما واحسانا الى عباده وقد فسر كثير من العلما الظلم بانه وضع الاشيا في غير موضعها
واما من فسره بالتصرف في ملك الغير بغير اذنه وقد نقل نحوه عن اياس بن معوية وغيره فانهم
يقولون ان الظلم مستحيل عليه وغير متصور في حقه لان كل ما يفعله فهو تصرف في ملكه
وبنحو ذلك اجاب ابو الاسود الدؤلي لعمران بن حصين حين ساله عن القدر **وخرج ابو**
داود وابن ماجه من حديث ابي سنان سعيد بن سنان عن وهب بن خلد الحمصي عن ابن الديلمي انه سمع
ابي بن كعب يقول لو ان الله عذب اهل سمواته واهل ارضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم
لكانت رحمته خيرا لهم من اعمالهم وانه اتى ابن مسعود فقال له مثل ذلك ثم اتى زيد ابن ثابت فحدثه
عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل ذلك وفي هذا الحديث نظر ووهب بن خلد ليس بذاك المشهور بالعلم
وقد يحمل على انه لو اراد تعذيبهم لقدر لهم ما يعذبهم عليه فيكون غير ظالم لهم حينيذ وكونه خلق
افعال العباد وفيها الظلم لا يقتضي وصفه بالظلم سبحانه كما انه لا يوصف بساير القبايح التي يفعلها
العباد وهي خلقه وتقديره فانه لا يوصف الا بافعاله لا يوصف بافعال عباده فان افعال عباده
مخلوقاته ومفعولاته وهو لا يوصف بشي منها انما يوصف بما قام به من صفاته وافعاله والله
اعلم وقوله وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يعني انه تعالى حرم الظلم على عباده ونهاهم ان يتظالموا
فيما بينهم فحرام على كل عبد ان يظلم غيره مع ان الظلم في نفسه محرم مطلقا وهو نوعان ظلم
النفس واعظمه الشرك كما قال عز وجل ان الشرك لظلم عظيم فان المشرك جعل المخلوق في منزله
الخالق فعبده وتالهه فوضع الاشيا في غير موضعها واكثر ما ذكر في القران من وعيد الظالمين
انما اريد به المشركون كما قال عز وجل والكافرون هم الظالمون ثم يليه المعاصي على اختلاف
اجناسها من كباير وصغاير والثاني ظلم العبد لغيره وهو المذكور في هذا الحديث وقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع ان دماكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة

يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا وروي عنه انه خطب بذلك في عرفه وفي يوم النحر وفي
اليوم الثاني من ايام التشريق وفي روايه ثم قال اسمعوا مني تعيشوا الا لا تظلموا الا لا تظلموا الا
لا تظلموا انه لا يحل مال امري مسلم الا عن طيب نفس منه وفي الصحيحين عن ابن عمر عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال الظلم ظلمات يوم القيمه وفيهما عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرا وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمه
وفي صحيح البخاري عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كانت عنده مظلمه لاخيه فليتحلله
منها فانه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل ان يوخذ لاخيه من حسناته فان لم يكن له حسنات اخذ
من سيات اخيه فطرحت عليه قوله يا عبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني اهدكم يا
عبادي كلكم جايع الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني اكسكم
يا عبادي انكم تخطيون بالليل والنهار وانا اغفر الذنوب جميعًا فاستغفروني اغفر لكم هذا يقتضي ان
جميع الخلق مفتقرون الى الله عز وجل في جلب مصالحهم ودفع مضارهم في امور دينهم ودنياهم وان
العباد لا يملكون لانفسهم شيا من ذلك كله وان من لم يتفضل الله عليه بالهدى والرزق فانه
يحرمهما في الدنيا ومن لم يتفضل الله عليه بمغفره ذنوبه اوبقته خطاياه في الاخره قال تعالى
من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا ومثل هذا كثير في القران وقال
تعالى ما يفتح الله للناس من رحمه فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وقال ان الله
هو الرزاق ذو القوه المتين وقال فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه وقال وما من دابه في الارض
الا على الله رزقها وقال حكايه عن ادم وزوجه انهما قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين وعن نوح انه قال وان لا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين وقد استدل
ابرهيم الخليل عليه السلام بتفرد الله بهذه الامور على انه لا اله غيره وان كل ما اشرك معه فباطل
فقال لقومه افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباوكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين الذي
خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين
والذي اطمع ان يغفر لي خطيتي يوم الدين فان من تفرد بخلق العبد وبهدايته وبرزقه واحيايه

واعانته في الدنيا وبمغفره ذنوبه في الاخره مستحق ان يفرد بالالهيه والعباده والسوال
والتضرع اليه والاستكانه له قال الله عز وجل الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركايكم
من يفعل من ذلكم من شي سبحانه وتعالى عما يشركون وفي الحديث دليل على ان الله يحب ان يساله
العباد جميع مصالح دينهم ودنياهم من الطعام والشراب والكسوه وغير ذلك كما يسالونه الهدايه
والمغفره وفي الحديث ليسال احدكم حاجته كلها حتى يساله شسع نعله اذا انقطع وكان بعض
السلف يسال الله في صلاته كل حوايجه حتى ملح عجينه وعلف شاته وفي الاسرايليات ان
موسى عليه السلام قال يا رب انه لتعرض لي الحاجه من الدنيا فاستحيي ان اسالك قال سلني
حتى ملح عجينك وعلف حمارك فان كل ما يحتاج العبد اليه اذا ساله فقد اظهر حاجته فيه
وافتقاره الى الله وذلك يحبه الله وكان بعض السلف يستحيي من الله ان يساله شيا من مصالح
الدنيا والاقتدا بالسنه اولى وقوله كلكم ضال الا من هديته قد ظن بعضهم انه معارض
حديث عياض بن حمار عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل خلقت عبادي حنفا وفي روايه
مسلمين فاجتالتهم الشياطين وليس كذلك فان الله خلق بني ادم وفطرهم على قبول الاسلام والميل
اليه دون غيره والتهيو لذلك والاستعداد له بالقوه لكن لا بد للعبد من تعليم الاسلام بالفعل
فانه قبل التعليم جاهل لا يعلم شيًا كما قال عز وجل والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيًا وقال
الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ووجدك ضالًا فهدى والمراد وجدك غير عالم بما علمك من الكتاب والحكمه
كما قال وكذلك اوحينا اليك روحًا من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فالانسان يولد
مفطورًا على قبول الحق فان هداه الله سبب له من يعلمه الهدى فصار مهتديًا بالفعل بعد ان
كان مهتديًا بالقوه وان خذله الله قيض له من يعلمه ما يغير فطرته كما قال صلى الله عليه وسلم كل
مولود يولد على الفطره فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه واما سوال المومن من الله
الهدايه فان الهدايه نوعان هدايه مجمله وهي الهدايه للاسلام والايمان وهي حاصله للمومنين
وهدايه مفصله وهي هدايته الى معرفه تفاصيل اجزا الايمان والاسلام واعانته على فعل
ذلك وهذا يحتاج اليه كل مومن ليلًا ونهارًا ولهذا امر الله عباده ان يقروا في كل ركعه من

ملازمتهم قوله اهدنا الصراط المستقيم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعايه بالليل اهدني لما اختلف
فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشا الى صراط مستقيم ولهذا يشمت العاطس فيقال له يهديكم
الله كما جات السنه بذلك وان انكره من انكره من فقها العراق ظنا منهم ان المسلم لا يحتاج ان يدعى له
بالهدى وخالفهم جمهور العلما اتباعا للسنه في ذلك وقد امر النبي صلى الله عليه وسلم عليا ان يسال الله
السداد والهدى وعلم الحسن ان يقول في قنوت الوتر اللهم اهدني فيمن هديت واما الاستغفار من
الذنوب فهو طلب المغفره والعبد احوج شي اليه لانه يخطي بالليل والنهار وقد تكرر في القران ذكر
التوبه والاستغفار والامر بهما والحث عليهما وخرج الترمذي وابن ماجه من حديث انس عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال كل بني ادم خطا وخير الخطايين التوابون وخرج البخاري من حديث ابي هريره
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال والله اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مره وخرجه
النساي وابن ماجه ولفظهما اني لاستغفر الله واتوب اليه كل يوم ميه مره وخرج مسلم من حديث
الاغر المزني سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول يايها الناس توبوا الى ربكم واستغفروه فاني اتوب الى الله
واستغفره كل يوم ميه مره وخرج الامام احمد من حديث حذيفه قال كان في لساني ذرب
على اهلي لم اعده الى غيره فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال اين انت من الاستغفار يا حذيفه
اني لاستغفر الله كل يوم ميه مره ومن حديث ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اني لاستغفر
الله كل يوم ميه مره واتوب اليه وخرج النساي من حديث ابي موسى قال كنا جلوسا فجا النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ما اصبحت غداه قط الا استغفرت الله ميه مره وخرج الامام احمد وابو
داود والترمذي والنساي وابن ماجه من حديث ابن عمر قال ان كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه
وسلم في المجلس الواحد ميه مره يقول رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم
وخرج النساي من حديث ابي هريره قال ما رايت احدا اكثر ان يقول استغفر الله واتوب اليه من
رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج الامام احمد من حديث عايشه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
كان يقول اللهم اجعلني من الذين اذا احسنوا استبشروا واذا اساوا استغفروا وسنذكر بقيه
الكلام في الاستغفار فيما بعد ان شا الله تعالى وقوله يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني

يرحمكم الله فيقول

فاني اتوب في اليوم ميه مره وخرجه النساي ولفظه يا ايها الناس توبوا

بلغ

ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يعني ان العباد لا يقدرون على ان يوصلوا الى الله نفعا ولا ضرا فان الله
تعالى في نفسه غني حميد لا حاجه له بطاعات العباد ولا يعود نفعها اليه وانما هم ينتفعون بها
ولا يتضرر بمعاصيهم وانما هم يتضررون بها قال الله تعالى ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر
انهم لن يضروا الله شيا وقال ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيا وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يقول في خطبته ومن يعص الله ورسوله فقد غوى ولا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيا قال
الله عز وجل وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا وقال حاكيا عن
موسى وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد وقال ومن كفر فان الله غني عن
العالمين وقال لن ينال الله لحومها ولا دماوها ولكن يناله التقوى منكم والمعنى انه تعالى يحب من عباده
ان يتقوه ويطيعوه كما انه يكره منهم ان يعصوه ولهذا يفرح بتوبه التايبين اليه اشد من فرح
من ضلت راحلته التي عليها طعامه وشرابه بفلاه من الارض وطلبها حتى اعيى وايس منها واستسلم
للموت وايس من الحياه ثم غلبته عينه فنام فاستيقظ وهي قايمه عنده وهذا اعلا ما يتصوره
المخلوق من الفرح هذا كله مع غناه عن طاعات عباده وتوباتهم وانه انما يعود نفعها اليهم
دونه ولكن هذا من كمال جوده واحسانه الى عباده ومحبته لنفعهم ودفع الضر عنهم فهو
يحب من عباده ان يعرفوه ويحبوه ويخافوه ويتقوه ويطيعوه ويتقربوا اليه ويحب ان يعلموا
انه لا يغفر الذنوب غيره وانه قادر على مغفره ذنوب عباده كما في روايه عبد الرحمن بن غنم عن ابي
ذر لهذا الحديث من علم منكم اني ذو قدره على المغفره ثم استغفرني غفرت له ولا ابالي وفي الصحيح عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان عبدا اذنب ذنبا فقال رب عملت ذنبا فاغفر لي فقال الله علم عبدي ان
له ربا يغفر الذنب وياخذ بالذنب قد غفرت لعبدي وفي حديث علي بن ابي طالب عن النبي صلى
الله عليه وسلم لما ركب دابته حمد الله ثلاثا وكبر ثلاثا وقال سبحانك اني ظلمت نفسي فاغفر لي فانه
لا يغفر الذنوب الا انت ثم ضحك وقال ان ربك ليعجب من عبده اذا قال رب اغفر لي ذنوبي
يعلم انه لا يغفر الذنوب غيري خرجه الترمذي وصححه وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
والله لله ارحم بعباده من الوالده بولدها كان بعض اصحاب ذي النون يطوف وينادي ايه ابن

الامام احمد

قلبي من وجد قلبي فدخل يومًا بعض السكك فوجد صبيا يبكي وامه تضربه ثم اخرجته من الدار
واغلقت الباب دونه فجعل الصبي يلتفت يمينًا وشمالا لا يدري اين يذهب ولا اين يقصد
فرجع الى باب الدار فجعل يبكي ويقول يا اماه من يفتح لي الباب اذا اغلقت عني بابك ومن يدنيني من
نفسه اذا طردتني ومن الذي يدنيني بعد ان غضبت علي فرحمته امه فقامت فنظرت من خلل
الباب فوجدت ولدها تجري الدموع على خديه متمعكا في التراب ففتحت الباب واخذته
حتى وضعته في حجرها وجعلت تقبله وتقول يا قرة عيني ويا عزيز نفسي انت الذي حملتني على
نفسك وانت الذي تعرضت لما حل بك لو كنت اطعتني لم تلق مني مكروها فتواجد الفتى ثم قام
فصاح وقال قد وجدت قلبي قد وجدت قلبي وتفكروا في قوله والذين اذا فعلوا فاحشة او
ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله فان فيه اشارة الى
ان المذنبين ليس لهم من يلجاون اليه ويعولون عليه في مغفرة ذنوبهم غيره وكذلك قوله في حق
الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا
ملجا من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم فرتب توبته عليهم على ظنهم
ان لا ملجا من الله الا اليه فان العبد اذا خاف من مخلوق هرب منه وفر الى غيره واما من خاف
من الله فما له ملجا يلجا اليه ولا مهرب يهرب اليه الا هو فيهرب منه اليه كما كان النبي صلى الله عليه
وسلم يقول في دعائه لا ملجا ولا منجا منك الا اليك وكان يقول اعوذ برضاك من سخطك وبعفوك
من عقوبتك وبك منك قال الفضيل بن عياض رحمه الله ما من ليلة اختلط ظلامها وارخى الليل سربال
سترها الا نادى الجليل جل جلاله من اعظم مني جودا والخلائق لي عاصون وانا لهم مراقب اكلاهم
في مضاجعهم كانهم لم يعصوني واتولى حفظهم كانهم لم يذنبوا فيما بيني وبينهم اجود بالفضل على
العاصي واتفضل على المسيء من ذا الذي دعاني فلم البه من ذا الذي سالني فلم اعطه ام من ذا الذي
اناخ ببابي فنحيته انا الفضل ومني الفضل انا الجواد ومني الجود انا الكريم ومني الكرم ومن كرمي ان
اغفر للعاصين بعد المعاصي ومن كرمي ان اعطي العبد ما سالني واعطيه ما لم يسالني ومن كرمي ان
اعطي التائب كانه لم يعصني فاين عني يهرب الخلائق واين عن بابي يتنحى العاصون خرجه ابو نعيم ولبعضهم

اسات ولم احسن وجئتك تائبا ... واني لعبد عن مواليه مهرب
يؤمل غفرانا فان خاب ظنه ... فما احد منه على الارض اخيب

فقوله بعد هذا يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد
منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا ولو كانوا على افجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا هو اشارة
الى ان ملكه لا يزيد بطاعة الخلق ولو كانوا كلهم بررة اتقياء قلوبهم على قلب اتقى رجل منهم
ولا ينقص ملكه بمعصية العاصين ولو كان الجن والانس كلهم عصاة فجرة قلوبهم على قلب افجر
رجل منهم فانه سبحانه الغني بذاته عمن سواه وله الكمال المطلق في ذاته وصفاته وافعاله فملكه
ملك كامل لا نقص فيه بوجه من الوجوه على اي وجه كان ومن الناس من قال ان ايجاده لخلقه
على هذا الوجه الموجود اكمل من ايجاده على غيره وهو خير من وجوده على غيره وما فيه من
الشر فهو شر اضافي نسبي بالنسبة الى بعض الاشياء دون بعض ليس شرا مطلقا بحيث يكون
عدمه خيرا من وجوده من كل وجه بل وجوده خير من عدمه قال وهذا معنى قوله بيده
الخير ومعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم والشر ليس اليك يعني ان الشر المحض الذي عدمه خير من
وجوده ليس موجودا في ملكك فان الله تعالى اوجد خلقه على ما تقتضيه حكمته وعدله وخص
قوما من خلقه بالفضل وترك اخرين منهم في العدل لما له في ذلك من الحكمة البالغة وهذا فيه
نظر وهو يخالف ما في هذا الحديث من ان جميع الخلق لو كانوا على صفة اكمل خلقه من البر والتقوى
لم يزد ذلك ملكه شيئا ولا قدر جناح بعوضة ولو كانوا على صفة انقص خلقه من الفجور لم ينقص
ذلك من ملكه شيئا فدل على ان ملكه كامل على اي وجه كان لا يزداد ولا يكمل بالطاعات ولا
ينقص بالمعاصي ولا يؤثر فيه شيئا وفي هذا الكلام دليل على ان الاصل في التقوى والفجور هو القلب
فاذا بر القلب واتقى برت الجوارح واذا فجر القلب فجرت الجوارح كما قال النبي صلى الله عليه وسلم التقوى
ها هنا واشار الى صدره قوله يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد
واحد فسالوني فاعطيت كل انسان مسالته ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص المخيط اذا
ادخل البحر المراد بهذا ذكر كمال قدرته سبحانه وكمال ملكه وان ملكه وخزائنه لا تنفد

ولا ينقص بالعطا ولو اعطى الاولين والاخرين من الجن والانس جميع ما سالوه في مقام واحد وفي ذلك
حث للخلق على سواله وانزال حوايجهم به وفي الصحيحين عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال يد الله ملا لا يغيضها نفقه سحا الليل والنهار افرايتم ما انفق منذ خلق السموات والارض
فانه لم يغض ما في يمينه وفي صحيح مسلم عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا احدكم فلا يقل
اللهم ان شيت ولكن ليعزم وليعظم الرغبه فان الله لا يتعاظمه شي وقال ابو سعيد الخدري اذا
دعوتم الله فارفعوا في المسله فان ما عند الله لا ينفده شي واذا دعوتم فاعزموا فان الله لا مستكره
له وفي بعض الاثار الاسرايليه يقول الله عز وجل ايومل غيري للشدايد والشدايد بيدي
وانا الحي القيوم ويرجا غيري ويطرق بابه بالبكرات وبيدي مفاتيح الخزاين وبابي مفتوح لمن دعاني
من ذا الذي املني لنايبه فقطعت به او من ذا الذي رجاني لعظيم فقطعت رجاه او من
ذا الذي طرق بابي فلم افتحه له انا غايه الامال فكيف تنقطع الامال دوني البخيل انا فيبخلني
عبيدي اليس الدنيا والاخره والكرم والفضل كله لي فما يمنع الموملين ان يوملوني لو جمعت اهل
السموات والارض ثم اعطيت كل واحد منهم ما اعطيت الجميع وبلغت كل واحد منهم امله لم
ينقص ذلك من ملكي عضو ذره كيف ينقص ملك انا قيمه بوسا للقانطين من رحمتي ويا بوسا لمن
عصاني وتوثب على محارمي وقوله لم ينقص ذلك مما عندي الا كما ينقص المخيط اذا ادخل
في البحر تحقيق لانه لا ينقص البته كما قال تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق فان البحر اذا غمس فيه
ابره ثم اخرجت لم ينقص بذلك شي وكذلك لو فرض انه شرب منه عصفور مثلا فانه لا ينقص
البحر البته ولهذا ضرب الخضر لموسى هذا المثل في نسبه علمهما الى علم الله عز وجل وهذا لان
البحر لا يزال تمده مياه الدنيا وانهارها الجاريه فمهما اخذ منه لم ينقصه شي لانه يمده
ما هو ازيد مما اخذ منه وهكذا طعام الجنه وما فيها فانه لا ينفد كما قال تعالى وفاكهه
كثيره لا مقطوعه ولا ممنوعه وقد جا انه كلما نزعت ثمره عاد مكانها مثلها وروي مثلاها
فهي لا تنقص ابدا ويشهد لذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبه الكسوف ورايت الجنه فتناولت
منها عنقودا ولو اخذته لاكلتم منه ما بقيت الدنيا خرجاه في الصحيحين من حديث ابن عباس

وخرجه الامام احمد من حديث جابر ولفظه ولو اتيتكم به لاكل منه من بين السما والارض لا ينقصونه
شيا وهكذا لحم الطير الذي ياكله اهل الجنه يستخلف ويعود كما كان حيا لا ينقص منه شي
وقد روي هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه فيها ضعف وقاله كعب وروي ايضا
عن ابي امامه الباهلي من قوله قال ابو امامه وكذلك الشراب يشرب حتى ينتهي نفسه ثم
يعود مكانه وروي بعض العلما الصالحين بعد موته بمده في المنام فقال ما كلت منذ
فارقتكم الا بعض فرخ اما علمتم ان طعام الجنه لا ينفد وقد بين في الحديث الذي خرجه الترمذي
وابن ماجه السبب الذي لاجله لا ينقص ما عند الله بالعطا بقوله ذلك باني جواد واجد ماجد
افعل ما اريد عطايي كلام وعذابي كلام انما امري لشي اذا اردت ان اقول له كن فيكون وهذا مثل
قوله عز وجل انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون وقوله انما قولنا لشي اذا اردناه ان نقول
له كن فيكون وفي مسند البزار باسناد فيه نظر من حديث ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال خزاين الله الكلام فاذا اراد شيا قال له كن فكان فهو سبحانه اذا اراد شيا من عطا او عذاب
او غير ذلك قال له كن فكان فكيف يتصور ان ينقص هذا وكذلك اذا اراد ان يخلق شيا قال له
كن فيكون كما قال ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وفي بعض
الاثار الاسرايليه اوحى الله الى موسى عليه السلام يا موسى لا تخافن غيري ما دام لي السلطان
وسلطاني دايم لا ينقطع يا موسى لا تهتمن برزقي ابدا ما دامت خزايني مملوه وخزايني مملوه
لا تفنى ابدا يا موسى لا تانس بغيري ما وجدتني انيسا لك ومتى طلبتني وجدتني يا موسى لا تامن مكري
ما لم تجز الصراط الى الجنه وقال بعضهم

لا تخضعن لمخلوق على طمع ... فان ذاك مضر منك بالدين
واسترزق الله مما في خزاينه ... فانما هي بين الكاف والنون

قوله يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها يعني انه سبحانه يحصي اعمال عباده ثم
يوفيهم اياها بالجزا عليها وهذا كقوله فمن يعمل مثقال ذره خيرا يره ومن يعمل مثقال ذره
شرا يره وقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا وقوله يوم تجد كل نفس ما عملت

من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا وقوله يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم
بما عملوا احصاه الله ونسوه وقوله ثم اوفيتم اياها الظاهر ان المراد توفيتها يوم القيمة كما قال وانما
توفون اجوركم يوم القيمة ويحتمل ان المراد انه يوفي عباده جزا اعمالهم في الدنيا والاخره كما في
قوله من يعمل سوا يجز به وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه فسر ذلك بان المومنين يجازون
بسياتهم في الدنيا وتدخر لهم حسناتهم في الاخره فيوفون اجورها واما الكافر فانه يعجل له في الدنيا ثواب
حسناته وتدخر له سياته فيعاقب بها في الاخره وتوفيه الاعمال هي توفيه جزايها من خير او شر
فالشر يجازي به مثله من غير زياده الا ان يعفو الله عنه والخير يضاعف الحسنه منه بعشر امثالها
الى سبعمية ضعف الى اضعاف كثيره لا يعلم قدرها الا الله كما قال عز وجل انما يوفي الصابرون
اجرهم بغير حساب وقوله فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه
اشاره الى ان الخير كله من الله فضل منه على عبده من غير استحقاق له والشر كله من عند ابن ادم
من اتباع هوى نفسه كما قال عز وجل ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيه فمن نفسك
وقال علي رضي الله عنه لا يرجون عبد الا ربه ولا يخافن الا ذنبه فالله سبحانه اذا اراد توفيق عبد
وهدايته اعانه ووفقه لطاعته فكان ذلك فضلا منه واذا اراد خذلان عبد وكله الى نفسه
وخلى بينه وبينها فاغواه الشيطان لغفلته عن ذكر الله واتبع هواه وكان امره فرطا وكان ذلك
عدلا منه فان الحجه قايمه على العبد بانزال الكتاب وارسال الرسول فما بقي لاحد من الناس
على الله حجه بعد الرسل فقوله بعد هذا فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن
الا نفسه ان كان المراد من وجد ذلك في الدنيا فانه يكون حينيذ مامورا بالحمد لله على ما وجده بلغ
من جزا الاعمال الصالحه الذي عجل له في الدنيا كما قال من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن
فلنحيينه حياه طيبه ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون ويكون مامورا باللوم لنفسه
على ما فعلته من الذنوب التي وجد عاقبتها في الدنيا كما قال تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى
دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون فالمومن اذا اصابه في الدنيا بلا رجع على نفسه باللوم ودعاه ذلك الى
الرجوع الى الله بالتوبه والاستغفار وفي المسند وسنن ابي داود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان

المومن اذا اصابه سقم ثم عافاه الله منه كان كفاره لما مضى من ذنوبه وموعظه له فيما يستقبل
من عمره وان المنافق اذا مرض وعوفي كان كالبعير عقله اهله واطلقوه لا يدري لم عقلوه ولا
لم اطلقوه وقال سلمان الفارسي ان المسلم ليبتلى فيكون كفاره لما مضى ومستعتبا فيما بقي وان
الكافر يبتلى فمثله كمثل البعير اطلق فلم يدر لم اطلق وعقل فلا يدري لما عقل وان كان المراد من
وجد خيرا او غيره في الاخره كان اخبارا منه بان الذين يجدون الخير في الاخره يحمدون الله على
ذلك وان من وجد غير ذلك يلوم نفسه حين لا ينفعه اللوم فيكون الكلام لفظه لفظ الامر ومعناه
الخبر كقوله صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار والمعنى ان الكاذب
عليه يتبوا مقعده من النار وقد اخبر الله عن اهل الجنه انهم يحمدون الله على ما رزقهم من فضله فقال
ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي
لولا ان هدانا الله وقال وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوا من الجنه حيث نشا
وقال وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذي احلنا دار المقامه من
فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب واخبر عن اهل النار انهم يلومون انفسهم
ويمقتونها اشد المقت فقال تعالى وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق
ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم
وقال تعالى ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون
وقد كان السلف الصالح يجتهدون في الاعمال الصالحه حذرا من لوم النفس عند انقطاع الاعمال
على التقصير وفي الترمذي عن ابي هريره مرفوعا ما من ميت يموت الا ندم ان كان محسنا ندم ان لا
يكون ازداد وان كان مسيا ندم ان لا يكون استعتب وقيل لمسرور لو قصرت عن بعض ما
تصنع من الاجتهاد فقال والله لو اتاني ات فاخبرني ان لا يعذبني لاجتهدت في العباده
قيل كيف ذاك قال حتى تعذرني نفسي ان دخلت النار ان لا الومها اما بلغك في قول الله تعالى
ولا اقسم بالنفس اللوامه انما لاموا انفسهم حين صاروا الى جهنم فاعتنقتهم الزبانيه وحيل بينهم
وبين ما يشتهون وانقطعت عنهم الاماني ورفعت عنهم الرحمه واقبل كل امرء منهم يلوم نفسه

وكان عامر بن عبد قيس يقول والله لاجتهدن ثم والله لاجتهدن فان نجوت فبرحمة الله
والا لم الم نفسي وكان زياد مولى ابن عياش يقول لابن المنكدر ولصفوان بن سليم الجد الجد والحذر
الحذر فان يكن الامر على ما نرجوا كان ما عملتما فضلا والا لم تلوما انفسكما وكان مطرف بن عبد
الله يقول اجتهدوا في العمل فان يكن الامر كما نرجوا من رحمة الله وعفوه كانت لنا درجات
في الجنة وان يكن الامر شديدا كما نخاف ونحاذر لم نقل ربنا ارجعنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل
نقول قد عملنا فلم ينفعنا ذلك

الحديث الخامس والعشرون

عن ابي ذر رضي الله عنه ان ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
يا رسول الله ذهب اهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون
بفضول اموالهم قال اوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون ان بكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة
وكل تهليلة صدقة وامر بالمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة وفي بضع احدكم صدقة قالوا
يا رسول الله اياتي احدنا شهوته ويكون له فيها اجر قال ارايتم لو وضعها في الحرام اكان عليه
وزر فكذلك اذا وضعها في الحلال كان له اجر رواه مسلم **هذا الحديث** خرجه مسلم
من رواية يحيى بن يعمر عن ابي الاسود الديلي عن ابي ذر رضي الله عنه وقد روي معناه عن ابي ذر
من وجوه كثيرة بزيادة ونقصان وسنذكر بعضها فيما بعد ان شاء الله تعالى وفي هذا الحديث
دليل على ان الصحابة رضي الله عنهم لشدة حرصهم على الاعمال الصالحة وقوة رغبتهم في الخير كانوا
يحزنون على ما يتعذر عليهم فعله من الخير مما يقدر عليه غيرهم فكان الفقراء يحزنون على فوات
الصدقة بالاموال التي يقدر عليها الاغنياء ويحزنون على التخلف عن الخروج في الجهاد لعدم القدرة
على الته وقد اخبر الله عنهم بذلك في كتابه فقال ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد
ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون وفي هذا الحديث
ان الفقراء غبطوا اهل الدثور والدثور هي الاموال بما يحصل لهم من اجر الصدقة باموالهم فدلهم
النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات يقدرون عليها وفي الصحيحين عن ابي صالح عن ابي هريرة
ان فقراء المهاجرين اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ذهب اهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم

المقيم فقال وما ذاك قالوا يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق
ويعتقون ولا نعتق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افلا اعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم
وتسبقون به من بعدكم ولا يكون احد افضل منكم الا من صنع مثل ما صنعتم قالوا بلى يا رسول الله قال
تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة قال ابو صالح فرجع فقراء المهاجرين الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سمع اخواننا اهل الاموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وقد روي نحو هذا الحديث من رواية جماعة
من الصحابة منهم علي وابو ذر وابو الدرداء وابن عمر وابن عباس وغيرهم ومعنى هذا ان الفقراء ظنوا ان
لا صدقة الا بالمال وهم عاجزون عن ذلك فاخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان جميع انواع فعل المعروف
والاحسان صدقة **وفي صحيح مسلم** عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل معروف صدقة
وخرجه البخاري من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم فالصدقة تطلق على جميع انواع فعل المعروف
والاحسان حتى ان فضل الله الواصل منه الى عباده صدقة منه عليهم وقد كان بعض السلف ينكر
ذلك ويقول انما الصدقة ممن يطلب جزاها واجرها والصحيح خلاف ذلك وقد قال النبي
صلى الله عليه وسلم في قصر الصلاة في السفر صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وخرجه مسلم
وقال من كانت له صلاة بليل فغلب عليه نوم فنام عنها كتب الله له اجر صلاته وكان نومه صدقة
من الله تصدق بها عليه **وفي مسند بقي بن مخلد** والبزار من حديث ابي ذر مرفوعا ما
من يوم ولا ليلة ولا ساعة الا لله فيها صدقة يمن بها على من يشاء من عباده وما من الله على عبد
مثل ان يلهمه ذكره وقال خالد بن معدان ان الله يتصدق كل يوم بصدقة وما تصدق الله على
احد من خلقه بشي خير من ان يتصدق عليه بذكره والصدقة بغير المال نوعان احدهما ما فيه تعدية
الاحسان الى الخلق فيكون صدقة عليهم وربما كان افضل من الصدقة بالمال وهذا كالامر بالمعروف
والنهي عن المنكر فانه دعا الى طاعة الله وكف عن معاصيه وذلك خير من النفع بالمال وكذلك
تعلم العلم النافع واقراء القران وازالة الاذى عن الطريق والسعي في جلب النفع للناس ودفع الاذى
عنهم وكذلك الدعاء للمسلمين والاستغفار لهم **وخرج ابن مردويه** باسناد فيه ضعف عن

بن عمر مرفوعًا من كان له مال فليتصدق من ماله ومن كان له قوه فليتصدق من قوته
ومن كان له علم فليتصدق من علمه ولعله موقوف **وخرج الطبراني** باسناد فيه ضعف
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال افضل الصدقه اللسان قيل يا رسول الله وما صدقه اللسان قال
الشفاعه يفك بها الاسير وتحقن بها الدم وتجر بها المعروف والاحسان الى اخيك وتدفع عنه الكريهه
وقال عمرو بن دينار بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من صدقه احب الى الله من قول الم
تسمع قوله تعالى قول معروف ومغفره خير من صدقه يتبعها اذى خرجه ابن ابي حاتم **وفي مراسيل
الحسن** عن النبي صلى الله عليه وسلم ان من الصدقه ان تسلم على الناس وانت طليق الوجه خرجه ابن
ابي الدنيا وقال معاذ تعليم العلم لمن لا يعلمه صدقه وروي مرفوعًا ومن انواع الصدقه كف الاذى
عن الناس **ففي الصحيحين** عن ابي ذر قال قلت يا رسول الله اي الاعمال افضل قال الايمان
بالله والجهاد في سبيله قلت فاي الرقاب افضل قال انفسها عند اهلها واكثرها ثمنًا قلت فان لم افعل
قال تعين صانعًا وتصنع لاخرق قلت يا رسول الله ارايت ان ضعفت عن العمل قال تكف شرك
عن الناس فانها صدقه وقد روي في حديث ابي ذر زيادات اخر **فخرج الترمذي** من حديث
ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تبسمك في وجه اخيك لك صدقه وامرك بالمعروف ونهيك
عن المنكر صدقه وارشادك الرجل في ارض الضلال لك صدقه واماطتك الحجر والشوك والعظم
عن الطريق لك صدقه وافراغك من دلوك في دلو اخيك لك صدقه **وخرج ابن حبان في صحيحه**
من حديث ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس من نفس ابن ادم الا عليها صدقه في كل يوم
طلعت فيه الشمس قيل يا رسول الله ومن اين لنا صدقه نتصدق بها قال ان ابواب الخير لكثيره
التسبيح والتكبير والتحميد والتهليل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتميط الاذى عن الطريق
وتسمع الاصم وتهدي الاعمى وتدل المستدل على حاجته وتسعى بشده ساقيك مع اللهفان المستغيث
وتحمل بشده ذراعيك مع الضعيف فهذا كله صدقه منك على نفسك **وخرج الامام احمد**
من حديث ابي ذر قال قلت يا رسول الله ذهب الاغنيا بالاجر يتصدقون ولا نتصدق قال وانت
فيك صدقه رفعك العظم عن الطريق صدقه وهدايتك الطريق صدقه وعونك الضعيف بفضل قوتك

صدقه وبيانك عن الاغتم صدقه ومباضعتك امراتك صدقه قلت يا رسول الله ناتي شهوتنا ونوجر
قال ارايت لو جعلته في حرام اكان ياثم قال قلت نعم قال افتحتسبون بالشر ولا تحتسبون بالخير
وفي روايه اخرى له فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان فيك صدقه كثيره فذكر فضل سمعك وفضل
بصرك وفي روايه اخرى للامام احمد قال ان من ابواب الصدقه التكبير وسبحان الله والحمد لله ولا
اله الا الله واستغفر الله وتامر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتعزل الشوكه عن طريق الناس والعظم
والحجر وتهدي الاعمى وتسمع الاصم والابكم حتى يفقه وتدل المستدل على حاجه له قد علمت مكانها
وتسعى بشده ساقيك الى اللهفان المستغيث وترفع بشده ذراعيك مع الضعيف كل ذلك من
ابواب الصدقه منك على نفسك ولك في جماعك زوجتك اجر قلت كيف يكون لي اجر في شهوتي فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ارايت لو كان لك ولد فادرك ورجوت خيره فمات اكنت تحتسب به
قلت نعم قال فانت خلقته قلت بل الله خلقه قال فانت هديته قلت بل الله هداه قال فانت
كنت ترزقه قلت بل الله كان يرزقه قال كذلك فضعه في حلاله وجنبه حرامه فان شا الله
احياه وان شا اماته ولك اجر وظاهر هذا السياق يقتضي انه يوجر على جماعه لاهله بنيه طلب الولد
الذي يترتب الاجر على تربيته وتاديبه في حياته ويحتسبه عند موته واما اذا لم ينو شيا بقضا
شهوته فهذا قد تنازع الناس في دخوله في هذا الحديث وقد صح الحديث بان نفقه الرجل على اهله
صدقه **ففي الصحيحين** عن ابي مسعود الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نفقه الرجل
على اهله صدقه وفي روايه لمسلم وهو يحتسبها فدل على انه انما يوجر فيها اذا احتسبها عند الله
كما في حديث سعد بن ابي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انك لن تنفق نفقه تبتغي بها وجه الله
الا اجرت عليها حتى اللقمه ترفعها الى في امراتك **وفي صحيح مسلم** عن ثوبان عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال افضل الدنانير دينار ينفقه الرجل على عياله ودينار ينفقه على فرس في سبيل الله
ودينار ينفقه الرجل على اصحابه في سبيل الله قال ابو قلابه عند روايه هذا الحديث بدا بالعيال
واي رجل اعظم اجرا من رجل ينفق على عيال له صغار يعفهم الله به ويغنيهم الله به وفيه ايضًا
عن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان نفقتك على عيالك صدقه وان ما تاكل امراتك من

خرجاه في الصحيحين

مالك صدقة وهذا قد ورد مقيدًا في الرواية الاخرى بابتغاء وجه الله **وفي صحيح مسلم** عن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دينار انفقته في سبيل الله ودينار انفقته في رقبة ودينار
تصدقت به على مسكين ودينار انفقته على اهلك افضلها الدينار الذي انفقته على اهلك **وخرج
الامام احمد وابن حبان** في صحيحه من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تصدقوا فقال رجل عندي دينار قال تصدق به على نفسك قال عندي دينار اخر قال تصدق به على
زوجتك قال عندي دينار اخر قال تصدق به على ولدك قال عندي دينار اخر قال تصدق به
على خادمك قال عندي دينار اخر قال انت ابصر **وخرج الامام احمد** من حديث المقدام بن معدي
كرب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اطعمت نفسك فهو لك صدقة وما اطعمت ولدك فهو لك صدقة
وما اطعمت زوجك فهو لك صدقة وما اطعمت خادمك فهو لك صدقة وفي هذا المعنى احاديث
كثيرة يطول ذكرها **وفي الصحيحين** عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يغرس غرسًا
او يزرع زرعًا فياكل منه انسان او طير او دابة الا كان له صدقة **وفي صحيح مسلم** عن جابر عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يغرس غرسًا او يزرع زرعًا الا كان ما اكل منه له صدقة وما سرق
منه له صدقة وما اكل السبع منه فهو له صدقة وما اكلت الطير فهو له صدقة ولا يرزؤه احد الا
كان له صدقة وفي رواية له ايضًا فياكل منه انسان ولا دابة ولا طاير الا كان له صدقة الى يوم القيمة
وفي المسند باسناد ضعيف عن معاذ بن انس الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من بنى
بنيانًا في غير ظلم ولا اعتدا او غرس غراسًا في غير ظلم ولا اعتدا كان له اجر جاريًا ما انتفع به
احد من خلق الرحمن وذكر البخاري في تاريخه من حديث جابر مرفوعًا من حفر ماء لم تشرب
منه كبد حرا من جن ولا انس ولا سبع ولا طاير الا اجره الله يوم القيمة وظاهر هذه الاحاديث
كلها تدل على ان هذه الاشيا تكون صدقة يثاب عليها الزارع والغارس ونحوهما من غير قصد
ولا نية وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم ارايت لو وضعها في الحرام اكان عليه وزر فكذلك اذا
وضعها في الحلال كان له اجر يدل بظاهره على انه يوجر في اتيان اهله من غير نية وقد
ذهب الى هذا طايفة من العلما ومال اليه ابو محمد بن قتيبة في الاكل والشرب والجماع واستدل

بقوله صلى الله عليه وسلم ان المومن ليوجر في كل شي حتى في اللقمة يرفعها الى فيه وهذا اللفظ الذي استدل
به غير معروف انما المعروف قول النبي صلى الله عليه وسلم لسعد انك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله
الا اجرت عليها حتى اللقمة ترفعها الى في امراتك وهو مقيد باخلاص النية لله فتحمل الاحاديث
المطلقة عليه والله اعلم ويدل عليه ايضًا قول الله عز وجل لا خير في كثير من نجواهم الا من امر
بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نوتيه
اجرًا عظيمًا فجعل ذلك خيرًا ولم يرتب عليه الاجر الا مع نية الاخلاص واما اذا فعله رياء فيعاقب
عليه وانما محل التردد اذا فعله بغير نية صالحة ولا فاسدة وقد قال ابو سليمن الداراني
من عمل عمل خير من غير نية كفاه نية اختياره للاسلام على غيره من الاديان وظاهر هذا انه
يثاب عليه من غير نية بالكلية لانه بدخوله في الاسلام مختار لاعمال الخير في الجملة فيثاب على
كل عمل يعمله منها بتلك النية والله اعلم وقوله ارايت لو وضعها في الحرام اكان عليه وزر فكذلك
اذا وضعها في الحلال كان له اجر هذا يسمى عند الاصوليين قياس العكس ومنه قول ابن مسعود
قال النبي صلى الله عليه وسلم كلمة وقلت انا اخرى قال من مات يشرك بالله شيا دخل النار وقلت
من مات لا يشرك بالله شيا دخل الجنة والنوع الثاني من الصدقة التي ليست مالية ما نفعه
قاصر على فاعله كانواع الذكر من التكبير والتسبيح والتحميد والتهليل والاستغفار وكذلك
المشي الى المساجد صدقة ولم يذكر في شي من الاحاديث الصلاة والصيام والحج والجهاد انه
صدقة واكثر هذه الاعمال افضل من الصدقات المالية لانه انما ذكر ذلك جوابًا لسوال
الفقرا الذين سالوه عما يقاوم تطوع الاغنيا باموالهم واما الفرايض فقد كانوا كلهم مشتركين
فيها وقد تكاثرت النصوص بتفضيل الذكر على الصدقة بالمال وغيرها من الاعمال
كما في حديث ابي الدردا عن النبي صلى الله عليه وسلم الا انبيكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم
وارفعها في درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والفضة وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا
اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل خرجه الامام احمد
والترمذي وذكره مالك في الموطا موقوفًا على ابي الدردا وفي الصحيحين عن ابي هريرة عن

النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شي قدير في يوم مية مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مية حسنة ومحيت عنه مية سيية وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يات احد بافضل مما جاء به الا احد عمل اكثر من ذلك وفيهما ايضا عن ابي ايوب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قالها عشر مرار كان كمن اعتق اربعة انفس من ولد اسمعيل وخرج الامام احمد والترمذي من حديث ابي سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم سيل اي العباد افضل درجة عند الله يوم القيمة قال الذاكرون الله كثيرا قلت يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله قال لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون لله افضل منه درجة ويروي نحوه من حديث معاذ وجابر مرفوعا والصواب وقفه على معاذ من قوله وخرج الطبراني من حديث ابي الوازع عن ابي بردة عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو ان رجلا في حجره دراهم يقسمها واخر يذكر الله كان الذاكر لله افضل قلت الصحيح عن ابي الوازع عن ابي برزة الاسلمي من قوله خرجه جعفر الفريابي وخرج ايضا من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كبر مية وسبح مية وهلل مية كان خيرا له من عشر رقاب يعتقها ومن سبع بدنات ينحرها وخرج ابن ابي الدنيا باسناده عن ابي الدردا انه قيل له ان رجلا اعتق مية نسمة فقال ان مية نسمة من مال رجل كثير وافضل من ذلك ايمان ملزوم بالليل والنهار وان لا يزال لسان احدكم رطبا من ذكر الله عز وجل وعن ابي الدردا ايضا قال لان اقول الله اكبر مية مرة احب الي من ان اتصدق بمية دينار وكذلك قال سلمان الفارسي وغيره من الصحابة والتابعين ان الذكر افضل من الصدقة بعدده من المال وخرج الامام احمد والنسائي من حديث ام هاني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها سبحي الله مية تسبيحة فانها تعدل مية رقبة من ولد اسمعيل واحمدي الله مية تحميدة فانها تعدل لك مية فرس ملجمة مسرجة تحملين عليهن في سبيل الله وكبري الله مية تكبيرة فانها تعدل لك مية بدنة مقلدة متقبلة وهللي الله مية تهليلة لا احسبه الا قال تملا ما بين السما والارض ولا يرفع يوميذ لاحد مثل عملك الا ان ياتي بمثل ما اتيت وخرج احمد ايضا وابن ماجه وعندهما وقولي لا اله الا الله مية مرة لا تذر ذنبا ولا يسبقها العمل وخرجه الترمذي من حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وخرج الطبراني من حديث بن عباس مرفوعا قال ما صدقة افضل من ذكر الله عز وجل وخرج الفريابي باسناد فيه نظر عن ابي امامة مرفوعا من فاته الليل ان يكابده وبخل بماله ان ينفقه وجبن من العدو ان يقاتله فليكثر من سبحان الله وبحمده فانها احب الى الله من جبل ذهب او فضة ينفقه في سبيل الله عز وجل وخرجه البزار باسناد مقارب من حديث ابن عباس مرفوعا وقال في حديثه فليكثر ذكر الله ولم يزد على ذلك وفي المعنى احاديث اخر متعددة

الحديث السادس والعشرون

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل سُلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الاثنين صدقة ويعين الرجل في دابته فيحمله عليها او يرفع له عليها متاعه صدقة والكلمة الطيبة صدقة وبكل خطوة يمشيها الى الصلاة صدقة ويميط الاذى عن الطريق صدقة رواه البخاري ومسلم **هذا الحديث** خرجاه من رواية همام بن منبه عن ابي هريرة وخرجه البزار من رواية ابي صالح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الانسان

سُلامى

ثلثمية وستون عظما او ستة وثلاثون عليه في كل يوم صدقة قالوا فمن لم يجد قال يامر بالمعروف وينهى عن المنكر قالوا فمن لم يستطع قال يرفع عظما عن الطريق قالوا فمن لم يستطع قال فليعن ضعيفا قالوا فمن لم يستطع ذلك قال فليدع الناس من شره وخرج مسلم من حديث عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خلق ابن ادم على ستين وثلثمية مفصل فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله وسبح الله وعزل حجرا عن طريق المسلمين او عزل شوكة او عزل عظما او امر بمعروف او نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلثمية السلامى امسى من يومه وقد زحزح نفسه عن النار وخرج مسلم ايضا من رواية ابي الاسود الديلي عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يصبح على كل سلامى من احدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة وامر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة ويجزي من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى وخرج الامام احمد وابو داود من حديث بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الانسان ثلثمية وستون مفصلا فعليه

ان يتصدق عن كل مفصل منه بصدقة قالوا ومن يطيق ذلك يا نبي الله قال النخاعة في
المسجد يدفنها والشيء ينحيه عن الطريق فان لم يجد فركعتا الضحى تجزئك وفي الصحيحين عن ابي موسى
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال على كل مسلم صدقة قالوا فان لم يجد قال فيعمل بيده فينفع نفسه
ويتصدق قالوا فان لم يستطع او لم يفعل قال يعين ذا الحاجة الملهوف قالوا فان لم يفعل قال
فليامر بالخير او قال بالمعروف قال فان لم يفعل قال فليمسك عن الشر فانه له صدقة
وخرج ابن حبان في صحيحه من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال على كل منسم من ابن ادم
صدقة كل يوم فقال رجل من القوم ومن يطيق هذا قال امر بالمعروف ونهي عن المنكر صدقة
والحمل على الضعيف صدقة وكل خطوة يخطوها احدكم الى الصلاة صدقة وخرجه البزار وغيره وفي
روايه على كل ميسم من الانسان صدقة كل يوم او صلاة فقال رجل هذا من اشد ما اتيتنا به فقال
امرا بالمعروف ونهيا عن المنكر صلاة او صدقة وحملك على الضعيف صلاة وانحاؤك القذر
عن الطريق صلاة وكل خطوة تخطوها الى الصلاة صلاة وفي رواية البزار واماطة الاذى عن الطريق
صدقة او قال صلاة قال بعضهم يريد بالميسم كل عضو على حدة ماخوذ من الوسم وهو العلامة
اذ ما من عظم ولا عرق ولا عصب الا وعليه اثر صنع الله فيجب على العبد الشكر على ذلك لله والحمد له
على خلقه سويا صحيحا وهذا هو المراد بقوله عليه صلاة كل يوم لان الصلاة تحتوي على الحمد والشكر
والثنا وخرج الطبراني من وجه اخر عن ابن عباس رفع الحديث الى النبي صلى الله عليه وسلم قال على كل
سلامى وعلى كل عضو من بني ادم في كل يوم صدقة ويجزي من ذلك كله ركعتا الضحى ويروى من حديث
ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال على كل نفس في كل يوم صدقة قيل فان كان لا يجد شيئا
قال اليس بصيرا شهما فصيحا صحيحا قال بلى قال يعطي من قليله وكثيره وان بصرك للمنقوص
صدقة وان سمعك للمنقوص سمعه صدقة وقد ذكرنا في شرح الحديث الماضي حديث ابي ذر الذي
خرجه ابن حبان في صحيحه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس من نفس ابن ادم الا عليها صدقة في كل يوم
طلعت فيه الشمس قيل يا رسول الله ومن اين لنا صدقة نتصدق بها قال ان ابواب الخير لكثيرة
التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتميط الاذى عن الطريق

وتسمع الاصم وتهدي الاعمى وتدل المستدل على حاجته وتسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث
وتحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف فهذا كله صدقة منك على نفسك فقوله صلى الله عليه وسلم
على كل سلامى من الناس عليه صدقة قال ابو عبيد السلامى في الاصل عظم يكون في فرسن البعير
قال فكان معنى الحديث على كل عظم من عظام ابن ادم صدقة يشير ابو عبيد الى ان السلامى اسم لبعض
العظام الصغار التي في الابل ثم عبر بها عن العظام في الجملة بالنسبة الى الادمي وغيره فمعنى الحديث
عنده على كل عظم من عظام ابن ادم صدقة وقال غيره السلامى عظم في طرف اليد والرجل وكنى بذلك
عن جميع عظام الجسد والسلامى جمع وقيل هو مفرد وقد ذكر علماء الطب ان جميع عظام البدن
مايتان وثمانية واربعون عظما سوى السمسمانيات وبعضهم يقول هي ثلثمائة وستون عظما
يظهر منها للحس مايتان وخمسة وستون عظما والباقية صغار لا تظهر تسمى السمسمانية وهذه
الاحاديث تصدق هذا القول ولعل السلامى عبر بها عن هذه العظام الصغار كما انها في
الاصل اسم لاصغر ما في البعير من العظام ورواية البزار لحديث ابي هريرة تشهد لان في ابن ادم ستمائة
وستين عظما وهذه الرواية غلط وفي حديث عائشة وبريدة ذكر ثلثمائة وستين مفصلا ومعنى الحديث
ان تركيب هذه العظام وسلامتها من اعظم نعم الله على عبده فيحتاج كل عظم منها الى صدقة يتصدق
ابن ادم عنه ليكون ذلك شكرا لهذه النعمة قال الله عز وجل يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي
خلقك فسواك فعدلك في اي صورة ما شاء ركبك وقال عز وجل قل هو الذي انشاكم وجعل لكم
السمع والبصر والفواد والابصار والافيدة قليلا ما تشكرون وقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا
تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافيدة لعلكم تشكرون وقال الم نجعل له عينين ولسانا
وشفتين قال مجاهد هذه نعم من الله متظاهرة يقررك بها كيما تشكر وقرا الفضيل ليلة هذه
الاية فبكى فسئل عن بكائه فقال هل بت ليلة شاكرا لله ان جعل لك عينين تبصر بهما هل
بت ليلة شاكرا لله ان جعل لك لسانا تنطق به وجعل يعدد من هذا الضرب وروى ابن
ابي الدنيا باسناده عن سلمان الفارسي ان رجلا بسط له من الدنيا فانتزع ما في يديه فجعل يحمد الله عز
وجل ويثني عليه حتى لم يكن له فراش الا بوري فجعل يحمد الله ويثني وبسط لاخر من الدنيا فقال لصاحب

لهذا حديث قال فيه
او ستة وثلاثون
سلامى وقد خرجه
البزار وقال فيه
ان ٤

البوري ارايتك انت علي ما تحمد الله عز وجل قال احمده علي ما لو اعطيت به ما اعطي الخلق لم
اعطهم اياه قال وماذاك قال ارايت بصرك ارايت لسانك ارايت يديك ارايت رجليك وباسناده
عن ابي الدردا انه كان يقول الصحه غنا الجسد وعن يونس بن عبيد ان رجلا شكي اليه ضيق
حاله فقال له يونس ايسرك ان لك ببصرك هذا الذي تبصر به ميه الف درهم قال الرجل لا
قال فبيديك ميه الف درهم قال فبرجليك قال لا قال فذكره نعم الله عليه فقال يونس
اري عندك ميين الوف وانت تشكوا الحاجه وعن وهب بن منبه قال مكتوب في حكمه ال
داود العافيه الملك الخفي وعن بكر المزني قال يا ابن ادم ان اردت ان تعلم قدر ما انعم الله عليك فغمض
عينيك وفي بعض الاثار كم من نعمه لله في عرق ساكن وفي صحيح البخاري عن ابن عباس عن النبي صلي الله
عليه وسلم قال نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحه والفراغ فهذه النعم مما يسال الانسان
عن شكرها يوم القيمه ويطالب به كما قال عز وجل ثم لتسالن يوميذ عن النعيم وخرج
الترمذي وابن حبان من حديث ابي هريره عن النبي صلي الله عليه وسلم قال ان اول ما يسال العبد عنه
يوم القيمه من النعيم فيقول له الم نصح لك جسمك ونرويك من الما البارد وقال ابن مسعود النعيم
الامن والصحه وروي عنه مرفوعا وقال علي بن ابي طلحه عن ابن عباس في قوله لتسالن يوميذ
عن النعيم قال النعيم صحه الابدان والاسماع والابصار يسال الله العباد فيما استعملوها وهو اعلم
بذلك منهم وهو قوله تعالي ان السمع والبصر والفواد كل اوليك كان عنه مسولا وخرج
الطبراني من روايه ايوب بن عتبه وفيه ضعف عن عطا عن ابن عمر عن النبي صلي الله عليه وسلم
من قال لا اله الا الله كان له بها عهد عند الله ومن قال سبحان الله وبحمده كتب له بها ميه
الف حسنه واربعه وعشرون الف حسنه فقال رجل كيف نهلك بعد هذا يا رسول الله
قال ان الرجل لياتي يوم القيمه بالعمل لو وضع علي جبل لاثقله فتقوم النعمه من نعم الله فتكاد
ان تستنفد ذلك كله الا ان يتطاول الله برحمته وروي ابن ابي الدنيا باسناد فيه ضعف ايضا
عن انس عن النبي صلي الله عليه وسلم يوتي بالنعم يوم القيمه وبالحسنات والسيات فيقول الله
لنعمه من نعمه خذي حقك من حسناته فما تترك له حسنه الا ذهبت بها وباسناده

عن وهب بن منبه قال عبد الله عابد خمسين عاما فاوحي الله عز وجل اني قد غفرت
لك قال يا رب وما تغفر لي ولم اذنب فاذن الله عز وجل لعرق في عنقه فضرب عليه
فلم ينم ولم يصل ثم سكن وقام فاتاه ملك فشكي اليه ما لقي من ضربان العرق فقال الملك
ان ربك عز وجل يقول عبادتك خمسين سنه تعدل سكون ذا العرق وخرج
الحاكم هذا المعني مرفوعا من روايه سليمن بن هرم القرشي عن محمد بن المنكدر عن جابر
عن النبي صلي الله عليه وسلم ان جبريل اخبره ان عابدا عبد الله علي راس جبل في البحر خمسميه
سنه ثم سال ربه ان يقبضه وهو ساجد قال فنحن نمر عليه اذا هبطنا واذا عرجنا
ونجد في العلم انه يبعث يوم القيمه فيوقف بين يدي الله عز وجل فيقول الرب
عز وجل ادخلوا عبدي الجنه برحمتي فيقول العبد يا رب بعملي ثلاث مرات ثم يقول الله
للملايكه قايسوا عبدي بنعمتي عليه وبعمله فيجد وانعمه البصر قد احاطت بعباده خمسميه
سنه وبقيت نعم الجسد له فيقول ادخلوا عبدي النار فيجر الي النار فينادي ربه برحمتك
ادخلني الجنه برحمتك فيدخله الجنه قال جبريل انما الاشيا برحمه الله يا محمد وسليمن ابن هرم
قال العقيلي هو مجهول وحديثه غير محفوظ وروي الخرايطي باسناد فيه نظر عن عبد الله بن
عمرو مرفوعا يوتي بعبد يوم القيمه فيوقف بين يدي الله فيقول للملايكه انظروا في عمل عبدي
ونعمتي عليه فينظرون فيقولون ولا بقدر نعمه واحده من نعمك عليه فيقول انظروا في
عمله سييه وصالحه فينظرون فيجدونه كفافا فيقول عبدي قد قبلت حسناتك وغفرت
لك سياتك وقد وهبت لك نعمي فيما بين ذلك والمقصود ان الله تعالي انعم علي عباده بما
لا يحصونه كما قال وان تعدوا نعمه الله لا تحصوها وطلب منهم الشكر ورضي به منهم
قال سليمن التيمي ان الله انعم علي العباد علي قدره وكلفهم الشكر علي قدرهم حتي رضي منهم من الشكر
بالاعتراف بقلوبهم بنعمه وبالحمد بالسنتهم عليها كما خرجه ابو داود والنسائي من حديث
عبد الله بن غنام عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال من قال حين يصبح اللهم ما اصبح بي من نعمه
او باحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر فقد ادي شكر

ذلك اليوم ومن قالها حين يمسي ادى شكر ليلته وفي رواية للنسائي عن عبد الله بن عباس وخرج
الحاكم من حديث عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما انعم الله على عبد نعمة فعلم انها من عند الله
الا كتب الله شكرها قبل ان يشكرها وما اذنب عبد ذنبا فندم عليه الا كتب الله مغفرته قبل ان
يستغفره وقال ابو عمرو الشيباني قال موسى عليه السلام يوم الطور يا رب ان انا صليت
فمن قبلك وان انا تصدقت فمن قبلك وان انا بلغت رسالاتك فمن قبلك فكيف اشكرك
قال الان شكرتني وعن الحسن قال قال موسى عليه السلام يا رب كيف يستطيع ادم ان يودي
شكر ما صنعت اليه خلقته بيدك ونفخت فيه من روحك واسكنته جنتك وامرت
الملايكة فسجدوا له فقال يا موسى علم ان ذلك مني فحمدني عليه فكان ذلك شكر ما صنعته
وعن ابي الجلد قال قرات في مسلة داود انه قال يا رب كيف لي ان اشكرك وانا لا
اصل الى شكرك الا بنعمتك قال فاتاه الوحي ان يا داود اليس تعلم ان الذي بك من النعم مني
قال بلى يا رب قال فاني ارضى بذلك منك شكرا قال وقرات في مسلة موسى يا رب
كيف لي ان اشكرك واصغر نعمة وضعتها عندي من نعمك لا يجازي بها عملي كله قال فاتاه
الوحي يا موسى الان شكرتني وقال بكر بن عبد الله ما قال عبد قط الحمد لله مرة الا وجبت
عليه نعمة بقوله الحمد لله فما جزا تلك النعمة جزاوه ان تقول الحمد لله فجات نعمة اخرى
فلا تنفد نعما الله وقد روى ابن ماجه من حديث انس مرفوعا ما انعم الله على عبد نعمة
فقال الحمد لله الا كان الذي اعطي افضل مما اخذ وروينا نحوه من حديث شهر بن حوشب
عن اسما بنت يزيد مرفوعا ايضا وروي هذا عن الحسن البصري من قوله وكتب بعض عمال
عمر بن عبد العزيز اليه اني بارض قد كثرت فيها النعم حتى لقد اشفقت على اهلها من ضعف
الشكر فكتب اليه عمر اني قد كنت اراك اعلم بالله مما انت ان الله لم ينعم على عبد نعمة فحمد
الله عليها الا كان حمده افضل من نعمه لو كنت لا تعرف ذلك الا في كتاب الله المنزل
قال الله تعالى ولقد اتينا داود وسليمن علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده
المومنين وقال الله تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة الى قوله وقالوا الحمد لله واي

نعمة افضل من دخول الجنة وقد ذكر ابن ابي الدنيا في كتاب الشكر عن بعض العلما انه
صوب هذا القول اعني قول من قال ان الحمد افضل من النعم وعن ابن عيينة انه
خطا قايله وقال لا يكون فعل العبد افضل من فعل الرب عز وجل ولكن الصواب
قول من صوبه فان المراد بالنعم النعم الدنيويه كالعافيه والرزق والصحه ودفع المكروه
ونحو ذلك والحمد هو من النعم الدينيه وكلاهما نعمه من الله لكن نعمه الله على عبده
بهدايته لشكر نعمه بالحمد عليها افضل من نعمه الدنيويه على عبده فان النعم الدنيويه
ان لم يقترن بها الشكر كانت بليه كما قال ابو حازم كل نعمه لا تقرب من الله فهي بليه
فاذا وفق الله عبده للشكر على نعمه بالحمد او غيره من انواع الشكر كانت هذه النعمه خيرا
من تلك النعم واحب الى الله عز وجل منها فان الله يحب المحامد ويرضى عن عبده ان ياكل
الاكله فيحمده عليها ويشرب الشربه فيحمده عليها والثنا بالنعم والحمد عليها وشكرها عند
اهل الجود والكرم احب اليهم من اموالهم فهم يبذلونها طلبا للثنا والله عز وجل اكرم الاكرمين
واجود الاجودين فهو يبذل نعمه لعباده ويطلب منهم الثنا بها وذكرها والحمد عليها
ويرضى منهم بذلك شكرا عليها وان كان ذلك كله من فضله عليهم وهو غير محتاج الى شكرهم
لكنه يحب ذلك من عباده حيث كان صلاح العبد وفلاحه وكماله فيه ومن فضله انه
نسب الحمد والشكر اليهم وان كان من اعظم نعمه عليهم وهذا كما انه اعطاهم ما اعطاهم من
الاموال ثم استقرض منهم بعضه ومدحهم باعطايه والكل ملكه ومن فضله ولكن
كرمه اقتضى ذلك ومن هنا يعلم معنى الاثر الذي جا مرفوعا وموقوفا الحمد لله حمدا يوافي
نعمه ويكافي مزيده ولنرجع الان الى تفسير حديث كل سلامي من الناس عليه صدقة كل
يوم تطلع فيه الشمس يعني ان الصدقه على ابن ادم عن هذه الاعضا في كل يوم من ايام
الدنيا فان اليوم قد يعبر به عن مده ازيد من ذلك كما يقال يوم صفين وكان مده
ايام وعن مطلق الوقت كما في قوله الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم وقد يكون ذلك ليلا
ونهارا فاذا قيل كل يوم تطلع فيه الشمس علم ان هذه الصدقه على ابن ادم في كل يوم يعيش

فيه من ايام الدنيا وظاهر الحديث يدل على ان هذا الشكر بهذه الصدقة واجب على المسلم كل
يوم ولكن الشكر على درجتين احداهما واجب وهو ان ياتي بالواجبات ويجتنب المحارم
فهذا لا بد منه ويكفي في شكر هذه النعم ويدل على ذلك ما خرجه ابو داود من حديث ابي الاسود
الديلي قال كنا عند ابي ذر فقال يصبح على كل سلامى من احدكم في كل يوم صدقة فله بكل صلاة
صدقة وصيام صدقة وحج صدقة وتسبيح صدقة وتكبير صدقة وتحميد صدقة فعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الاعمال الصالحات ثم قال يجزي احدكم من ذلك
ركعتا الضحى وقد تقدم في حديث ابي موسى المخرج في الصحيحين فان لم يفعل فليمسك عن الشر
فانه له صدقة وهذا يدل على انه يكفيه ان لا يفعل شيا من الشر وانما يكون مجتنبا للشر اذا
قام بالفرايض واجتنب المحارم فان اعظم الشر ترك الفرايض ومن هنا قال بعض السلف
الشكر ترك المعاصي وقال بعضهم الشكر ان لا يستعان بشي من النعم على معصيته وذكر ابو
حازم الزاهد شكر الجوارح كلها وان تكف عن المعاصي وتستعمل في الطاعات ثم قال واما
من شكر بلسانه ولم يشكر بجميع اعضايه فمثله كمثل رجل له كسا فاخذ بطرفه فلم يلبسه
فلم ينفعه ذلك من الحر والبرد والثلج والمطر وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم لينظر العبد
في نعم الله عليه في بدنه وسمعه وبصره ويديه ورجليه وغير ذلك ليس من هذا شي الا وفيه نعمة
من الله عز وجل حق على العبد ان يعمل بالنعم اللاتي هي في بدنه لله عز وجل في طاعته ونعمة
اخرى في الرزق حق عليه ان يعمل لله عز وجل فيما انعم عليه من الرزق في طاعته فمن
عمل بهذا كان قد اخذ بحزم الشكر واصله وفرعه وراى الحسن رجلا يتبختر في مشيته
فقال لله في كل عضو منه نعمة اللهم لا تجعلنا ممن يتقوى بنعمتك على معصيتك الدرجة
الثانية من الشكر الشكر المستحب وهو ان يعمل العبد بعد اداء الفرايض واجتناب المحارم
بنوافل الطاعات وهذه درجة السابقين المقربين وهي التي ارشد اليها النبي صلى الله عليه وسلم
في هذه الاحاديث التي سبق ذكرها وكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يجتهد في الصلاة ويقوم
حتى تتفطر قدماه فاذا قيل له اتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم وما تاخر فيقول افلا اكون

عبدا

عبدا شكورا وقال بعض السلف لما قال الله عز وجل اعملوا ال داود شكرا لم يات عليهم
ساعة من ليل ولا نهار الا وفيهم مصل يصلي هذا مع ان بعض هذه الاعمال التي ذكرها النبي صلى
الله عليه وسلم واجب اما على الاعيان كالمشي الى الصلاة عند من يرى وجوب الصلاة في الجماعة
في المساجد واما على الكفاية كالامر بالمعروف والنهي عن المنكر واغاثة الملهوف والعدل
بين الناس اما في الحكم بينهم او في الاصلاح وقد روي من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال افضل الصدقة اصلاح ذات البين وهذه الانواع التي اشار اليها النبي صلى الله
عليه وسلم من الصدقة منها ما نفعه متعد كالاصلاح واعانة الرجل على دابته يحمله عليها
او رفع متاعه عليها والكلمة الطيبة ويدخل فيها السلام وتشميت العاطس وازالة الاذى عن
الطريق والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ودفن النخاعة في المسجد واعانة ذي الحاجة
الملهوف واسماع الاصم والبصر للمنقوص بصره وهداية الاعمى وغيره الطريق وجا في بعض
روايات حديث ابي ذر وبيانك عن الارتم صدقة يعني من لا يطيق الكلام اما لافة في
لسانه او لعجمة في لغته فيبين عنه ما يحتاج الى بيانه ومنه ما هو قاصر النفع كالتسبيح والتكبير
والتحميد والتهليل والمشي الى الصلاة وصلاة ركعتي الضحى وانما كانتا مجزيتين عن ذلك كله لان
في الصلاة استعمالا للاعضا كلها في الطاعة والعبادة فتكون كافية في شكر نعمة سلامى هذه
الاعضا وبقية هذه الخصال المذكورة اكثرها استعمال لبعض اعضا البدن خاصة فلا
تكمل الصدقة بها حتى ياتي منها بعدد سلامى البدن وهي ثلثمئة وستون كما في حديث عايشة
رضي الله عنها وفي المسند عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتدرون اي الصدقة
افضل وخير قالوا الله ورسوله اعلم قال المنيحة ان تمنح اخاك الدراهم او ظهر الدابة او لبن
الشاة او لبن البقرة والمراد بمنيحة الدراهم قرضها ومنيحة ظهر الدابة افقارها وهو اعارتها
لمن يركبها ومنيحة لبن الشاة او البقرة ان يمنحه بقرة او شاة ليشرب لبنها ثم يعيدها اليه واذا
اطلقت المنيحة لم تنصرف الا الى هذا وخرج احمد والترمذي من حديث البراء بن عازب
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من منح منحة لبن او ورق او هدى زقاقا كان له مثل عتق

رقبة وقال الترمذي معنى قوله من منح منيحة ورق انما يعني به قرض الدراهم وقوله وهدى
زقاقا انما يعني به هداية الطريق وهو ارشاد السبيل وخرج البخاري من حديث حسان بن
عطية عن ابي كبشة السلولي سمعت عبد الله بن عمرو يقول قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اربعون خصلة اعلاها منيحة العنز ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها وتصديق
موعودها الا ادخله الله بها الجنة قال حسان فعددنا ما دون منيحة العنز من رد السلام
وتشميت العاطس واماطة الاذى عن الطريق ونحوه فما استطعنا ان نبلغ خمس عشرة خصلة
وفي صحيح مسلم عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حق الابل حلبها على الماء واعارة دلوها
واعارة فحلها ومنيحتها وحمل عليها في سبيل الله وخرج الامام احمد من حديث جابر عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال كل معروف صدقة ومن المعروف ان تلقى اخاك بوجه طلق وان تفرغ
من دلوك في انائه وخرجه الحاكم وغيره بزيادة وهي وما انفق المرء على نفسه واهله كتب له به صدقة
وما وقى به عرضه كتب له به صدقة وكل نفقة انفقها مومن فعلى الله خلفها ضامن الا نفقة
في معصية او بنيان وفي المسند عن ابي جري الهجيمي قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن المعروف
فقال لا تحقرن من المعروف شيئا ولو ان تعطي صلة الحبل ولو ان تعطي شسع النعل ولو ان تفرغ
من دلوك في اناء المستسقي ولو ان تنحي الشي من طريق الناس يوذيهم ولو ان تلقى اخاك ووجهك
اليه منطلق ولو ان تلقى اخاك فتسلم عليه ولو ان تونس الوحشان في الارض ومن انواع الصدقة
كف الاذى عن الناس باليد واللسان كما في الصحيحين عن ابي ذر قلت يا رسول الله اي الاعمال
افضل قال الايمان بالله والجهاد في سبيله قلت فان لم افعل قال تعين صانعا او تصنع لاخرق قلت
ارايت ان ضعفت عن بعض العمل قال فكف شرك عن الناس فانها صدقة وفي صحيح ابن حبان عن ابي
ذر قال قلت يا رسول الله دلني على عمل اذا عمل به العبد دخل الجنة قال يومن بالله قلت
يا رسول الله ان مع الايمان عملا قال يرضخ مما رزقه الله قلت وان كان معدما لا شي له قال
يقول معروفا بلسانه قلت فان كان عييا لا يبلغ عنه لسانه قال فيعين مغلوبا قلت
فان كان ضعيفا لا قدرة له قال فليصنع لاخرق قلت فان كان اخرق فالتفت الي وقال

ما تريد ان تدع في صاحبك شيئا من الخير فليدع الناس من اذاه قلت يا رسول الله ان هذا كله
ليسير قال والذي نفسي بيده ما من عبد يعمل بخصلة منها يريد بها ما عند الله الا اخذت
بيده يوم القيمة حتى يدخل الجنة فاشترط في هذا الحديث لهذه الاعمال كلها اخلاص
النية كما في حديث عبد الله بن عمرو الذي فيه ذكر الاربعين خصلة وهذا كما في قوله عز وجل
لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك
ابتغاء مرضات الله فسوف نوتيه اجرا عظيما وقد روي عن الحسن وابن سيرين ان فعل
المعروف يوجر عليه وان لم يكن له فيه نية سيل الحسن عن الرجل يساله اخر حاجة وهو
يبغضه فيعطيه حياء هل له فيه اجر فقال ان ذلك لمن المعروف وان في المعروف لاجرا
خرجه حميد بن زنجويه وسيل ابن سيرين عن الرجل يتبع الجنازة لا يتبعها حسبة يتبعها
حياء من اهلها اله في ذلك اجر فقال اجر واحد بل له اجران اجر لصلاته على اخيه واجر
لصلته الحي خرجه ابو نعيم في الحلية ومن انواع الصدقة اداء حقوق المسلم على المسلم وبعضها
مذكور في الاحاديث الماضية ففي الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حق المسلم
على المسلم خمس رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنايز واجابة الدعوة وتشميت العاطس
وفي رواية لمسلم للمسلم على المسلم ست قيل ما هن يا رسول الله قال اذا لقيته فسلم عليه واذا
دعاك فاجبه واذا استنصحك فانصح له واذا عطس فحمد الله فشمته واذا مرض فعده واذا
مات فاتبعه وفي الصحيحين عن البراء قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع بعيادة
المريض واتباع الجنازة وتشميت العاطس وابرار القسم ونصر المظلوم واجابة الداعي وافشا
السلام وفي رواية لمسلم وارشاد الضال بدل ابرار القسم ومن انواع الصدقة المشي بحقوق
الادميين الواجبة اليهم قال ابن عباس من مشى بحق اخيه اليه ليقضيه فله بكل خطوة صدقة
ومنها انظار المعسر وفي المسند وسنن ابن ماجه عن بريدة مرفوعا من انظر معسرا
فله بكل يوم صدقة قبل ان يحل الدين فاذا حل الدين فانظره بعد ذلك فله بكل يوم
مثله صدقة ومنها الاحسان الى البهايم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لما سيل عن سقيها فقال في

كل كبد رطبه اجر واخبر ان بغيا سقت كلبا يلهث من العطش فغفر لها واما الصدقه
القاصره على نفس العامل بها فمثل انواع الذكر من التسبيح والتكبير والتحميد والتهليل والاستغفا
والصلاه على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك تلاوه القران والمشي الى المساجد والجلوس فيها
لانتظار الصلاه او لاستماع الذكر ومن ذلك التواضع في اللباس والمشي والهدي والتبذل
في المهنه واكتساب الحلال والتحري فيه ومنه ايضا محاسبه النفس على ما سلف
من اعمالها والندم والتوبه من الذنوب السالفه والحزن عليها واحتقار النفس والازرا
عليها ومقتها في الله عز وجل والبكا من خشيه الله والتفكر في ملكوت السموات والارض
وفي امور الاخره وما فيها من الوعد والوعيد ونحو ذلك مما يزيد الايمان في القلب وينشا
عنه كثير من اعمال القلوب كالخشيه والمحبه والرجا والتوكل وغير ذلك وقد قيل ان هذا
التفكر افضل من نوافل الاعمال البدنيه روي ذلك عن غير واحد من التابعين منهم سعيد
بن المسيب والحسن وعمر بن عبد العزيز وفي كلام الامام احمد ما يدل عليه وقال كعب لان
ابكي من خشيه الله احب الي من ان اتصدق بوزني ذهبا الحديث السابع

والعشرون

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال البر حسن الخلق
والاثم ما حاك في نفسك وكرهت ان يطلع عليه الناس رواه مسلم وعن وابصه بن معبد رضي الله
عنه قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جيت تسال عن البر والاثم قلت نعم قال
استفت قلبك البر ما اطمانت اليه النفس واطمان اليه القلب والاثم ما حاك في النفس وتردد
في الصدر وان افتاك الناس وافتوك قال الشيخ رحمه الله حديث حسن رويناه في مسندي
الامام احمد والدارمي باسناد حسن اما حديث النواس فخرجه مسلم من روايه معويه بن
صالح عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن ابيه عن النواس ومعويه وعبد الرحمن وابوه تفرد
بتخريج حديثهم مسلم دون البخاري واما حديث وابصه فخرجه الامام احمد من طريق حماد
بن سلمه عن الزبير ابي عبد السلم عن ايوب بن عبد الله بن مكرز عن وابصه بن معبد قال
اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اريد ان لا ادع شيا من البر والاثم الا سالته عنه فقال لي

ادن يا وابصه فدنوت منه حتى مست ركبتي ركبته فقال يا وابصه اخبرك ما جيت تسال
عنه او تسالني قلت يا رسول الله اخبرني قال جيت تسالني عن البر والاثم قلت نعم قال فجمع
اصابعه الثلاث فجعل ينكت بها في صدري ويقول يا وابصه استفت نفسك البر ما اطمان
اليه القلب واطمانت اليه النفس والاثم ما حاك في القلب وتردد في الصدر وان افتاك
الناس وافتوك وفي روايه اخرى للامام احمد ان الزبير لم يسمعه من ايوب قال وحدثني
جلساوه وقد رايته ففي اسناد هذا الحديث امران يوجب كل منهما ضعفه احدهما
انقطاعه بين الزبير وايوب فانه رواه عن قوم لم يسمهم والثاني ضعف الزبير هذا قال
الدارقطني روى احاديث مناكير وضعفه ابن حبان ايضا لكنه سماه ايوب بن عبد السلم فاخطا
في اسمه وله طريق اخر عن وابصه خرجه الامام احمد ايضا من روايه معويه بن صالح عن ابي
عبد الله السلمي قال سمعت وابصه فذكر الحديث مختصرا ولفظه فقال البر ما انشرح له
صدرك والاثم ما حاك في صدرك وان افتاك عنه الناس والسلمي هذا قال علي بن المديني
هو مجهول وخرجه البزار والطبراني وعندهما ابو عبد الله الاسدي وقال البزار لا نعلم
احدا سماه كذا قال وقد سمي في بعض الروايات محمدا قال عبد الغني بن سعيد الحافظ لو
قال قايل انه محمد بن سعيد المصلوب لما دفعت ذلك والمصلوب هذا صلبه المنصور في
الزندقه وهو مشهور بالكذب والوضع ولكنه لم يدرك وابصه والله اعلم وقد روي هذا
الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه متعدده وبعض طرقه جيده فخرجه الامام احمد وابن
حبان في صحيحه من طريق يحيى ابن ابي كثير عن زيد ابن سلام عن جده ممطور عن ابي امامه قال
قال رجل يا رسول الله ما الاثم قال اذا حاك في صدرك شي فدعه وهذا اسناد جيد على
شرط مسلم فانه خرج حديث يحيى بن ابي كثير عن زيد بن سلام واثبت احمد سماعه منه
وان انكره ابن معين وخرج الامام احمد من روايه عبد الله بن العلا بن زبر سمعت مسلم بن مشكم
سمعت ابا ثعلبه الخشني يقول قلت يا رسول الله اخبرني ما يحل لي ويحرم علي فقال البر
ما سكنت اليه النفس واطمان اليه القلب والاثم ما لم تسكن اليه النفس ولم يطمين اليه القلب وان

افتاك المفتون وهذا ايضًا اسناد جيد وعبد الله بن العلا بن زبر ثقه مشهور خرج له البخاري
ومسلم بن مشكم ثقه مشهور ايضًا وخرج الطبراني وغيره باسناد ضعيف من حديث واثله
بن الاسقع قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم افتني عن امر لا اسال عنه احدًا بعدك قال استفت
نفسك قلت كيف لي بذلك قال تدع ما يريبك الى ما لا يريبك وان افتاك المفتون قلت وكيف لي بذلك
قال تضع يدك على قلبك فان الفواد يسكن للحلال ولا يسكن للحرام ويروى نحوه من حديث ابي
هريره باسناد ضعيف ايضًا وروى ابن لهيعه عن يزيد بن ابي حبيب ان سويد بن قيس اخبره
عن عبد الرحمن بن معويه ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما يحل لي مما
يحرم علي ورد عليه ثلاث مرار كل ذلك يسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال اين السايل قال انا ذا
يا رسول الله فقال باصابعه ما انكر قلبك فدعه خرجه ابو القسم البغوي في معجمه وقال
لا ادري عبد الرحمن بن معويه سمع من النبي صلى الله عليه وسلم ام لا ولا اعلم له غير هذا الحديث
قلت هو عبد الرحمن بن معويه بن حديج جا منسوبًا في كتاب الزهد لابن المبارك وعبد الرحمن
هذا تابعي مشهور فحديثه مرسل وقد صح عن ابن مسعود انه قال الاثم حواز القلوب واحتج به
الامام احمد رواه عن جرير عن منصور عن محمد بن عبد الرحمن عن ابيه قال قال عبد الله اياكم
وحزاز القلوب وما حز في قلبك شي فدعه وقال ابو الدردا الخير في طمانينه والشر في
ريبه وروي عن ابن مسعود من وجه منقطع انه قيل له ارايت شيا يحيك في صدورنا لا ندري
احلال هو ام حرام فقال اياكم والحكاكات فانهن الاثم والحز والحك متقاربان في المعنى والمراد
ما اثر في القلب ضيقًا وحرجًا ونفورًا او كراهه فهذه الاحاديث اشتملت على تفسير البر
والاثم وبعضها فيه تفسير الحلال والحرام فحديث النواس بن سمعان فسر النبي صلى الله عليه
وسلم فيه البر بحسن الخلق وفسره في حديث وابصه وغيره بما اطمان اليه القلب والنفس
كما فسر الحلال بذلك في حديث ثعلبه وانما اختلف تفسيره للبر لان البر يطلق باعتبار
معنيين احدهما باعتبار معامله الخلق وبالاحسان اليهم وربما خص بالاحسان الى الوالدين
فيقال بر الوالدين ويطلق كثيرًا على الاحسان الى الخلق عمومًا وقد صنف ابن المبارك

كتابا سماه كتاب البر والصله وكذلك في صحيح البخاري وجامع الترمذي كتاب البر والصله
ويتضمن هذا الكتاب الاحسان الى الخلق عمومًا ويقدم فيه بر الوالدين على غيرهما وفي حديث
بهز بن حكيم عن ابيه عن جده انه قال يا رسول الله من ابر قال امك قال ثم من قال اباك قال ثم
من قال ثم الاقرب فالاقرب ومن هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم الحج المبرور ليس له جزا الا
الجنه وفي المسند انه صلى الله عليه وسلم سيل عن بر الحج قال اطعام الطعام وافشا السلام وفي روايه اخرى
وطيب الكلام وكان ابن عمر يقول البر شي هين وجه طليق وكلام لين واذا قرن البر بالتقوى كما
في قوله عز وجل وتعاونوا على البر والتقوى فقد يكون المراد بالبر معامله الخلق بالاحسان وبالتقوى
معامله الحق بفعل طاعاته واجتناب محرماته وقد يكون اريد بالبر فعل الواجبات وبالتقوى
اجتناب المحرمات وقوله ولا تعاونوا على الاثم والعدوان قد يراد بالاثم المعاصي وبالعدوان ظلم
الخلق وقد يراد بالاثم ما هو محرم في نفسه كالزنا والسرقه وشرب الخمر وبالعدوان تجاوز ما هو اذن
فيه الى ما نهي عنه مما جنسه ماذون فيه كقتل من ابيح قتله لقصاص ومن لا يباح واخذ زياده
على الواجب من الناس في الزكاه ونحوها ومجاوزه الجلد الذي امر به في الحدود ونحو ذلك والمعنى
الثاني من معنيي البر ان يراد به فعل جميع الطاعات الظاهره والباطنه كقوله عز وجل ولكن البر
من امن بالله واليوم الاخر والملايكه والكتاب والنبيين واتى المال على حبه ذوي القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل والسايلين وفي الرقاب واقام الصلاه واتى الزكاه والموفون بعهدهم
اذا عاهدوا والصابرين في الباسا والضرا وحين الباس اوليك الذين صدقوا واوليك هم المتقون
وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سيل عن الايمان فتلا هذه الايه فالبر بهذا المعنى يدخل فيه جميع
الطاعات الباطنه كالايمان بالله وملايكته وكتبه ورسله والطاعات الظاهره كانفاق الاموال
فيما يحبه الله واقام الصلاه وايتا الزكاه والوفا بالعهد والصبر على الاقدار كالمرض والفقر وعلى
الطاعات كالصبر عند لقا العدو وقد يكون جواب النبي صلى الله عليه وسلم في حديث النواس
شاملًا لهذه الخصال كلها لان حسن الخلق قد يراد به التخلق باخلاق الشريعه والتادب باداب
الله التي ادب بها عباده في كتابه كما قال لرسوله صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم وقالت

عايشه كان خلقه صلى الله عليه وسلم القران يعني انه يتادب بادبه فيفعل اوامره ويجتنب نواهيه
فصار العمل بالقران له خلقا كالجبله والطبيعه لا يفارقه وهذا احسن الاخلاق واشرفها واجملها
وقد قيل ان الدين كله خلق واما في حديث وابصه فقال البر ما اطمان اليه القلب واطمانت
اليه النفس وفي روايه ما انشرح له الصدر وفسر الحلال بنحو ذلك في حديث ابي ثعلبه
وغيره وهذا يدل على ان الله فطر عباده على معرفه الحق والسكون اليه وقبوله وركز في الطباع
محبه ذلك والنفور عن ضده وقد يدخل هذا في قوله في حديث عياض بن حمار اني خلقت
عبادي حنفا مسلمين فاتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم فحرمت عليهم ما احللت لهم وامرتهم ان
يشركوا بي ما لم انزل به سلطانا وقوله كل مولود يولد على الفطره فابواه يهودانه وينصرانه
ويمجسانه كما تنتج البهيمه بهيمه جمعا هل تحسون فيها من جدعا قال ابو هريره اقراوا ان
شيتم فطره الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ولهذا سمى الله ما امر به معروفا وما نهى عنه
منكرا فقال ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي
وقال في صفه الرسول صلى الله عليه وسلم يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبايث واخبر ان
قلوب المومنين تطمين بذكره فالقلب الذي دخله نور الايمان وانشرح به وانفسح يسكن
للحق ويطمين به ويقبله وينفر عن الباطل ويكرهه ولا يقبله قال معاذ بن جبل احذركم زيغه
الحكيم فان الشيطان قد يقول كلمه الضلاله على لسان الحكيم وقد يقول المنافق كلمه الحق فقيل
لمعاذ ما يدريني ان الحكيم قد يقول كلمه الضلاله وان المنافق يقول كلمه الحق قال اجتنب من كلام
الحكيم المشتهرات التي يقال ما هذه ولا يثنيك ذلك عنه فانه لعله ان يراجع وتلق الحق اذا
سمعته فان على الحق نورا اخرجه ابو داود وفي روايه قال بل ما تشابه عليك من قول الحكيم حتى
يقول ما اراد بهذه الكلمه فهذا يدل على ان الحق والباطل لا يلتبس امرهما على المومن البصير
بل يعرف الحق بالنور الذي عليه فيقبله قلبه وينفر عن الباطل فينكره ولا يعرفه ومن هذا المعنى
قول النبي صلى الله عليه وسلم سيكون في اخر الزمان قوم يحدثونكم بما لم تسمعوا انتم ولا اباوكم فاياكم
واياهم يعني انهم ياتون بما تستنكره قلوب المومنين ولا تعرفه وفي قوله انتم ولا اباوكم اشاره الى

ان ما استقرت معرفته عند المومنين مع تقادم العهد وتطاول الزمان فهو الحق وان ما احدث
بعد ذلك مما يستنكر فلا خير فيه فدل حديث وابصه وما في معناه على الرجوع الى القلوب
عند الاشتباه فما سكن اليه القلب وانشرح له الصدر فهو البر والحلال وما كان بخلاف
ذلك فهو الاثم والحرام وقوله في حديث النواس الاثم ما حاك في الصدر وكرهت ان يطلع عليه
الناس اشاره الى ان الاثم ما اثر في الصدر حرجا وضيقا وقلقا واضطرابا فلم ينشرح له الصدر ومع
هذا فهو عند الناس مستنكر بحيث ينكرونه عند اطلاعهم عليه وهذا اعلى مراتب معرفه
الاثم عند الاشتباه وهو ما استنكره الناس فاعله وغير فاعله ومن هذا المعنى قول ابن مسعود
ما راه المومنون حسنا فهو عند الله حسن وما راه المومنون قبيحا فهو عند الله قبيح وقوله
في حديث وابصه وابي ثعلبه وان افتاك المفتون يعني ان ما حاك في صدر الانسان فهو اثم
وان افتاه غيره بانه ليس باثم فهذه مرتبه ثانيه وهو ان يكون الشي مستنكرا عند فاعله دون
غيره وقد جعله ايضا اثما وهذا انما يكون اذا كان صاحبه ممن شرح صدره بالايمان وكان
المفتي له يفتي بمجرد ظن او ميل الى هوى من غير دليل شرعي واما ما كان مع المفتي به دليل شرعي
فالواجب على المستفتي الرجوع اليه وان لم ينشرح له صدره وهذا كالرخص الشرعيه مثل
الفطر في السفر والمرض وقصر الصلاه في السفر ونحو ذلك مما لا ينشرح به صدور كثير من
الجهال فهذا لا عبره به وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم احيانا يامر اصحابه بما لا تنشرح به صدور
بعضهم فيمتنعون من فعله فيغضب من ذلك كما امرهم بفسخ الحج الى العمره فكرهه من كرهه
منهم وكما امرهم بنحر هديهم والتحلل من عمره الحديبيه فكرهوه وكرهوا مقاضاته لقريش على
ان يرجع من عامه وعلى ان من اتاه منهم يرده اليهم وفي الجمله فما ورد النص به فليس للمومن الا طاعة
الله ورسوله كما قال تعالى وما كان لمومن ولا مومنه اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم
الخيره من امرهم وينبغي ان يتلقى ذلك بانشراح الصدر والرضى فان ما شرعه الله ورسوله يجب
الايمان والرضى به والتسليم له كما قال تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم
لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما واما ما ليس فيه نص من الله ورسوله

ولا عمن يقتدي بقوله من الصحابه وسلف الامه فاذا وقع في نفس المومن المطمين قلبه
بالايمان المنشرح صدره بنور المعرفه واليقين منه شي وحك في صدره لشبهه موجوده
ولم يجد من يفتي فيه بالرخصه الا من يخبر عن رايه وهو ممن لا يوثق بعلمه وبدينه بل هو
معروف باتباع الهوى فهنا يرجع المومن الى ما حك في صدره وان افتاه هولا المفتون وقد
نص الامام احمد على مثل هذا قال المروذي في كتاب الورع قلت لابي عبد الله ان القطيعه
ارفق بي من ساير الاسواق وقد وقع في قلبي من امرها شي فقال امرها امر قذر متلوث
قلت فتكره العمل فيها قال دع ذا عنك ان كان لا يقع في قلبك شي قلت قد وقع في قلبي منها
قال قال ابن مسعود الاثم حواز القلوب قلت انما هذا على المشاوره قال اي شي يقع في
قلبك قلت قد اضطرب على قلبي قال الاثم حواز القلوب وقد سبق في شرح حديث
النعمن بن بشير الحلال بين والحرام بين وفي شرح حديث الحسن بن علي دع ما يريبك الى ما لا
يريبك شي يتعلق بتفسير هذه الاحاديث المذكوره هاهنا وقد ذكر طوايف من فقها
الشافعيه والحنفيه المتكلمين في اصول الفقه مسله الالهام هل هو حجه ام لا وذكروا فيه
اختلافا بينهم وذكر طايفه من اصحابنا ان الكشف ليس بطريق للاحكام واخذه القاضي ابو
يعلى من كلام احمد في ذم المتكلمين في الوساوس والخطرات وخالفهم طايفه من اصحابنا في
ذلك وقد ذكرنا نص احمد هاهنا بالرجوع الى حواز القلوب وانما ذم احمد وغيره المتكلمين
على الوساوس والخطرات من الصوفيه حيث كان كلامهم في ذلك لا يستند الى دليل شرعي بل الى
مجرد راي وذوق كما كان ينكر الكلام في مسايل الحلال والحرام بمجرد الراي من غير دليل شرعي فاما
الرجوع في الامور المشتبهه الى حواز القلوب فقد دلت عليه النصوص النبويه وفتاوي
الصحابه فكيف ينكره الامام احمد ذلك لا سيما وقد نص على الرجوع اليه موافقه لهم وقد سبق
حديث ان الصدق طمانينه والكذب ريبه فالصدق يتميز من الكذب بسكون القلب اليه
ومعرفته وبنفوره عن الكذب وانكاره كما قال الربيع بن خثيم ان للحديث ضوا كضو النهار
تعرفه وظلمه كظلمه الليل تنكره وخرج الامام احمد من حديث ربيعه عن عبد الملك بن سعيد بن سويد

عن ابي حميد وابي اسيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم وتلين
له اشعاركم وابشاركم وترون انه منكم قريب فانا اولاكم به واذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم وتنفر
اشعاركم وابشاركم وترون انه منكم بعيد فانا ابعدكم منه واسناده قد قيل انه على شرط مسلم
لانه خرج بهذا الاسناد بعينه حديثا لكن هذا الحديث معلول فانه رواه بكير بن الاشج عن
عبد الملك بن سعيد عن عباس بن سهل عن ابي بن كعب من قوله قال البخاري وهو اصح وروى يحيى
بن ادم عن ابن ابي ذيب عن سعيد المقبري عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا حدثتم عني
حديثا تعرفونه ولا تنكرونه فصدقوا به فاني اقول ما يعرف ولا ينكر واذا حدثتم عني حديثا تنكرونه
ولا تعرفونه فلا تصدقوا به فاني لا اقول ما ينكر ولا يعرف وهذا الحديث معلول ايضا وقد اختلف
في اسناده على ابن ابي ذيب ورواه الحفاظ عنه عن سعيد مرسلا والمرسل اصح عند ايمه الحفاظ
منهم ابن معين والبخاري وابو حاتم الرازي وابن خزيمه وقال ما رايت احدا من علما الحديث يثبت وصله
وانما يحمل مثل هذه الاحاديث على تقدير صحتها على معرفه ايمه الحديث والجهابذه النقاد
الذين كثرت ممارستهم لكلام النبي صلى الله عليه وسلم وكلام غيره ولحال رواه الاحاديث ونقله
الاخبار ومعرفتهم بصدقهم وكذبهم وحفظهم وضبطهم فان هولا لهم نقد خاص في الحديث
يختصون بمعرفته كما يختص الصيرفي الحاذق بمعرفه النقود جيدها ورديها وخالصها
ومشوبها والجوهري الحاذق في معرفه الجوهر بانتقاد الجواهر وكل من هولا لا يمكن ان يعبر
عن سبب معرفته ولا يقيم عليه دليلا لغيره وايه ذلك انه يعرض الحديث الواحد على جماعه
ممن يعلم هذا العلم فيتفقون على الجواب فيه من غير مواطاه وقد امتحن هذا منهم غير مره
في زمن ابي زرعه وابي حاتم فوجد الامر على ذلك فقال السايل اشهد ان هذا العلم الهام قال
الاعمش كان ابرهيم النخعي صيرفيا في الحديث كنت اسمع من الرجال فاعرض عليه ما سمعته وقال
عمرو بن قيس ينبغي لصاحب الحديث ان يكون مثل الصيرفي الذي ينتقد الدراهم فان الدراهم فيها
الزايف والبهرج وكذلك الحديث وقال الاوزاعي كنا نسمع الحديث فنعرضه على اصحابنا
كما يعرض الدرهم الزايف على الصيارفه فما عرفوا اخذنا وما انكروا تركنا وقيل لعبد الرحمن

بن مهدي انك تقول للشي هذا صحيح وهذا لم يثبت فعمن تقول ذلك فقال ارايت لو اتيت
الناقد فاريته دراهمك فقال هذا جيد وهذا بهرج اكنت تساله عمن ذلك او كنت تسلم
الامر اليه قال لا بل كنت اسلم الامر اليه قال فهذا كذلك لطول المجالسة والمناظرة
والخبرة به وقد روي نحو هذا المعنى عن الامام احمد ايضا وانه قيل له يا ابا عبد الله تقول هذا الحديث
منكر فكيف علمت ولم تكتب الحديث كله فقال مثلنا كمثل ناقد العين لم يقع بيده العين كلها
واذا وقع بيده الدينار يعلم انه جيد وانه ردي وقال ابن مهدي معرفة الحديث الهام وقال
انكارنا الحديث عند الجهال كهانة وقال ابو حاتم الرازي مثل معرفة الحديث كمثل فص ثمنه
مية دينار واخر مثله على لونه ثمنه عشرة دراهم قال وكما لا يتهيا للناقد ان يخبر بسبب
نقده فكذلك نحن رزقنا علما لا يتهيا لنا ان نخبر كيف علمنا بان هذا حديث كذب وان هذا
حديث منكر الا بما نعرفه قال ويعرف جودة الدينار بالقياس الى غيره فان تخلف عنه في
الحمرة والصفا علم انه مغشوش ويعلم جنس الجوهر بالقياس الى غيره فان خالفه في المايية
والصلابة علم انه زجاج ويعلم صحة الحديث بعدالة ناقليه وان يكون كلاما يصلح مثله ان
يكون كلام النبوة ويعرف سقمه وانكاره بتفرد من لم تصح عدالته بروايته والله اعلم
وبكل حال فالجهابذة النقاد العارفون بعلل الحديث افراد قليل من اهل الحديث جدا واول
من اشتهر بالكلام في نقد الحديث ابن سيرين ثم خلفه ايوب السختياني واخذ ذلك عنه
شعبة واخذ عن شعبة يحيى القطان وابن مهدي واخذ عنهما احمد وعلي ابن المديني وابن معين
واخذ عنهم مثل البخاري وابي داود وابي زرعة وابي حاتم وكان ابو زرعة في زمانه يقول
قل من يفهم هذا وما اعزه اذا دفعت هذا عن واحد او اثنين فما اقل من تجد من يحسن
هذا ولما مات ابو زرعة قال ابو حاتم ذهب الذي كان يحسن هذا يعني ابا زرعة ما بقي
بمصر ولا بالعراق واحد يحسن هذا وقيل له بعد موت ابي زرعة تعرف اليوم احدا
يعرف هذا قال لا وجا بعدهم جماعة منهم النسائي والعقيلي وابن عدي والدارقطني
وقل من جا بعدهم ممن هو بارع في معرفة ذلك حتى قال ابو الفرج بن الجوزي في اول كتابه

الموضوعات قد قل من يفهم هذا بل عدم والله اعلم

الحديث الثامن والعشرون

عن العرباض ابن سارية رضي الله عنه قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كانها موعظة
مودع فاوصنا قال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان تامر عليكم عبد وانه من يعش
منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفا الراشدين عضوا عليها بالنواجذ
واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة رواه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن
صحيح **هذا الحديث** خرجه الامام احمد وابو داود والترمذي وابن ماجه من رواية
ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي زاد احمد في رواية له وابو داود
وحجر بن حجر الكلاعي كلاهما عن العرباض بن سارية وقال الترمذي حسن صحيح وقال الحافظ
ابو نعيم هو حديث جيد من صحيح حديث الشاميين قال ولم يتركه البخاري ومسلم من جهة
انكار منهما له وزعم الحاكم ان سبب تركهما له انهما توهما انه ليس له راو عن خالد بن
معدان غير ثور بن يزيد وقد رواه عنه ايضا بحير بن سعيد ومحمد بن ابرهيم التيمي وغيرهما قلت
ليس الامر كما ظنه وليس الحديث على شرطهما فانهما لم يخرجا لعبد الرحمن بن عمرو السلمي
ولا لحجر الكلاعي شيا وليسا ممن اشتهر بالعلم والرواية وايضا فقد اختلف فيه على خالد
بن معدان فروي عنه كما تقدم وروي عنه عن ابن ابي بلال عن العرباض وخرجه
الامام احمد من هذا الوجه ايضا وروي ايضا عن ضمرة بن حبيب عن عبد الرحمن ابن عمرو
السلمي عن العرباض خرجه من طريقه الامام احمد وابن ماجه وزاد في حديثه فقد
تركتكم على البيضا ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي الا هالك وزاد في اخر الحديث فانما
المومن كالجمل الانف حيثما قيد انقاد وقد انكر طايفة من الحفاظ هذه الزيادة
في اخر الحديث وقالوا هي مدرجة فيه وليست منه قاله احمد بن صالح المصري وغيره
وقد خرجه الحاكم وقال في حديثه وكان اسد بن وداعة يزيد في هذا الحديث
فان المومن كالجمل الانف حيثما قيد انقاد وخرجه ابن ماجه ايضا من رواية عبد الله

بن العلاء بن زبر حدثني يحيى بن ابي المطاع سمعت العرباض فذكره وهذا في الظاهر اسناد
جيد متصل ورواته ثقات مشهورون وقد صرح فيه بالسماع وقد ذكر البخاري في تاريخه
ان يحيى بن ابي المطاع سمع من العرباض اعتمادا على هذه الرواية الا ان حفاظ اهل الشام انكروا
ذلك وقالوا يحيى بن ابي المطاع لم يسمع من العرباض ولم يلقه وهذه الرواية غلط وممن ذكر
ذلك ابو زرعة الدمشقي وحكاه عن دحيم وهو لا اعرف بشيوخهم من غيرهم والبخاري رحمه
الله يقع له في تاريخه اوهام في اخبار اهل الشام وقد روي عن العرباض من وجوه اخر وروي من
حديث بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم الا ان اسناد بريدة لا يثبت والله اعلم فقول العرباض
وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة موعظة وفي رواية احمد وابي داود والترمذي
بليغة وفي رواية لهما ان ذلك كان بعد صلاة الصبح وكان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يعظ اصحابه
في غير الخطب الراتبة كخطب الجمع والاعياد وقد امره الله تعالى بذلك فقال وعظهم وقل لهم
في انفسهم قولا بليغا وقال ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ولكنه كان لا يديم
وعظهم بل يتخولهم به احيانا كما في الصحيحين عن ابي وائل قال كان عبد الله بن مسعود يذكرنا كل
خميس فقال له رجل يا ابا عبد الرحمن انا نحب حديثك ونشتهيه ولوددنا انك حدثتنا
كل يوم فقال ما يمنعني ان احدثكم الا كراهة ان املكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتخولنا
بالموعظة كراهة السآمة علينا والبلاغة في الموعظة مستحسنة لانها اقرب الى قبول
القلوب واستجلابها والبلاغة هي التوصل الى افهام المعاني المقصودة وايصالها الى قلوب
السامعين باحسن صورة من الالفاظ الدالة عليها وافصحها واحلاها للاسماع واوقعها في
القلوب وكان صلى الله عليه وسلم يقصر خطبته ولا يطيلها بل كان يبلغ ويوجز وفي صحيح مسلم
عن جابر بن سمرة قال كنت اصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا
وخرجه ابو داود ولفظه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يطيل الموعظة يوم الجمعة انما
هو كلمات يسيرات وخرج مسلم من حديث ابي وائل قال خطبنا عمار فاوجز وابلغ فلما
نزل قلنا يا ابا اليقظان لقد ابلغت واوجزت فلو كنت تنفست فقال اني سمعت رسول

الله صلى الله عليه وسلم يقول ان طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه فاطيلوا
الصلاة واقصروا الخطبة فان من البيان سحرا وخرج الامام احمد وابو داود من حديث الحكم
بن حزن قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة فقام متوكئا على عصا او قوس
فحمد الله واثنى عليه كلمات خفيفات طيبات مباركات وخرج ابو داود عن عمرو بن العاص ان
رجلا قام يوما فاكثر القول فقال عمرو لو قصد في قوله لكان خيرا له سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول لقد رايت او امرت ان اتجوز في القول فان الجواز هو خير وقوله ذرفت
منها العيون ووجلت منها القلوب هذان الوصفان بهما مدح الله المومنين عند سماع الذكر
كما قال عز وجل انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وقال وبشر المخبتين الذين اذا ذكر
الله وجلت قلوبهم وقال الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق وقال الله
نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم
وقلوبهم الى ذكر الله وقال واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا
من الحق وكان صلى الله عليه وسلم يتغير حاله عند الموعظة كما قال جابر كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا خطب وذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته واحمرت عيناه كانه منذر جيش يقول
صبحكم ومساكم خرجه مسلم بمعناه وفي الصحيحين عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج حين زاغت
الشمس فصلى الظهر فلما سلم قام على المنبر فذكر الساعة وذكر ان بين يديها امورا عظاما ثم قال
من احب ان يسال عن شي فليسال عنه فوالله لا تسالوني عن شي الا اخبرتكم به في مقامي هذا
قال انس فاكثر الناس البكا واكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول سلوني فقام اليه رجل فقال
اين مدخلي يا رسول الله قال النار وذكر الحديث وفي مسند الامام احمد عن النعمن بن بشير
انه خطب فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يقول انذرتكم النار انذرتكم
النار حتى لو ان رجلا كان بالسوق لسمعه من مقامي هذا قال حتى وقعت خميصة كانت على
عاتقه عند رجليه وفي الصحيحين عن عدي بن حاتم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتقوا النار قال واشاح ثم قال اتقوا النار ثم اعرض واشاح ثلاثا حتى ظننا انه ينظر اليها ثم قال اتقوا النار

ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة وخرج الامام احمد من حديث عبد الله بن سلمة عن علي
او عن الزبير بن العوام قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا فيذكرنا بايام الله حتى يعرف
ذلك في وجهه وكانه نذير قوم يصبحهم الامر غدوة وكان اذا كان حديث عهد بجبريل لم
يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه وخرجه الطبراني والبزار من حديث جابر قال كان النبي صلى الله عليه
وسلم اذا اتاه الوحي او وعظ قلت نذير قوم اتاهم العذاب فاذا ذهب عنه ذلك رايت اطلق
الناس وجها واكثرهم ضحكا واحسنهم بشرا صلى الله عليه وسلم وقولهم يا رسول الله كانها موعظة
مودع فاوصنا يدل على انه كان صلى الله عليه وسلم قد ابلغ في تلك الموعظة ما لم يبلغ في غيرها
فلذلك فهموا انها موعظة مودع فان المودع يستقصي ما لا يستقصي غيره في القول والفعل
ولذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلي صلاة مودع لان من استشعر انه مودع بصلاته
اتقنها على اكمل وجوهها ولربما كان قد وقع منه صلى الله عليه وسلم تعريض في تلك الخطبة
بالتوديع كما عرض بذلك في خطبته في حجة الوداع وقال لا ادري لعلي لا القاكم بعد عامي هذا
وطفق يودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع ولما رجع من حجه الى المدينة جمع الناس بماء بين مكة
والمدينة يسمى خما وخطبهم فقال ايها الناس انما انا بشر يوشك ان ياتيني رسول ربي فاجيب
ثم حض على التمسك بكتاب الله ووصى باهل بيته خرجه مسلم وفي الصحيحين ولفظه لمسلم
عن عقبة بن عامر قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قتلى احد ثم صعد المنبر كالمودع
للاحياء والاموات فقال اني فرطكم على الحوض فان عرضه كما بين ايلة الى الجحفة واني لست
اخشى عليكم ان تشركوا بعدي ولكني اخشى عليكم الدنيا ان تنافسوا فيها وتقتتلوا فتهلكوا كما
هلك من كان قبلكم قال عقبة فكانت اخر ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر
وخرجه الامام احمد ولفظه صلى الله عليه وسلم على قتلى احد بعد ثمان سنين كالمودع
للاحياء والاموات ثم طلع المنبر فقال اني فرطكم وانا عليكم شهيد وان موعدكم الحوض
واني لانظر اليه ولست اخشى عليكم الكفر ولكن الدنيا ان تنافسوها وخرج الامام احمد
ايضا عن عبد الله بن عمرو قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما كالمودع فقال انا

محمد النبي الامي قال ذلك ثلاث مرات ولا نبي بعدي اوتيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه
وعلمت كم خزنة النار وحملة العرش وتجوز بي ربي وعوفيت وعوفيت امتي فاسمعوا
واطيعوا ما دمت فيكم فاذا ذهب بي فعليكم بكتاب الله احلوا حلاله وحرموا حرامه فلعل
الخطبة التي اشار اليها العرباض بن سارية في حديثه كانت بعض هذه الخطب او شبيها بها مما
يشعر بالتوديع وقولهم فاوصنا يعنون وصية جامعة كافية فانهم لما فهموا انه مودع
استوصوه وصية ينفعهم التمسك بها بعده ويكون فيها كفاية لمن تمسك بها وسعادة
له في الدنيا والاخرة وقوله صلى الله عليه وسلم اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة فهاتان الكلمتان
تجمعان سعادة الدنيا والاخرة اما التقوى فهي كافلة بسعادة الاخرة لمن تمسك بها وهي وصية
الله للاولين والاخرين كما قال تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله
وقد سبق شرح التقوى بما فيه كفاية في شرح حديث وصية النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ
واما السمع والطاعة لولاة امور المسلمين ففيها سعادة الدنيا وبها تنتظم مصالح العباد في
معايشهم وبها يستعينون على اظهار دينهم وطاعة ربهم كما قال علي رضي الله عنه ان الناس
لا يصلحهم الا امام بر او فاجر ان كان فاجرا عبد المؤمن فيه ربه وحمل الفاجر فيها الى
اجله وقال الحسن في الامراء هم يلون من امورنا خمسا الجمعة والجماعة والعيد والثغور
والحدود والله ما يستقيم الدين الا بهم وان جاروا وظلموا والله لما يصلح الله بهم اكثر مما يفسدون
مع ان والله ان طاعتهم لغيظ وان فرقتهم لكفر وخرج الخلال في كتاب الامارة من
حديث ابي امامة قال امر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه حين صلوا العشاء ان احشدوا فان
لي اليكم حاجة فلما فرغ من صلاة الصبح قال هل حشدتم كما امرتكم قالوا نعم قال اعبدوا الله
ولا تشركوا به شيئا هل عقلتم هذه ثلاثا قلنا نعم قال اقيموا الصلاة واتوا الزكاة هل عقلتم
هذه ثلاثا قلنا نعم قال اسمعوا واطيعوا ثلاثا هل عقلتم هذه ثلاثا قال فكنا نرى ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم سيتكلم كلاما طويلا ثم نظرنا في كلامه فاذا هو قد جمع لنا الامر كله
وبعد بين الاصلين ووصى النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع ايضا كما خرج الامام

احمد والترمذي من رواية ام الحصين الاحمسية قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخطب في حجة الوداع فسمعته يقول يا ايها الناس اتقوا الله وان امر عليكم عبد حبشي مجدع
فاسمعوا له واطيعوا ما اقام فيكم كتاب الله وخرج مسلم منه ذكر السمع والطاعة وخرج الامام
احمد والترمذي ايضا من حديث ابي امامة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب في حجة
الوداع يقول اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وادوا زكاة اموالكم واطيعوا ذا امركم
تدخلوا جنة ربكم وفي رواية اخرى انه قال ايها الناس انه لا نبي بعدي ولا امة بعدكم
وذكر الحديث بمعناه وفي المسند عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من لقي الله لا
يشرك به شيا وادى زكاة ماله طيبة بها نفسه محتسبا وسمع واطاع فله الجنة او دخل
الجنة وقوله صلى الله عليه وسلم وان تامر عليكم عبد وفي رواية حبشي هذا مما تكاثرت به
الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو مما اطلع عليه النبي صلى الله عليه وسلم من امر امته
بعده وولاية العبيد عليهم وفي صحيح البخاري عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اسمعوا واطيعوا
وان استعمل عليكم عبد حبشي كان راسه زبيبة وفي صحيح مسلم عن ابي ذر قال ان خليلي
صلى الله عليه وسلم اوصاني ان اسمع واطيع ولو كان عبدا حبشيا مجدع الاطراف والاحاديث
في المعنى كثيرة جدا ولا ينافي هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي
في الناس اثنان وقوله الناس تبع لقريش وقوله الائمة من قريش لان ولاية العبيد قد تكون
من جهة امام قرشي ويشهد لذلك ما اخرجه الحاكم من حديث علي عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال الائمة من قريش ابرارها امراء ابرارها وفجارها امراء فجارها ولكل حق فاتوا كل
ذي حق حقه وان امرت عليكم قريش عبدا حبشيا مجدعا فاسمعوا له واطيعوا واسناده
جيد ولكنه روي عن علي موقوفا وقال الدارقطني هو اشبه وقد قيل ان العبد الحبشي انما
ذكر على وجه ضرب المثل وان لم يصح وقوعه كما قال من بنى مسجدا ولو كمفحص قطاة وقوله صلى
الله عليه وسلم فمن يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفا الراشدين
المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ هذا اخبار منه صلى الله عليه وسلم بما وقع في

امته بعده من كثرة الاختلاف في اصول الدين وفروعه وفي الاقوال والافعال والاعمال
والاعتقادات وهذا موافق لما روي عنه من افتراق امته على بضع وسبعين فرقة وانها
كلها في النار الا فرقة واحدة وهي من كان على ما هو عليه واصحابه وكذلك في هذا الحديث
امر عند الافتراق والاختلاف والتمسك بسنته وسنة الخلفا الراشدين من بعده
والسنة هي الطريقة المسلوكة فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه هو وخلفاوه الراشدون
من الاعتقادات والاعمال والاقوال وهذه هي السنة الكاملة ولهذا كان السلف
قديما لا يطلقون اسم السنة الا على ما يشمل ذلك كله وروي معنى ذلك عن الحسن والاوزاعي
والفضيل بن عياض وكثير من العلما المتاخرين يخص اسم السنة بما يتعلق بالاعتقادات لانها
اصل الدين والمخالف فيها على خطر عظيم وفي ذكر هذا الكلام بعد الامر بالسمع والطاعة
لاولي الامر اشارة الى انه لا طاعة لاولي الامر الا في طاعة الله كما صح عنه انه قال انما الطاعة
في المعروف وفي المسند عن انس ان معاذ بن جبل قال يا رسول الله ارايت ان كانت علينا
امرا لا يستنون بسنتك ولا ياخذون بامرك فما تامر في امرهم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا طاعة لمن لم يطع الله عز وجل وخرج ابن ماجه من حديث ابن مسعود ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال سيلي اموركم بعدي رجال يطفيون من السنة ويعملون بالبدعة
ويوخرون الصلاة عن مواقيتها فقلت يا رسول الله ان ادركتهم كيف افعل قال لا طاعة
لمن عصا الله وفي امره صلى الله عليه وسلم باتباع سنته وسنة خلفائه الراشدين بعد امره
بالسمع والطاعة لولاة الامور عموما دليل على ان سنة الخلفا الراشدين متبعة كاتباع سنته
بخلاف غيرهم من ولاة الامور وفي مسند الامام احمد وجامع الترمذي عن حذيفة قال
كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم جلوسا فقال اني لا ادري ما قدر بقائي فيكم فاقتدوا بالذين من
بعدي واشار الى ابي بكر وعمر وتمسكوا بعهد عمار وما حدثكم ابن مسعود فصدقوه وفي
رواية وتمسكوا بعهد ابن ام عبد واهتدوا بهدي عمار فنص صلى الله عليه وسلم في اخر عمره
على من يقتدى به من بعده والخلفا الراشدين الذين امرنا بالاقتدا بهم هم ابو بكر وعمر وعثمن وعلي

فان في حديث سفينه عن النبي صلى الله عليه وسلم الخلافه بعدي ثلاثون سنه ثم تكون ملكًا
وقد صححه الامام احمد واحتج به على خلافه الايمه الاربعه ونص كثير من الايمه على ان عمر بن
عبد العزيز خليفه راشد ايضًا ويدل عليه ما خرجه الامام احمد من حديث حذيفه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال تكون النبوه فيكم ما شا الله ان تكون ثم يرفعها الله اذا شا ان يرفعها
ثم تكون خلافه على منهاج النبوه فتكون ما شا الله ان تكون ثم يرفعها الله اذا شا ثم تكون ملكًا
عاضًا فتكون ما شا الله ان تكون ثم يرفعها اذا شا ان يرفعها ثم تكون ملكا جبريه فتكون
ما شا الله ان تكون ثم اذا شا ان يرفعها ثم تكون خلافه على منهاج نبوه ثم سكت فلما ولي عمر
بن عبد العزيز دخل عليه رجل فحدثه بهذا الحديث فسر به واعجبه وكان محمد بن سيرين
احيانا يسال عن شي من الاشربه فيقول نهى عنه امام هدى عمر بن عبد العزيز وقد اختلف
العلما في اجماع الخلفا الاربعه هل هو اجماع او حجه مع مخالفه غيرهم من الصحابه ام لا وفيه
روايتان عن الامام احمد وحكم ابو خازم الحنفي في زمن المعتضد بتوريث ذوي الارحام
ولم يعتد بمن خالف الخلفا ونفذ حكمه بذلك في الافاق ولو قال بعض الخلفا الاربعه
قولا ولم يخالفه منهم احد بل خالفه غيره من الصحابه فهل يقدم قوله على قول غيره فيه
قولان ايضًا للعلما والمنصوص عن احمد انه يقدم قوله على قول غيره من الصحابه وكذا ذكره
الخطابي وغيره وكلام اكثر السلف يدل على ذلك خصوصًا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فانه
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه انه قال ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه وكان
عمر بن عبد العزيز يتبع احكامه ويستدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله جعل الحق على
لسان عمر وقلبه وقال مالك قال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاه
الامر من بعده سننا الاخذ بها اعتصام بكتاب الله وقوه على دين الله ليس لاحد تبديلها
ولا تغييرها ولا النظر في امر خالفها من اهتدى بها فهو مهتد ومن استنصر بها فهو منصور
ومن تركها واتبع غير سبيل المومنين ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وسات مصيرًا وحكى
عبد الله بن عبد الحكم عن مالك انه قال اعجبني عزم عمر على ذلك يعني هذا الكلام وروى

عبد الرحمن بن مهدي هذا الكلام عن مالك ولم يحكه عن عمر وقال خلف بن خليفه شهدت
عمر بن عبد العزيز يخطب الناس وهو خليفه فقال في خطبته الا ان ما سن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وصاحباه فهو وظيفه دين ناخذ به وننتهي اليه وروى ابو نعيم من حديث عرزب
الكندي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انه ستحدث بعدي اشيا فاحبها الي ان
تلزموا ما احدث عمر وكان علي يتبع احكامه وقضاياه ويقول ان عمر كان رشيد الامر
وروى اشعث عن الشعبي قال اذا اختلف الناس في شي فانظر كيف قضى فيه عمر فانه لم يكن
يقضي في امر لم يقض فيه قبله حتى يشاور وقال مجاهد اذا اختلف الناس في شي فانظروا
ما صنع عمر فخذوا به وقال ايوب عن الشعبي انظروا ما اجتمعت عليه امه محمد صلى الله عليه وسلم
فان الله لم يكن ليجمعها على ضلاله فاذا اختلفت فانظروا ما صنع عمر بن الخطاب فخذوا به
وسيل عكرمه عن ام الولد فقال تعتق بموت سيدها فقيل له باي شي تقول قال
بالقران قالوا باي القران قال اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم وعمر من اولي
الامر وقال وكيع اذا اجتمع عمر وعلي على شي فهو الامر وروي عن ابن مسعود انه كان يحلف
ان الصراط المستقيم هو الذي ثبت عليه عمر حتى دخل الجنه وبكل حال فما جمع عليه عمر
الصحابه فاجتمعوا عليه في عصره فلا شك انه الحق ولو خالف بعد ذلك فيه من خالف
كقضايه في مسايل من الفرايض كالعول وفي زوج وابوين وزوجه وابوين ان للام ثلث
الباقي وكقضايه فيمن جامع في احرامه انه يمضي في نسكه وعليه القضا والهدي ومثل ما
قضى به في امراه المفقود ووافقه غيره من الخلفا ايضًا ومثل ما جمع عليه الناس في الطلاق
الثلاث وفي تحريم متعه النسا ومثل ما فعله من وضع الديوان ووضع الخراج على ارض
العنوه وعقد الذمه لاهل الذمه بالشروط التي شرطها عليهم ونحو ذلك ويشهد لصحه
ما جمع عليه عمر الصحابه فاجتمعوا عليه ولم يخالف في وقته قول النبي صلى الله عليه وسلم رايتني
في المنام انزع على قليب فجا ابو بكر فنزع ذنوبا او ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر
له ثم جا ابن الخطاب فاستحالت غربا فلم ار احدا يفري فريه حتى روي الناس وضربوا

بعطش وفي رواية فلم ار عبقريا من الناس ينزع نزع ابن الخطاب وفي رواية حتى تولى والحوض
يتفجر وهذا اشارة الى ان عمر لم يمت حتى وضع الامور مواضعها واستقامت الامور وذلك
لطول مدته وتفرغه للحوادث واهتمامه بها بخلاف مدة ابي بكر فانها كانت قصيرة
وكان مشغولا فيها بالفتوح وبعث البعوث للقتال فلم يتفرغ لكثير من الحوادث وربما
كان يقع في زمنه ما لا يبلغه ولا يرفع اليه حتى رفعت تلك الحوادث الى عمر فرد الناس
فيها الى الحق وحملهم على الصواب واما ما لم يجمع عمر عليه الناس بل كان له فيه راي وهو
يسوغ لغيره ان يرى رايا يخالف رايه كمسايل الجد مع الاخوة ومسلة طلاق البتة
فلا يكون قول عمر فيه حجة على غيره من الصحابة والله اعلم وانما وصف الخلفا بالراشدين
لانهم عرفوا الحق وقضوا به فالراشد ضد الغاوي والغاوي من عرف الحق وعمل
بخلافه وفي رواية المهديين يعني ان الله يهديهم الى الحق ولا يضلهم عنه فالاقسام
ثلاثة راشد وغاو وضال فالراشد عرف الحق واتبعه والغاوي عرفه ولم يتبعه والضال
لم يعرفه بالكلية وكل راشد فهو مهتد وكل مهتد هداية تامة فهو راشد لان الهداية انما
تتم بمعرفة الحق والعمل به ايضا وقوله عضوا عليها بالنواجذ كناية عن شدة التمسك بها
والنواجذ الاضراس قوله واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة تحذير
للامة من اتباع الامور المحدثة المبتدعة واكد ذلك بقوله كل بدعة ضلالة والمراد بالبدعة
ما احدث مما لا اصل له في الشريعة يدل عليه فاما ما كان له اصل في الشرع يدل عليه فليس
ببدعة شرعا وان كان بدعة لغة وفي صحيح مسلم عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يقول في خطبته ان خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الامور
محدثاتها وكل بدعة ضلالة وخرج الترمذي وابن ماجه من حديث كثير بن عبد الله
المزني وفيه ضعف عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ابتدع بدعة ضلالة
لا يرضاها الله ورسوله كان عليه مثل اثام من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزارهم شيا وخرج
الامام احمد من رواية غضيف بن الحرث الثمالي قال بعث الي عبد الملك بن مروان فقال

انا قد جمعنا الناس على امرين رفع الايدي على المنابر يوم الجمعة والقصص بعد الصبح والعصر
فقال اما انهما امثل بدعتكم عندي ولست مجيبكم الى شي منهما لان النبي صلى الله عليه وسلم قال
ما احدث قوم بدعة الا رفع مثلها من السنة فتمسك بسنة خير من احداث بدعة
وقد روي عن ابن عمر من قوله نحو هذا فقوله صلى الله عليه وسلم كل بدعة ضلالة من جوامع
الكلم لا يخرج عنه شي وهو اصل عظيم من اصول الدين وهو شبيه بقوله من احدث في
امرنا هذا ما ليس منه فهو رد فكل من احدث شيا ونسبه الى الدين ولم يكن له اصل من
الدين يرجع اليه فهو ضلالة والدين بري منه وسوا في ذلك مسايل الاعتقادات او الاعمال
او الاقوال الظاهرة والباطنة واما ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع فانما
ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية فمن ذلك قول عمر رضي الله عنه لما جمع الناس في قيام رمضان
على امام واحد في المسجد وخرج وراهم يصلون كذلك فقال نعمت البدعة هذه وروي
عنه انه قال ان كانت هذه بدعة فنعم البدعة وروي ان ابي بن كعب قال له ان هذا
لم يكن فقال عمر قد علمت ولكنه حسن ومراده ان هذا الفعل لم يكن على هذا الوجه قبل هذا
الوقت ولكن له اصول من الشريعة يرجع اليها فمنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحث على قيام
رمضان ويرغب فيه وكان الناس في زمنه يقومون في المسجد جماعات متفرقة ووحدانا
وهو صلى الله عليه وسلم صلى باصحابه في رمضان غير ليلة ثم امتنع من ذلك معللا بانه خشي ان
يكتب عليهم فيعجزوا عن القيام به وهذا قد امن بعده صلى الله عليه وسلم وروي عنه انه
كان يقوم باصحابه ليالي الافراد في العشر الاواخر ومنها انه صلى الله عليه وسلم امر باتباع سنة خلفايه
الراشدين وهذا قد صار من سنة خلفايه الراشدين فان الناس اجتمعوا عليه في زمن عمر وعثمن
وعلي ومن ذلك اذان الجمعة الاول زاده عثمن لحاجة الناس اليه واقره علي رضي الله عنه واستمر عمل
المسلمين عليه وروي عن ابن عمر انه قال هو بدعة ولعله اراد ما اراد ابوه في قيام رمضان ومن ذلك
جمع المصحف في كتاب واحد توقف فيه زيد بن ثابت وقال لابي بكر وعمر كيف تفعلان ما لم
يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ثم علم انه مصلحة فوافق على جمعه وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يامر

١٥٤

بكتابة الوحي ولا فرق بين ان يكتب مفرقًا او مجموعًا بل جمعه صار اصلح وكذلك جمع عثمن
الامة على مصحف واحدٍ واعدامه لما خالفه خشية تفرق الامة وقد استحسنه
علي واكثر الصحابة وكان ذلك عين المصلحة وكذلك قتال من منع الزكاة توقف فيه عمر
وغيره حتى بين له ابو بكر اصله الذي يرجع اليه من الشريعة فوافقه الناس على ذلك ومن ذلك
القصص وقد سبق قول غضيف بن الحرث انه بدعة وقال الحسن القصص بدعة
ونعمت البدعة كم من دعوة مستجابة وحاجة مقضية واخ مستفاد وانما عنى هولا
بانه بدعة الهيئة الاجتماعية عليه في وقت معين فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له وقت
معين يقص على اصحابه فيه غير خطبه الراتبة في الجمع والاعياد وانما كان يذكرهم احيانا او
عند حدوث امرٍ يحتاج الى التذكير عنده ثم ان الصحابة اجتمعوا على تعيين وقت له كما سبق
عن بن مسعود انه كان يذكر اصحابه كل خميس وفي صحيح البخاري عن بن عباس قال حدث الناس يوم
كل جمعة مرة فان ابيت فمرتين فان اكثرت فثلاث ولا تمل الناس وفي المسند عن عايشة
انها وصت قاص اهل المدينة بمثل ذلك وروي عنها انها قالت لعبيد بن عمير حدث الناس
يوما ودع الناس يوما لا تملهم وروي عن عمر بن عبد العزيز انه امر القاص ان يقص كل ثلاثة
ايام مرة وروي عنه انه قال روح الناس ولا تثقل عليهم ودع القصص يوم السبت ويوم
الثلثا وقد روي الحافظ ابو نعيم باسناده عن ابرهيم بن الجنيد قال سمعت الشافعي يقول
البدعة بدعتان بدعة محمودة وبدعة مذمومة فما وافق السنة فهو محمود وما خالف
السنة فهو مذموم واحتج بقول عمر نعم البدعة هي ومراد الشافعي رحمه الله ما ذكرناه من
قبل ان البدعة المذمومة ما ليس لها اصل من الشريعة ترجع اليه وهي البدعة في اطلاق الشرع
واما البدعة المحمودة فما وافق السنة يعني ما كان لها اصل من السنة ترجع اليه وانما هي بدعة
لغة لا شرعًا لموافقتها السنة وقد روي عن الشافعي كلام اخر يفسر هذا وانه قال المحدثات
ضربان ما احدث مما يخالف كتابا او سنة او اثرًا او اجماعًا فهذه البدعة الضلالة وما
احدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا وهذه محدثة غير مذمومة وكثير من الامور

التي حدثت ولم يكن قد اختلف العلما في انها هل هي بدعة حسنة ترجع الى السنة ام لا فمنها
كتابة الحديث نهى عنه عمر وطايفة من الصحابة ورخص فيه الاكثرون واستدلوا له باحاديث
من السنة ومنها كتابة تفسير الحديث والقران كرهه قوم من العلما ورخص فيه
كثير منهم وكذلك اختلافهم في كتابة الراي في الحلال والحرام ونحوه وفي توسعة الكلام
في المعاملات واعمال القلوب التي تنقل عن الصحابة والتابعين وكان الامام احمد يكره اكثر
ذلك وفي هذه الازمان التي بعد العهد فيها بعلوم السلف يتعين ضبط ما نقل عنهم
من ذلك كله ليتميز به ما كان من العلم موجودًا في زمانهم وما حدث من ذلك بعدهم فيعلم
بذلك السنة من البدعة وقد صح عن ابن مسعود انه قال انكم قد اصبحتم اليوم على الفطرة وانكم
ستحدثون ويحدث لكم فاذا رايتم محدثة فعليكم بالهدي الاول وابن مسعود قال هذا في
زمن الخلفا الراشدين وروي ابن مهدي عن مالك قال لم يكن شي من هذه الاهوا في عهد
النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمن وكان مالكا يشير بالاهوا الى ما حدث من التفرق
في اصول الديانات من امر الخوارج والروافض والمرجية ونحوهم ممن تكلم في تكفير المسلمين
واستباحة دمايهم واموالهم او في تخليدهم في النار او في تفسيق خواص هذه الامة او عكس
ذلك فزعم ان المعاصي لا تضر اهلها او انه لا يدخل النار من اهل التوحيد احد واصعب
من ذلك ما احدث ~~في افعال~~ من الكلام في افعال الله تعالى من قضايه وقدره فكذب
بذلك من كذب وزعم انه نزه الله بذلك عن الظلم واصعب من ذلك ما احدث من الكلام
في ذات الله تعالى وصفاته مما سكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه والتابعون لهم باحسان
فقوم نفوا كثيرا مما ورد في الكتاب والسنة من ذلك وزعموا انهم فعلوه تنزيها لله عما تقتضي
العقول تنزيهه عنه وزعموا ان لازم ذلك مستحيل على الله وقوم لم يكتفوا باثباته حتى
اثبتوا باثباته ما يظن انه لازم له بالنسبة الى المخلوقين وهذه اللوازم نفيا واثباتا درج صدر
الامة على السكوت عنها ومما حدث في الامة بعد عصر الصحابة والتابعين الكلام في الحلال
والحرام بمجرد الراي ورد كثير مما وردت به السنة في ذلك لمخالفته للراي والاقيسة

العقليه ومما حدث بعد ذلك الكلام في الحقيقه بالذوق والكشف وزعم ان الحقيقه
تنافي الشريعه وان المعرفه وحدها تكفي مع المحبه وانه لا حاجه الي الاعمال وانها حجاب
او ان الشريعه انما يحتاج اليها العوام وربما انضم الي ذلك الكلام في الذات والصفات
بما يعلم قطعا مخالفته للكتاب والسنه واجماع سلف الامه والله يهدي من يشا الي صراط
مستقيم

الحديث التاسع والعشرون

عن معاذ رضي الله عنه قال
قلت يا رسول الله اخبرني بعمل يدخلني الجنه ويباعدني من النار قال لقد سالت عن
عظيم وانه ليسير علي من يسره الله عليه تعبد الله لا تشرك به شيا وتقيم الصلاه وتوتي
الزكاه وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال الا ادلك علي ابواب الخير الصوم جنه والصدقه
تطفي الخطيه كما يطفي الما النار وصلاه الرجل من جوف الليل ثم تلا تتجافي جنوبهم عن
المضاجع حتي بلغ يعملون ثم قال الا اخبرك براس الامر وعموده وذروه سنامه قلت
بلي يا رسول الله قال راس الامر الاسلام وعموده الصلاه وذروه سنامه الجهاد ثم قال
الا اخبرك بملاك ذلك كله قلت بلي يا رسول الله فاخذ بلسانه قال كف عليك هذا
قلت يا نبي الله وانا لمواخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك امك وهل يكب الناس في النار علي وجوههم
او علي مناخرهم الا حصايد السنتهم رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح هذا
الحديث خرجه الامام احمد والترمذي والنسائي وابن ماجه من روايه معمر عن عاصم بن ابي
النجود عن ابي وايل عن معاذ بن جبل وقال الترمذي حسن صحيح وفيما قاله رحمه الله نظر من
وجهين احدهما انه لم يثبت سماع ابي وايل من معاذ وان كان قد ادركه بالسن وكان معاذ بالشام
وابو وايل بالكوفه ومازال الايمه كاحمد وغيره يستدلون علي انتفا السماع بمثل هذا
وقد قال ابو حاتم الرازي في سماع ابي وايل من ابي الدردا ادركه وكان بالكوفه وابو
الدردا بالشام يعني انه لم يصح له سماع منه وقد حكي ابو زرعه الدمشقي عن قوم انهم
توقفوا في سماع ابي وايل من عمر او نفوه فسماعه من معاذ ابعد والثاني انه قد رواه
حماد بن سلمه عن عاصم ابن ابي النجود عن شهر بن حوشب عن معاذ خرجه الامام احمد

الله

مختصرا قال الدارقطني وهو اشبه بالصواب لان الحديث معروف من روايه شهر
علي اختلاف عليه فيه قلت وروايه شهر عن معاذ مرسله يقينا وشهر مختلف في توثيقه
وتضعيفه وقد خرجه الامام احمد من روايه شهر عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ وخرجه
الامام احمد ايضا من روايه عروه بن النزال او النزال بن عروه وميمون بن ابي شبيب كلاهما
عن معاذ ولم يسمع عروه ولا ميمون من معاذ وله طرق اخري عن معاذ كلها ضعيفه وقوله
اخبرني بعمل يدخلني الجنه ويباعدني عن النار قد تقدم في شرح الحديث الثاني والعشرين
من وجوه ثابته من حديث ابي هريره وابي ايوب وغيرهما ان النبي صلي الله عليه وسلم سيل
عن مثل هذه المسله واجاب بنحو ما اجاب به في حديث معاذ وفي روايه للامام احمد
من حديث معاذ انه قال يا رسول الله اني اريد ان اسالك عن كلمه قد امرضتني واسقمتني
واحزنتني قال سل عما شيت قال اخبرني بعمل يدخلني الجنه ولا اسالك غيره وهذا يدل
علي شده اهتمام معاذ رضي الله عنه بالاعمال الصالحه وفيه دليل علي ان الاعمال سبب
لدخول الجنه كما قال تعالي وتلك الجنه التي اورثتموها بما كنتم تعملون واما قوله صلي الله عليه
وسلم لن يدخل احد منكم الجنه بعمله فالمراد والله اعلم ان العمل بنفسه لا يستحق به احد
الجنه لولا ان الله تعالي جعله بفضله ورحمته سببا الي ذلك والعمل نفسه من رحمه
الله وفضله علي عبده فالجنه واسبابها كل من فضل الله ورحمته وقوله لقد سالت
عن عظيم قد سبق في شرح الحديث المشار اليه ان النبي صلي الله عليه وسلم قال لرجل ساله
عن مثل هذا لين كنت اوجزت المسله لقد اعظمت او طولت وذلك لان دخول الجنه
والنجاه من النار امر عظيم جدا ولاجله انزل الله الكتب وارسل الرسل وقال النبي صلي
الله عليه وسلم لرجل كيف تقول اذا صليت قال اسال الله الجنه واعوذ به من النار
ولا احسن دندنتك ولا دندنه معاذ يشير الي كثره دعايهما واجتهادهما في المسله
فقال النبي صلي الله عليه وسلم حولهما ندندن وفي روايه قال هل تصير دندنتي
ودندنه معاذ الا ان نسال الله الجنه ونعوذ به من النار وقوله وانه ليسير علي من

يبشره الله عليه اشاره الي ان التوفيق كله بيد الله فمن بشر الله عليه الهدي اهتدي ومن لم
يبشره عليه لم يتيسر له ذلك قال تعالي فاما من اعطي واتقي وصدق بالحسني فسنيسره
لليسري واما من بخل واستغني وكذب بالحسني فسنيسره للعسري وقال صلي الله عليه
وسلم اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما اهل السعاده فييسرون لعمل اهل السعاده واما اهل
الشقاوه فييسرون لعمل اهل الشقاوه ثم تلا صلي الله عليه وسلم هذه الايه وكان النبي صلي الله
عليه وسلم يقول في دعايه واهدني ويسر الهدي لي واخبر الله عن نبيه موسي عليه السلام
انه قال في دعايه رب اشرح لي صدري ويسر لي امري وكان بن عمر يدعوا اللهم يسرني
لليسري وجنبني العسري وقد سبق في شرح الحديث المشار اليه توجيه ترتيب دخول
الجنه علي الاتيان باركان الاسلام الخمسه وهي التوحيد والصلاه والزكاه والصيام
والحج وقوله الا ادلك علي ابواب الخير لما رتب دخول الجنه علي واجبات الاسلام دله بعد
ذلك علي ابواب الخير من النوافل فان افضل اوليا الله هم المقربون الذين يتقربون اليه
بالنوافل بعد اداء الفرايض قوله الصوم جنه هذا الكلام ثابت عن النبي صلي الله عليه وسلم
من وجوه كثيره وخرجاه في الصحيحين من حديث ابي هريره عن النبي صلي الله عليه وسلم وخرجه
الامام احمد بزياده وهي الصيام جنه وحصن حصين من النار وخرج من حديث عثمن بن
ابي العاص عن النبي صلي الله عليه وسلم قال الصوم جنه من النار كجنه احدكم من القتال ومن
حديث جابر عن النبي صلي الله عليه وسلم قال قال ربنا عز وجل الصيام جنه يستجن بها
العبد من النار وخرج احمد والنساي من حديث ابي عبيده عن النبي صلي الله عليه وسلم
قال الصيام جنه ما لم يخرقها وقوله ما لم يخرقها يعني بالكلام السيي ونحوه ولهذا في حديث
ابي هريره المخرج في الصحيحين عن النبي صلي الله عليه وسلم الصيام جنه فاذا كان يوم صوم احدكم
فلا يرفث ولا يجهل فان امر شابه فليقل اني امر صايم وقال بعض السلف الغيبه
تخرق الصيام والاستغفار يرقعه فمن استطاع منكم ان لا ياتي بصوم مخرق فليفعل
وقال ابن المنكدر الصيام اذا اغتاب خرق واذا استغفر رقع وخرج الطبراني باسناد

فيه نظر عن ابي هريره مرفوعا الصيام جنه ما لم يخرقها قيل بم يخرقه قال بكذب او غيبه
فالجنه هي ما يستجن بها العبد كالمجن الذي يقيه عند القتال من الضرب فكذلك الصيام
يقي صاحبه من المعاصي في الدنيا كما قال عز وجل يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب علي الذين
من قبلكم لعلكم تتقون فاذا كان له جنه من المعاصي كان له في الاخره جنه من النار وان لم يكن له جنه
في الدنيا من المعاصي لم يكن له جنه في الاخره من النار وخرج بن مردويه من حديث علي مرفوعا
قال بعث الله يحيي بن زكريا الي بني اسرايل بخمس كلمات فذكر الحديث بطوله وفيه وان
الله يامركم ان تصوموا ومثل ذلك كمثل رجل مشي الي عدوه وقد اتخذ للقتال جنه فلا
يخاف من حيث ما اتي وخرجه من وجه اخر عن علي موقوفا وفيه قال والصيام مثله
كمثل رجل انتصره الناس فاستجد في السلاح حتي ظن انه لن يصل اليه سلاح العدو فكذلك
الصيام جنه قوله والصدقه تطفي الخطيه كما يطفي الما النار هذا الكلام روي عن النبي صلي الله
عليه وسلم من وجوه اخر فخرجه الامام احمد والترمذي من حديث كعب بن عجره عن النبي
صلي الله عليه وسلم قال الصوم جنه حصينه والصدقه تطفي الخطيه كما يطفي الما النار وخرجه
الطبراني وغيره من حديث انس عن النبي صلي الله عليه وسلم قال ان صدقه السر تطفي غضب
الرب وتدفع ميته السو وروي عن علي بن الحسين انه كان يحمل الخبز علي ظهره بالليل يتبع
به المساكين في ظلمه الليل ويقول ان الصدقه في سواد الليل تطفي غضب الرب عز وجل قوله
وصلاه الرجل في جوف الليل يعني انها تطفي الخطيه ايضا كالصدقه ويدل علي ذلك ما خرجه
الامام احمد من روايه عروه بن النزال عن معاذ قال اقبلنا مع النبي صلي الله عليه وسلم من غزوه
تبوك فذكر الحديث وفيه الصوم جنه والصدقه وقيام العبد في جوف الليل يكفر الخطيه
وفي صحيح مسلم عن ابي هريره عن النبي صلي الله عليه وسلم قال افضل الصلاه بعد المكتوبه قيام
الليل وقد روي عن جماعه من الصحابه ان الناس يحترقون بالنهار بالذنوب فكلما قاموا
الي صلاه من الصلوات المكتوبات اطفيوا ذنوبهم وروي ذلك مرفوعا من وجوه فيها
نظر فكذلك قيام الليل يكفر الخطايا لانه افضل نوافل الصلوات وفي الترمذي من حديث بلال

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عليكم بقيام الليل فانه داب الصالحين قبلكم وان قيام الليل قربة
الى الله عز وجل ومنهاة عن الاثم وتكفير للسيات ومطردة للداء عن الجسد وخرجه ايضا
من حديث ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وقال هو اصح من حديث بلال وخرجه
بن خزيمة والحاكم في صحيحيهما من حديث ابي امامة ايضا وقال بن مسعود فضل صلاة الليل على
صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية وخرجه ابو نعيم عنه مرفوعا والموقوف اصح
وقد تقدم ان صدقة السر تطفي الخطيه وتطفي غضب الرب فكذلك صلاة الليل وقوله ثم تلا
تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما اخفي
لهم من قرة اعين جزا بما كانوا يعملون يعني ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا هاتين الايتين عند ذكره
فضل صلاة الليل ليبين بذلك فضل الصلاة بالليل وقد روي عن انس ان هذه الاية نزلت في انتظا ز
صلاة العشا خرجه الترمذي وصححه وروي عنه انه قال في هذه الاية كانوا يتنفلون بين
المغرب والعشا خرجه ابو داود وروي نحوه عن بلال خرجه البزار باسناد ضعيف وكل
هذا يدخل في عموم لفظ الاية فان الله مدح الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع لدعايه فيشمل
ذلك كل من ترك النوم بالليل لذكر الله ودعايه فيدخل فيه من صلى بين العشايين ومن انتظر
صلاة العشا فلم ينم حتى يصليها لاسيما مع حاجته الى النوم ومجاهدة نفسه على تركه
لادا الفريضة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمن انتظر صلاة العشا انكم لن تزالوا في صلاة ما
انتظرتم الصلاة ويدخل فيه من نام ثم قام من نومه بالليل للتهجد وهو افضل انواع التطوع بالصلاة
مطلقا وربما دخل فيه من ترك النوم عند طلوع الفجر وقام الى ادا صلاة الصبح لاسيما مع
غلبة النوم عليه ولهذا يشرع للموذن في اذان الفجر ان يقول في اذانه الصلاة خير من النوم
وقوله صلى الله عليه وسلم وصلاة الرجل من جوف الليل ذكر افضل اوقات التهجد بالليل
وهو جوف الليل وخرج الترمذي والنساي من حديث ابي امامة قال قيل يا رسول الله اي
الدعا اسمع قال جوف الليل الاخر ودبر الصلوات المكتوبات وخرجه بن ابي الدنيا ولفظه
جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم قال اي الصلاة افضل قال جوف الليل الاوسط قال اي الدعا

اسمع قال دبر المكتوبات وخرج النساي من حديث ابي ذر قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم
اي الليل خير قال خير الليل جوفه وخرج الامام احمد من حديث ابي مسلم قال قلت لابي ذر
اي قيام الليل افضل قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم كما سالتني فقال جوف الليل الغابر او نصف
الليل وقليل فاعله وخرج البزار والطبراني من حديث ابن عمر قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم
اي الليل اجوب دعوة قال جوف الليل زاد البزار في روايته الاخر وخرج الترمذي من
حديث عمرو بن عبسة سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اقرب ما يكون الرب من العبد في جوف
الليل الاخر فان استطعت ان تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن وصححه وخرجه الامام
احمد ولفظه قال قلت يا رسول الله اي الساعات افضل قال جوف الليل الاخر وفي رواية
له ايضا قال جوف الليل الاخر اجوبه دعوة وفي رواية له قلت يا رسول الله هل من ساعة
من اقرب الى الله اخرى قال جوف الليل الاخر وخرج بن ماجه وعنده جوف الليل الاوسط
وفي رواية للامام احمد عن عمرو بن عبسة قال قلت يا رسول الله هل من ساعة افضل من
ساعة فقال ان الله ليتدلى في جوف الليل فيغفر الا ما كان من الشرك وقد قيل ان جوف
الليل اذا اطلق فالمراد به وسطه وان قيل جوف الليل الاخر فالمراد وسط النصف الثاني وهو
السدس الخامس من اسداس الليل وهو الوقت الذي ورد فيه النزول الالهي وقوله صلى
الله عليه وسلم الا اخبرك براس الامر وعموده وذروة سنامه قلت بلى قال راس الامر
الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد وفي رواية للامام احمد من رواية شهر
بن حوشب عن ابن غنم عن معاذ قال قال لي نبي الله صلى الله عليه وسلم ان شيت حدثتك براس
هذا الامر وقوام هذا الامر وذروة السنام قلت بلى فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم ان
راس هذا الامر ان تشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
وان قوام هذا الامر اقام الصلاة وايتا الزكاة وان ذروة السنام منه الجهاد في سبيل الله انما
امرت ان اقاتل الناس حتى يقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة ويشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا
عبده ورسوله فاذا فعلوا ذلك فقد اعتصموا وعصموا دماهم واموالهم الا بحقها وحسا
بهم

علي الله عز وجل وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده ما شحب وجه ولا
اغبرت قدم في عمل تبتغي فيه درجات الجنه بعد الصلاه المفروضه كجهاد في سبيل الله ولا
ثقل ميزان عبد كدابه تنفق له في سبيل الله او يحمل عليها في سبيل الله فاخبر النبي صلي الله عليه
وسلم عن ثلاثه اشيا راس الامر وعموده وذروه سنامه فاما راس الامر ويعني بالامر الدين
الذي بعث به وهو الاسلام وقد جا تفسيره في الروايه الاخري بالشهادتين فمن لم يقر بهما
ظاهرا وباطنا فليس من الاسلام في شي واما قوام الدين الذي يقوم به الدين كما يقوم الفسطاط علي
عموده فهو الصلاه وفي الروايه الاخري اقام الصلاه وايتا الزكاه وقد سبق القول في اركان
الاسلام وارتباط بعضها ببعض واما ذروه سنامه وهو اعلا ما فيه وارفعه فهو الجهاد
وهذا يدل علي انه افضل الاعمال بعد الفرايض كما هو قول الامام احمد وغيره من العلما وقوله
في روايه الامام احمد والذي نفس محمد بيده ما شحب وجه ولا اغبرت قدم في عمل يبتغي به
درجات الجنه بعد الصلاه المفروضه كجهاد في سبيل الله عز وجل يدل علي ذلك صريحا وفي
الصحيحين عن ابي ذر قال قلت يا رسول الله اي العمل افضل قال ايمان بالله وجهاد في سبيله
وفيهما عن ابي هريره عن النبي صلي الله عليه وسلم قال افضل الاعمال ايمان بالله ثم جهاد في سبيل
الله والاحاديث في هذا المعني كثيره جدا قوله الا اخبرك بملاك ذلك كله فاخذ
بلسانه فقال كف عليك هذا الي اخر الحديث هذا يدل علي ان كف اللسان وضبطه وحبسه
هو اصل الخير كله وان من ملك لسانه فقد ملك امره واحكمه وضبطه وقد سبق الكلام علي
هذا المعني في شرح حديث من كان يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت وفي
شرح حديث قل امنت بالله ثم استقم وخرج البزار في مسنده من حديث ابي اليسر ان رجلا
قال يا رسول الله دلني علي عمل يدخلني الجنه قال امسك هذا واشار الي لسانه فاعادها عليه
فقال ثكلتك امك هل يكب الناس علي مناخرهم في النار الا حصايد السنتهم وقال اسناده
حسن والمراد بحصايد الالسنه جزا الكلام المحرم وعقوباته فان الانسان يزرع بقوله
وعمله الحسنات والسيات ثم يحصد يوم القيمه ما زرع فمن زرع خيرا من قول او عمل

حصد او من زرع شرا من قول او عمل حصد غدا الندامه وظاهر حديث معاذ يدل علي
ان اكثر ما يدخل به الناس النار النطق بالسنتهم فان معصيه النطق يدخل فيها الشرك وهو اعظم
الذنوب عند الله عز وجل ويدخل فيها القول علي الله بغير علم وهو قرين الشرك ويدخل فيها
شهاده الزور التي عدلت الاشراك بالله ويدخل فيها السحر والقذف وغير ذلك من الكباير
والصغاير كالكذب والنميمه والغيبه وساير المعاصي الفعليه لا تخلو غالبا من قول يقترن
بها يكون معينا عليها وفي حديث ابي هريره عن النبي صلي الله عليه وسلم اكثر ما يدخل الناس النار
الاجوفان الفم والفرج خرجه الامام احمد والترمذي وروي مالك عن زيد بن اسلم عن ابيه ان
عمر دخل علي ابي بكر الصديق رضي الله عنهما وهو يجبذ لسانه فقال عمر مه غفر الله لك
فقال ابو بكر هذا اوردني الموارد وقال ابن بريده رايت ابن عباس اخذا بلسانه وهو يقول
ويحك قل خيرا تغنم او اسكت عن سو تسلم والا فاعلم انك ستندم قال فقيل له يا ابا عباس
لم تقول هذا قال انه بلغني ان الانسان اراه قال ليس علي شي من جسده اشد حنقا او غيظا يوم
القيمه منه علي لسانه الا ما قال به خيرا او املا به خيرا وكان ابن مسعود يحلف بالله الذي لا
اله الا هو ما علي الارض شي احوج الي طول سجن من لسان وقال الحسن اللسان امير البدن فاذا
جني علي الاعضا شيا جنت واذا عف عفت وقال يونس ابن عبيد ما رايت احدا لسانه منه
علي بال الا رايت ذلك صلاحا في ساير عمله وقال يحيي ابن ابي كثير ما صلح منطق رجل قط الا
عرفت ذلك في ساير عمله ولا فسد منطق رجل قط الا عرفت ذلك في ساير عمله وقال المبارك
بن فضاله عن يونس بن عبيد لا تجد شيا من البر واحدا يتبعه البر كله غير اللسان فانك
تجد الرجل يصوم النهار ويفطر علي حرام ويقوم الليل ويشهد بالزور بالنهار وذكر اشيا نحو
هذا ولكن لا تجده لا يتكلم الا بحق فيخالف ذلك عمله ابدا

الحديث الثلاثون

عن ابي ثعلبه الخشني رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال ان الله فرض
فرايض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وحرم اشيا فلا تنتهكوها وسكت عن اشيا
رحمه لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها حديث حسن رواه الدارقطني وغيره هذا الحديث

من رواية مكحول عن ابي ثعلبة الخشني وله علتان احداهما ان مكحولا لم يصح له السماع من
ابي ثعلبة كذلك قال ابو مسهر الدمشقي وابو نعيم الحافظ وغيرهما والثانية انه اختلف
في رفعه ووقفه على ابي ثعلبة ورواه بعضهم عن مكحول من قوله لكن قال الدارقطني الاشبه
بالصواب المرفوع قال وهو اشهر وقد حسن الشيخ رحمه الله هذا الحديث وكذلك حسنه
قبله الحافظ ابو بكر بن السمعاني في اماليه وقد روي معنى هذا الحديث مرفوعا من وجوه
اخر خرجه البزار في مسنده والحاكم من حديث ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ما احل الله في كتابه فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو فاقبلوا من الله
عافيته فان الله لم يكن لينسى شيئا ثم تلى هذه الاية وما كان ربك نسيا وقال الحاكم صحيح الاسناد
وقال البزار اسناده صالح وخرجه الطبراني والدارقطني من وجه اخر عن ابي الدرداء عن
النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث ابي ثعلبة وقال في اخره رحمة من الله فاقبلوها ولكن
اسناده ضعيف وخرج الترمذي وابن ماجه من رواية سيف بن هرون عن سليمن التيمي عن
ابي عثمن عن سلمان قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السمن والجبن والفرا فقال
الحلال ما احل الله في كتابه والحرام ما حرم الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما عفا
عنه وقال الترمذي رواه سفين يعني ابن عيينة عن سليمن عن ابي عثمن عن سلمان من قوله
قال وكانه اصح وذكر في كتاب العلل عن البخاري انه قال في الحديث المرفوع ما اراه
محفوظا وقال احمد هو منكر وانكره ابن معين ايضا وقال ابو حاتم الرازي هو خطا رواه
الثقات عن التيمي عن ابي عثمن عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا قلت وقد روي عن سلمان من
قوله من وجوه اخر وخرجه ابن عدي من حديث ابن عمر مرفوعا وضعف اسناده ورواه
صالح المري عن الجريري عن ابي عثمن النهدي عن عايشة مرفوعا واخطا في اسناده وروي
عن الحسن مرسلا وخرج ابو داود من حديث ابن عباس قال كان اهل الجاهلية ياكلون
اشيا ويتركون اشيا تقذرا فبعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم وانزل كتابه واحل حلاله
وحرم حرامه فما احل فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو وتلا قل

لا اجد فيما اوحي الي محرما الى اخر الاية وهذا موقوف وقال عبيد بن عمير ان الله احل حلالا
وحرم حراما فما احل فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو فحديث
ابي ثعلبة قسم فيه احكام الله اربعة اقسام فرايض ومحارم وحدود ومسكوت عنه وذلك
يجمع احكام الدين كلها قال ابو بكر بن السمعاني هذا الحديث اصل كبير من اصول الدين قال وحكي
عن بعضهم انه قال ليس في احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث واحد اجمع بانفراده
لاصول العلم وفروعه من حديث ابي ثعلبة قال وحكي عن ابي واثلة المزني انه قال جمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم الدين في اربع كلمات ثم ذكر حديث ابي ثعلبة قال ابن السمعاني فمن عمل
بهذا الحديث فقد حاز الثواب وامن العقاب لان من ادى الفرايض واجتنب المحارم ووقف
عند الحدود وترك البحث عما غاب عنه فقد استوفى اقسام الفضل واوفى حقوق الدين لان
الشرايع لا تخرج عن هذه الانواع المذكورة في هذا الحديث انتهى فاما الفرايض فما فرضه
الله على عباده والزمهم القيام به كالصلاة والزكاة والصيام والحج وقد اختلف العلما هل الواجب
والفرض بمعنى واحد ام لا فمنهم من قال هما سوا وكل واجب بدليل شرعي من كتاب او سنة او
اجماع او غير ذلك من ادلة الشرع فهو فرض وهو المشهور عن اصحاب الشافعي وغيرهم وحكي
رواية عن احمد لانه قال كل ما في الصلاة فهو فرض ومنهم من قال بل الفرض ما ثبت بدليل
مقطوع به والواجب ما ثبت بغير مقطوع به وهو قول الحنفية وغيرهم واكثر النصوص عن
احمد تفرق بين الفرض والواجب فنقل جماعة من اصحابه عنه انه قال لا يسمى فرضا الا ما
كان في كتاب الله وقال في صدقة الفطر ما اجتري ان اقول انها فرض مع انه يقول بوجوبها
فمن اصحابنا من قال مراده ان الفرض ما ثبت بالكتاب والواجب ما ثبت بالسنة ومنهم من
قال اراد ان الفرض ما ثبت بالاستفاضة والنقل المتواتر والواجب ما ثبت من جهة الاجتهاد
وساغ الخلاف في وجوبه ويشكل على هذا ان احمد قال في رواية الميموني في بر الوالدين ليس بفرض
ولكن اقول واجب ما لم يكن معصية وبر الوالدين مجمع على وجوبه وقد كثرت الاوامر به في
الكتاب والسنة فظاهر هذا انه لا يقول فرضا الا ما ورد في الكتاب او السنة تسميته فرضا

وقد اختلف السلف في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هل يسمى فريضه ام لا فقال جويبر عن
الضحاك هما من فرايض الله عز وجل وكذا روي عن مالك وروي عن عبد الواحد ابن زيد
عن الحسن قال ليس بفريضه كان فريضه علي بني اسرايل فرحم الله هذه الامه لضعفهم
فجعله عليهم نافله وكتب عبد الله ابن شبرمه الي عمرو بن عبيد ابياتا مستهوزه اولها

الامر بالمعروف يا عمرو نافله … والقايمون به لله انصار

واختلف كلام احمد فيه هل يسمى واجبا ام لا فروي عنه جماعه ما يدل علي وجوبه وروى
عنه ابو داود في الرجل يرى الطنبور ونحوه اواجب عليه تغييره قال ما ادري ما واجب
ان غير فهو فضل وقال اسحق ابن راهويه هو واجب علي كل مسلم الا ان يخشى علي نفسه ولعل
احمد يتوقف في اطلاق الواجب علي ما ليس بواجب علي الاعيان بل علي الكفايه وقد اختلف
العلما في الجهاد هل هو واجب ام لا فانكر جماعه منهم وجوبه منهم عطا وعمرو بن دينار وابن
شبرمه ولعلهم ارادوا هذا المعني وقالت طايفه هو واجب منهم سعيد بن المسيب ومكحول
ولعلهما ارادوا وجوبه علي الكفايه وقال احمد في روايه حنبل الغزو واجب علي الناس كلهم
كوجوب الحج فاذا غزا بعضهم اجزا عنهم ولا بد للناس من الغزو وساله المروذي عن
الجهاد افرض هو قال قد اختلفوا فيه وليس هو مثل الحج ومراده ان الحج لا يسقط عمن لم يحج
مع الاستطاعه بحج غيره بخلاف الجهاد وسيل عن النفير متى يجب فقال اما ايجاب
فلا ادري ولكن اذا خافوا علي انفسهم فعليهم ان يخرجوا وظاهر هذا التوقف في اطلاق
لفظ الواجب علي ما لم يات فيه لفظ الايجاب تورعا وكذلك توقف في اطلاق لفظ
الحرام علي ما اختلف فيه وتعارضت ادلته من نصوص الكتاب والسنه فقال في متعه
النسا لا اقول هي حرام ولكن ينهى عنه ولم يتوقف في معنى التحريم ولكن في اطلاق لفظه لاختلاف
النصوص والصحابه فيها وهذا هو الصحيح في تفسير كلام احمد وقال في الجمع بين الاختين
بملك اليمين لا اقول حرام ولكن ينهى عنه والصحيح في تفسيره انه توقف في اطلاق
لفظه الحرام دون معناها وهذا كله علي سبيل الورع في الكلام حذرا من الدخول تحت

قوله

قوله تعالي ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا علي الله الكذب
قال الربيع بن خثيم ليتق احدكم ان يقول احل الله كذا وحرم كذا فيقول الله كذبت
لم احل كذا ولم احرم كذا وقال ابن وهب سمعت مالك ابن انس يقول ادركت علمانا يقول
احدهم اذا سيل اكره هذا ولا احبه ولا يقول حلال ولا حرام واما ما حكي عن احمد
انه قال كل ما في الصلاه فهو فرض فليس كلامه كذلك وانما نقل عنه ابنه عبد الله انه
قال كل شي في الصلاه مما وكده الله فهو فرض وهذا يعود الي معني قوله انه لا فرض الا ما في
القران والذي وكده الله من امر الصلاه القيام والقراه والركوع والسجود وانما قال احمد
هذا لان بعض الناس كان يقول الصلاه فرض والركوع فرض والسجود لا اقول انه فرض ولكنه انه
سنه وقد سيل مالك بن انس عمن يقول ذلك فكفره فقيل له يتاول فلعنه وقال
لقد قال قولا عظيما وقد نقله ابو بكر النيسابوري في كتاب مناقب مالك من وجوه
عنه وروي ايضا باسناده عن عبد الله بن عمر بن ميمون بن الرماح قال دخلت علي
مالك بن انس فقلت يا ابا عبد الله ما في الصلاه من فريضه وما فيها من سنه او قال نافله
فقال مالك كلام الزنادقه اخرجوه ونقل اسحق ابن منصور عن اسحق ابن راهويه انه
انكر تقسيم اجزا الصلاه الي سنه وواجب وقال كل ما في الصلاه فهو واجب واشار
الي ان منه ما تعاد الصلاه بتركه ومنه ما لا تعاد وسبب هذا والله اعلم ان التعبير
بلفظ السنه قد يفضي الي التهاون بفعل ذلك والي الزهد فيه وتركه وهذا خلاف مقصود
الشارع من الحث عليه والترغيب فيه بالطرق المودية الي فعله وتحصيله فاطلاق
لفظ الواجب ادعي الي الاتيان به والرغبه فيه وقد ورد اطلاق الواجب في كلام الشارع
علي ما لا ياثم بتركه ولا يعاقب عليه عند الاكثرين كغسل الجمعه وكذلك ليله الضيف
عند كثير من العلما او اكثرهم وانما المراد به المبالغه في الحث علي فعله وتاكيده واما
المحارم فهي التي حماها الله تعالي ومنع من قربانها وارتكابها وانتهاكها والمحرمات المقطوع
بها مذكوره في الكتاب والسنه كقوله تعالي قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا

به شيا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق الى اخر الايات الثلاثه وقوله تعالى
قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما
لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وقد ذكر في بعض الايات المحرمات المختصه
بنوع من الانواع كما ذكر المحرمات من المطاعم في مواضع منها قوله تعالى قل لا اجد فيما اوحي
الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميته او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او
فسقا اهل لغير الله به وقوله انما حرم عليكم الميته والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله وفي
الايه الاخرى وما اهل لغير الله به وقوله حرمت عليكم الميته والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير
الله به والمنخنقه والموقوذه والمترديه والنطيحه وما اكل السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب
وان تستقسموا بالازلام وذكر المحرمات في النكاح في قوله حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم
الايه وذكر المحرمات من المكاسب في قوله واحل الله البيع وحرم الربا واما السنه ففيها
ذكر كثير من المحرمات في النكاح كقوله صلى الله عليه وسلم ان الله حرم بيع الخمر والميته والخنزير
والاصنام وقوله ان الله اذا حرم شيا حرم ثمنه وقوله كل مسكر حرام وقوله ان دماكم واموالكم
واعراضكم عليكم حرام فما ورد التصريح بتحريمه في الكتاب والسنه فهو محرم وقد يستفاد
التحريم من النهي مع الوعيد والتشديد كما في قوله عز وجل انما الخمر والميسر والانصاب والازلام
رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوه
والبغضا في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاه فهل انتم منتهون واما
النهي المجرد فقد اختلف الناس هل يستفاد منه التحريم ام لا وقد روي عن ابن عمر انكار
استفاده التحريم منه قال ابن المبارك انا سلام بن ابي مطيع عن ابن ابي دخيله عن ابيه
قال كنت عند ابن عمر فقال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الزبيب والتمر يعني
ان يخلطا فقال لي رجل من خلفي ما قال فقلت حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبيب
والتمر فقال عبد الله بن عمر كذبت فقلت الم تقل نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فهو
حرام فقال انت تشهد بذاك قال سلام كانه يقول من نهي النبي صلى الله عليه وسلم ما هو

ادب وقد ذكرنا فيما تقدم عن العلما الورعين كاحمد ومالك توقي اطلاق لفظ الحرام على ما
لم يتيقن تحريمه مما فيه نوع شبهه او اختلاف وقال النخعي كانوا يكرهون اشيا لا يحرمونها
وقال ابن عون قال لي مكحول ما تقولون في الفاكهه تلقى بين القوم فينتهبونها قلت ان ذلك
عندنا المكروه قال حرام هي قلت ان ذلك عندنا المكروه قال حرام هي قال ابن عون فاستحيينا
ذلك من قول مكحول وقال جعفر بن محمد سمعت رجلا يسال القسم بن محمد الغنا احرام
هو فسكت عنه القسم ثم عاد فسكت عنه ثم عاد فقال له ان الحرام ما حرم في القران ارايت
اذا اتي بالحق والباطل الى الله في ايهما يكون الغنا فقال الرجل في الباطل فانت فافت فقال
نفسك قال عبد الله بن الامام احمد سمعت ابي يقول اما ما نهى النبي صلى الله عليه وسلم فمنها
اشيا حرام مثل قوله نهى ان تنكح المراه على عمتها او على خالتها وهذا حرام ونهى عن جلود السباع
فهذا حرام وذكر اشيا من نحو هذا ومنها اشيا نهى عنها فهي ادب واما حدود
الله التي نهى عن اعتدايها فالمراد بها جمله ما اذن في فعله سوا كان على طريق الوجوب
او الندب او الاباحه واعتداوها هو تجاوز ذلك الى ارتكاب ما نهي عنه قال تعالى تلك
حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه والمراد من طلق على غير ما امر الله به
واذن فيه وقال تعالى تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاوليك هم
الظالمون والمراد من امسك بعد الطلاق بغير معروف او سرح بغير احسان او
اخذ مما اعطى المراه شيا على غير وجه الفديه التي اذن الله فيها وقال تعالى تلك حدود
الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات الى قوله ومن يعص الله ورسوله ويتعد
حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين والمراد من تجاوز ما فرضه الله للورثه
ففضل وارثا وزاده على حقه او نقصه منه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته في
حجه الوداع ان الله قد اعطى كل ذي حق حقه فلا وصيه لوارث وروى النواس ابن سمعان
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط سوران
فيهما ابواب مفتحه وعلى الابواب ستور مرخاه وعلى باب الصراط داع يقول يا ايها

الناس ادخلوا الصراط جميعًا ولا تعرجوا وداع يدعوا من جوف الصراط فاذا اراد ان يفتح
شيا من تلك الابواب قال ويحك لا تفتحه فانك ان تفتحه تلجه والصراط الاسلام والسوران
حدود الله والابواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي على راس الصراط كتاب الله والداعي
من فوق واعظ الله في قلب كل مسلم خرجه الامام احمد وهذا لفظه والنسايي في تفسيره
والترمذي وحسنه وضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثل الاسلام في هذا الحديث بصراط
مستقيم وهو الطريق السهل الواسع الموصل سالكه الى مطلوبه وهو مع هذا مستقيم لا عوج
فيه فيقتضي ذلك قربه وسهولته وعلى جنبتي الصراط يمنه ويسره سوران وهما حدود
الله فكما ان السور يمنع من كان داخله من تعديه ومجاوزته فكذلك الاسلام يمنع من
دخله من الخروج عن حدوده ومجاوزتها وليس وراما حد الله من الماذون فيه الا ما
نهي عنه ولهذا مدح سبحانه الحافظين لحدوده وذم من لا يعرف حد الحلال من الحرام
كما قال الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله وقد
تقدم حديث القران وانه يقول لمن عمل به حفظ حدودي ولمن لم يعمل به تعدى حدودي
والمراد ان من لم يجاوز ما اذن له فيه الى ما نهي عنه في الايه من محظورات الصيام والاعتكاف
في المساجد ومن هذا المعنى وهو تسميه المحارم حدودا قول النبي صلى الله عليه وسلم مثل القايم
على حدود الله والمدهن فيها كمثل قوم اقتسموا سفينه الحديث المشهور واراد بالقايم
على حدود الله المنكر للمحرمات والناهي عنها وفي حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
اني اخذ بحجزكم اتقوا النار اتقوا الحدود قالها ثلاثا خرجه الطبراني والبزار واراد
بالحدود محارم الله ومعاصيه ومنه قول الرجل الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم اني
اصبت حدا فاقمه علي وقد تسمى العقوبات المقدره الرادعه عن المحارم المغلظه حدودا
كما يقال حد الزنا وحد السرقه وحد شرب الخمر ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لاسامه
اتشفع في حد من حدود الله يعني في القطع في السرقه وهذا هو المعروف من اسم الحدود
في اصطلاح الفقها واما قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يجلد فوق عشر جلدات الا في

قال تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها والمراد النهي عن ارتكاب ما نهي عنه

الا في حد من حدود الله فهذا قد اختلف الناس في معناه فمنهم من فسر الحدود هنا
بهذه الحدود المقدره وقال ان التعزير لا يزاد على عشر جلدات ولا يزاد عليها الا في
هذه الحدود المقدره ومنهم من فسر الحدود هنا بجنس محارم الله وقال المراد ان
مجاوزه العشر جلدات لا يجوز الا في ارتكاب محرم من محارم الله فاما ضرب التاديب
على غير محرم فلا يتجاوز به عشر جلدات وقد حمل بعضهم قوله صلى الله عليه وسلم وحد
حدودا فلا تعتدوها على هذه العقوبات الزاجره عن المحرمات وقال المراد النهي
عن مجاوزه هذه الحدود وتعديها عند اقامتها على اهل الجرايم ورجح ذلك بانه لو كان
المراد بالحدود الوقوف عند الاوامر والنواهي لكان تكريرا لقوله فرض فرايض فلا
تضيعوها وحرم اشيا فلا تنتهكوها وليس الامر على ما قاله فان الوقوف عند الحدود
يقتضي انه لا يخرج عما اذن فيه الى ما نهي عنه وذلك اعم من كون الماذون فيه فرضا
او ندبا او مباحا كما تقدم وحينيذ فلا تكرير في الحديث والله اعلم واما المسكوت
عنه فهو ما لم يذكر حكمه بتحليل ولا ايجاب ولا تحريم فيكون معفوا عنه لا حرج على
فاعله وعلى هذا دلت هذه الاحاديث المذكوره هاهنا كحديث ابي ثعلبه وغيره
وقد اختلفت الفاظ حديث ابي ثعلبه فروي باللفظ المتقدم وروي بلفظ اخر وهو ان الله
فرض فرايض فلا تضيعوها ونهاكم عن اشيا فلا تنتهكوها وعفا عن اشيا من غير نسيان
فلا تبحثوا عنها خرجه اسحق ابن راهويه وروي بلفظ اخر وهو ان الله فرض فرايض فلا
تضيعوها وسن لكم سننا فلا تنتهكوها وحرم عليكم اشيا فلا تعتدوها وترك بين ذلك
اشيا من غير نسيان رحمه منه فاقبلوها ولا تبحثوا عنها خرجه الطبراني وهذه الروايه
تبين ان المعفو عنه ما ترك ذكره فلم يحرم ولم يحلل ولكن مما ينبغي ان يعلم ان ذكر الشي
بالتحريم والتحليل مما قد يخفى فهمه من نصوص الكتاب والسنه فان دلاله هذه النصوص
قد تكون بطريق النص والتصريح وقد تكون بطريق العموم والشمول وقد تكون دلالته
بطريق الفحوى والتنبيه كما في قوله ولا تقل لهما اف فان دخول ما هو اعظم من التافيف

من انواع الاذى يكون بطريق الاولى ويسمى ذلك مفهوم الموافقه وقد يكون دلالته بطريق مفهوم
المخالفه كقوله في الغنم السايمه الزكاه فانه يدل بمفهومه على انه لا زكاه في غير السايمه وقد
اخذ الاكثرون بذلك واعتبروا مفهوم المخالفه وجعلوه حجه وقد تكون دلالته من باب
القياس فاذا نص الشارع على حكم في شي لمعنى من المعاني وكان ذلك المعنى موجودا في غيره فانه يتعدى
الحكم الى كل ما وجد فيه ذلك المعنى عند جمهور العلما وهو من باب العدل والميزان الذي انزله
الله وامر بالاعتبار به فهذا كله مما يعرف به دلاله النصوص على التحليل والتحريم فاما ما انتفى فيه
ذلك كله فهنا يستدل بعدم ذكره بايجاب او تحريم على انه معفو عنه وها هنا مسلكان
احدهما ان يقال لا ايجاب ولا تحريم الا بالشرع ولم يوجب الشرع كذا ولم يحرمه فيكون غير
واجب او غير حرام كما يقال مثل هذا في الاستدلال على نفي وجوب الوتر والاضحيه او نفي تحريم
الضب ونحوه او نفي تحريم بعض العقود المختلف فيها كالمساقاه والمزارعه ونحو ذلك ويرجع
هذا الى استصحاب براه الذمه حيث لم يوجد ما يدل على اشتغالها ولا يصلح هذا
الاستدلال الا لمن عرف انواع ادله الشرع وسبرها فان قطع مع ذلك بانتفا ما يدل على
ايجاب او تحريم قطع بنفي الوجوب او التحريم كما يقطع بانتفا فرضيه صلاه سادسه او صيام شهر
غير رمضان او وجوب الزكاه في غير الاموال الزكويه او حجه غير حجه الاسلام وان كان هذا
كله يستدل عليه بنصوص صريحه بذلك وان ظن انتفا ما يدل على ايجاب او تحريم ظن انتفا
الوجوب والتحريم من غير قطع والمسلك الثاني ان يذكر من ادله الشرع العامه ما يدل على
ان ما لم يوجبه الشرع ولم يحرمه فانه معفو عنه كحديث ابي ثعلبه هذا وما في معناه
من الاحاديث المذكوره معه ومثل قوله صلى الله عليه وسلم لما سيل عن الحج افي كل عام فقال
ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثره سوالهم واختلافهم على انبيايهم فاذا نهيتكم عن شي
فاجتنبوه واذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم ومثل قوله صلى الله عليه وسلم في حديث
سعد بن ابي وقاص ان اعظم المسلمين في المسلمين جرما من سال عن شي لم يحرم فحرم من
اجل مسالته وقد دل القران على مثل هذا ايضا في مواضع كقوله عز وجل قل لا اجد فيما

اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميته او دما مسفوحا او لحم خنزير الايه فان
هذا يدل على ان ما لم يجد تحريمه فليس بمحرم وكذلك قوله وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم
الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه فعنفهم على ترك الاكل مما
ذكر اسم الله عليه معللا بانه قد بين لهم الحرام وهذا ليس منه فدل على ان الاشيا على
الاباحه والا لما الحق اللوم بمن امتنع من الاكل مما لم ينص له على حله بمجرد كونه لم ينص على
تحريمه واعلم ان هذه المسله غير مسله حكم الاعيان قبل ورود الشرع هل هو الحضر او
الاباحه او لا حكم فيها فان تلك المسله مفروضه فيما قبل ورود الشرع فاما بعد
وروده فقد دلت هذه النصوص واشباهها على ان حكم ذاك الاصل زال واستقر
ان الاصل في الاشيا الاباحه بادله الشرع وقد حكى بعضهم الاجماع على ذلك وغلطوا من
سوى بين المسلتين وجعل حكمهما واحدا وكلام الامام احمد يدل على ان ما لا يدخل في نصوص
التحريم فانه معفو عنه قال ابو الحرث قلت لابي عبد الله يعني احمد ان اصحاب الطير
يذبحون من الطير شيا لا نعرفه فما ترى في اكله فقال كلما لم يكن ذو مخلب او ياكل الجيف
فلا باس به فحصر تحريم الطير في ذي المخلب المنصوص عليه وما ياكل الجيف لانه في معنى
الغراب المنصوص عليه وحكم باباحه ما عداهما وحديث ابن عباس الذي سبق ذكره يدل
على مثل هذا وحديث سلمان الفارسي فيه النهي عن السوال عن الجبن والسمن والفرا فان
الجبن كان يصنع بارض المجوس ونحوهم من الكفار وكذلك السمن وكذلك الفرا تجلب من عندهم
وذبايحهم ميته وهذا مما يستدل به على اباحه لبن الميته وانفحتها وعلى اباحه اطعمه
المجوس وفي ذلك كله خلاف مشهور او يحمل على انه اذا اشتبه الامر لم يجب السوال والبحث
عنه كما قال ابن عمر لما سيل عن الجبن الذي يصنعه المجوس فقال ما وجدته في سوق المسلمين
اشتريته ولم اسال عنه وذكر عند عمر الجبن وقيل له انه يصنع فيه انافح الميته فقال
سموا الله وكلوا قال الامام احمد اصح حديث فيه هذا الحديث يعني جبن المجوس وقد روي
من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بجبنه في غزوه الطايف فقال اين تصنع

هذه قالوا بفارس فقال صلى الله عليه وسلم ضعوا فيها السكين واقطعوا واذكروا اسم الله وكلوا خرجه
الامام احمد وسئل عنه فقال هو حديث منكر وكذا قال ابو حاتم الرازي وخرج ابو داود
معناه من حديث ابن عمر الا انه قال في غزوة تبوك وقال ابو حاتم هو منكر ايضا وخرجه
عبد الرزاق في كتابه مرسلا وهو اشبه وعنده زيادة وهي انه قيل له يا رسول الله نخشى ان يكون
ميتة فقال سموا عليه وكلوا وخرج الطبراني معناه من حديث ميمونة واسناده جيد لكنه
غريب جدا وفي صحيح البخاري عن عائشة ان قوما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان قوما ياتوننا
باللحم لا ندري اذكر اسم الله عليه ام لا فقال سموا عليه انتم وكلوه قالت وكانوا حديثي عهد
بالكفر وفي مسند الامام احمد عن الحسن ان عمر اراد ان ينهى عن حلل الحبرة لانها تصبغ بالبول
فقال له ابي ليس ذلك لك قد لبسهن النبي صلى الله عليه وسلم ولبسناهن في عهده وخرجه الخلال
من وجه اخر وعنده ان ابيا قال له يا امير المومنين قد لبسها نبي الله صلى الله عليه وسلم ورأى
الله مكانها ولو علم الله انها حرام لنهى عنها فقال صدقت وسئل الامام احمد عن لبس ما
يصبغه اهل الكتاب من غير غسل فقال لم تسال عما لا تعلم لم يزل الناس منذ ادركناهم لا
ينكرون ذلك وسئل عن يهود يصبغون بالبول فقال المسلم والكافر في هذا سوا ولا
تسال عن هذا ولا تبحث عنه وقال اذا علمت انه لا محالة يصبغ بشي من البول وصح عندك
فلا تصل فيه حتى تغسله وخرج الترمذي من حديث المغيرة بن شعبة ان النبي صلى الله عليه وسلم
اهدي له خفان فلبسهما ولا يعلم اذكي هما ام لا وقد ورد ما يستدل به على البحث والسوال
فخرج الامام احمد من حديث رجل عن ام مسلم الاشجعية ان النبي صلى الله عليه وسلم اتاها وهي
في قبة فقال ما احسنها ان لم يكن فيها ميتة قالت فجعلت اتتبعها والرجل مجهول وخرج
الاثرم باسناده عن زيد ابن وهب قال اتانا كتاب عمر باذربيجان انكم بارض فيها الميتة فلا
تلبسوا من الفرا حتى تعلموا حله من حرامه وروى الخلال باسناده عن مجاهد ان ابن عمر راى
على رجل فروا فمسه وقال لو اعلم انه ذكي لسرني ان يكون لي منه ثوب وعن محمد بن كعب انه
قال لعايشة ما يمنعك ان تتخذي لحافا من الفرا قالت اكره ان البس الميتة وروى عبد الرزاق

باسناده عن ابن مسعود انه قال لمن نزل من المسلمين بفارس اذا اشتريتم لحما فسلوا ان
كان ذبيحة يهودي او نصراني فكلوا وهذا لان الغالب على اهل فارس المجوس وذبائحهم محرمة والخلاف
في هذا يشبه الخلاف في اباحة طعام من لا تباح ذبيحته من الكفار وفي استعمال اواني المشركين
وثيابهم والخلاف فيها يرجع الى قاعدة تعارض الاصل والظاهر وقد سبق ذكر ذلك في الكلام
على حديث الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات وقوله في الاشيا التي سكت عنها
رحمة من غير نسيان يعني انه انما سكت عن ذكرها رحمة بعباده ورفقا حيث لم يحرمها عليهم حتى
يعاقبهم على فعلها ولم يوجبها عليهم فيعاقبهم على تركها بل جعلها عفوا فان فعلوها فلا حرج عليهم
عليهم وان تركوها فكذلك وفي حديث ابي الدردا ثم تلى وما كان ربك نسيا ومثله
قوله عز وجل لا يضل ربي ولا ينسى وقوله فلا تبحثوا عنها يحتمل اختصاص هذا النهي بزمن
النبي صلى الله عليه وسلم لان كثرة البحث والسوال عما لم يذكر قد يكون سببا لنزول التشديد
فيه بايجاب او تحريم وحديث سعد بن ابي وقاص يدل على هذا ويحتمل ان يكون النهي
عاما والمروي عن سلمان من قوله يدل على ذلك فان كثرة البحث والسوال عن حكم ما لم يذكر
في الواجبات ولا في المحرمات قد يوجب اعتقاد تحريمه او ايجابه لمشابهته لبعض
الواجبات او المحرمات فقبول العافية فيه وترك البحث والسوال عنه خير وقد
يدخل ذلك في قول النبي صلى الله عليه وسلم هلك المتنطعون قالها ثلاثا خرجه ابو داود من حديث مسلم
ابن مسعود مرفوعا والمتنطع هو المتعمق البحاث عما لا يعنيه وهذا قد يتمسك به من
يتعلق بظاهر اللفظ وينفي المعاني والقياس كالظاهرية والتحقيق في هذا المقام والله اعلم ان
البحث عما لا يوجد فيه نص خاص او عام على قسمين احدهما ان يبحث عن دخوله في دلالات
النصوص الصحيحة من الفحوى والمفهوم والقياس الظاهر الصحيح فهذا حق وهو مما يتعين
فعله على المجتهدين في معرفة الاحكام الشرعية والثاني ان يدقق الناظر نظره وفكره في
وجوه الفروق المستبعدة فيفرق بين متماثلين بمجرد فرق لا يظهر له اثر في الشرع مع
وجود الاوصاف المقتضية للجمع او يجمع بين متفرقين بمجرد الاوصاف الطردية التي هي غير

مناسبه ولا يدل دليل بتاثيرها في الشرع مع وجود الاوصاف فهذا النظر والبحث غير
مرضي ولا محمود مع انه قد وقع فيه طوايف من الفقها وانما المحمود النظر الموافق لنظر الصحابه
ومن بعدهم من القرون المفضله كابن عباس ونحوه ولعل هذا مراد ابن مسعود اياكم والتنطع
والتعمق وعليكم بالعتيق يعني بما كان عليه الصحابه رضي الله عنهم ومن كلام بعض ايمة الشافعيه
لا يليق بنا ان نكتفي بالخيالات في الفروق كداب اصحاب الراي والسر في ذلك ان متعلق الاحكام
في الحال الظنون وغلباتها فاذا كان اجتماع مسئلتين اظهر في الظن من افتراقهما وجب القضا
باجتماعهما وان انقدح فرق على بعد فافهموا ذلك فانه من قواعد الدين انتهى ومما يدخل
في النهي عن التعمق والبحث عنه امور الغيب الخبريه التي امر بالايمان بها ولم يبين كيفيتها
وبعضها قد لا يكون له شاهد في هذا العالم المحسوس فالبحث عن كيفيه ذلك هو مما لا يعني
وهو مما ينهى عنه وقد يوجب الحيره والشك ويرتقي الى التكذيب وفي صحيح مسلم عن ابي هريره
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الناس يتسالون حتى يقال هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله
فمن وجد من ذلك شيا فليقل امنت بالله وفي روايه له لا يزال الناس يسالونكم عن العلم حتى
يقولوا هذا الله خلقنا فمن خلق الله وفي روايه له ايضا ليسالنكم الناس عن كل شي حتى يقولوا
الله خلق كل شي فمن خلقه وفيه عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل
ان امتك لا يزالون يقولون ما كذا ما كذا حتى يقولوا هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله وخرجه
البخاري ولفظه لن يبرح الناس يتسالون هذا الله خالق كل شي فمن خلق الله قال اسحق بن راهويه لا
يجوز التفكر في الخالق ويجوز للعباد ان يتفكروا في المخلوقين بما سمعوا فيهم ولا يزيدون على ذلك
لانهم ان فعلوا تاهوا قال وقد قال الله تعالى وان من شي الا يسبح بحمده فلا يجوز ان يقال كيف
تسبح القصاع والاخونه والخبز المخبوز والثياب المنسوجه وكل هذا قد صح العلم فيه انهم يسبحون
فذلك الى الله ان يجعل تسبيحهم كيف شا وكما يشا وليس للناس ان يخوضوا في ذلك الا بما علموا
ولا يتكلموا في هذا وشبهه الا بما اخبر الله ولا يزيدوا على ذلك فاتقوا الله ولا تخوضوا في هذه
الاشيا المتشابهه فانه يرديكم الخوض فيه عن سنن الحق نقل ذلك كله حرب عن اسحق رحمه الله

اياكم

الحديث الحادي والثلثون

عن سهل بن سعد الساعدي قال جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله دلني على
عمل اذا عملته احبني الله واحبني الناس فقال ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في ايدي الناس
يحبك الناس حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره باسانيد حسنه هذا الحديث خرجه
ابن ماجه من روايه خلد بن عمرو القرشي عن سفين الثوري عن ابي حازم عن سهل بن سعد
وقد ذكر الشيخ رحمه الله ان اسناده حسن وفي ذلك نظر فان خلد بن عمرو القرشي الاموي
قال فيه الامام احمد منكر الحديث وقال مره ليس بثقه يروي احاديث بواطيل
وقال ابن معين ليس حديثه بشي وقال مره كان كذابا يكذب حدث عن شعبه احاديث
موضوعه وقال البخاري وابو زرعه منكر الحديث وقال ابو حاتم متروك الحديث
ضعيف ونسبه صالح بن محمد وابن عدي الى وضع الحديث وتناقض ابن حبان في امره
فذكره في كتاب الثقات وذكره في كتاب الضعفا وقال كان ينفرد عن الثقات بالموضوعات
لا يحل الاحتجاج بخبره وخرج العقيلي حديثه هذا وقال ليس له اصل من حديث
سفين الثوري قال وقد تابع خلدا عليه محمد بن كثير الصنعاني ولعله اخذه عنه ودلسه
لان المشهور به خلد هذا قال ابو بكر الخطيب وتابعه ايضا ابو قتاده الحراني
ومهران بن ابي عمر الرازي فروه عن الثوري قال واشهرها حديث ابن كثير هذا
قال وهذا يخالف قول العقيلي ان اشهرها حديث خلد بن عمرو وهذا اصح ومحمد
بن كثير لكن محمد بن كثير خير منهما فانه ثقه عند كثير من الحفاظ وقد تعجب ابن عدي
من حديثه هذا قال ما ادري ما اقول فيه وذكر ابن ابي حاتم انه سال اباه عن حديث
محمد بن كثير عن سفين الثوري فذكر هذا الحديث فقال هذا حديث باطل يعني بهذا الاسناد
يشير الى انه لا اصل له عن محمد بن كثير عن سفين وقال ابن مشيش سالت احمد عن حديث
سهل ابن سعد فذكر هذا الحديث فقال احمد لا اله الا الله تعجبا منه من يروي هذا
قلت خلد بن عمرو فقال وقعنا في خلد بن عمرو ثم سكت ومراده الانكار على من ذكر له

له

محمد

المصيصي
الصنعاني هو
ضعفه احمد
وابو قتاده
ومهران تكلم
فيهما ايضا

شيئا من حديث خلد هذا فانه لا يشتغل به وخرجه ابو عبيد القسم بن سلام
في كتاب المواعظ عن خلد بن عمرو ثم قال كنت منكرا لهذا الحديث فحدثني هذا الشيخ عن
وكيع انه سأله عنه ولولا مقالته هذه لتركته وخرج ابن عدي هذا الحديث في ترجمة
خلد بن عمرو وذكر رواية محمد بن كثير له ايضا وقال هذا الحديث عن الثوري منكر قال
ورواه زافر يعني ابن سليمان عن محمد بن عيينه اخي سفين عن ابي حازم عن ابن عمر انتهى
وزافر ومحمد بن عيينه كلاهما ضعيف وقد روي هذا الحديث من وجه اخر مرسل
خرجه ابو سليمن بن زبر الدمشقي في مسند ابرهيم ابن ادهم من جمعه من رواية معويه
بن حفص عن ابرهيم بن ادهم عن منصور عن ربعي بن حراش قال جا رجل الى النبي صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله دلني على عمل يحبني الله عليه ويحبني الناس عليه فقال
اما العمل الذي يحبك الله عليه فالزهد في الدنيا واما العمل الذي يحبك الناس عليه فانظر
هذا الحطام فانبذه اليهم وخرجه ابن ابي الدنيا في كتاب ذم الدنيا من رواية علي بن
بكار عن ابرهيم بن ادهم قال جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكره ولم يذكر في اسناده
منصورا ولا ربعيا وقال في حديثه فانبذ اليهم ما في يديك من الحطام وقد اشتمل
هذا الحديث على وصيتين عظيمتين احداهما الزهد في الدنيا وانه مقتض لمحبة الله
عز وجل لعبده والثانية الزهد فيما في ايدي الناس وانه مقتض لمحبة الناس فاما
الزهد في الدنيا فقد كثر في القران الاشارة الى مدحه والى ذم الرغبة في الدنيا قال
تعالى بل تؤثرون الحياة الدنيا والاخرة خير وابقى وقال تريدون عرض الدنيا والله
يريد الاخرة وقال في قصة قارون فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون
الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين اوتوا العلم ويلكم
ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون الى قوله تلك الدار
الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقال تعالى وفرحوا
بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الاخرة الا متاع وقال تعالى قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير

لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا وقال حاكيا عن مومن ال فرعون انه قال لقومه يا قوم
اتبعوني اهدكم سبيل الرشاد يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الاخرة هي دار
القرار وقد ذم الله من كان يريد الدنيا بعمله وسعيه ونيته وقد سبق ذكر
ذلك في الكلام على حديث الاعمال بالنيات والاحاديث في ذم الدنيا وحقارتها عند
الله كثيرة جدا ففي صحيح مسلم عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بالسوق والناس كنفيه
فمر بجدي اسك ميت فتناوله فاخذ باذنه فقال ايكم يحب ان هذا له بدرهم
فقالوا ما نحب انه لنا بشي وما نصنع به قال اتحبون انه لكم قالوا والله لو كان حيا كان
عيبا فيه لانه اسك فكيف وهو ميت فقال فوالله للدنيا اهون على الله من هذا
عليكم وفيه ايضا عن المستورد الفهري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما الدنيا في الاخرة
الا كما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بما ذا ترجع وخرج الترمذي من حديث سهل بن
سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة
ما سقى كافرا منها شربة وصححه ومعنى الزهد في الشي الاعراض عنه لاستقلاله واحتقاره
وارتفاع الهمة عنه يقال شي زهيد اي قليل حقير وقد تكلم السلف ومن بعدهم
في تفسير الزهد في الدنيا وتنوعت عباراتهم عنه وورد في ذلك حديث مرفوع خرجه
الترمذي وابن ماجه من رواية عمرو بن واقد عن يونس ابن حلبس عن ابي ادريس
الخولاني عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال
ولا اضاعة المال ولكن الزهادة في الدنيا ان لا تكون بما في يديك اوثق مما في يد الله وان
تكون في ثواب المصيبة اذا انت اصبت بها ارغب فيها لو انها ابقيت لك وقال
الترمذي غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وعمرو بن واقد منكر الحديث قلت والصحيح
وقفه كما رواه الامام احمد في كتاب الزهد نا زيد بن يحيى الدمشقي نا خلد بن صبيح نا يونس
بن حلبس قال قال ابو مسلم الخولاني ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا اضاعة
المال انما الزهادة في الدنيا ان تكون بما في يد الله اوثق بما في يديك واذا اصبت بمصيبة

كنت اشد رجا لاجرها وذخرها من اياها لو بقيت لك وخرجه ابن ابي الدنيا
من رواية محمد بن مهاجر عن يونس بن ميسره قال ليس الزهاده في الدنيا بتحريم
الحلال ولا باضاعة المال ولكن الزهاده في الدنيا ان تكون بما في يد الله اوثق منك
بما في يدك وان يكون حالك في المصيبه وحالك اذا لم تصب بها سوا وان تكون
مادحك وذامك في الحق سوا ففسر الزهد في الدنيا بثلاثة اشيا كلها من اعمال
القلوب لا من اعمال الجوارح ولهذا كان ابو سليمن يقول لا تشهد لاحد بالزهد
فان الزهد في القلب احدها ان يكون العبد بما في يد الله اوثق منه بما في يد
نفسه وهذا ينشا من صحة اليقين وقوته فان الله ضمن ارزاق عباده وتكفل
بها كما قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقال وفي السما رزقكم وما توعدون
وقال فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه قال الحسن ان من ضعف يقينك ان
تكون بما في يدك اوثق منك بما في يد الله عز وجل وقال مسروق انا احسن ما
اكون ظنا حين يقول الخادم ليس في البيت قفيز من قمح ولا درهم وقال الامام
احمد اسر ايامي الي يوم اصبح وليس عندي شي وقيل لابي حازم الزاهد ما مالك
قال لي مالان لا اخشى معهما الفقر الثقة بالله والياس مما في ايدي الناس وقيل له
اما تخاف الفقر فقال انا اخاف الفقر ومولاي له ما في السموات وما في الارض
وما بينهما وما تحت الثرى ودفع الي علي ابن الموفق رقعه فقراها فاذا فيها
يا علي ابن الموفق اتخاف الفقر وانا ربك وقال الفضيل اصل الزهد الرضا عن
الله عز وجل وقال القنوع هو الزهد وهو الغنا فمن حقق اليقين وثق بالله
في اموره كلها ورضي بتدبيره له وانقطع عن التعلق بالمخلوقين رجا وخوفا
ومنعه ذلك من طلب الدنيا بالاسباب المكروهه ومن كان كذلك كان زاهدا
في الدنيا حقيقة وكان من اغنى الناس وان لم يكن له شي من الدنيا كما قال عمار كفى بالموت
واعظا وكفى باليقين غنا وكفى بالعباده شغلا وقال ابن مسعود اليقين ان لا ترضي

وروي عن ابن مسعود ... الرزق ... اذا ... (margin note, partly illegible)

الناس بسخط الله ولا تحمد احدا على رزق الله ولا تلم احدا على ما لم يوتك الله فان الرزق
لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهة كاره فان الله تبارك وتعالى بقسطه وعلمه
وحكمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضى وجعل الهم والحزن في الشك والسخط وفي
حديث مرسل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو بهذا الدعا اللهم اني اسالك ايمانا يباشر
قلبي ويقينا حتى اعلم انه لا يمنعني رزقا قسمته لي ورضني من المعيشه بما قسمت لي
وكان عطا الخراساني لا يقوم من مجلسه حتى يقول اللهم هب لي يقينا منك حتى يهون
علينا مصايب الدنيا وحتى نعلم انه لا يصيبنا من هذا الرزق الا ما قسمت لنا وروينا
من حديث ابن عباس مرفوعا قال من سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما في يد الله اوثق
منه بما في يده والثاني ان يكون العبد اذا اصيب بمصيبه في دنياه من ذهاب مال
او ولد او غير ذلك ارغب في ثواب ذلك مما ذهب منه من الدنيا ان يبقى له وهذا
ايضا ينشا من كمال اليقين وقد روي عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في
دعايه اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا
به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصايب الدنيا وهو من علامات الزهد في
الدنيا وقلة الرغبه فيها كما قال علي رضي الله عنه من زهد في الدنيا هانت عليه
المصيبات والثالث ان يستوي عند العبد حامده وذامه في الحق وهذا
من علامة الزهد في الدنيا واحتقارها وقلة الرغبة فيها فان من عظمت الدنيا عنده
احب المدح وكره الذم فربما حمله ذلك على ترك كثير من الحق خشية الذم وعلى فعل كثير
من الباطل رجا المدح فمن استوى عنده حامده وذامه في الحق دل على سقوط
منزلة المخلوقين من قلبه وامتلايه من محبة الحق وما فيه رضى مولاه كما قال ابن
مسعود اليقين ان لا ترضي الناس بسخط الله وقد مدح الله الذين يجاهدون في سبيله
ولا يخافون لومة لايم وقد روي عن السلف عبارات اخر في تفسير الزهد في الدنيا
وكلها ترجع الى ما تقدم كقول الحسن الزاهد الذي اذا راى احدا قال هو افضل مني

الا ما كتب علينا ولا يصيبنا (margin note, partly illegible)

وهذا يرجع الى ان الزاهد حقيقة هو الزاهد في مدح نفسه وتعظيمها ولهذا يقال
الزهد في الرياسة اشد منه في الذهب والفضة فمن خرج من قلبه حب الرياسة
في الدنيا والترفع فيها على الناس فهو الزاهد حقا وهذا هو الذي يستوي عنده حامده
وذامه في الحق وكقول وهيب بن الورد الزهد في الدنيا ان لا تاسى على ما فات منها
ولا تفرح بما اتاك منها قال ابن السماك هذا هو الزاهد المبرز في زهده وهذا
يرجع الى انه يستوي عند العبد ادبارها واقبالها وزيادتها ونقصها وهو مثل استوا
حال المصيبة وعدمها كما سبق وسيل بعضهم اظنه الامام احمد عمن معه مال
هل يكون زاهدا قال ان كان لا يفرح بزيادته ولا يحزن بنقصه او كما قال وسيل
الزهري عن الزهد فقال من لم يغلب الحرام صبره ولم يشغل الحلال شكره وهذا قريب
مما قبله فان معناه ان الزاهد في الدنيا اذا قدر منها على حرام صبر عنه فلم ياخذه واذا
حصل له منها حلال لم يشغله عن الشكر بل قام بشكر الله عليه قال احمد بن ابي الحواري قلت
لسفين بن عيينة من الزاهد في الدنيا قال من اذا انعم عليه شكر واذا ابتلي صبر فقلت يا ابا محمد
قد انعم عليه فشكر وابتلي فصبر وحبس النعمة كيف يكون زاهدا فقال اسكت من لم
تمنعه النعما من الشكر ولا البلوى من الصبر فذلك الزاهد وقال ربيعة راس الزهادة
جمع الاشيا بحقها ووضعها في حقها وقال سفين الثوري الزهد في الدنيا قصر الامل
ليس باكل الغليظ ولا بلبس العبا وقال كان من دعايهم اللهم زهدنا في الدنيا ووسع
علينا منها ولا تزوها عنا فترغبنا فيها وكذا قال الامام احمد الزهد في الدنيا
قصر الامل وقال مرة قصر الامل والياس مما في ايدي الناس ووجه هذا ان قصر
الامل يوجب محبة لقا الله بالخروج من الدنيا وطول الامل يقتضي محبة البقا فيها
فمن قصر امله فقد كره البقا في الدنيا وهذا نهاية الزهد فيها والاعراض عنها
واستدل ابن عيينة لهذا القول بقوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله
خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين الى قوله ولتجدنهم احرص

الناس على حياة الاية وروى بن ابي الدنيا باسناده عن الضحاك ابن مزاحم قال اتى النبي صلى الله
عليه وسلم رجل فقال يرسول الله من ازهد الناس قال من لم ينس القبر والبلى وترك افضل
زينة الدنيا واثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من ايامه وعد نفسه من الموتى
وهذا مرسل وقد قسم كثير من السلف الزهد اقساما فمنهم من قال افضل الزهد
الزهد في الشرك وفي عبادة ما عبد من دون الله ثم الزهد في الحرام كله من المعاصي
ثم الزهد في الحلال وهو اقل اقسام الزهد فالقسمان الاولان من هذا الزهد كلاهما
واجب والثالث ليس بواجب فان اعظم الواجبات الزهد في الشرك ثم في المعاصي كلها
وكان بكر المزني يدعو لاخوانه زهدنا الله واياكم زهد من امكنه الحرام والذنوب
في الخلوات فعلم ان الله يراه فتركه وقال ابن المبارك قال سلام بن ابي مطيع الزهد
على ثلاثة وجوه واحد ان تخلص العمل لله عز وجل والقول ولا يراد بشي منه الدنيا
والثاني ترك ما لا يصلح والعمل بما يصلح والثالث الحلال ان تزهد فيه وهو تطوع وهو
ادناها وهذا قريب مما قبله الا انه جعل الدرجة الاولى من الزهد الزهد في الريا
المنافي للاخلاص في القول والعمل وهو الشرك الاصغر والحامل عليه محبة المدح في الدنيا
والتقدم عند اهلها وهو من نوع محبة العلو فيها والرياسة وقال ابرهيم بن ادهم
الزهد ثلاثة اصناف فزهد فرض وزهد فضل وزهد سلامة فالزهد الفرض
الزهد في الحرام والزهد الفضل الزهد في الحلال والزهد السلامة الزهد في
الشبهات وقد اختلف الناس هل يستحق اسم الزهد من زهد في الحرام خاصة
ولم يزهد في فضول المباحات ام لا على قولين احدهما انه يستحق اسم الزهد بذلك
وقد سبق ذلك عن الزهري وابن عيينة وغيرهما والثاني لا يستحق اسم الزهد بدون
الزهد في فضول المباح وهو قول طايفة من العارفين وغيرهم حتى قال بعضهم
لا زهد اليوم لفقد المباح المحض وهو قول يوسف ابن اسباط وغيره وفي ذلك
نظر وكان يونس بن عبيد يقول وما قدر الدنيا حتى يمدح من زهد فيها وقال ابو سليمان

الدار اني اختلفوا علينا في الزهد بالعراق فمنهم من قال الزهد في ترك لقا الناس ومنهم
من قال في ترك الشهوات ومنهم من قال في ترك الشبع وكلامهم قريب بعضه من
بعض قال وانا اذهب الى ان الزهد في ترك ما شغلك عن الله عز وجل وهذا الذي
قاله ابو سليمن حسن وهو يجمع جميع معاني الزهد واقسامه وانواعه واعلم ان الذم
الوارد في الكتاب والسنه للدنيا ليس هو راجعًا الى زمانها الذي هو الليل والنهار
المتعاقبان الى يوم القيمه فان الله جعلهما خلفه لمن اراد ان يذكر او اراد شكورًا
ويروى عن عيسى عليه السلام انه قال ان هذا الليل والنهار خزانتان فانظروا ما
تضعون فيهما وكان يقول اعملوا الليل لما خلق له والنهار لما خلق له وقال مجاهد
ما من يوم الا يقول ابن ادم قد دخلت عليك اليوم ولن ارجع اليك بعد اليوم فانظر
ماذا تعمل فيّ فاذا انقضى طوي ثم يختم عليه فلا يفك حتى يكون الله هو الذي يفضه
يوم القيمه ولا ليله الا تقول كذلك وانشد بعض السلف

انما الدنيا الى الجنه والنار طريق   والليالي متجر الانسان والايام سوق

وليس الذم راجعًا الى مكان الدنيا الذي هو الارض التي جعلها الله لبني ادم مهادًا وسكنا
ولا الى ما اودعه الله فيها من الجبال والبحار والانهار والمعادن ولا الى ما انبته
الله فيها من الشجر والزروع ولا الى ما بث فيها من الحيوانات وغير ذلك
فان ذلك كله من نعمه الله على عباده بما لهم فيه من المنافع ولهم به من الاعتبار
والاستدلال على وحدانيه صانعه وقدرته وعظمته وانما الذم راجع
الى فعال بني ادم الواقعه في الدنيا لان غالبها واقعه على غير الوجه الذي تحمد
عاقبته بل تقع على ما تضر عاقبته او لا تنفع كما قال عز وجل اعلموا انما الحياه الدنيا
لعب ولهو وزينه وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد وانقسم بنو ادم
في الدنيا الى قسمين احدهما من انكر ان يكون للعباد بعد الدنيا دار للثواب
والعقاب وهولاء هم الذين قال الله فيهم ان الذين لا يرجون لقانا ورضوا بالحياه

الدنيا واطمانوا بها والذين هم عن اياتنا غافلون اوليك ماواهم النار بما كانوا يكسبون وهولا
همهم التمتع بالدنيا واغتنام لذاتها قبل الموت كما قال تعالى والذين كفروا يتمتعون
وياكلون كما تاكل الانعام والنار مثوى لهم ومن هولا من كان يامر بالزهد في الدنيا
لانه يرى ان الاستكثار منها يوجب الهم والغم ويقول كلما كثر التعلق بها تالمت النفس
بمفارقتها عند الموت فكان هذا غايه زهدهم في الدنيا القسم الثاني من يقر بدار
بعد الموت للثواب والعقاب وهم المنتسبون الى شرايع المرسلين وهم منقسمو
الى ثلاثه اقسام ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات باذن الله فالظالم
لنفسه هم الاكثرون منهم واكثرهم وقف مع زهره الدنيا وزينتها فاخذها من غير
وجهها واستعملها في غير وجهها وصارت الدنيا اكبر همه لها يغضب وبها يرضى
ولها يوالي وعليها يعادي وهولا هم اهل اللهو واللعب والزينه والتفاخر والتكاثر
وكلهم لم يعرف المقصود من الدنيا ولا انها منزل سفر يتزود منها لما بعدها من دار
الاقامه وان كان احدهم يومن بذلك ايمانا مجملا فهو لا يعرفه مفصلا ولا ذاق
ما ذاقه اهل المعرفه بالله في الدنيا مما هو انموذج ما ادخر لهم في الاخره والمقتصد
منهم اخذ الدنيا من وجوهها المباحه وادى واجباتها وامسك لنفسه الزايد على
الواجب فتوسع به في التمتع بشهوات الدنيا وهولا قد اختلف في دخولهم في اسم الزهاد
في الدنيا كما سبق ذكره ولا عقاب عليهم في ذلك الا انه ينقص من درجاتهم من
الاخره بقدر توسعهم في الدنيا قال ابن عمر لا يصيب عبد من الدنيا شيا الا نقص
من درجاته عند الله وان كان عليه كريما خرجه ابن ابي الدنيا باسناد جيد وروي
مرفوعا من حديث عايشه باسناد فيه نظر وروى الامام احمد في كتاب
الزهد باسناده ان رجلا دخل على معاويه فكساه فخرج فمر على ابي مسعود الانصاري
ورجل اخر من الصحابه فقال احدهما اخذها من حسناتك وقال الاخر من
طيباتك وباسناده عن عمر قال لولا ان تنقص حسناتي لخالطتكم في لين عيشكم ولكني

سمعت الله عير قوما فقال اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وقال الفضيل ان شئت استقل
من الدنيا وان شئت استكثر فانما تاخذ من كيسك ويشهد لهذا ان الله عز وجل
حرم علي عباده اشيا من فضول شهوات الدنيا وزينتها وبهجتها حيث لم يكونوا
محتاجين اليه وادخره لهم عنده في الاخره وقد وقعت الاشاره الي هذا بقوله
عز وجل ولولا ان يكون الناس امه واحده لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من
فضه الي قوله وان كل ذلك لما متاع الحياه الدنيا والاخره عند ربك للمتقين وصح
عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الاخره ومن شرب
الخمر في الدنيا لم يشربها في الاخره وقال لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا [illegible]
في انيه الذهب والفضه ولا تاكلوا في صحافها فانها لهم في الدنيا ولكم في الاخره قال
وهب ان الله عز وجل قال لموسي عليه السلام اني لاذود اوليايي عن نعيم الدنيا ورخايها
كما يذود الراعي الشفيق ابله عن مبارك الغره وما ذاك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا
نصيبهم من كرامتي سالما موفرا لم تكلمه الدنيا ويشهد لهذا ما خرجه الترمذي عن
قتاده بن النعمن عن النبي صلي الله عليه وسلم قال ان الله اذا احب عبدا احماه الدنيا كما يظل
احدكم يحمي سقيمه الما وخرجه الحاكم ولفظه ان الله ليحمي عبده الدنيا وهو يحبه
كما تحمون مريضكم الطعام والشراب تخافون عليه وفي صحيح مسلم عن عبد الله
بن عمرو عن النبي صلي الله عليه وسلم قال الدنيا سجن المومن وجنه الكافر واما السابق
بالخيرات باذن الله فهم الذين فهموا المراد من الدنيا وعملوا بمقتضي ذلك فعلموا
ان الله انما اسكن عباده في هذه الدار ليبلوهم ايهم احسن عملا كما قال وهو الذي
خلق السموات والارض في سته ايام وكان عرشه علي الما ليبلوكم ايكم احسن عملا وقال
الذي خلق الموت والحياه ليبلوكم ايكم احسن عملا قال بعض السلف ايهم ازهد في
الدنيا وارغب في الاخره وجعل ما في الدنيا من البهجه والنضره محنه لينظر من يقف
منهم معه ويركن اليه ومن ليس كذلك كما قال تعالي انا جعلنا ما علي الارض زينه

لها لنبلوهم ايهم احسن عملا ثم بين انقطاعه ونفاده فقال وانا لجاعلون ما عليها
صعيدا جرزا فلما فهموا ان هذا هو المقصود من الدنيا جعلوا همهم التزود منها
للاخره التي هي دار القرار واكتفوا من الدنيا بما يكتفي به المسافر في سفره كما كان النبي صلي الله
عليه وسلم يقول ما لي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كراكب قال في ظل شجره ثم راح وتركها
ووصي صلي الله عليه وسلم جماعه من اصحابه ان يكون بلاغ احدهم من الدنيا كزاد الراكب
منهم سلمان وابو عبيده بن الجراح وابو ذر وعايشه ووصي ابن عمر ان يكون في الدنيا
كانه غريب او عابر سبيل وان يعد نفسه من اهل القبور واهل هذه الدرجه
علي قسمين منهم من يقتصر من الدنيا علي قدر ما يسد الرمق فقط وهو حال كثير من
[illegible]د ومنهم من يفسح لنفسه احيانا في تناول بعض شهواتها المباحه لتقوي
النفس بذلك وتنشط للعمل كما روي عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال حبب الي من
دنياكم النسا والطيب وجعلت قره عيني في الصلاه خرجه الامام احمد والنساي
من حديث انس وخرج الامام احمد من حديث عايشه قالت كان رسول الله صلي الله
عليه وسلم يحب من الدنيا النسا والطيب والطعام فاصاب من النسا والطيب ولم
يصب من الطعام قال وهب مكتوب في حكمه ال داود عليه السلام ينبغي للعاقل
ان لا يغفل عن اربع ساعات ساعه يحاسب فيها نفسه وساعه يناجي فيها
ربه وساعه يلقي فيها اخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه
وساعه يخلي بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل فان في هذه الساعه عونا
علي تلك الساعات وفضل بلغه واستجماما للقلوب يعني ترويحا لها ومتي
نوي المومن بتناول شهواته المباحه التقوي علي الطاعه كانت شهواته له
طاعه يثاب عليها كما قال معاذ بن جبل اني لاحتسب نومتي كما احتسب قومتي
يعني انه ينوي بنومه التقوي علي القيام في اخر الليل فيحتسب ثواب نومه كما
يحتسب ثواب قيامه وكان بعضهم اذا تناول شيا من شهواته المباحه

واشي منها اخوانه كما روي عن ابن المبارك انه كان اذا اشتهي شيا لم ياكله حتي يشتهيه
بعض اصحابه فياكله معهم وكان اذا اشتهي شيا دعي ضيفا ليا كل معه وكان يذكر
عن الاوزاعي انه قال ثلاثه لا حساب عليهم في مطعمهم المتسحر والصايم حين
يفطر وطعام الضيف وقال الحسن ليس من حبك للدنيا طلبك ما يصلحك فيها
ومن زهدك فيها ترك الحاجه يسدها عنك تركها ومن احب الدنيا وسرته
ذهب خوف الاخره من قلبه وقال سعيد بن جبير متاع الغرور ما يلهيك عن طلب
الاخره وما لم يلهك فليس بمتاع الغرور ولكنه متاع بلاغ الي ما هو خير منه وقال
يحيي ابن معاذ الرازي كيف لا احب دنيا قدر لي فيها قوت اكتسب به حياه
ادرك به طاعه انال بها الاخره وسيل ابو صفوان الرعيني وكان من العارفين
ما هي الدنيا التي ذمها الله في القران التي ينبغي للعاقل ان يجتنبها فقال كل ما
اصبت في الدنيا تريد به الدنيا فهو مذموم وكل ما اصبت فيها تريد به الاخره فليس
منها وقال الحسن نعمت الدار كانت الدنيا للمومن وذلك انه عمل قليلا واخذ زاده
منها الي الجنه وبيست الدار كانت للكافر والمنافق وذلك انه ضيع لياليه وكان
زاده منها الي النار وقال ايفع بن عبد الكلاعي قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا
دخل اهل الجنه الجنه واهل النار النار قال الله عز وجل يا اهل الجنه كم لبثتم في الارض عدد
سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قال نعم ما اتجرتم في يوم او بعض يوم رحمتي
ورضواني وجنتي امكثوا فيها خالدين مخلدين ثم يقول لاهل النار كم لبثتم في الارض عدد
سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فيقول بيس ما اتجرتم في يوم او بعض يوم
سخطي ومعصيتي وناري امكثوا فيها خالدين مخلدين وخرج الحاكم من حديث عبد
الجبار بن وهب انا سعد بن طارق عن ابيه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال نعمت
الدار الدنيا لمن تزود منها لاخرته حتي يرضي ربه وبيست الدار لمن صدته عن اخرته
وقصرت به عن رضا ربه واذا قال العبد قبح الله الدنيا قالت الدنيا قبح الله اعصانا

لربه وقال صحيح الاسناد وخرجه العقيلي وقال عبد الجبار بن وهب مجهول وحديثه
غير محفوظ قال وهذا الكلام مروي عن علي من قوله وقول علي خرجه ابن ابي الدنيا
عنه باسناد فيه نظر ان عليا سمع رجلا يسب الدنيا فقال انها لدار صدق لمن صدقها
ودار عافيه لمن فهم عنها ودار غنا لمن تزود منها مسجد احبا الله ومهبط
وحيه ومصلي ملايكته ومتجر اوليايه اكتسبوا فيها الرحمه وربحوا فيها الجنه فمن ذا
يذم الدنيا وقد اذنت بفراقها ونادت بعيبها ونعت نفسها واهلها فمثلت
ببلايها البلا وشوقت بسرورها الي السرور فذمها قوم عند الندامه وحمدها
اخرون حدثتهم فصدقوا وذكرتهم فذكروا فيايها المغتر بالدنيا المغتر بغرورها
متي استلامت اليك الدنيا بل متي غرتك امضاجع ابايك من الثري ام بمصارع امهاتك من
البلي كم قد قلبت بكفيك ومرضت بيديك تطلب له الشفا وتسال له الاطبا فلم
تظفر بحاجتك ولم تسعف بطلبتك قد مثلت لك الدنيا بمصرعه مصرعك غدا ولا
يغني عنك بكاوك ولا ينفعك احباوك فبين امير المومنين رضي الله عنه ان الدنيا
لا تذم مطلقا وانها تحمد بالنسبه الي من تزود منها الاعمال الصالحه وان فيها مسا
جد
الانبيا ومهبط الوحي وهي دار التجاره للمومنين اكتسبوا منها الرحمه وربحوا بها الجنه
فهي نعم الدار لمن كانت هذه صفته واما ما ذكر من انها تغر وتخدع فانها تنادي
بمواعظها وتنصح بعبرها وتبدي عيوبها بما تري اهلها بما تري من مصارع
الهلكي وتقلب الاحوال من الصحه الي السقم ومن الشبيبه الي الهرم ومن الغنا الي
الفقر ومن العز الي الذل ولكن محبها قد اصمه واعماه حبها فهو لا يسمع
ندا ها كما قيل ،، لقد نادت الدنيا علي نفسها ،، لو كان في العالم من يسمع ،،
،، ،، لم واثق بالعمر افنيته ،، وجامع بددت ما يجمع ،،
قال يحيي بن معاذ لو يسمع الخلايق صوت النياحه علي الدنيا في الغيب من السنه الفنا
لتساقطت القلوب منهم حزنا وقال بعض الحكما الدنيا امثال تضربها الايام للانام

حاشية هذا الاثر المروي عن علي موقوف عليه وذكره ابو بكر الكلاباذي [illegible]
[illegible]

وعلم الزمان لا يحتاج الي ترجمان وبحب الدنيا صمت اسماع القلوب عن المواعظ وما
احث السابق لو شعر الخلايق واهل الزهد في فضول الدنيا اقسام منهم من
يحصل له فيمسكه ويتقرب به الي الله كما كان كثير من الصحابه وغيرهم قال ابو سليمان
كان عثمن وعبد الرحمن بن عوف خازنين من خزان الله في ارضه ينفقان في طاعته
وكانت معاملتهما لله بقلوبهما ومنهم من يخرجه من يده ولا يمسكه وهو لا نوعان
منهم من يخرجه اختيارًا وطواعيةً ومنهم من يخرجه ونفسه تابى اخراجه ولكن
يجاهدها علي ذلك وقد اختلف في ايهما افضل فقال ابن السماك والجنيد الاول افضل
لتحقق نفسه بمقام السخا والزهد وقال ابن عطا الثاني افضل لان له عملًا ومجاهدةً
وفي كلام الامام احمد ما يدل عليه ايضًا ومنهم من لم يحصل له شي من الفضول وهو
زاهد في تحصيله اما مع قدرته او بدونها والاول افضل من هذا ولهذا قال كثير من
السلف ان عمر ابن عبد العزيز كان ازهد من اويس ونحوه كذا قال ابو سليمان وغيره
وكان مالك ابن دينار يقول الناس يقولون مالك زاهدًا انما الزاهد عمر ابن عبد العزيز وقد
اختلف العلما ايما افضل من طلب الدنيا من الحلال ليصل رحمه ويقدم منها لنفسه
ام من يتركها فلم يطلبها بالكليه فرجحت طايفه من تركها وتجنبها منهم الحسن وغيره
ورجحت طايفه من طلبها علي ذلك الوجه منهم النخعي وغيره وروي عن الحسن ايضًا
نحوه والزاهدون في الدنيا بقلوبهم لهم ملاحظ ومشاهد يشهدونها فمنهم من
يشهد كثره التعب بالسعي في تحصيلها فهو يزهد فيها قصدًا الراحه نفسه
قال الحسن الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن ومنهم من يخاف ان ينقص حظه
من الاخره باخذ فضول الدنيا ومنهم من يخاف من طول الحساب عليها قال بعضهم
من سال الله الدنيا فانما يسال طول الوقوف للحساب ومنهم من يشهد كثره عيوب
الدنيا وسرعه تقلبها وفنايها ومزاحمه الاراذل في طلبها كما قيل لبعضهم ما الذي
زهدك في الدنيا قال قله وفايها وكثره جفايها وخسه شركايها ومنهم من كان ينظر الى

حقاره الدنيا عند الله فيستقذرها كما قال الفضيل لو ان الدنيا بحذافيرها عرضت
علي حلالًا لا احاسب بها في الاخره لكنت اتقذرها كما يتقذر الرجل الجيفه اذا مر
بها ان تصيب ثوبه ومنهم من كان يخاف ان تشغله عن الاستعداد للاخره
والتزود لها قال الحسن ان كان احدهم ليعيش عمره مجهودًا اشد الجهد والمال
الحلال الي جنبه يقال له الا تاتي هذا فتصيب منه فيقول لا والله لا افعل اني
اخاف ان اتيه فيكون فساد قلبي وعملي وبعث الي عمر بن المنكدر بمال فبكي واشتد
بكاوه وقال خشيت ان تغلب الدنيا علي قلبي فلا يكون للاخره فيه نصيب فذلك الذي
ابكاني ثم امر به فتصدق به علي فقرا اهل المدينه وخواص هولا يخشي ان يشتغل بها
عن الله كما قالت رابعه ما احب ان لي الدنيا كلها من اولها الي اخرها حلالًا انفقها في
سبيل الله وانها شغلتني عن الله طرفه عين وقال ابو سليمن الزهد ترك ما يشغل عن
الله وقال كلما شغلك عن الله من اهلٍ ومالٍ وولدٍ فهو مشوم وقال اهل الزهد في
الدنيا علي طبقتين منهم من يزهد في الدنيا فلا يفتح له فيها روح الاخره ومنهم من اذا زهد
فيها فتح له فيها روح الاخره فليس شي احب اليه من البقا ليطيع وقال ليس الزاهد من
القي هموم الدنيا واستراح منها انما الزاهد من زهد في الدنيا وتعب فيها للاخره فالزهد
في الدنيا يراد به تفريغ القلب من الاشتغال بها ليتفرغ لطلب الله ومعرفته والقرب منه
والانس به والشوق الي لقايه وهذه الامور ليست من الدنيا كما كان صلي الله عليه وسلم
يقول حبب الي من دنياكم النسا والطيب وجعلت قره عيني في الصلاه ولم يجعل الصلاه
مما حبب اليه من الدنيا كذا في المسند والنساي واظنه وقع في غيرهما حبب الي من دنياكم
ثلاث فادخل الصلاه في الدنيا ويشهد لذلك الدنيا ملعونه ملعون ما فيها الا ذكر الله
وما والاه او عالم او متعلم خرجه ابن ماجه والترمذي وحسنه من حديث ابي هريره
مرفوعًا وروي نحوه من غير وجه مرسلًا ومتصلًا وخرج الطبراني من حديث ابي الدردا
مرفوعًا قال الدنيا ملعونه ملعون ما فيها الا ما ابتغي به وجه الله وخرج ابن ابي الدنيا

فاصيب منه

حديث

موقوفا وخرج ايضا من رواية شهر بن حوشب عن عبادة قال اراه رفعه قال يوتى
بالدنيا يوم القيمة فيقال ميزوا منها ما كان لله عز وجل والقوا سايرها في النار فالدنيا
وكل ما فيها ملعونة اي مبعدة عن الله لانها تشغل عنه الا العلم النافع الدال على
الله وعلى معرفته وطلب قربه ورضاه وذكر الله وما والاه مما يقرب من الله
فهذا هو المقصود من الدنيا فان الله انما امر عباده بان يتقوه ويطيعوه ولازم
ذلك دوام ذكره كما قال ابن مسعود تقوى الله حق تقواه ان يذكر فلا ينسى وانما شرع الله
اقام الصلاة لذكره وكذلك الحج والطواف وافضل اهل العبادات اكثرهم لله ذكرا
فيها فهذا كله ليس من الدنيا المذمومة وهو المقصود من ايجاد الدنيا واهلها كما قال وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقد ظن طوايف من الفقها والصوفية ان ما يوجد
في الدنيا من هذه العبادات افضل مما يوجد في الجنة من النعيم قالوا لان نعيم الجنة حظ
العبد والعبادات في الدنيا حق الرب وحق الرب افضل من حظ العبد وهذا غلط
ويقوي غلطهم قول كثير من المفسرين في قوله تعالى من جا بالحسنة فله خير منها قالوا الحسنة
لا اله الا الله وليس شي خيرا منها ولكن الكلام على التقديم والتاخير والمراد فله منها خير
اي له خير بسببها ولاجلها والصواب اطلاق ما جاءت به نصوص الكتاب والسنة ان الاخرة
خير من الاولى مطلقا وفي صحيح الحاكم عن المستورد بن شداد قال كنا عند النبي صلى الله عليه
وسلم فتذاكروا الدنيا والاخرة فقال بعضهم انما الدنيا بلاغ للاخرة وفيها العمل وفيها الصلاة
وفيها الزكاة وقالت طايفة منهم الاخرة فيها الجنة وقالوا ما شا الله فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة الا كما يمشي احدكم الى اليم فادخل اصبعه فيه فما خرج منه فهو
الدنيا فهذا نص بتفضيل الاخرة على الدنيا وما فيها من الاعمال ووجه ذلك ان كمال
الدنيا انما هو في العلم والعمل والعلم ومقصود الاعمال تضاعف في الاخرة بالانسبة
لما في الدنيا اليه فان العلم اصله العلم بالله واسمايه وصفاته وفي الاخرة ينكشف الغطا
ويصير الخبر عيانا ويصير علم اليقين عين اليقين وتصير المعرفة بالله رويته ومشاهدة فاين

هذا مما في الدنيا واما الاعمال البدنية فان لها في الدنيا مقصدين احدهما اشتغال
الجوارح بالطاعة وكدها بالعبادة والثاني اتصال القلوب بالله وتنويرها بذكره
فالاول قد رفع عن اهل الجنة ولهذا روي انهم اذا هموا بالسجود لله عند تجليه لهم
يقال لهم ارفعوا رؤوسكم فانكم لستم في دار مجاهدة واما المقصود الثاني فحاصل لاهل
الجنة على اكمل الوجوه واتمها ولا نسبة لما حصل لقلوبهم في الدنيا من لطايف القرب
والانس والاتصال الى ما يشاهدونه في الاخرة عيانا فتتنعم قلوبهم وابصارهم واسماعهم
بقرب الله ورويته وسماع كلامه ولا سيما في اوقات الصلوات في الدنيا كالجمع والا عياد
والمقربون منهم يحصل ذلك لهم كل يوم مرتين بكرة وعشيا في وقت صلاة الصبح
وصلاة العصر ولهذا لما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة يرون ربهم حض عقيب
ذلك على المحافظة على صلاة العصر وصلاة الفجر لان وقتها بين الصلاتين وقت لرويته
خواص اهل الجنة ربهم وزيارتهم له وكذلك نعيم الذكر وتلاوة القران لا ينقطع عنهم ابدا
فيلهمون التسبيح كما يلهمون النفس قال ابن عيينة لا اله الا الله لاهل الجنة كالماء البار د
لاهل الدنيا فاين لذة الذكر للعارفين في الدنيا من لذتهم به في الجنة فتبين بهذا ان قوله
من جا بالحسنة فله خير منها على ظاهره فان ثواب كلمة التوحيد في الدنيا ان يصل
صاحبها الى قولها في الجنة على الوجه الذي يختص به اهل الجنة وبكل حال فالذي يحصل
لاهل الجنة من تفاصيل العلم بالله واسمايه وصفاته وافعاله ومن قربه ومشاهدته
ولذة ذكره هو امر لا يمكن التعبير عن كنهه في الدنيا لان اهلها لم يدركوه على وجهه
بل هو مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والله تعالى المسوول
ان لا يحرمنا خير ما عنده بشر ما عندنا بمنه وكرمه ورحمته امين ولنرجع الى
شرح حديث ازهد في الدنيا يحبك الله فهذا الحديث يدل على ان الله يحب الزاهدين
في الدنيا قال بعض السلف قال الحواريون لعيسى عليه السلام يا روح الله علمنا عملا واحدا
يحبنا الله عز وجل عليه قال ابغضوا الدنيا يحبكم الله عز وجل وقد ذم الله تعالى من يحب

الدنيا ويوثرها على الاخره كما قال كلا بل تحبون العاجله وتذرون الاخره وقال وتحبون
المال حبا جما وقال وانه لحب الخير لشديد والمراد حب المال فاذا ذم من احب
الدنيا دل على مدح من لا يحبها بل يرفضها ويتركها وفي المسند وصحيح ابن حبان عن
ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من احب دنياه اضر باخرته ومن احب اخرته
اضر بدنياه فاثروا ما يبقى على ما يفنى وفي المسند وسنن ابن ماجه عن زيد ابن ثابت
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كانت الدنيا همه فرق الله عليه امره وجعل
فقره بين عينيه ولم ياته من الدنيا الا ما كتب له ومن كانت الاخره نيته جمع الله له
امره وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمه وخرجه الترمذي من حديث انس
مرفوعا بمعناه ومن كلام جندب ابن عبد الله الصحابي حب الدنيا راس كل خطيه
وروي مرفوعا وروي عن الحسن مرسلا قال الحسن من احب الدنيا وسرته خرج حب
الاخره من قلبه وقال عون بن عبد الله الدنيا والاخره في القلب ككفتي الميزان
بقدر ما ترجح احداهما تخف الاخرى وقال وهب انما الدنيا والاخره كرجل له امراتان
ان ارضى احداهما اسخط الاخرى وبكل حال فالزهد في الدنيا شعار انبيا الله
واوليايه واحبايه قال عمرو بن العاصي ما ابعد هديكم من هدي نبيكم صلى الله عليه وسلم
انه كان ازهد الناس في الدنيا وانتم ارغب الناس فيها خرجه الامام احمد وقال ابن
مسعود لاصحابه انتم اكثر صوما وصلاة وجهادا من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
وهم كانوا خيرا منكم قالوا وكيف ذلك قال كانوا ازهد منكم في الدنيا وارغب منكم في
الاخره وقال ابو الدردا لين حلفتم لي على رجل انه ازهدكم لاحلفن لكم انه خيركم
ويروى عن الحسن قال قالوا يا رسول الله من خيرنا قال ازهدكم في الدنيا وارغبكم
في الاخره والكلام في هذا الباب يطول جدا وفيما اشرنا اليه كفاية ان شا الله تعالى
الوصيه الثانيه الزهد فيما في ايدي الناس وانه موجب لمحبة الناس وروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه وصى رجلا فقال اياس مما في ايدي الناس تكن غنيا خرجه

الطبراني وغيره وروي من حديث سهل بن سعد مرفوعا شرف المومن قيامه بالليل
وعزه استغناوه عن الناس قال الحسن لا تزال كريما على الناس ولا يزال الناس يكرمونك
ما لم تعاط ما في ايديهم فاذا فعلت ذلك استخفوا بك وكرهوا حديثك وابغضوك
وقال ايوب السختياني لا ينبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان العفه عما في ايدي الناس
والتجاوز عما يكون منهم وكان عمر يقول في خطبته على المنبر ان الطمع فقر وان الياس
غنى وان الانسان اذا ايس من الشي استغنى عنه وروي ان عبد الله بن سلام لقي كعب
الاحبار عند عمر فقال يا كعب من ارباب العلم قال الذين يعملون به قال فما يذهب بالعلم
من قلوب العلما بعد اذ حفظوه وعقلوه قال يذهبه الطمع وشره النفس وتطلب
الحاجات الى الناس قال صدقت وقد تكاثرت الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بالامر
بالاستعفاف عن مسله الناس والاستغنا عنهم فمن سال الناس ما بايديهم كرهوه وابغضوه
لان المال محبوب لنفوس بني ادم فمن طلب منهم ما يحبونه كرهوه كذلك واما من كان
يرى المنه للسايل عليه ويرى انه لو خرج له عن ملكه كله لم يف له ببذل سواله له
وذلته له او كان يقول لاهله ثيابكم على غيركم احسن منها عليكم ودوابكم تحت غيركم
احسن منها تحتكم فهذا نادر جدا من طباع بني ادم وقد انطوى بساط ذلك من زمان
متطاول واما من زهد فيما في ايدي الناس وعف عنه فانهم يحبونه ويكرمونه لذلك
ويسود به عليهم كما قال اعرابي لاهل البصره من سيد اهل هذه القريه قالوا الحسن
قال بما سادهم قالوا احتاج الناس الى علمه واستغنى هو عن دنياهم وما احسن قول بعض
السلف في وصف الدنيا واهلها

وما هي الا جيفه مستحيله ... عليها كلاب همهن اجتذابها
فان تجتنبها كنت سلما لاهلها ... وان تجتذبها نازعتك كلابها

الحديث الثاني والثلاثون عن ابي

سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ضرر ولا ضرار حديث

حسن رواه بن ماجه والدارقطني وغيرهما مسندًا ورواه مالك في الموطا عن عمرو بن
يحيى عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا فاسقط ابا سعيد وله طرق يقوي
بعضها ببعض ه حديث ابي سعيد لم يخرجه بن ماجه انما خرجه الدارقطني
والحاكم والبيهقي من رواية عثمن ابن محمد بن عثمن بن ربيعه نا الدراوردي عن عمرو بن يحيى
المازني عن ابيه عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ضرر ولا ضرار
من ضار ضره الله ومن شاق شق الله عليه وقال الحاكم صحيح الاسناد على شرط مسلم
وقال البيهقي تفرد به عثمن عن الدراوردي وخرجه مالك في الموطا عن عمرو بن يحيى
عن ابيه مرسلا قال بن عبد البر لم يختلف عن مالك في ارسال هذا الحديث قال
ولا يسند من وجه صحيح ثم خرجه من رواية عبد الملك بن معاذ النصيبي عن
الدراوردي موصولا والدراوردي كان الامام احمد يضعف ما حدث به من
حفظه ولا يعبا به ولا شك في تقديم قول مالك على قوله وقال خلف بن سعد
الاندلسي الحافظ لم يصح حديث لا ضرر ولا ضرار مسندًا واما ابن ماجه فخرجه
من رواية فضيل بن سليمن نا موسى بن عقبه حدثني اسحق بن يحيى بن الوليد
عن عباده بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى ان لا ضرر ولا ضرار
وهذا من جملة صحيفة تروي بهذا الاسناد وهي منقطعه ماخوذه من كتاب قاله
بن المديني وابو زرعه وغيرهما واسحق بن يحيى قيل هو ابن طلحه وهو ضعيف
لم يسمع من عباده قاله ابو زرعه وابن ابي حاتم والدارقطني في موضع وقيل انه
اسحق ابن يحيى بن الوليد بن عباده ولم يسمع ايضًا من عباده قاله الدارقطني ايضًا
وذكره بن عدي في كتابه الضعفا وقال عامه احاديثه غير محفوظه وقيل ان
موسى ابن عقبه لم يسمع منه وانما روى هذه الاحاديث عن ابي عياش الاسدي
عنه وابو عياش لا يعرف وخرجه بن ماجه ايضا من وجه اخر من رواية جابر
الجعفي عن عكرمه عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار

وجابر الجعفي ضعفه الاكثرون وخرجه الدارقطني من روايه ابراهيم بن اسمعيل عن
داود بن الحصين عن عكرمه به وابرهيم ضعفه جماعه وروايات داود عن عكرمه
مناكير **وخرج الدارقطني** من حديث الواقدي نا خارجه بن عبد الله بن سليمن
بن زيد بن ثابت عن ابي الرجال عن عمره عن عايشه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا
ضرر ولا ضرار والواقدي متروك وشيخه مختلف في تضعيفه وخرجه الطبراني
من وجهين ضعيفين ايضًا عن القسم عن عايشه وخرج الطبراني ايضًا من روايه محمد
بن سلمه عن بن اسحق عن محمد بن يحيى بن حبان عن عمه واسع بن حبان عن جابر عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا ضرر ولا ضرار في الاسلام وهذا اسناد مقارب وهو غريب
لكن خرجه ابو داود في المراسيل من روايه عبد الرحمن بن مغرا عن ابن اسحق عن محمد
بن يحيى بن حبان عن عمه واسع مرسلا وهو اصح **وخرج الدارقطني** من روايه
ابي بكر بن عياش قال اراه عن بن عطا عن ابيه عن ابي هريره ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا ضرر ولا ضروره ولا يمنعن احدكم جاره ان يضع خشبه على حايطه وهذا
الاسناد فيه شك وابن عطا هو يعقوب وهو ضعيف وروى كثير بن عبد الله بن
عمرو بن عوف المزني عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ضرر ولا ضرار
قال بن عبد البر اسناده غير صحيح قلت كثير هذا يصحح حديثه الترمذي ويقول
البخاري في بعض حديثه هو اصح حديث في الباب وحسن حديثه ابرهيم بن المنذر
الحزامي وقال هو خير من مراسيل ابن المسيب وكذلك حسنه ابن ابي عاصم وترك
حديثه اخرون منهم الامام احمد وغيره فهذا ما حضرنا من ذكر طرق احاديث
هذا الباب **وقد** ذكر الشيخ رحمه الله ان بعض طرقه تقوي ببعض وهو كما قال وقد
قال البيهقي في بعض احاديث كثير ابن عبد الله المزني اذا انضمت الى غيرها من الاسا نيد
التي فيها ضعف قويتا وقال الشافعي في المرسل انه اذا اسند من وجه اخر او ارسله
من ياخذ العلم عن غير من ياخذ عنه المرسل الاول فانه يقبل وقال الجوزجاني

اذا كان الحديث المسند من رجل غير مقنع يعني لا يقنع برواياته وشد اركانه
المراسيل بالطرق المقبولة عند ذوي الاختيار استعمل واكتفي به هذا اذا لم يعارض
بالمسند الذي هو اقوي منه وقد استدل الامام احمد بهذا الحديث وقال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار وقال ابو عمرو بن الصلاح هذا
الحديث اسنده الدارقطني من وجوه ومجموعها يقوي الحديث ويحسنه وقد تقبله
جماهير اهل العلم واحتجوا به وقول ابي داود انه من الاحاديث التي يدور الفقه
عليها يشعر بكونه غير ضعيف والله اعلم وفي المعنى ايضا حديث ابي صرمة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال من ضار ضار الله به ومن شاق شق الله عليه خرجه ابو داود
والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي حسن غريب وخرج الترمذي باسناد
فيه ضعف عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ملعون من
ضار مومنا او مكر به وقوله صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار هذه الرواية الصحيحة
ضرار بغير همزة وروي اضرار بالهمزة ووقع ذلك في بعض روايات ابن ماجه والدار
قطني بل وفي بعض نسخ الموطا وقد اثبت بعضهم هذه الرواية وقال ضر واضر بمعنى
وانكرها اخرون وقالوا لا صحة لها واختلفوا هل بين اللفظين اعني الضرر والضرار
فرق ام لا فمنهم من قال هما بمعنى واحد على وجه التاكيد والمشهور ان بينهما فرقا
ثم قيل ان الضرر هو الاسم والضرار الفعل فالمعنى ان الضرر نفسه منتف في الشرع
وادخال الضرر بغير حق كذلك وقيل الضرر ان يدخل على غيره ضررا بما ينتفع هو
به والضرار ان يدخل على غيره ضررا بما لا منفعة له به كمن منع ما لا يضره ويتضرر به
الممنوع ورجح هذا القول طايفة منهم ابن عبد البر وابن الصلاح وقيل الضرر ان يضر
بمن لا يضره والضرار ان يضر بمن قد اضر به على وجه غير جايز وبكل حال فالنبي
صلى الله عليه وسلم انما نفى الضرر والضرار بغير حق فاما ادخال الضرر على احد بحق
اما لكونه تعدى حدود الله فيعاقب بقدر جريمته او كونه ظلم غيره فيطلب

المظلوم مقابلته بالعدل فهذا مراد غير مراد قطعا وانما المراد الحاق الضرر
بغير حق وهذا على نوعين احدهما ان لا يكون في ذلك غرض سوى الضرر بذلك
الغير فهذا لا ريب في قبحه وتحريمه وقد ورد في القران النهي عن المضارة في
مواضع منها في الوصية قال تعالى من بعد وصية يوصى بها او دين غير مضار وفي
حديث ابي هريرة المرفوع ان العبد ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضره الموت
فيضار في الوصية فيدخل النار ثم تلا تلك حدود الله الى قوله ومن يعص الله ورسوله
ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وقد خرجه الترمذي وغيره بمعناه وقال
ابن عباس الاضرار في الوصية من الكباير ثم تلا هذه الاية والاضرار في الوصية تارة يكون
بان يخص بعض الورثة بزيادة على فرضه الذي فرضه الله له فيتضرر بقية الورثة
بتخصيصه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية
لوارث وتارة بان يوصي لاجنبي بزيادة على الثلث فتنقص حقوق الورثة ولهذا قال
النبي صلى الله عليه وسلم الثلث والثلث كثير ومتى وصى لوارث او لاجنبي بزيادة على الثلث لم
ينفذ ما وصى به الا باجازة الورثة وسوا قصد المضارة او لم يقصد ~~واما ان ترد وصيته~~
واما ان قصد المضارة بالوصية لاجنبي بالثلث فانه ياثم بقصده المضارة وهل ترد وصيته
اذا ثبت ذلك باقراره او لا حكى ابن عطية رواية عن مالك انها ترد وقيل انه قياس مذهب
احمد ومنها في الرجعة في النكاح قال تعالى فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف
ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه وقال وبعولتهن احق بردهن
في ذلك ان ارادوا اصلاحا فدل ذلك على ان من كان قصده بالرجعة المضارة فانه اثم
بذلك وهذا كما كانوا في اول الاسلام قبل حصر الطلاق في ثلاث يطلق الرجل امراته
ثم يتركها حتى تقارب انقضاء عدتها ثم يراجعها ثم يطلقها ويفعل ذلك ابدا بغير نهاية
فيدع المراة لا مطلقة ولا ممسكة فابطل الله ذلك وحصر الطلاق في ثلاث مرات
وذهب مالك الى ان من راجع امراته قبل انقضاء عدتها ثم طلقها من غير مسيس انه

ان قصد بذلك مضارتها بتطويل العده لم تستانف العده وبنت علي مامضى منها
وان لم يقصد بذلك استانفت عده جديده وقيل تبنى مطلقا وهو قول عطا وقتاده
والشافعي في القديم واحمد في روايه وقيل تستانف مطلقا وهو قول الاكثرين منهم ابو
قلابه والزهري والثوري وابو حنيفه والشافعي في الجديد واحمد في روايه واسحق
وابو عبيد وغيرهم ومنها في الايلا فان الله جعل مده المولي اربعه اشهر فان فا
ورجع الي الوطي كان ذلك توبته وان اصر علي الامتناع لم يمكن من ذلك ثم فيه قولان
للسلف والخلف احدهما انها تطلق عليه بمضي هذه المده والثاني انه يوقف فان
فا والا امر بالطلاق ولو ترك الوطي لقصد الاضرار بغير يمين مده اربعه اشهر فقال
كثير من اصحابنا حكمه حكم المولي في ذلك وقالوا هو ظاهر كلام احمد وكذا قال جماعه منهم
اذا ترك الوطي اربعه اشهر لغير عذر ثم طلبت الفرقه فرق بينهما بنا علي ان الوطي عندنا
في هذه المده واجب واختلفوا هل يعتبر لذلك قصد الاضرار ام لا يعتبر ومذهب
مالك واصحابه اذا ترك الوطي من غير عذر فانه يفسخ نكاحه مع اختلافهم في تقدير
المده ولو طال السفر من غير عذر وطلبت امراته قدومه فابى فقال مالك واحمد
واسحق يفرق الحاكم بينهما وقدره احمد بسته اشهر واسحق بمضي سنتين ومنها
في الرضاع قال تعالى لا تضار والده بولدها ولا مولود له بولده قال مجاهد في قوله
لا تضار والده بولدها قال لا يمنع امه ان ترضعه ليحزنها بذلك وقال عطا وقتاده
والزهري وسفين والسدي وغيرهم اذا رضيت بما يرضى به غيرها فهي احق به وهذا
هو المنصوص عن احمد ولو كانت الام في حبال الزوج وقيل ان كانت في حبال الزوج فله
منعها من ارضاعه الا ان لا يمكن ارتضاعه من غيرها وهو قول الشافعي وبعض
اصحابنا لكن انما يجوز ذلك اذا كان قصد الزوج به توفير الزوجه للاستمتاع لا مجرد
ادخال الضرر عليها وقوله ولا مولود له بولده يدخل فيه ان المطلقه اذا طلبت
ارضاع ولدها باجره مثلها لزم الاب اجابتها الى ذلك وسوا وجد غيرها او لم يوجد

اذا حلف [illegible] زوجته [illegible]

هذا منصوص الامام احمد فان طلبت زياده علي اجره مثلها زياده كثيره ووجد الاب
من يرضعه باجره المثل لم يلزم الاب اجابتها الي ما طلبت لانها تقصد المضاره
وقد نص عليه الامام احمد ايضا ومنها في البيع وقد ورد النهي عن بيع المضطر خرجه
ابو داود من حديث علي ابن ابي طالب انه خطب الناس فقال سياتي علي الناس زمان
عضوض يعض الموسر علي ما في يديه ولم يومر بذلك قال الله تعالى ولا تنسوا
الفضل بينكم ويبايع المضطرون وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع المضطر
وخرجه الاسمعيلي وزاد فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان عندك
خير تعود به علي اخيك والا فلا تزيده هلاكا الي هلاكه وخرجه ابو يعلى الموصلي
بمعناه من حديث حذيفه مرفوعا ايضا وقال عبد الله ابن معقل بيع الضروره ربا
قال حرب سيل احمد عن بيع المضطر فكرهه فقيل له كيف هو قال يجيك وهو محتاج
فتبيعه ما يساوي عشره بعشرين وقال ابو طالب قيل لاحمد ان ربح بالعشره خمسه
فكره ذلك وان كان المشتري مسترسلا لا يحسن ان يماكس فباعه بغبن كثير لم يجز ايضا
قال احمد الخلابه الخداع وهو ان يغبنه فيما لا يتغابن الناس في مثله يبيعه ما يساوي
درهما بخمسه ومذهب مالك واحمد انه يثبت له خيار الفسخ بذلك ولو كان محتاجا الي
نقد فلم يجد من يقرضه فاشترى سلعه بثمن الي اجل في ذمته ومقصوده بيع تلك السلعه
لياخذ ثمنها فهذا فيه قولان للسلف ورخص احمد فيه في روايه وقال في روايه اخشى
ان يكون مضطرا فان باع السلعه من بايعها له فاكثر السلف علي تحريم ذلك وهو مذهب
مالك وابي حنيفه واحمد وغيرهم ومن انواع الضرر في البيوع التفريق بين الوالده
وولدها في البيع فان كان صغيرا حرم بالاتفاق وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال من فرق بين والده وولدها فرق الله بينه وبين احبته يوم القيمه فان رضيت
الام بذلك ففي جوازه اختلاف ومسايل الضرر في الاحكام كثير جدا وانما ذكرنا هذا
علي وجه المثال والنوع الثاني ان يكون له غرض اخر صحيح مثل ان يتصرف في ملكه

بما فيه مصلحه له فيتعدي ذلك الي ضرر غيره او يمنع غيره من الانتفاع بملكه توفيرًا
له فيتضرر الممنوع بذلك فاما الاول وهو التصرف في ملكه بما يتعدي ضرره الي
غيره فان كان علي الوجه المعتاد ففيه للعلما قولان مشهوران احدهما لا يمنع
من ذلك وهو قول الشافعي وابي حنيفة وغيرهما والثاني المنع وهو قول احمد ووافقه
مالك في بعض الصور فمن صور ذلك ان يفتح كوه في بنايه العالي مشرفه علي جاره او يبني
بناء عاليًا يشرف علي جاره ولا يستره فانه يُلزم بستره نص عليه احمد ووافقه طايفه
من اصحاب الشافعي قال الروياني منهم في كتاب الحليه يجتهد الحاكم في ذلك ويمنع اذا
ظهر له التعنت وقصد الفساد قال وكذلك القول في اطاله البنا ومنع الشمس والقمر
وقد خرج الخرايطي وابن عدي باسناد ضعيف عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده مرفوعًا
حديثا طويلا في حق الجار وفيه ولا يستطل عليه بالبنا فيحجب عنه الريح الا باذنه ومنها
ان يحفر بيرًا بالقرب من بير جاره فيذهب ماوها فانها تطم في ظاهر مذهب
مالك واحمد وخرج ابو داود في المراسيل من حديث ابي قلابة قال قال رسول
الله صلي الله عليه وسلم لا تضاروا في الحفر وذلك ان يحفر الرجل الي جنب الرجل ليذهب
بمايه ومنها ان يحدث في ملكه ما يضر بملك جاره من هز او دق ونحوهما فانه يمنع
منه في ظاهر مذهب مالك واحمد وهو احد الوجوه للشافعية وكذا اذا كان يضر
بالسكان كالرايحه الخبيثه ونحو ذلك ومنها ان يكون له ملك في ارض غيره ويتضرر
صاحب الارض بدخوله الي ارضه فانه يجبر علي ازالته ليندفع به ضرر الدخول خرج
ابو داود في سننه من حديث ابي جعفر محمد بن علي انه حدث عن سمره بن جندب انه
كانت له عضد من نخل في حايط رجل من الانصار ومع الرجل اهله فكان سمره يدخل
الي نخله فيتاذي به ويشق عليه فطلب اليه ان يناقله فابي فاتي النبي صلي الله عليه وسلم
فذكر ذلك له فطلب اليه النبي صلي الله عليه وسلم ان يبيعه فابي فطلب اليه ان يناقله فابي
قال فهبه له ولك كذا وكذا امرًا رغبه فيه فابي فقال انت مضار فقال النبي صلي الله عليه

وسلم للانصاري اذهب فاقلع نخله وقد روي عن ابي جعفر مرسلا قال احمد في
روايه حنبل بعد ان ذكر له هذا الحديث كلما كان علي هذه الجهه وفيه ضرر يمنع
من ذلك فان اجاب والا اجبره السلطان ولا يضر باخيه في ذلك فيه مرفق له
وخرج ابو بكر الخلال من روايه عبد الله بن محمد بن عقيل عن عبد الله بن سليط بن قيس
عن ابيه ان رجلا من الانصار كانت في حايطه نخله لرجل اخر فكان صاحب النخله لا
يريمها غدوه وعشيه فشق ذلك علي صاحب الحايط فاتي النبي صلي الله عليه وسلم فذكر ذلك
له فقال النبي صلي الله عليه وسلم لصاحب النخله خذ منه نخله مما يلي الحايط مكان نخلتك
قال لا والله قال فخذ مني ثنتين قال لا والله قال فهبها لي قال لا والله قال فرد
عليه رسول الله صلي الله عليه وسلم ان يعطيه نخله مكان نخلته وخرج ابو داود في
المراسيل من روايه ابن اسحق عن محمد بن يحيي بن حبان عن عمه واسع بن حبان قال كان
لابي لبابه عذق في حايط رجل فكلمه فقال انك تطا حايطي الي عذقك فانا اعطيك
مثله في حايطك واخرجه عني فابي عليه فكلم النبي صلي الله عليه وسلم فيه فقال يا ابا لبابه
خذ مثل عذقك فحزها الي مالك واكفف عن صاحبك ما يكره فقال ما انا بفاعل
قال اذهب فاخرج له مثل عذقه الي حايطه ثم اضرب فوق ذلك بجدار فانه لا ضرر في
الاسلام ولا ضرار ففي هذا الحديث والذي قبله اجباره علي المعاوضه حيث كان علي شريكه
او جاره ضرر في تركه وهذا مثل ايجاب الشفعه لدفع ضرر الشريك الطاري ويستدل
بذلك ايضًا علي وجوب العماره علي الشريك الممتنع من العماره وعلي ايجاب البيع اذا
تعذرت القسمه وقد ورد من حديث محمد بن ابي بكر عن ابيه مرفوعًا لا تعضيه
في الميراث الا ما احتمل القسم وابو بكر هو ابن عمرو بن حزم قاله الامام احمد فالحديث حينيذ
مرسل والتعضيه هي القسمه ومتي تعذرت القسمه لكون المقسوم يتضرر بقسمته وطلب
احد الشريكين البيع اجبر الاخر وقسم الثمن نص عليه احمد وابو عبيد وغيرهما من الايمه
واما الثاني وهو منع الجار من الانتفاع بملكه والارتفاق به فان كان ذلك يضر بمن انتفع

بملكه فله المنع كمن له جدار واهٍ ولا يحتمل ان يطرح عليه خشب واما ان لم يضر به
فهل يجب عليه التمكين ويحرم عليه الامتناع ام لا فمن قال في القسم الاول لا يمنع المالك
من التصرف في ملكه وان اضر بجاره قال هنا للجار المنع من التصرف في ملكه بغير اذنه
ومن قال هناك بالمنع فاختلفوا هاهنا على قولين احدهما المنع هاهنا وهو قول مالك
والثاني انه لا يجوز المنع وهو مذهب احمد في طرح الخشب على جدار جاره ووافقه الشافعي
في القديم واسحق وابو ثور وداود وابن المنذر وعبد الملك ابن حبيب المالكي وحكاه
مالك عن بعض قضاة المدينة وفي الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا
يمنعن احدكم جاره ان يغرز خشبة على جداره قال ابو هريرة ما لي اراكم عنها معرضين والله
لارمين بها بين اكتافكم وقضى عمر بن الخطاب رضي الله عنه على محمد بن مسلمة ان يجري ماء
جاره في ارضه وقال ليمرن به ولو على بطنك وفي الاجبار على ذلك روايتان عن الامام
احمد ومذهب ابي ثور الاجبار على اجرا الماء في ارض جاره اذا اجراه في قني في باطن
ارضه نقله عنه حرب الكرماني ومما ينهى عن منعه للضرر بيع الماء والكلا وفي الصحيحين
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا به الكلا وفي
سنن ابي داود ان رجلا قال يا نبي الله ما الشي الذي لا يحل منعه قال الماء قال يا نبي الله
ما الشي الذي لا يحل منعه قال الملح قال ما الشي الذي لا يحل منعه قال ان تفعل الخير
خير لك وفيه ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الناس شركا في ثلاث الماء والنار
والكلا وذهب اكثر العلما الى انه لا يمنع فضل الماء الجاري والنابع مطلقا سوا قيل
ان الماء ملك لمالك ارضه ام لا وهذا قول ابي حنيفه والشافعي واحمد واسحق وابي عبيد
وغيرهم والمنصوص عن احمد وجوب بذله مجانا بغير عوض للشرب وسقي البهايم
وسقي الزروع ومذهب ابي حنيفه والشافعي لا تجب بذله للزرع واختلفوا هل يجب
بذله مطلقا او اذا كان بقرب الكلا وكان منعه مفضيا الى منع الكلا على قولين
لاصحابنا واصحاب الشافعي وفي كلام احمد ما يدل على اختصاص المنع بالقرب من الكلا

واما مالك فلا يجب عنده بذل فضل الماء المملوك بملك منبعه ومجراه الا للمضطر كالمجتاز
في الاوعيه وانما يجب عنده بذل فضل الماء الذي لا يملك وعند الشافعي حكم الكلا
كذلك يجوز منع فضله الا في ارض الموات ومذهب ابي حنيفه واحمد وابي عبيد
انه لا يمنع فضل الكلا مطلقا ومنهم من قال لا يمنع احد الماء والكلا الا اهل الثغور
خاصه وهو قول الاوزاعي لان اهل الثغور اذا ذهب ماؤهم وكلاؤهم لم يقدروا ان يتحولوا
من مكانهم من وراء بيضة الاسلام واهله واما النهي عن منع النار فحمله طايفه من الفقها
على النهي عن الاقتباس منها دون اعيان الجمر ومنهم من حمله على منع الحجاره الموريه للنار
وهو بعيد ولو حمل على منع الاستضاءه بالنار وبذل ما فضل عن حاجة صاحبها بها
لمن يستدفي بها او ينضج عليها طعاما ونحوه لم يبعد واما الملح فلعله يحمل على منع
اخذه من المعادن المباحه فان الملح من المعادن الظاهره لا يملك بالاحيا ولا بالاقطاع
نص عليه احمد وفي سنن ابي داود ان النبي صلى الله عليه وسلم اقطع رجلا الملح فقيل له يا رسول
الله انه بمنزلة الماء العِدّ فانتزعه منه ومما يدخل في عموم قوله صلى الله عليه وسلم
لا ضرر ان الله تعالى لم يكلف عباده فعل ما يضرهم البته فان ما يامرهم به هو عين
صلاح دينهم ودنياهم وما نهاهم عنه هو عين فساد دينهم ودنياهم لكنه لم يامر عباده
بشي هو ضار لهم في ابدانهم ايضا ولهذا اسقط الطهاره بالما عن المريض وقال ما يريد
الله ليجعل عليكم من حرج واسقط الصيام عن المريض والمسافر وقال يريد الله بكم اليسر
ولا يريد بكم العسر واسقط اجتناب محظورات الاحرام كالحلق ونحوه عمن كان
مريضا او به اذى من راسه وامر بالفديه وفي المسند عن ابن عباس قال قيل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم اي الاديان احب الى الله قال الحنيفية السمحة ومن حديث عايشه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اني ارسلت بحنيفيه سمحه ومن هذا المعنى ما في الصحيحين
عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا يمشي قيل له انه نذر ان يحج ماشيا فقال ان
الله لغني عن مشيه فليركب وفي روايه ان الله لغني عن تعذيب هذا نفسه

وفي السنن عن عقبه بن عامر ان اخته نذرت ان تمشي الي البيت فقال النبي صلي الله عليه
وسلم ان الله لا يصنع بشقا اختك شيا فلتركب وقد اختلف العلما في حكم من نذر ان
يحج ماشيًا فمنهم من قال لا يلزمه المشي وله الركوب بكل حالٍ وهو روايه عن الاوزاعي
واحمد وقال احمد يصوم ثلاثه ايام وقال الاوزاعي عليه كفاره يمين والمشهور انه يلزمه
ذلك ان اطاقه فان عجز عنه فقيل يركب عند العجز ولا شي عليه وهو احد قولي الشافعي
وقيل بل عليه مع ذلك كفاره يمين وهو قول الثوري واحمد في روايه وقيل بل عليه دم
قاله طايفه من السلف منهم عطا ومجاهد والحسن والليث واحمد في روايهٍ وقيل
يتصدق بكرا ما ركب روي عن الاوزاعي وحكاه عن عطا وروي عن عطا يتصدق
بقدر نفقته عند البيت وقالت طايفه من الصحابه وغيرهم لا يجزيه الركوب
بل يحج من قابل فيمشي ما ركب ويركب ما مشي وزاد بعضهم وعليه هدي وهو قول
مالك اذا كان ما ركبه كثيرًا وممـا يدخل في عمومه ايضًا ان من عليه دين لا
يطالب به مع اعساره بل ينظر الي حال ايساره قال تعالي وان كان ذو عسره فنظره
الي ميسره وعلي هذا جمهور العلما خلافا لشريح في قوله ان الايه مختصه بديون
الربا في الجاهليه والجمهور اخذوا بالفظ العام ولا يكلف المدين ان يقضي مما عليه
في خروجه من ملكه ضرر كثيابه ومسكنه المحتاج اليه وخادمه كذلك ولا
ما يحتاج الي التجاره لنفقته ونفقه عياله هذا مذهب الامام احمد

الحديث الثالث والثلاثون

عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لو يعطي الناس بدعواهم لادعي رجال اموال قوم
ودمايهم ولكن البينه علي المدعي واليمين علي من انكر حديث حسن رواه البيهقي وغيره
هكذا وبعضه في الصحيحين **اصل هذا الحديث** خرجاه في الصحيحين من حديث
ابن جريج عن ابن ابي مليكه عن ابن عباس عن النبي صلي الله عليه وسلم قال لو يعطي الناس بدعواهم
لادعي ناس دما رجالٍ واموالهم ولكن اليمين علي المدعي عليه وخرجا ايضًا من روايه نافع

بن عمر الجمحي عن ابن ابي مليكه عن ابن عباس ان النبي صلي الله عليه وسلم قضي ان اليمين علي المدعي
عليه واللفظ الذي ساقه به الشيخ ساقه ابن الصلاح قبله في الاحاديث الكليات
وقال رواه البيهقي باسنادٍ حسن وخرجه الاسمعيلي في صحيحه من روايه الوليد
بن مسلم نا ابن جريج عن ابن ابي مليكه عن ابن عباس ان النبي صلي الله عليه وسلم قال لو
يعطي الناس بدعواهم لادعي رجال دما رجالٍ واموالهم ولكن البينه علي الطالب
واليمين علي المطلوب وروي الشافعي انا مسلم بن خالد عن ابن جريج عن ابن ابي مليكه
عن ابن عباس ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال البينه علي المدعي قال الشافعي
واحسبه ولا اثبته انه قال واليمين علي المدعي عليه وروي محمد بن عمر بن لبابه
الفقيه الاندلسي عن عثمن بن ايوب الاندلسي ووصفه بالفضل عن غازي بن قيس
عن ابن ابي مليكه عن ابن عباس عن النبي صلي الله عليه وسلم فذكر هذا الحديث وقال
البينه علي المدعي واليمين علي من انكر وغازي ابن قيس اندلسي كبير صالح سمع من
ملك ومن جريج وطبقتهما وسقط من هذا الاسناد بن جريج والله اعلم وقد استدل
الامام احمد وابو عبيد بان النبي صلي الله عليه وسلم قال البينه علي المدعي واليمين علي
من انكر وهذا يدل علي ان هذا اللفظ عندهما صحيح محتج به وفي المعني احاديث
كثيره ففي الصحيحين عن الاشعث ابن قيس قال كان بيني وبين رجل خصومه في
بير فاختصمنا الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم
شاهداك او يمينه قلت اذا يحلف ولا يبالي فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم من
حلف علي يمين يستحق بها مالًا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان فانزل الله
تصديق ذلك ثم اقترا هذه الايه ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنًا قليلًا
الايه وفي روايه لمسلم بعد قوله اذًا يحلف قال ليس لك الا ذلك خرجه مسلم ايضًا بمعنا ه
من حديث وايل ابن حجر ايضًا عن النبي صلي الله عليه وسلم وخرج الترمذي من حديث
العرزمي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلي الله عليه وسلم قال في خطبته

البينة علي المدعي واليمين علي المدعي عليه وقال في اسناده مقال والعرزمي يضعف
في الحديث من قبل حفظه وخرج الدارقطني من روايه مسلم بن خلد الزنجي وفيه
ضعف عن ابن جريج عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي صلي الله عليه وسلم قال
البينه علي المدعي واليمين علي من انكر الا في القسامه ورواه الحفاظ عن ابن جريج عن
عمرو مرسلا وخرج ايضا من روايه مجاهد عن ابن عمر عن النبي صلي الله عليه وسلم انه
قال في خطبته يوم الفتح المدعي عليه اولي باليمين الا ان تقوم بينة وخرجه الطبراني
وعنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص وفي اسناده كلام وخرج الدارقطني هذا المعني من
وجوه متعدده ضعيفة وروي حجاج الصواف عن حميد بن هلال عن زيد بن ثابت
قال قضي رسول الله صلي الله عليه وسلم ايما رجل طلب عند رجل طلبة فان المطلوب
هو اولي باليمين خرجه ابو عبيد والبيهقي واسناده ثقات الا ان حميد بن هلال
ما اظنه لقي زيد ابن ثابت وخرجه الدارقطني وزاد فيه بغير شهدا وخرج النسائي
من حديث ابن عباس قال جا خصمان الي النبي صلي الله عليه وسلم فادعي احدهما علي الاخر
حقا فقال النبي صلي الله عليه وسلم للمدعي اقم بينتك فقال يا رسول الله ما لي بينه فقال للاخر
احلف بالله الذي لا اله الا هو ما له عليك او عندك شي وقد روي عن عمر انه كتب الي
ابي موسي ان البينه علي المدعي واليمين علي من انكر وقضي بذلك زيد ابن ثابت علي عمر لابي بن
كعب ولم ينكراه قال قتاده فصل الخطاب الذي اوتيه داود عليه السلام هو ان البينه
علي المدعي واليمين علي من انكر قال ابن المنذر اجمع اهل العلم علي ان البينة علي المدعي واليمين
علي المدعي عليه قال ومعني قوله البينة علي المدعي يعني يستحق بها ما ادعي لانها واجبه
عليه يوخذ بها ومعني قوله اليمين علي المدعي عليه اي يبرا بها لانها واجبه عليه يوخذ
بها علي كل حال انتهي وقد اختلف الفقها من اصحابنا والشافعية في تفسير المدعي والمدعي
عليه فمنهم من قال المدعي هو الذي يخلي وسكوته من الخصمين والمدعي عليه من لا يخلي وسكوته
منهما ومنهم من قال المدعي من يطلب امرا خفيا علي خلاف الاصل او الظاهر والمدعي

عليه بخلافه وبنوا علي ذلك مسئله وهي اذا اسلم الزوجان الكافران قبل الدخول ثم اختلفا
فقال الزوج اسلمنا معا فنكاحنا باق وقالت الزوجه بل سبق احدنا الي الاسلام
فالنكاح منفسخ فان قلنا المدعي من يخلي وسكوته فالمراه هي المدعي فيكون القول
قول الزوج لانه مدعي عليه اذ لا يخلي وسكوته وان قلنا المدعي من يدعي امرا خفيا
فالمدعي هنا هو الزوج اذ التقارن في الاسلام خلاف الظاهر فالقول قول المراه
لان الظاهر معها واما الامين اذا ادعي التلف كالمودع اذا ادعي تلف الوديعه فقد
قيل انه مدع لان الاصل يخالف ما ادعاه وانما لم يحتج الي بينه لان المودع ايتمنه
والايتمان يقتضي قبول قوله وقيل ان المدعي الذي يحتاج الي بينه هو المدعي ليعطي بدعواه
مال قوم او دماهم كما ذكر ذلك في الحديث فاما الامين فلا يدعي ليعطي شيا وقيل بل هو
مدعي عليه لانه اذا سكت لم يترك بل لا بد له من رد الجواب والمودع مدع لانه اذا
سكت ترك ولو ادعي الامين رد الامانه الي من ايتمنه فالاكثرون علي ان قوله مقبول
ايضا كدعوي التلف وقال الاوزاعي لا يقبل قوله لانه مدع وقال مالك واحمد في
روايه ان ثبت قبضه للامانه ببينه لم يقبل قوله في الرد بدون بينه ووجه بعض
اصحابنا ذلك بان الاشهاد علي دفع الحقوق الثابته بالبينه واجب فيكون تركه تفريطا
فيجب به الضمان وكذلك قال طايفه منهم في دفع مال اليتيم اليه لا بد له من بينة
لان الله امر بالاشهاد عليه فيكون واجبا وقد اختلف الفقها في هذا الباب علي
قولين احدهما ان البينة علي المدعي ابدا واليمين علي المدعي عليه ابدا وهو قول ابي حنيفة
ووافقه طايفه من الفقها والمحدثين كالبخاري وطردوا ذلك في كل دعوي حتي في
القسامه وقالوا لا يحلف الا المدعي عليه وراوا ان لا يقضي بشاهد ويمين لان اليمين
لا تكون علي المدعي وراوا ان اليمين لا ترد علي المدعي لانها لا تكون الا في جانب المنكر المدعي
عليه واستدلوا في مسئلة القسامه بما روي سعيد بن عبيد ثنا بشير بن يسار الانصاري
عن سهل ابن ابي حثمه انه اخبره ان نفرا منهم انطلقوا الي خيبر فتفرقوا فيها فوجدوا

احدهم قتيلا فذكر الحديث وفيه فقال النبي صلي الله عليه وسلم يا تولي بالبينة علي من قتله
قالوا ما لنا بينه قال فيحلفون قالوا لا نرضي بايمان اليهود فكره النبي صلي الله عليه وسلم ان يبطل
دمه فوداه مايه من ابل الصدقه خرجه البخاري وخرجه مسلم مختصرًا ولم يتمه ولكن هذه
الروايه تعارض روايه يحيي بن سعيد الانصاري عن بشير بن يسار عن سهل بن ابي حثمه فذكر
قصه القتيل وقال فيه فذكروا لرسول الله صلي الله عليه وسلم مقتل عبد الله بن سهل فقال رسول
الله صلي الله عليه وسلم يقسم خمسون منكم علي رجل منهم فيدفع برمته وهذه هي الروايه المشهوره
الثابته المخرجه بلفظها بكمالها في الصحيحين وقد ذكر ايمة الحفاظ ان روايه يحيي ابن
سعيد اصح من روايه سعيد بن عبيد الطاي فانه اجل واعلم واحفظ وهو من اهل المدينه
وهو اعلم بحديثهم من الكوفيين وقد ذكر للامام احمد مخالفة سعيد بن عبيد ليحيي بن
سعيد في هذا الحديث فنفض يده وقال ذاك ليس بشي رواه علي ما يقول الكوفيون
وقال اذهب الي حديث المدنيين يحيي ابن سعيد وقال النسايي لا نعلم احدا تابع سعيد بن
عبيد علي روايته عن بشير بن يسار وقال مسلم في كتاب التمييز لم يحفظه سعيد بن عبيد علي
وجهه لان جميع الاخبار فيها سوال النبي صلي الله عليه وسلم اياهم قسامه خمسين يمينا وليس
في شي من اخبارهم ان النبي صلي الله عليه وسلم سالهم البينه وترك سعيد القسامه وتواطي الاخبار
بخلافه يقضي عليه بالغلط وقد خالفه يحيي ابن سعيد وقال ابن عبد البر في روايه سعيد
بن عبيد هذه روايه اهل العراق عن بشير بن يسار وروايه اهل المدينه عنه اثبت
وهم به اقعد ونقلهم اصح عند اهل العلم قلت وسعيد بن عبيد اختصر قصه القسامه وهي
محفوظه في الحديث وقد خرج النسايي من حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي
صلي الله عليه وسلم طلب من ولي القتيل شاهدين علي من قتله فقال ومن اين اصيب شاهدين
قال فتحلف خمسين قسامه قال كيف احلف علي ما لم اعلم قال فتستحلف منهم خمسين
قسامه فهذا الحديث يجمع به بين روايتي سعيد بن عبيد ويحيي ابن سعيد ويكون كل منهما
ترك بعض القصه فترك سعيد ذكر قسامه المدعين وترك يحيي ذكر البينه قبل طلب القسامه

والله اعلم واما مسئله الشاهد مع اليمين فاستدل من انكر الحكم بالشاهد واليمين
بحديث شاهداك او يمينه وقوله صلي الله عليه وسلم ليس لك الا ذلك وقد تكلم القاضي
اسمعيل المالكي في هذه اللفظه وقال تفرد بها منصور عن ابي وايل وخالفه سائر
الرواه وقالوا انه سأله الك بينه او لا والبينه لا تقف علي الشاهدين فقط بل تعم سائر
ما يبين الحق وقال غيره يحتمل ان يريد بشاهديه كل نوعين يشهدان للمدعي بصحة
دعواه يتبين بهما الحق فيدخل في ذلك شهاده الرجلين وشهاده الرجل مع المراتين
وشهاده الواحد مع اليمين وقد اقام الله سبحانه ايمان المدعي مقام الشهود في اللعان
وقوله في تمام الحديث ليس لك الا ذلك لم يرد به النفي العام بل النفي الخاص وهو الذي اراده
المدعي وهو ان يكون القول قوله بغير بينه فمنعه من ذلك وابي ذلك وكذلك
قوله في الحديث الاخر ولكن اليمين علي المدعي عليه انما اريد بها اليمين المجرده عن الشهاده
واول الحديث يدل علي ذلك وهو قوله لو يعطي الناس بدعواهم لادعي رجال دماء رجال
واموالهم فدل علي ان قوله اليمين علي المدعي عليه انما هي اليمين القاطعة للمنازعه مع عدم
البينة واما اليمين المثبتة للحق مع وجود الشهاده فهذا نوع اخر وقد ثبت
بسنة اخري واما رد اليمين علي المدعي فالمشهور عن احمد موافقة ابي حنيفة وانها
لا ترد واستدل احمد بحديث اليمين علي المدعي عليه وقال في روايه ابي طالب عنه
ما هو بعيد ان يقال له يحلف ويستحق واختار ذلك طايفه من متاخري الاصحاب
وهو قول مالك والشافعي وابي عبيد وروي عن طايفه من الصحابه وقد ورد فيه حديث
مرفوع خرجه الدارقطني وفي اسناده نظر قال ابو عبيد ليس هذا ازاله لليمين عن
موضعها فان الازاله ان لا يقضي باليمين علي المطلوب فاما اذا قضي بها عليه فرضي بيمين
صاحبه كان هو الحاكم علي نفسه بذلك لانه لو شا الحلف وبري وبطلت عنه الدعوي
والقول الثاني في المسئله انه يرجح جانب اقوي المتداعيين وتجعل اليمين في جانبه
هذا مذهب مالك وكذا ذكر القاضي ابو يعلي في خلافه انه مذهب احمد وعلي هذا تتوجه

المسايل التي تقدم ذكرها من الحكم بالقسامه والشاهد واليمين فان جانب المدعي
في القسامه لما قوي باللوث جعلت اليمين في جانبه وحكم له بها وكذلك المدعي
اذا اقام شاهدًا فانه قوي جانبه فحلف معه وقضي له وهولاهم في الجواب عن
قوله البينه علي المدعي طريقان احدهما ان هذا خص من هذا العموم بدليل
والثاني ان قوله البينه علي المدعي ليس بعام لان المراد المدعي المعهود وهو من
لا حجه له سوي الدعوي كما في قوله لو يعطي الناس بدعواهم لادعي رجال دما قوم واموالهم
فاما المدعي الذي معه حجه تقوي دعواه فليس داخلا في هذا الحديث وطريق
ثالث وهو ان البينه كل ما يبين صحه دعوي المدعي ويشهد بصدقه فاللوث
مع القسامه بينه والشاهد مع اليمين بينه وطريق رابع سلكه بعضهم وهو الطعن في
صحه هذه اللفظه اعني قوله البينه علي المدعي وقالوا انما الثابت هو قوله اليمين
علي المدعي عليه وقوله لو يعطي الناس بدعواهم لادعي قوم دما قوم واموالهم يدل علي
ان مدعي الدم والمال لا بد له من بينه تدل علي ما ادعاه ويدخل في عموم ذلك
ان من ادعي علي رجل انه قتل موروثه وليس معه الا قول المقتول عند موته
جرحني فلان انه لا يكتفي بذلك ولا يكون بمجرده لوثا وهذا قول الجمهور خلافا
للمالكيه وانهم جعلوه لوثا يقسم معه الاوليا ويستحقون الدم ويدخل في عمومه
ايضا قذف زوجته ولاعنها فانه لا يباح دمها بمجرد لعانها وهذا قول
الاكثرين خلافا للشافعي واختار قوله الجوزجاني لظاهر قوله عز وجل ويدرا عنها
العذاب ان تشهد اربع شهادات الايه والاولون منهم من حمل العذاب علي الحبس
وقالوا ان لم تلاعن حبست حتي تقر وتلاعن وفيه نظر ولو ادعت امراه علي رجل انه
استكرهها علي الزنا فالجمهور علي انه لا يثبت بدعواها عليه شي وقال اشهب من
المالكيه لها الصداق بيمينها وقال غيره منهم لها الصداق بغير يمين هذا كله اذا
كانت ذات قدر وادعت ذلك علي متهم تليق به الدعوي وان كان المرمي بذلك

من اهل الصلاح ففي حدها للقذف عن مالك روايتان وقد كان شريح واياس بن معويه
يحكمان في الاموال المتنازع فيها بمجرد القراين الداله علي صدق احد المتداعيين وقضي
شريح في اولاد هره تداعاها امراتان كل منهما تقول هي ولد هرتي قال شريح القها
مع هذه فان هي قرت ودرت واسبطرت فهي لها وان هي فرت وهرت وازبارت
فليس لها قال ابن قتيبه قوله اسبطرت يريد امتدت للارضاع وازبارت اقشعرت
وتنفشت وكان يقضي بنحو ذلك ابو بكر الشامي من الشافعيه ورجح قوله ابن عقيل من
اصحابنا وقد روي عن الشافعي واحمد استحسان قول القافه في سرقه الاموال
والاخذ بذلك ونقل ابن منصور عن احمد اذا قال صاحب الزرع افسدت غنمك
زرعي بالليل ينظر في الاثر فان لم يكن اثر غنمه في الزرع لا بد لصاحب الزرع من ان
يجي بالبينه قال اسحق بن راهويه كما قال احمد لانه مدع وهذا يدل علي اتفاقهما
علي الاكتفا برويه اثر الغنم وان البينه انما تطلب عند عدم الاثر قوله واليمين علي
المدعي عليه يدل علي ان كل من ادعي عليه دعوي فانكر فان عليه اليمين وهذا
قول اكثر الفقها وقال مالك انما تجب اليمين علي المنكر اذا كان بين المتداعيين نوع
مخالطه خوفا من ان يبتذل السفها الروسا بطلب ايمانهم وعنده لو ادعي علي
رجل انه غصبه او سرق منه ولم يكن المدعي عليه متهما بذلك لم يستحلف المدعي
عليه وحكي ايضا عن القسم بن محمد وحميد بن عبد الرحمن وحكاه بعضهم عن فقها
المدينه السبعه فان كان من اهل الفضل وممن لا يشار اليه بذلك ادب المدعي
عند مالك ويستدل بقوله اليمين علي المدعي عليه علي ان المدعي لا يمين عليه انما
عليه البينه وهو قول الاكثرين وروي عن علي انه احلف المدعي مع بينته ان
شهوده شهدوا بحق وفعله ايضا شريح وعبد الله بن عتبه بن مسعود وابن
ابي ليلي وسوار العنبري وعبيد الله بن الحسن ومحمد بن عبد الله الانصاري
وروي عن النخعي ايضا وقال اسحق اذا استراب الحاكم وجب ذلك وسال مهنا

الامام احمد عن هذه المسئله فقال احمد قد فعله علي فقال له ايستقيم هذا فقال
قد فعله علي فاثبت القاضي هذا روايه عن احمد لكنه حملها علي الدعوي علي الغايب
والصبي وهذا لا يصح لان عليا انما حلف المدعي مع بينته علي الحاضر معه وهولا
يقولون هذه اليمين لتقويه الدعوي اذا ضعفت باسترابه الشهود كاليمين
مع الشاهد الواحد وكان بعض المتقدمين يحلف الشهود اذا استرابهم ايضا ومنهم
سوار العنبري قاضي البصره وجوز ذلك القاضي ابو يعلي من اصحابنا لوالي المظالم
دون القضاه وقد قال ابن عباس في المراه الشاهده علي الرضاع انها تستحلف واخذ
به الامام احمد وقد دل القران علي استحلاف الشهود عند الارتياب بشهادتهم
في الوصيه في السفر في قوله تعالي يا ايها الذين امنوا شهاده بينكم اذا حضر احدكم الموت
حين الوصيه اثنان ذوا عدل منكم او اخران من غيركم الي قوله فيقسمان بالله ان
ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربي ولا نكتم شهاده الله وهذه الايه لم ينسخ
العمل بها عند جمهور السلف وقد عمل بها ابو موسي وابن مسعود وافتي بها
علي وابن عباس وهو مذهب شريح والنخعي وابن ابي ليلي وسفين والاوزاعي واحمد
وابي عبيد وغيرهم قالوا تقبل شهاده الكفار في وصية المسلمين في السفر ويستحلفا
مع شهادتهما وهل يمينهما من باب تكميل الشهاده فلا يحكم بشهادتهما بدون يمين
ام من باب الاستظهار عند الريبه هذا محتمل واصحابنا جعلوها شرطا وهو ظاهر
ما روي عن ابي موسي وغيره وقد ذهب طايفة من السلف الي ان اليمين مع الشاهد
الواحد هو من باب الاستظهار فان راي الحاكم الاكتفا بالشاهد الواحد لبروز عدالته
وظهور صدقه اكتفي بشهادته بدون يمين الطالب وقوله فان عثر علي انهما استحقا اثما
فاخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق
من شهادتهما يدل علي انه اذا ظهر خلل في شهاده الكفار حلف اوليا الميت علي خيانتهما
وكذبهما واستحقوا ما حلفوا عليه وهذا قول مجاهد وغيره من السلف ووجه

ذلك ان اليمين في جانب اقوي المتداعيين وقد قويت هنا دعوي الورثه بظهور
كذب الشهود الكفار فترد اليمين علي المدعين ويحلفون مع اللوث ويستحقون ما
ادعوه كما يحلف الاوليا في القسامه مع اللوث ويستحقون بذلك الديه والدم ايضا
عند مالك واحمد وغيرهما وقضي ابن مسعود في رجل مسلم حضره الموت فاوصي الي
رجلين مسلمين معه وسلمهما ما معه من المال واشهد علي وصيته كفارا ثم
قدم الوصيان فدفعا بعض المال الي الورثه وكتما بعضه ثم قدم الكفار فشهدوا
عليهم بما كتموه من المال فدعي الوصيين المسلمين فاستحلفهما ما دفع اليهما اكثر مما
دفعاه ثم دعي الكفار فشهدوا وحلفوا علي شهادتهم ثم امر اوليا الميت ان يحلفوا ان
ما شهدت به اليهود والنصاري حق فحلفوا فقضي علي الوصيين بما حلفوا عليه وكان
ذلك في خلافه عثمن وتاول ابن مسعود الايه علي ذلك فكانه قابل بين يمين الاوصيا
والشهود الكفار فاسقطهما وبقي مع الورثه شهاده الكفار فحلفوا معها واستحقوا لان
جانبهم ترجح بشهاده الكفار لهم فجعل اليمين مع اقوي المتداعيين وقضي بها واختلف
الفقها هل يستحلف في جميع حقوق الادميين كقول الشافعي وروايه عن احمد
او لا يستحلف الا فيما يقضي فيه بالنكول كروايه عن احمد او لا يستحلف الا فيما يصح
بذله كما هو المشهور عن احمد او لا يستحلف الا في كل دعوي لا تحتاج الي شاهدين
كما حكي عن مالك واما حقوق الله عز وجل فمن العلما من قال لا يستحلف فيها بحال
وهو قول اصحابنا وغيرهم ونص عليه احمد في الزكاه وبه قال طاوس والثوري
والحسن ابن صالح وغيرهم وقال ابو حنيفه ومالك والليث والشافعي اذا اتهم فانه
يستحلف وكذا حكي عن الشافعي فيمن تزوج من لا تحل له ثم ادعي الجهل انه يحلف
علي دعواه وكذا قال اسحق في طلاق السكران يحلف انه ما كان يعقل وفي طلاق
الناسي يحلف علي نسيانه وكذا قال القسم بن محمد وسالم بن عبد الله في رجل قال لامراته
انت طالق يحلف انه ما اراد به الثلاث وترد اليه وخرج الطبراني من روايه

ابي هرون العبدي عن ابي سعيد الخدري قال كان اناس من الاعراب ياتونا باللحم
فكان في انفسنا منه شي فذكرنا ذلك لرسول الله صلي الله عليه وسلم قال اجهدوا ايمانهم
انهم ذبحوها ثم اذكروا اسم الله وكلوا وابو هرون ضعيف جدا واما الموتمن في حقوق
الادميين حيث قبل قوله فهل عليه ام لا فيه ثلاثة اقوال للعلما احدها لا يمين عليه لانه
صدقه بايمانه ولا يمين مع التصديق وبالقياس علي الحاكم وهذا قول الحرث العكلي
والثاني عليه اليمين لانه منكر فيدخل في عموم قوله واليمين علي من انكر وهو قول شريح
وابي حنيفه والشافعي ومالك في روايه واكثر اصحابنا والثالث لا يمين عليه الا ان يتهم
وهو نص احمد وقول مالك في روايه لما تقدم من ايمانه واما اذا قامت قرينة
تنافي حال الايمان فقد اختل معني الايمان وقوله البينه علي المدعي واليمين علي من
انكر انما اريد به اذا ادعي علي رجل ما يدعيه لنفسه وينكر انه لمن ادعاه عليه ولهذا
قال في اول الحديث لو يعطي الناس بدعواهم لادعي رجال دما قوم واموالهم فاما من
ادعي ما ليس له مدع لنفسه منكر لدعواه فهذا اسهل من الاول ولا بد للمدعي هنا من بينه
ولكن يكتفي من البينه هنا بما لا يكتفي بها في الدعوي علي المدعي لنفسه المنكر ويشهد لذلك مسايل
منها اللقطه اذا جا من وصفها فانها تدفع اليه بغير بينه بالاتفاق لكن منهم من يقول
تجب دفعها بذكر الوصف المطابق كقول مالك واحمد ومنها الغنيمه اذا جا من
يدعي منها شيا وانه كان له واستولي عليه الكفار واقام علي ذلك ما يبين انه له اكتفي به وسيل عن
ذلك احمد وقيل له فيريد علي ذلك بينه قال لا بد من بيان يدل علي انه له وان علم ذلك
دفعه اليه الامير وروي الخلال باسناده عن الركين بن الربيع عن ابيه قال حسر
لاخي فرس بعين التمر فراه في مربط سعد فقال فرسي فقال سعد الك بينه قال
لا ولكن ادعوه فيحمحم فدعاه فحمحم فاعطاه اياه وهذا يحتمل انه كان لحق بالعدو ثم
ظهر عليه المسلمون او يحتمل انه عرف انه ضال فوضع بين الدواب الضاله فيكون
كاللقطه ومنها المغصوب اذا علم ظلم الولاة وطلب ردها من بيت المال فقال ابو

بلغ

الزناد كان عمر بن عبد العزيز يرد المظالم الي اهلها بغير البينه القاطعه كان يكتفي
باليسير اذا عرف وجه مظلمة الرجل ردها عليه ولم يكلفه تحقيق البينه لما
يعرف من غشم الولاه قبله علي الناس ولقد انفد بيت مال العراق في رد المظالم حتي
حمل اليها من الشام وذكر اصحابنا ان الاموال المغصوبه مع قطاع الطريق واللصوص
يكتفي من مدعيها بالصفه كاللقطه ذكره القاضي في خلافه وانه ظاهر كلام احمد

الحديث الرابع والثلاثون

عن ابي سعيد الخدري قال سمعت
رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول من راي منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع
فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان رواه مسلم **هذا الحديث**
خرجه مسلم من روايه قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن ابي سعيد من روايه
اسمعيل بن رجا عن ابيه عن ابي سعيد وعنده في حديث طارق قال اول من
بدا بالخطبه يوم العيد قبل الصلاه مروان فقام اليه رجل فقال الصلاه قبل الخطبه
فقال قد ترك ما هنالك فقال ابو سعيد اما هذا فقد قضي ما عليه ثم روي هذا
الحديث وقد روي معناه من وجوه اخر فخرج مسلم من حديث ابن مسعود عن النبي
صلي الله عليه وسلم قال ما من نبي بعثه الله في امة قبلي الا كان له من امته حواريون
واصحاب ياخذون بسنته ويقتدون بامره ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون
ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يومرون فمن جاهدهم بيده فهو مومن ومن جاهدهم
بلسانه فهو مومن ومن جاهدهم بقلبه فهو مومن ليس وراء ذلك من الايمان حبة
خردل وروي سالم المرادي عن عمرو بن هرم عن جابر بن زيد عن عمر بن الخطاب عن النبي
صلي الله عليه وسلم قال سيصيب امتي في اخر الزمان بلا شديد من سلطانهم لا ينجوا منه الا
رجل عرف دين الله فصدق به وللاول عليه سابقه ورجل عرف دين الله فسكت فان راي
من يعمل بخير احبه عليه وان راي من يعمل بباطل ابغضه عليه فذلك الذي ينجوا علي ابطانه
وهذا غريب واسناده منقطع وخرج الاسمعيلي من حديث ابي هرون العبدي وهو

بلسانه ودعا اليه ... فذلك الذي سبقت له السوابق
ورجل عرف دين الله ع

ضعيف جداً عن مولى لعمر عن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوشك هذه الامة
ان تهلك الا ثلاثة نفر رجل انكر بيده وبلسانه وبقلبه فان جبن بيده فبلسانه وقلبه
فان جبن بلسانه وبيده فبقلبه وخرج ايضا من رواية الاوزاعي عن عمير بن هاني عن
علي سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول سيكون بعدي فتن لا يستطيع المومن فيها ان يغير
بيدٍ ولا بلسان قلت يا رسول الله وكيف ذاك قال ينكرونه بقلوبهم قلت يا رسول
الله هل ينقص ذلك ايمانهم شيئا قال لا الا كما ينقص القطر من الصفا وهذا الاسناد منقطع
وخرج الطبراني معناه من حديث عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد ضعيف
فدلت هذه الاحاديث كلها على وجوب انكار المنكر بحسب القدرة عليه وان انكاره
بالقلب لا بد منه فمن لم ينكر قلبه المنكر دل على ذهاب الايمان من قلبه وقد روي عن ابي
جحيفة قال قال علي ان اول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بايديكم ثم الجهاد
بالسنتكم ثم الجهاد بقلوبكم فمن لم يعرف قلبه المعروف وينكر قلبه المنكر نكس فجعل اعلاه
اسفله وسمع ابن مسعود رجلا يقول هلك من لم يامر بالمعروف ولم ينه عن المنكر فقال
ابن مسعود هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر يشير الى ان معرفة المعروف
والمنكر بالقلب فرض لا يسقط عن احد فمن لم يعرفه هلك واما الانكار باللسان واليد
فانما يجب بحسب الطاقة وقال ابن مسعود يوشك من عاش منكم ان يرى منكرا لا
يستطيع له غيرا ان يعلم الله من قلبه انه له كاره وفي سنن ابي داود عن العرس بن
عميرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا عملت الخطية في الارض كان من شهدها فكرهها
كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها فمن شهد الخطية فكرهها
بقلبه كان كمن لم يشهدها اذا عجز عن انكارها بلسانه ويده ومن غاب عنها
فرضيها كان كمن شهدها وقدر على انكارها ولم ينكرها لان الرضا بالخطايا من اقبح المحرمات
ويفوت به انكار الخطية بالقلب وهو فرض على كل مسلم لا يسقط عن احد في
حال من الاحوال وخرج ابن ابي الدنيا من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال من حضر معصية فكرهها فكانه غاب عنها ومن غاب عنها فاحبها فكانه حضرها
وهذا مثل الذي قبله فتبين بهذا ان الانكار بالقلب فرض على كل مسلم في كل حال
واما الانكار باليد واللسان فبحسب القدرة كما في حديث ابي بكر الصديق رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدروا على ان
يغيروا فلا يغيرون الا يوشك ان يعمهم الله بعقاب خرجه ابو داود بهذا
اللفظ وقال قال شعبة فيه ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم اكثر ممن يعمله وخرج
ايضا من حديث جرير سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يكون في قوم
يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون ان يغيروا عليه فلا يغيرون الا اصابهم الله بعقاب
قبل ان يموتوا وخرجه الامام احمد ولفظه ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم اعز
واكثر ممن يعمله فلم يغيروه الا عمهم الله بعقاب وخرج ايضا من حديث عدي
بن عميرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يعذب العامة بعمل
الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكرونه فاذا فعلوا
ذلك عذب الله الخاصة والعامة وخرج ايضا هو وابن ماجه من حديث ابي سعيد
الخدري قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الله ليسال العبد يوم القيامة حتى يقول
ما منعك اذا رايت المنكر ان تنكره فاذا لقن الله عبدا حجته قال يا رب رجوتك وفرقت
الناس فاما ما خرجه الترمذي وابن ماجه من حديث ابي سعيد ايضا عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال في خطبته الا لا يمنعن رجلا هيبة الناس ان يقول الحق اذا
علمه وبكى ابو سعيد وقال قد والله راينا اشيا فهبنا وخرجه الامام احمد وزاد فيه
فانه لا يقرب من اجل ولا يباعد من رزق ان يقال بحق او يذكر بعظيم وكذلك
خرج الامام احمد وابن ماجه من حديث ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا
يحقر احدكم نفسه قالوا يا رسول الله كيف يحقر احدنا نفسه قال يرى امرا لله عليه
فيه مقال ثم لا يقول فيه فيقول الله له يوم القيمة ما منعك ان تقول في كذا

وكذا فيقول خشية الناس فيقول اياي كنت احق ان تخشى فهذان الحديثان محمولان
على ان يكون المانع له من الانكار مجرد الهيبة دون الخوف المسقط للانكار قال
سعيد بن جبير قلت لابن عباس آمر السلطان بالمعروف وانهاه عن المنكر قال ان خفت
ان يقتلك فلا ثم عدت فقال لي مثل ذلك ثم عدت فقال لي مثل ذلك وقال ان
كنت لا بد فاعلا ففيما بينك وبينه وقال طاوس اتى رجل ابن عباس فقال الا اقوم
الى هذا السلطان فآمره وانهاه قال لا تكن له فتنة قال افرايت ان امرني بمعصية الله
قال ذلك الذي تريد فكن حينئذ رجلا وقد ذكرنا حديث ابن مسعود الذي فيه يخلف
من بعدهم خلوف فمن جاهدهم بيده فهو مومن الحديث وهذا يدل على جهاد الامرا
باليد وقد استنكر الامام احمد هذا الحديث في رواية ابي داود وقال هو خلاف
الاحاديث التي امر فيها بالصبر على جور الايمة وقد يجاب عن ذلك بان التغيير باليد
لا يستلزم القتال وقد نص على ذلك احمد ايضا في رواية صالح فقال التغيير باليد
ليس بالسيف والسلاح وحينئذ فجهاد الامرا باليد ان يزيل بيده ما فعلوه من المنكرات
مثل ان يريق خمورهم او يكسر آلات الملاهي التي لهم ونحو ذلك او يبطل بيده ما امروا به
من الظلم ان كان له قدرة على ذلك وكل هذا جائز وليس هو من باب قتالهم ولا من
الخروج عليهم الذي ورد النهي عنه فان هذا اكثر ما يخشى منه ان يقتل الآمر وحده
واما الخروج عليهم بالسيف فيخشى منه الفتن التي تودي الى سفك دما المسلمين
نعم ان خشي في الاقدام على الانكار على الملوك ان يوذي اهله او جيرانه لم ينبغ له التعرض
لهم حينئذ لما فيه من تعدي الاذى الى غيره كذلك قال الفضيل بن عياض وغيره ومع
هذا فمتى خاف منهم على نفسه السيف او السوط او الحبس او القيد او النفي او اخذ
المال او نحو ذلك من الاذى سقط امرهم ونهيهم وقد نص الايمة على ذلك منهم مالك
واحمد واسحق وغيرهم قال احمد لا تتعرض للسلطان فان سيفه مسلول وقال ابن شبرمة
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كالجهاد يجب على الواحد ان يصابر فيه الاثنين ويحرم

فا
عليه الفرار منهما ولا يجب عليه مصابرة اكثر من ذلك فان خاف السب واسماع الكلا م
السيء لم يسقط عنه الانكار بذلك نص عليه الامام احمد وان احتمل الاذى وقوي عليه
فهو افضل نص عليه احمد ايضا وقيل له اليس قد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس
للمومن ان يذل نفسه ان يعرضها من البلا لما لا طاقة له به قال ليس هذا من ذاك ويدل
على ما قاله ما خرجه ابو داود وابن ماجه والترمذي من حديث ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال افضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر وخرج ابن ماجه معناه من حديث
ابي امامة وفي مسند البزار باسناد فيه جهالة عن ابي عبيدة بن الجراح قال قلت يا رسول
الله اي الشهدا اكرم على الله قال رجل قام الى امام جائر فامره بمعروف ونهاه عن منكر
فقتله وقد روي معناه من وجوه اخر كلها فيها ضعف واما حديث لا ينبغي للمومن ان يذل
نفسه فانما يدل على انه اذا علم انه لا يطيق الاذى ولا يصبر عليه فانه لا يتعرض حينئذ
للامر وهذا حق وانما الكلام فيمن علم من نفسه الصبر كذلك قاله الايمة كسفيان واحمد
والفضيل بن عياض وغيرهم وقد روي عن احمد ما يدل على الاكتفا بالانكار بالقلب قال
في رواية ابي داود ونحن نرجو ان انكر بقلبه فقد سلم وان انكر بيده فهو افضل وهذا
محمول على انه يخاف كما صرح بذلك في رواية غير واحد وقد حكى القاضي ابو يعلى روايتين
عن احمد في وجوب انكار المنكر على من يعلم انه لا يقبل منه وصحح القول بوجوبه وهو قول
اكثر العلما وقد قيل لبعض السلف في هذا فقال يكون لك معذرة وهذا كما اخبر الله عن
الذين انكروا على المعتدين في السبت انهم قالوا لمن قال لهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذ بهم
عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون وقد ورد ما يستدل به على سقوط
الامر والنهي عند عدم القبول والانتفاع به ففي سنن ابي داود وابن ماجه والتر مذي
عن ابي ثعلبة الخشني انه قيل له كيف تقول في هذه الآية عليكم انفسكم فقال اما والله
لقد سالت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل ائتمروا بالمعروف وانتهوا عن
المنكر حتى اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا موثرة واعجاب كل ذي راي برايه

فعليك بنفسك ودع عنك امر العوام وفي سنن ابي داود عن عبد الله بن عمرو
قال بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ ذكر الفتنة فقال اذا رايتم الناس
مرجت عهودهم وخفت اماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين اصابعه فقمت اليه
فقلت كيف افعل عند ذلك جعلني الله فداك قال الزم بيتك واملك عليك لسانك
وخذ بما تعرف ودع ما تنكر وعليك بامر خاصة نفسك ودع عنك امر العامه
وكذلك روي عن طايفه من الصحابة في قوله تعالى عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا
اهتديتم قالوا لم يات تاويلها بعد انما تاويلها في اخر الزمان وعن ابن مسعود قال اذا
اختلفت القلوب والاهوا والبستم شيعا وذاق بعضكم باس بعض فيامر الانسان
حينيذ نفسه حينيذ تاويل هذه الاية وعن ابن عمر قال هذه الاية لاقوام يجيون
من بعدنا ان قالوا لم يقبل منهم وقال جبير بن نفير عن جماعة من الصحابة قالوا اذا رايت
شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بنفسك لا يضرك من
ضل اذا اهتديت وعن مكحول قال لم يات تاويلها بعد اذا هاب الواعظ وانكر
الموعوظ فعليك حينيذ نفسك لا يضرك من ضل اذا اهتديت وعن الحسن انه كان اذا
تلى هذه الاية قال يا لها من ثقة ما اوثقها ومن سعة ما اوسعها وهذا كله قد
يحمل على ان من عجز عن الامر بالمعروف او خاف الضرر سقط عنه وكلام ابن عمر
يدل على ان من علم انه لا يقبل منه لم يجب عليه كما حكي رواية عن احمد وكذا قال الاوزاعي
مر من ترى ان يقبل منك وقوله صلى الله عليه وسلم في الذي ينكر بقلبه وذلك اضعف
الايمان يدل على ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من خصال الايمان ويدل على
ان من قدر على خصلة من خصال الايمان وفعلها كان افضل ممن تركها عجزا عنها
ويدل على ذلك ايضا قوله صلى الله عليه وسلم في حق النسا اما نقصان دينها فانها تمكث الايام
والليالي لا تصلي يشير الى ايام الحيض مع انها ممنوعة من الصلاة حينيذ وقد جعل
ذلك نقصا في دينها فدل على ان من قدر على واجب وفعله فهو افضل ممن

عجز عنه وتركه وان كان معذورا في تركه والله اعلم وقوله صلى الله عليه وسلم من راى منكم
منكرا يدل على ان الانكار متعلق بالروية فلو كان مستورا فلم يره ولكن علم به فالمنصوص
عن احمد في اكثر الروايات انه لا يعرض له وانه لا يفتش على ما استراب به وعنه
رواية اخرى انه يكشف المغطى اذا تحققه ولو سمع صوت غنا محرم او الات الملاهي
وعلم المكان التي هي فيه فانه ينكرها لانه قد تحقق المنكر وعلم موضعه فهو كما راه نص عليه
احمد وقال اذا لم يعلم مكانه فلا شي عليه واما تسور الجدران على من علم اجتماعهم
على منكر فقد انكره الايمة مثل سفين الثوري وغيره وهو داخل في التجسس المنهي
عنه وقد قيل لابن مسعود ان فلانا تقطر لحيته خمرا فقال نهانا الله عن التجسس وقال
القاضي ابو يعلى في كتاب الاحكام السلطانية ان كان في المنكر الذي غلب على ظنه الاستتار
به باخبار ثقة عنه انتهاك حرمة يفوت استدراكها كالزنا والقتل جاز التجسس
والاقدام على الكشف والبحث حذرا من فوات ما لا يستدرك من انتهاك المحارم وان
كان دون ذلك في الرتبة لم يجز التجسس عليه ولا الكشف عنه والمنكر الذي يجب انكاره
ما كان مجمعا عليه فاما المختلف فيه فمن اصحابنا من قال لا يجب انكاره على من فعله مجتهدا
فيه او مقلدا لمجتهد تقليدا سايغا واستثنى القاضي في الاحكام السلطانية ما ضعف
فيه الخلاف وكان ذريعة الى محظور متفق عليه كربا النقد الخلاف فيه ضعيف
وهو ذريعة الى ربا النسا المتفق على تحريمه وكنكاح المتعة فانه ذريعة الى الزنا
وذكر عن ابي اسحق ابن شاقلا انه ذكر ان المتعة هي الزنا صراحا وعن ابن بطة انه قال
لا يفسخ نكاح حكم به قاض اذا كان قد تاول فيه تاويلا الا ان يكون قضى لرجل بعقد
متعة او طلق ثلاثا في لفظ واحد وحكم بالمراجعة من غير زوج فحكمه مردود وعلى
فاعله العقوبة والنكال والمنصوص عن احمد الانكار على اللاعب بالشطرنج وتاوله
القاضي على من لعب بها بغير اجتهاد او تقليد سايغ وفيه نظر فان المنصوص عنه انه
يحد شارب النبيذ المختلف فيه واقامة الحد ابلغ مراتب الانكار مع انه لا يفسق

بذلك عنده فدل على انه ينكر كل مختلف فيه ضعف الخلاف فيه لدلالة السنة على
تحريمه ولا الخرج فاعله المتاول من العدالة بذلك والله اعلم وكذلك نص احمد على
الانكار على من لا يتم صلاته ولا يقيم صلبه من الركوع والسجود مع وجود الاختلاف في
وجوب ذلك واعلم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تارة تحمل عليه رجا ثوابه وتارة
خوف العقاب في تركه وتارة الغضب لله على انتهاك محارمه وتارة النصيحة للمومنين
والرحمة لهم ورجا انقاذهم مما اوقعوا انفسهم فيه من التعرض لغضب الله وعقوبته
في الدنيا والاخرة وتارة تحمل عليه اجلال الله واعظامه ومحبته وانه اهل ان يطاع
فلا يعصي ويذكر فلا ينسي ويشكر فلا يكفر وان يفتدي من انتهاك محارمه بالنفوس والاموال
كما قال بعض السلف وددت ان الخلق كلهم اطاعوا الله وان لحمي قرض بالمقاريض وكان
عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز رحمهما الله يقول لابيه وددت اني غلت بي وبك القدور
في الله عز وجل ومن لحظ هذا المقام والذي قبله هان عليه كل ما يلقى من الاذي في الله عز وجل
وربما دعا لمن اذاه كما قال ذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما ضربه قومه فجعل يمسح الدم عن
وجهه ويقول رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وبكل حال فيتعين الرفق في الانكار قال
سفين الثوري لا يامر بالمعروف وينهي عن المنكر الا من كان فيه خصال ثلاث رفيق
بما يامر رفيق بما ينهي عدل بما يامر عدل بما ينهي عالم بما يامر عالم بما ينهي وقال احمد
الناس يحتاجون الي مداراه ورفق الامر بالمعروف بلا غلظة الا رجل معلن بالفسق
فلا حرمة له قال وكان اصحاب ابن مسعود اذا مروا بقوم يرون منهم ما يكرهون يقولون
مهلا رحمكم الله مهلا رحمكم الله وقال احمد يامر بالرفق والخضوع فان اسمعوه ما يكره لا يغضب فيكون
يريد ان ينتصر لنفسه **الحديث الخامس والثلاثون** عن ابي
هريره رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا
تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخوانا المسلم اخو المسلم
لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره التقوي هاهنا ويشير الي صدره ثلاث مرات

بحسب امرء من الشر ان يحقر اخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه رواه
مسلم **هذا الحديث** خرجه مسلم من روايه ابي سعيد مولي عبد الله بن عامر
بن كريز عن ابي هريره وابو سعيد هذا لا يعرف اسمه وقد روي عنه غير واحد وذكره ابن
حبان في ثقاته وقال ابن المديني هو مجهول وروي هذا الحديث سفين الثوري فقال
فيه عن سعيد بن يسار عن ابي هريرة ووهم في قوله سعيد بن يسار انما هو ابو سعيد
مولي بن كريز قاله احمد ويحيي والدارقطني وقد روي بعضه من وجه اخر خرجه الترمذي
من روايه ابي صالح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم
لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه التقوي هاهنا
بحسب امري من الشر ان يحقر اخاه المسلم وخرج ابو داود من قوله كل المسلم الي اخره
وخرجا في الصحيحين من روايه الاعرج عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تحاسدوا
ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا وخرجاه من وجوه اخر
عن ابي هريره **وخرج الامام احمد** من حديث واثلة ابن الاسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله والتقوي
هاهنا واوما بيده الي القلب وحسب امري من الشر ان يحقر اخاه المسلم وخرج ابو داود
اخره فقط **وفي الصحيحين** من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المسلم اخو
المسلم لا يظلمه ولا يسلمه وخرجه الامام احمد ولفظه المسلم اخو المسلم ولا يخذله ولا
يحقره وحسب المرء من الشر ان يحقر اخاه المسلم **وفي الصحيحين** عن انس عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا ويروي معناه
من حديث ابي بكر الصديق رضي الله عنه مرفوعا وموقوفا فقوله صلى الله عليه وسلم
لا تحاسدوا يعني لا يحسد بعضكم بعضا والحسد مركوز في طباع البشر وهو ان الانسان
يكره ان يفوقه احد من جنسه في شي من الفضايل ثم ينقسم الناس بعد هذا الي اقسام فمنهم من
يسعي في زوال نعمة المحسود بالبغي عليه بالقول والفعل ثم منهم من يسعي في نقل ذلك

الي نفسه ومنهم من يسعي في ازالته عن المحسود فقط من غير نقل الي نفسه وهو شرهما
واخبثهما وهذا هو الحسد المذموم المنهي عنه وهو كان ذنب ابليس حيث حسد ادم
عليه السلام لما راه قد فاق علي الملايكة بان خلقه الله بيده واسجد له ملايكته وعلمه
اسما كل شي واسكنه في جواره فما زال يسعي في اخراجه من الجنة حتي اخرج منها ويروى
عن ابن عمر ان ابليس قال لنوح اثنتان بهما اهلك بني ادم الحسد وبالحسد لعنت وجعلت
شيطانا رجيما والحرص ابيح ادم الجنة كلها فاصبت حاجتي منه بالحرص خرجه ابن ابي الدنيا
وقد وصف الله اليهود بالحسد في مواضع من القران كقوله ود كثير من اهل الكتاب لو
يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق وقوله ام
يحسدون الناس علي ما اتاهم الله من فضله **وخرج الامام احمد** والترمذي من حديث
الزبير ابن العوام عن النبي صلي الله عليه وسلم قال دب اليكم دا الامم قبلكم الحسد والبغضا هي الحالقة والعوام
حالقة الدين لا حالقة الشعر والذي نفس محمد بيده لا تومنوا حتي تحابوا ولا انبيكم بشي
اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم **وخرج ابو داود** من حديث ابي هريرة عن النبي صلي
الله عليه وسلم قال اياكم والحسد فان الحسد ياكل الحسنات كما ياكل النار الحطب او قال
العشب **وخرج الحاكم وغيره** من حديث ابي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال سيصيب
امتي دا الامم قالوا يا نبي الله وما دا الامم قال الاشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا
والتباغض والتحاسد حتي يكون البغي ثم الهرج **وقسم** اخر من الناس اذا احسد غيره لم يعمل بمقتضى
حسده ولم يبغ علي المحسود بقول ولا فعل وقد روي عن الحسن انه لا ياثم بذلك وروي
مرفوعا من وجوه ضعيفة فهذا علي نوعين احدهما لا يمكنه ازالة الحسد من نفسه ان ح
فيكون مغلوبا علي ذلك فلا ياثم به والثاني من يحدث نفسه بذلك اختيارا ويعيده
ويبديه في نفسه مستروحا الي تمني زوال نعمة اخيه فهذا شبيه بالعزم المصمم علي
المعصية وفي العقاب علي ذلك اختلاف بين العلما وربما يذكر في موضع اخر ان شا الله تعالي
لكن هذا يبعد ان يسلم من البغي علي المحسود ولو بالقول فياثم بذلك **وقسم اخر** اذا حسد

لم يتمن زوال نعمة المحسود بل يسعي في اكتساب مثل فضايله ويتمني ان يكون مثله
فان كانت الفضايل دنيوية فلا خير في ذلك كما قال تعالي الذين يريدون الحياة الدنيا
يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون وان كانت فضايل دينية فهو حسن وقد تمني رسول الله
صلي الله عليه وسلم لنفسه الشهادة في سبيل الله عز وجل **وفي الصحيحين** عنه صلي
الله عليه وسلم قال لا حسد الا في اثنتين رجل اتاه الله مالا فهو ينفقه انا الليل وانا
النهار ورجل اتاه الله القران فهو يقوم به انا الليل وانا النهار وهذا هو الغبطة وسماه
حسدا من باب الاستعارة **وقسم اخر** اذا وجد من نفسه الحسد سعي في ازالته وفي الاحسان ن
الي المحسود باسدا الاحسان اليه والدعا له ونشر فضايله وفي ازالة ما وجد له في نفسه
من الحسد حتي يبدله بمحبة ان يكون اخوه المسلم خيرا منه وافضل وهذا من اعلي درجات ت
الايمان وصاحبه هو المومن الكامل الذي يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقد سبق
الكلام علي هذا في تفسير حديث لا يومن احدكم حتي يحب لاخيه ما يحب لنفسه
وقوله صلي الله عليه وسلم ولا تناجشوا فسره كثير من العلما بالنجش في البيع وهو ان يزيد
في السلعة من لا يريد شراها اما لنفع البايع بزيادة الثمن له او باضرار المشتري
بتكثير الثمن عليه **وفي الصحيحين** عن ابن عمر عن النبي صلي الله عليه وسلم انه نهي عن النجش
وقال ابن ابي اوفي الناجش اكل ربا خاين ذكره البخاري قال ابن عبد البر اجمعوا ان فاعله
عاص لله عز وجل اذا كان بالنهي عالما واختلفوا في البيع فمنهم من قال انه فاسد وهو رواية
عن احمد اختارها طايفة من اصحابه ومنهم من قال ان كان الناجش هو البايع او من
واطاه البايع علي النجش فسد لان النهي هنا يعود الي العاقد نفسه وان لم يكن كذلك
لم يفسد لانه يعود الي اجنبي وكذا حكي عن الشافعي انه علل صحة البيع بان البايع غير
الناجش واكثر الفقها علي ان البيع صحيح مطلقا وهو قول ابي حنيفة ومالك والشافعي
واحمد في رواية عنه الا ان مالكا واحمد اثبتا للمشتري الخيار اذا لم يعلم بالحال
وغبن غبنا فاحشا يخرج عن العادة وقدره مالك وبعض اصحاب احمد بثلث

الشمن
الثمن فان اختار جنبهِ الفسخ فله ذلك وان اراد الامساك فانه يحط ما غبن من
الثمن ذكره اصحابنا ويحتمل ان يفسر التناجش المنهي عنه في هذا الحديث بما هو اعم من
ذلك فان اصل النجش في اللغه اثاره الشي بالمكر والحيله والمخادعه ومنه سمي الناجش
في البيع ناجشًا ويسمى الصايد في اللغه ناجشًا لانه يثير الصيد لحيلته عليه وخداعه
له وحينيذ فيكون المعنى لا تخادعوا ولا يعامل بعضكم بعضًا بالمكر والاحتيال
وانما يراد بالمكر والمخادعه ايصال الاذى الى المسلم اما بطريق الاصاله واما اجتلاب نفعه
بذلك ويلزم منه وصول الضرر اليه ودخوله عليه وقد قال الله عز وجل ولا يحيق
المكر السيء الا باهله وفي حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا
والمكر والخداع في النار وقد ذكرنا فيما تقدم حديث ابي بكر الصديق رضي الله عنه المرفوع
ملعون من ضار مسلما او مكر به خرجه الترمذي فيدخل على هذا التقدير في التناجش المنهي
عنه جميع انواع المعاملات بالغش ونحوه كتدليس العيوب وكتمانها وغش المبيع
الجيد بالردي وغبن المسترسل الذي لا يعرف المماكسه وقد وصف الله في كتابه الكفار
والمنافقين بالمكر بالانبيا واتباعهم وما احسن قول ابي العتاهيه
ليس دنيا الا بدين وليس الدين الا مكارم الاخلاق
انما المكر والخديعه في النار هما من خصال اهل النفاق
وانما يجوز المكر بمن يجوز ادخال الاذى عليه وهم الكفار المحاربون كما قال النبي صلى الله عليه
وسلم الحرب خدعه **قوله** صلى الله عليه وسلم ولا تباغضوا نهي للمسلمين عن التباغض بينهم
في غير الله بل على اهوا النفوس فان المسلمين جعلهم الله اخوه والاخوه يتحابون بينهم
ولا يتباغضون وقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنه حتى تومنوا
ولا تومنوا حتى تحابوا الا ادلكم على شي اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم خرجه مسلم
وقد ذكرنا فيما تقدم احاديث في النهي عن التباغض والتحاسد وقد حرم الله على
المومنين ما يوقع بينهم العداوه والبغضا كما قال تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوه

والبغضا في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاه فهل انتم منتهون وامتن
على عباده بالتاليف بين قلوبهم كما قال تعالى واذكروا نعمه الله عليكم اذ كنتم اعدا فالف بين قلوبكم
فاصبحتم بنعمته اخوانا وقال هو الذي ايدك بنصره وبالمومنين والف بين قلوبهم لو
انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم ولهذا المعنى حرم المشي
بالنميمه لما فيها من ايقاع العداوه والبغضا ورخص في الكذب في الاصلاح بين الناس
ورغب الله في الاصلاح بينهم كما قال لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقه او معروف
او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغا مرضات الله فسوف نوتيه اجرًا عظيما وقال
وان طايفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما وقال فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم
وخرج الامام احمد وابو داود والترمذي من حديث ابي الدردا عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال الا اخبركم بافضل من درجه الصلاه والصيام والصدقه قالوا بلى يا رسول الله قال
صلاح ذات البين فان فساد ذات البين هي الحالقه وخرج الامام احمد وغيره
من حديث اسما بنت يزيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الا انبيكم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال
المشاون بالنميمه المفرقون بين الاحبه الباغون للبرا العنت واما البغض في الله فهو من
اوثق عرى الايمان وليس داخلا في النهي ولو ظهر لرجل من اخيه شر فابغضه عليه وكان الرجل
معذورًا فيه في نفس الامر اثيب المبغض له وان عذر اخوه كما قال عمر انا كنا نعرفكم اذ رسول
الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا واذ ينزل الوحي واذ ينبينا الله من اخباركم الا وان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد انطلق به وانقطع الوحي فانما نعرفكم بما نخبركم الا من اظهر لنا خيرا ظننا به خيرًا
واحببناه عليه ومن اظهر منكم شرًا ظننا به شرًا وابغضناه عليه سرايركم بينكم وبين ربكم
عز وجل وقال الربيع ابن خثيم لو رايت رجلا يظهر شرًا ويسر شرًا احببته عليه اجرك الله على حبك
الخير ولو رايت رجلا يظهر شرا ويسر خيرًا ابغضته عليه اجرك الله على بغضك
الشر ولما كثر اختلاف الناس في مسايل الدين وكثر تفرقهم كثر بسبب ذلك تباغضهم
وتلاعنهم وكل منهم يظهر انه يبغض لله وقد يكون في نفس الامر معذورًا وقد لا يكون

معذوراً بل يكون متبعاً لهواه مقصراً في البحث عن معرفة ما يبغض عليه فان كثيراً من
البغض لذلك انما يقع لمخالفة متبوع يظن انه لا يقول الا الحق وهذا الظن خطأ قطعاً
وان اريد انه لا يقول الا الحق فيما خولف فيه فهذا الظن قد يخطي ويصيب وقد يكون
الحامل على الميل اليه مجرد الهوى او الالف او العاده وكل هذا يقدح في ان يكون هذا
البغض لله فالواجب على المومن ان ينصح نفسه ويتحرز في هذا غاية التحرز وما اشكل
منه فلا يدخل نفسه فيه خشيه ان يقع فيما نهي عنه من البغض المحرم وها هنا امر خفي ينبغي
التفطن له وهو ان كثيراً من ايمة الدين قد يقول قولاً مرجوحاً ويكون مجتهداً فيه ماجوراً
على اجتهاده فيه موضوعاً عنه خطاوه فيه ولا يكون المنتصر لمقالته تلك بمنزلته في هذه
الدرجه لانه قد لا ينتصر لهذا القول الا لكون متبوعه قد قاله بحيث انه لو قاله
غيره من ايمة الدين لما قبله ولا انتصر له ولا والى من وافقه ولا عادا من خالفه وهو
مع هذا يظن انه انما ينتصر للحق بمنزله متبوعه وليس كذلك فان متبوعه انما كان قصده
الانتصار للحق وان اخطا في اجتهاده واما هذا التابع فقد شاب انتصاره لما يظن
انه الحق اراده علو متبوعه وظهور كلمته وان لا ينسب الى الخطا وهذه دسيسه
تقدح في قصد الانتصار للحق فافهم هذا فانه مهم عظيم والله يهدي من يشا الى صراط مستقيم
قوله ولا تدابروا قال ابو عبيد التدابر المصارمه والهجران ماخوذ من ان يولي الرجل صاحبه
دبره ويعرض عنه بوجهه وهو التقاطع **وخرج مسلم** من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخواناً كما امركم الله
وخرجه ايضاً بمعناه من حديث ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم **وفي الصحيحين**
عن ابي ايوب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث يلتقيان
فيصد هذا ويصد هذا وخيرهما الذي يبدا بالسلام وخرج ابو داود من حديث ابي
خراش السلمي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من هجر اخاه سنه فهو كسفك دمه وكل هذا في
[illegible]
التقاطع للامور الدنيويه فاما لاجل الدين فيجوز الزياده على الثلاث نص عليه الامام احمد

واستدل بقصه الثلاثه الذين خلفوا وامر النبي صلى الله عليه وسلم بهجرانهم لما خاف منهم
النفاق واباح هجران اهل البدع المغلظه والدعاه الى الاهوا وذكر الخطابي ان هجره الوالد
لولده والزوج لزوجته وما كان في معنا ذلك تاديباً تجوز الزياده فيه على الثلاث لان
النبي صلى الله عليه وسلم هجر نساه شهراً واختلفوا هل ينقطع الهجران بالسلام فقالت طايفه
ينقطع بذلك روي عن الحسن ومالك في روايه ابن وهب وقاله طايفه من اصحابنا وخرج
ابو داود من حديث ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لمومن ان يهجر مومناً فوق
ثلاث فان مرت به ثلاث فليلقه فليسلم عليه فان رد عليه السلام فقد اشتركا في الاجر
وان لم يرد عليه فقد با بالاثم وخرج المسلم من الهجره ولكن هذا فيما اذا امتنع الاخر من الرد
عليه فاما مع الرد اذا كان بينهما قبل الهجره موده ولم يعودا اليها ففيه نظر وقد قال
احمد في روايه الاثرم وسيل عن السلام يقطع الهجران فقال قد يسلم عليه وقد صد عنه
ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول يلتقيان فيصد هذا ويصد هذا فاذا كان قد عوده
ان يكلمه او يصافحه وكذلك روي عن مالك انه لا ينقطع الهجره بدون العود الى الموده وفرق
بعضهم بين الاقارب والاجانب فقال في الاجانب تزول الهجره بينهم بمجرد السلام بخلاف
الاقارب وانما قال هذا لوجوب صله الرحم قوله ولا يبع بعضكم على بيع بعض قد
تكاثر النهي عن ذلك ففي الصحيحين عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يبيع الرجل
على بيع اخيه ولا يخطب على خطبه اخيه وفي روايه لمسلم لا يسوم المسلم على سوم اخيه المسلم
ولا يخطب على خطبته وخرجا من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا
يبع الرجل على بيع اخيه ولا يخطب على خطبه اخيه الا ان ياذن له ولفظه لمسلم وخرج مسلم
من حديث عقبه ابن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المومن اخو المومن فلا يحل للمومن
ان يبتاع على بيع اخيه ولا يخطب على خطبه اخيه حتى يذر وهذا يدل على ان هذا
حق للمسلم على المسلم فلا يساويه الكافر في ذلك بل يجوز للمسلم ان يبتاع على بيع الكافر ويخطب
على خطبته وهو قول الاوزاعي واحمد كما لا يثبت للكافر على المسلم حق الشفعه عنده

ق

وكثير من الفقها ذهبوا الى ان النهي عام في حق المسلم والكافر واختلفوا هل النهي للتحريم او للتنزيه فمن اصحابنا من قال هو للتنزيه دون التحريم والصحيح الذي عليه جمهور العلما انه للتحريم واختلفوا هل يصح البيع على بيع اخيه او النكاح على خطبته فقال ابو حنيفه والشافعي واكثر اصحابنا يصح وقال مالك في النكاح انه ان لم يدخل بينهما وان دخل بها لم يفرق وقال ابو بكر من اصحابنا في البيع والنكاح انه باطل بكل حال وحكاه عن احمد ومعنى البيع على بيع اخيه ان يكون قد باع منه شيا فيبذل للمشتري سلعته ليشتريها ويفسخ بيع الاول وهل يختص ذلك بما اذا كان البذل في مده الخيار بحيث يتمكن المشتري من الفسخ فيه ام هو عام في مده الخيار وبعدها فيه اختلاف بين العلما قد حكاه الامام احمد في روايه حرب ومال الى القول بانه عام في الحالين وهو قول طايفه من اصحابنا ومنهم من خصه بما اذا كان ذلك في مده الخيار وهو ظاهر كلام احمد في روايه ابن مشيش ومنصوص الشافعي والاول اظهر لان المشتري وان لم يتمكن من الفسخ بنفسه بعد انقضا الخيار فانه اذا رغب في رد السلعه الاولى على بايعها فانه يتسبب الى ردها عليه بانواع من الطرق المقتضيه لضرره ولو بالالحاح عليه في المسله وما ادى الى ضرر المسلم كان محرما والله اعلم وقوله وكونوا عباد الله اخوانا هذا ذكره النبي صلى الله عليه وسلم بلغ
كالتعليل لما تقدم وفيه اشاره الى انهم اذا تركوا التحاسد والتناجش والتباغض والتدابر وبيع بعضهم على بيع بعض كانوا اخوانا وفيه امر باكتساب ما يصير المسلمون به اخوانا على الاطلاق وذلك يدخل فيه ادا حقوق المسلم على المسلم من رد السلام وتشميت العاطس وعياده المريض وتشييع الجنازه واجابه الدعوه والابتدا بالسلام عند اللقا والنصح بالغيب وفي الترمذي عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تهادوا فان الهديه تذهب وحر الصدر وخرجه غيره ولفظه تهادوا وتحابوا وفي مسند البزار عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تهادوا فان الهديه تسل السخيمه ويروى عن عمر بن عبد العزيز يرفع الحديث قال تصافحوا فانه يذهب الشحنا وتهادوا وقال الحسن

المصافحه تزيد في الود وقال مجاهد بلغني انه اذا تراءى المتحابان فضحك احدهما الى الاخر وتصافحا تحاتت خطاياهما كما يتحات الورق من الشجر فقيل له ان هذا ليسير من العمل قال تقول يسير والله يقول لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم وقوله صلى الله عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره هذا ماخوذ من قوله عز وجل انما المومنون اخوه فاصلحوا بين اخويكم فاذا كان المومنون اخوه امروا فيما بينهم بما يوجب تالف القلوب واجتماعها ونهوا عما يوجب تنافر القلوب واختلافها وهذا من ذلك وايضا فان الاخ من شانه ان يوصل الى اخيه النفع ويكف عنه الضرر ومن اعظم الضرر الذي يجب كفه عن الاخ المسلم الظلم وهذا لا يختص بالمسلم بل هو محرم في حق كل احد وقد سبق الكلام على الظلم مستوفى عند ذكر حديث ابي ذر الالهي يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ومن ذلك خذلان المسلم لاخيه فان المومن مامور ان ينصر اخاه كما قال صلى الله عليه وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما قيل يا رسول الله انصره مظلوما فكيف انصره ظالما قال تمنعه عن الظلم فذلك نصرك اياه خرجه البخاري بمعناه من حديث انس وخرجه مسلم بمعناه من حديث جابر وخرج ابو داود من حديث ابي طلحه الانصاري وجابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من امري مسلم يخذل امرا مسلما في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه الا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته وما من امري ينصر مسلما في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته الا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته وخرج الامام احمد من حديث ابي امامه ابن سهل عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اذل عنده مومن فلم ينصره وهو يقدر على ان ينصره اذله الله على رووس الخلايق يوم القيمه وخرج البزار من حديث عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من نصر اخاه بالغيب وهو يستطيع نصره نصره الله في الدنيا والاخره ومن ذلك كذب المسلم لاخيه فلا يحل له ان يحدثه فيكذبه بل لا يحدثه الا صدقا وفي

مسند الامام احمد عن النواس بن سمعان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كبرت خيانة ان تحدث
اخاك حديثا هو لك مصدق وانت به كاذب ومن ذلك احتقار المسلم لاخيه المسلم وهو
ناشئ عن الكبر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الكبر بطر الحق وغمط الناس خرجه مسلم من حديث ابن مسعود
وخرجه الامام احمد وفي رواية له الكبر سفه الحق وازدراء الناس وفي رواية وغمص
الناس وفي رواية زيادة فلا تراهم شيا وغمص الناس الطعن عليهم وازدراوهم وقال الله عز وجل
يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نسا من نسا عسى ان يكن
خيرا منهن فالمتكبر ينظر الى نفسه بعين الكمال والى غيره بعين النقص فيحتقرهم ويزدريهم
ولا يراهم اهلا لان يقوم بحقوقهم ولا ان يقبل من احد منهم الحق اذا اورده عليه وقوله
التقوى هاهنا يشير الى صدره ثلاث مرات فيه اشارة الى ان كرم الخلق عند الله
بالتقوى فرب من يحتقره الانسان لضعفه وقلة حظه من الدنيا وهو اعظم قدرا عند الله
ممن له قدر في الدنيا فان الناس انما يتفاوتون بحسب التقوى كما قال عز وجل ان اكرمكم عند الله
اتقاكم وسئل النبي صلى الله عليه وسلم من اكرم الناس قال اتقاهم لله عز وجل وفي حديث اخر الكرم
التقوى والتقوى اصلها في القلب كما قال تعالى ومن يعظم شعاير الله فانها من تقوى القلوب
وقد سبق ذكر هذا المعنى في الكلام على حديث ابي ذر الالهي عند قوله لو ان اولكم واخركم
وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيا واذا كان اصل
التقوى في القلوب فلا يطلع احد على حقيقتها الا الله عز وجل كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله لا
ينظر الى صوركم واموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم وحينيذ فقد يكون كثير ممن له صورة
حسنة او مال او جاه او رياسة في الدنيا قلبه خرابا من التقوى ويكون من ليس له شي من
ذلك قلبه مملوا من التقوى فيكون اكرم عند الله عز وجل بل ذلك هو الاكثر وقوعا كما في
الصحيحين عن حارثة بن وهب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم باهل الجنة كل ضعيف
متضعف لو اقسم على الله لابره الا اخبركم باهل النار كل عتل جواظ مستكبر وفي المسند
عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اما اهل الجنة فكل مستضعف اشعث ذي

طمرين لو اقسم على الله لابره واما اهل النار فكل جعظري جواظ جماع مناع ذي تبع وفي
الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت
بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة لا يدخلني الا ضعفا الناس وسقطهم فقال الله عز وجل
للجنة انت رحمتي ارحم بك من اشا من عبادي وقال للنار انت عذابي اعذب بك من اشا من
عبادي وخرجه الامام احمد من حديث ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال افتخرت الجنة
والنار فقالت النار يا رب يدخلني الجبابرة والمتكبرون والملوك والاشراف وقالت الجنة يا رب
يدخلني الضعفا والفقرا والمساكين وذكر الحديث وفي صحيح البخاري عن سهل بن سعد قال مر رجل على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل عنده جالس ما رايك في هذا قال رجل من اشراف الناس هذا
والله حري ان خطب ان ينكح وان شفع ان يشفع قال فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم مر رجل اخر
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رايك في هذا قال يا رسول الله هذا رجل من فقرا المسلمين
هذا حري ان خطب ان لا ينكح وان شفع ان لا يشفع وان قال ان لا يسمع لقوله فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذا خير من ملء الارض مثل هذا وقال محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى اذا وقعت الواقعة
ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة قال تخفض رجالا كانوا في الدنيا مرتفعين وترفع رجالا
كانوا في الدنيا مخفوضين قوله بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم يعني يكفيه من الشر احتقار
اخيه المسلم فانه انما يحتقر اخاه المسلم لتكبره عليه والكبر من اعظم خصال الشر وفي صحيح مسلم عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر وفيه ايضا عنه
انه قال العز ازاره والكبريا رداوه فمن نازعني عذبته فمنازعة الله صفاته التي لا تليق
بالمخلوق كفى بها شرا وفي صحيح ابن حبان عن فضالة بن عبيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ثلاثة لا تسال عنهم رجل ينازع الله ازاره ورجل ينازع الله رداه فان رداه الكبريا وازاره
العز ورجل في شك من امر الله والقنوط من رحمة الله وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال من قال هلك الناس فهو اهلكهم قال مالك اذا قال ذلك تحزنا لما
يرى في الناس يعني في دينهم فلا ارى به باسا واذا قال ذلك عجبا بنفسه وتصاغرا للناس فهو

المكروه الذي نهي عنه ذكره ابو داود في سننه قوله كل المسلم علي المسلم حرام دمه وماله
وعرضه هذا مما كان النبي صلي الله عليه وسلم يخطب به في المجامع العظيمه فانه خطب به في
حجه الوداع يوم النحر ويوم عرفه واليوم الثاني من ايام التشريق وقال ان دماكم واموالكم واعراضكم
عليكم حرام كحرمه يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا وفي روايه للبخاري وغيره وابشاركم
وفي روايه فاعادها مرارا ثم رفع راسه فقال اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت وفي روايه
الا ليبلغ الشاهد الغايب وفي روايه للبخاري فان الله حرم عليكم دماكم واموالكم واعراضكم الا
بحقها وفي روايه دماكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام مثل هذا اليوم وهذا البلد الي
يوم القيمه حتي دفعه يدفعها مسلم مسلما يريد بها سوا حرام وفي روايه انه قال المومن
حرام علي المومن كحرمه هذا اليوم لحمه عليه حرام ان ياكله ويغتابه بالغيب وعرضه
عليه حرام ان يخرقه ووجهه عليه حرام ان يلطمه ودمه عليه حرام ان يسفكه وحرام عليه ان
يدفعه دفعه تعنته وفي سنن ابي داود عن بعض الصحابه انهم كانوا يسيرون مع النبي
صلي الله عليه وسلم فنام رجل منهم فانطلق بعضهم الي حبل معه فاخذها ففزع فقال النبي صلي الله عليه
وسلم لا يحل لمسلم ان يروع مسلما وخرج احمد وابو داود والترمذي عن السايب بن يزيد
عن النبي صلي الله عليه وسلم قال لا ياخذ احدكم عصي اخيه لاعبا جادا فمن اخذ عصي اخيه فليردها
اليه قال ابو عبيد يعني ان ياخذ متاعه لا يريد سرقته انما يريد ادخال الغيظ عليه فهو
لاعب في مذهب السرقه جاد في ادخال الاذي والروع عليه وفي الصحيحين عن ابن مسعود
عن النبي صلي الله عليه وسلم قال اذا كنتم ثلاثه فلا يتناجي اثنان دون الثالث فان ذلك يحزنه
ولفظه لمسلم وخرج الطبراني من حديث ابن عباس عن النبي صلي الله عليه وسلم قال لا يتناجي اثنان
دون الثالث فان ذلك يوذي المومن والله يكره اذي المومن وخرج الامام احمد من حديث
ثوبان عن النبي صلي الله عليه وسلم قال لا توذوا عباد الله ولا تعيروهم ولا تطلبوا عوراتهم فانه
من طلب عوره اخيه المسلم طلب الله عورته حتي تفضحه في بيته وفي صحيح مسلم عن ابي هريره
ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الغيبه فقال ذكرك اخاك بما يكره قال ارايت ان كان

فيه ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته
تضمنت هذه النصوص كلها ان المسلم لا يحل ايصال الاذي اليه بوجه من الوجوه من
قول او فعل بغير حق وقد قال الله تعالي والذين يوذون المومنين والمومنات بغير ما اكتسبوا
فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا وانما جعل الله المومنين اخوه ليتعاطفوا ويتراحموا وفي
الصحيحين عن النعمن بن بشير عن النبي صلي الله عليه وسلم قال مثل المومنين في توادهم وتعاطفهم
وتراحمهم مثل الجسد اذا اشتكي منه عضو تداعي له ساير الجسد بالحمي والسهر وفي روايه
لمسلم المومنون كرجل واحد ان اشتكي راسه تداعي له ساير الجسد بالحمي والسهر وفي روايه
له ايضا المسلمون كرجل واحد ان اشتكي عينه اشتكي كله وان اشتكي راسه اشتكي كله وفيهما عن
ابي موسي عن النبي صلي الله عليه وسلم قال المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا وخرج
ابو داود من حديث ابي هريره عن النبي صلي الله عليه وسلم قال المومن مراه المومن المومن اخو المومن
يكف عنه ضيعته ويحوطه من ورايه وخرجه الترمذي ولفظه ان احدكم مراه اخيه
فان راي به اذي فليمط عنه قال رجل لعمر بن عبد العزيز اجعل كبير المسلمين عندك ابا
وصغيرهم ابنا واوسطهم اخا فاي اوليك تحب ان تسي اليه ومن كلام يحيي ابن معاذ الرازي ليكن
حظ المومن منك ثلاثه ان لم تنفعه فلا تضره وان لم تفرحه فلا تغمه وان لم تمدحه فلا تذمه

الحديث السادس والثلاثون عن ابي هريره رضي الله عنه

عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال من نفس عن مومن كربه من كرب الدنيا نفس الله عنه
كربه من كرب يوم القيمه ومن يسر علي معسر يسر الله عليه في الدنيا والاخره ومن ستر
مسلما ستره الله في الدنيا والاخره والله في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه ومن سلك
طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الي الجنه وما جلس قوم في بيت من بيوت الله
يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينه وغشيتهم الرحمه وحفتهم
الملايكه وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطا به عمله لم يسرع به نسبه رواه مسلم ه اا
الحديث خرجه مسلم من روايه الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريره واعترض
عليه غير واحد

من الحفاظ في تخريجه منهم ابو الفضل الهروي والدارقطني فان اسباط ابن محمد رواه عن الاعمش
قال حُدثت عن ابي صالح فتبين ان الاعمش لم يسمعه من ابي صالح ولم يذكر من حدثه به عنه وخرج
الترمذي وغيره هذه الروايه وزاد بعض اصحاب الاعمش في متن الحديث ومن اقال مسلما اقاله
الله عثرته يوم القيمه وخرجا في الصحيحين من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته ومن فرج
عن مسلم فرج الله عنه كربه من كرب يوم القيمه ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيمه وخرج
الطبراني من حديث كعب بن عجره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من نفس عن مومن كربه من
كربه نفس الله عنه كربه يوم القيمه ومن ستر على مومن عورته ستر الله عورته ومن فرج
عن مومن كربه فرج الله عنه كربته وخرج الامام احمد من حديث مسلمه بن مخلد عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال من ستر مسلما في الدنيا ستره الله في الدنيا والاخره ومن نجا مكروبا
فك الله عنه كربة من كرب يوم القيمه ومن كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته فقوله
صلى الله عليه وسلم من نفس عن مومن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم
القيمه هذا يرجع الى ان الجزا من جنس العمل وقد تكاثرت النصوص بهذا المعنى كقوله صلى الله عليه
وسلم انما يرحم الله من عباده الرحما وقوله ان الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا والكربه
هي الشده العظيمه التي توقع صاحبها في الكرب وتنفيسها ان يخفف عنه منها ماخوذ من
تنفيس الخناق كانه يرخي له الخناق حتى ياخذ نفسا والتفريج اعظم من ذلك وهو ان يزيل عنه
الكربه فتنفرج عنه كربته ويزول همه وغمه فجزا التنفيس التنفيس وجزا التفريج التفريج
كما في حديث ابن عمر وقد جمع بينهما في حديث كعب بن عجره وخرج الترمذي من حديث
ابي سعيد الخدري مرفوعا ايما مومن اطعم مومنا على جوع اطعمه الله يوم القيمه من ثمار
الجنه وايما مومن سقى مومنا من ظما سقاه الله يوم القيمه من الرحيق المختوم وايما مومن
كسا مومنا على عري كساه الله من خضر الجنه وخرجه الامام احمد بالشك في رفعه وقيل
ان الصحيح وقفه وروى ابن ابي الدنيا باسناده عن ابن مسعود قال يحشر الناس يوم القيمه اعرا ما

كانوا قط واجوع ما كانوا قط واظما ما كانوا قط وانصب ما كانوا قط فمن كسا لله عز وجل
كساه الله ومن اطعم لله عز وجل اطعمه الله ومن سقى لله عز وجل سقاه الله ومن عفا لله عز وجل
اعفاه الله وخرج البيهقي من حديث انس مرفوعا ان رجلا من اهل الجنه يشرف يوم القيمه
على اهل النار فيناديه رجل من اهل النار يا فلان هل تعرفني فيقول لا والله ما اعرفك من انت
فيقول انا الذي مررت بي في دار الدنيا فاستسقيتني شربة من ما فسقيتك قال قد
عرفت قال فاشفع لي بها عند ربك قال فيسال الله عز وجل ويقول شفعني فيه فيامر به
فيخرج من النار وقوله كربة من كرب يوم القيمه ولم يقل من كرب الدنيا والاخره كما قال في
التيسير والستر قد قيل في مناسبه ذلك ان الكرب هي الشدايد العظيمه وليس كل احد
يحصل له ذلك في الدنيا بخلاف الاعسار والعورات المحتاجه الى الستر فان احدا لا يكاد
يخلو في الدنيا من ذلك ولو بتعسر بعض الحاجات المهمه وقيل لان كرب الدنيا بالنسبه الى كرب
الاخره كلا شي فادخر الله جزا تنفيس الكرب عنده لينفس به كرب الاخره ويدل على ذلك قول
النبي صلى الله عليه وسلم يجمع الله الاولين والاخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر
وتدنو الشمس منهم فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس
بعضهم لبعض الا ترون ما قد بلغكم الا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم وذكر حديث الشفاعه
خرجاه بمعناه من حديث ابي هريره وخرجا من حديث عايشه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
يحشرون حفاه عراه غرلا قالت فقلت يا رسول الله الرجال والنسا ينظر بعضهم الى بعض فقال
الامر اشد من ان يهمهم ذلك وخرجا من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يوم يقوم
الناس لرب العالمين قال يقوم احدهم في الرشح الى انصاف اذنيه وخرجا من حديث ابي هريره
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يعرق الناس يوم القيمه حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين ذراعا
ويلجمهم حتى يبلغ اذانهم ولفظه للبخاري ولفظ مسلم ان العرق ليذهب في الارض سبعين باعا
وانه ليبلغ الى افواه الناس او الى اذانهم وخرج مسلم من حديث المقداد عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال تدنو الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل او ميلين فتصهرهم الشمس فيكونون في

العرق كقدر اعمالهم فمنهم من ياخذه الي عقبيه ومنهم من ياخذه الي ركبتيه ومنهم من ياخذه
الي حقويه ومنهم من يلجمه الجاما وقال ابن مسعود الارض يوم القيمه كلها نار والجنة من
ورايها ترى اكوابها وكواعبها فيعرق الرجل حتي يرشح عرقه في الارض قدر قامه ثم يرتفع
حتي يبلغ انفه وما مسه الحساب قال فمم ذاك يا عبد الرحمن قال مما يرى الناس يصنع
بهم وقال ابو موسى الشمس فوق روس الناس يوم القيمه واعمالهم تظلهم او تضحيهم وفي
المسند من حديث عقبه مرفوعا كل امري في ظل صدقته حتي يفصل بين الناس قوله
صلي الله عليه وسلم ومن يسر علي معسر يسر الله عليه في الدنيا والاخره هذا ايضا يدل
علي ان الاعسار قد يحصل في الاخره وقد وصف الله يوم القيمه بانه يوم عسير وانه علي
الكافرين غير يسير فدل علي انه يسير علي غيرهم وقال وكان يوما علي الكافرين عسيرا والتيسير
علي المعسر في الدنيا من جهه المال يكون باحد امرين اما بانظاره الي الميسرة وذلك واجب
كما قال تعالي وان كان ذو عسره فنظره الي ميسره وتاره بالوضع عنه ان كان غريما والا
فباعطايه ما يزول به اعساره وكلاهما له فضل عظيم وفي الصحيحين عن ابي هريره عن النبي
صلي الله عليه وسلم قال كان تاجر يداين الناس فاذا راي معسرا قال لصبيانه تجاوزوا عنه
لعل الله ان يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه وفيهما عن حذيفه وابي مسعود الانصاري سمع النبي
صلي الله عليه وسلم يقول مات رجل فقيل له فقال كنت ابايع الناس فاتجوز عن الموسر
واخفف عن المعسر وفي روايه قال كنت انظر المعسر واتجوز في السكه او قال في النقد فغفر
له وخرجه مسلم من حديث ابي مسعود عن النبي صلي الله عليه وسلم وفي حديثه فقال الله نحن
احق بذلك منه تجاوزوا عنه وخرج ايضا من حديث ابي قتاده عن النبي صلي الله عليه وسلم
قال من سره ان ينجيه الله من كرب يوم القيمه فلينفس عن معسر او يضع عنه وخرج
ايضا من حديث ابي اليسر عن النبي صلي الله عليه وسلم قال من انظر معسرا او وضع عنه
اظله الله في ظله يوم لا ظل الا ظله وفي المسند عن ابن عمر عن النبي صلي الله عليه وسلم قال من
اراد ان تستجاب دعوته وتكشف كربته فليفرج عن معسر وقوله صلي الله عليه وسلم ومن ستر

مسلما ستره الله في الدنيا والاخرة هذا مما تكاثرت النصوص بمعناه وخرج ابن ماجه
من حديث ابن عباس عن النبي صلي الله عليه وسلم قال من ستر عوره اخيه المسلم ستر الله
عورته يوم القيمه ومن كشف عوره اخيه المسلم كشف الله عورته حتي يفضحه بها في
بيته وخرج الامام احمد من حديث عقبه بن عامر سمع النبي صلي الله عليه وسلم يقول من
ستر مومنا في الدنيا علي عوره ستره الله عز وجل يوم القيمه وقد روي عن بعض السلف
انه قال ادركت قوما لم يكن لهم عيوب فذكروا عيوب الناس فذكر الناس لهم عيوبا
وادركت اقواما كانت لهم عيوب فكفوا عن عيوب الناس فنسيت عيوبهم او كما قال
وشاهد هذا حديث ابي برزه عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال يا معشر من امن بلسانه ولم
يدخل الايمان في قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من اتبع عوراتهم تتبع الله
عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته خرجه الامام احمد وابو داود وخرج الترمذي
معناه من حديث ابن عمر واعلم ان الناس علي ضربين احدهما من كان مستورا لا يعرف بشي من
المعاصي فاذا وقعت منه هفوه او زله فانه لا يجوز كشفها ولا هتكها ولا التحدث بها لان
ذلك غيبه محرمه وهذا هو الذي وردت فيه هذه النصوص وفي ذلك قد قال الله تعالي ان
الذين يحبون ان تشيع الفاحشه في الذين امنوا لهم عذاب اليم في الدنيا والاخره ومن جملة العذاب
الاليم اشاعه الفاحشه علي المومن فيما وقع منه او اتهم به وهو بري منه كما في قصه الافك
قال بعض الوزرا الصالحين لبعض من يامر بالمعروف اجتهد ان تستر العصاه فان ظهور
معاصيهم عيب في اهل الاسلام واولي الامور ستر العيوب ومثل هذا لو جا تايبا نادما
واقر بحد ولم يفسره لم يستفسر بل يومر بان يرجع ويستر نفسه كما امر النبي صلي الله عليه
وسلم ماعزا والغامديه وكما لم يستفسر الذي قال له اصبت حدا فاقمه علي ومثل هذا لو
اخذ بجريمته ولم يبلغ الامام فانه يشفع له حتي لا يبلغ الامام وفي مثله جا الحديث عن النبي صلي
الله عليه وسلم اقيلوا ذوي الهيات عثراتهم خرجه ابو داود والنساي من حديث عايشه
والثاني من كان مشتهرا بالمعاصي معلنا بها ولا يبالي بما ارتكب منها ولا بما قيل له فهذا هو

الفاجر المعلن وليس له غيبة كما نص على ذلك الحسن البصري وغيره ومثل هذا لا باس بالبحث
عن امره لتقام عليه الحدود صرح بذلك بعض اصحابنا واستدل بقول النبي صلى الله عليه
وسلم واغد يا انيس على امراة هذا فان اعترفت فارجمها ومثل هذا لا يشفع له اذا اخذ
ولو لم يبلغ السلطان بل يترك حتى يقام عليه الحد لينكف شره ويرتدع به امثاله قال مالك
من لم يعرف منه اذى للناس وانما كانت منه زلة فلا باس ان يشفع له ما لم يبلغ الامام واما
من عرف بشر او فساد فلا احب ان يشفع له احد ولكن يترك حتى يقام عليه الحد حكاه ابن
المنذر وغيره وكره الامام احمد رفع الفساق الى السلطان بكل حال وانما كرهه لانهم غالبا
لا يقيمون الحدود على وجهها ولهذا قال ان علمت انه يقيم عليه الحد فارفعه ثم ذكر انهم
ضربوا رجلا فمات يعني لم يكن قتله جايزا ولو تاب احد من الضرب الاول كان الافضل
له ان يتوب فيما بينه وبين الله ويستر على نفسه واما الضرب الثاني فقيل انه كذلك وقيل بل
الاولى له ان ياتي الامام ويقر على نفسه بما يوجب الحد حتى يطهره قوله والله في عون
العبد ما كان العبد في عون اخيه وفي حديث ابن عمر ومن كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته
وقد سبق في شرح الحديث الخامس والعشرين والسادس والعشرين فضل قضا الحوايج
والسعي فيها وخرج الطبراني من حديث عمر مرفوعا افضل الاعمال ادخال السرور على
المومن كسوت عورته او اشبعت جوعته او قضيت له حاجة وبعث الحسن البصري
قوما من اصحابه في قضا حاجة لرجل وقال لهم مروا بثابت البناني فخذوه معكم فاتوا ثابتا
فقال انا معتكف فرجعوا الى الحسن فاخبروه فقال قولوا له يا اعمش اما تعلم ان مشيك في حاجة
اخيك المسلم خير لك من حجة بعد حجة فرجعوا الى ثابت فترك اعتكافه وذهب معهم وخرج
الامام احمد من حديث ابنة لخباب بن الارت قالت خرج خباب في سرية فكان النبي صلى الله عليه
وسلم يتعاهدنا حتى يحلب عنزا لنا في جفنة لنا فتمتلي حتى تفيض فلما قدم خباب حلبها فعاد
حلابها الى ما كان وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه يحلب للحي اغنامهم فلما استخلف قالت جارية
منهم الان لا يحلبها فقال ابو بكر بلى واني لارجو ان لا يغيرني ما دخلت فيه عن شي كنت

افعله او كما قال وانما كانوا يقومون بالحلاب لان العرب كانت لا تحلب النسا منهم وكانوا
يستقبحون ذلك فكان الرجال اذا غابوا احتاج النسا الى من يحلب لهن وقد روي عن النبي صلى لقوم
الله عليه وسلم انه قال لا تسقوني حلب امراة وكان عمر يتعاهد الارامل فيستقي لهم الما بالليل
وراه طلحة بالليل يدخل بيت امراة فدخل اليها طلحة نهارا فاذا هي عجوز عميا مقعدة فسالها
ما يصنع هذا الرجل عندك قالت هذا له منذ كذا وكذا يتعاهدني ياتيني بما يصلحني ويخرج عني
الاذى فقال طلحة ثكلتك امك طلحة اعثرات عمر تتبع وكان ابو وايل يطوف على نسا الحي وعجايزهم
فيشتري لهم حوايجهم وما يصلحهم وقال مجاهد صحبت ابن عمر في السفر لاخدمه فكان يخدمني
وكان كثير من الصالحين يشترط على اصحابه في السفر ان يخدمهم وصحب رجل قوما في الجهاد
فاشترط عليهم ان يخدمهم فكان اذا اراد احد منهم ان يغسل راسه او ثوبه قال هذا فنظروا
من شرطي فيفعله فمات فجردوه للغسل فراوا على يده مكتوبا من اهل الجنة فاذا هي كتابة
بين الجلد واللحم وفي الصحيحين عن انس قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في السفر فمنا الصايم ومنا
المفطر قال فنزلنا منزلا في يوم حار اكثرنا ظلا صاحب الكسا ومنا من يتقي الشمس بيده قال
فسقط الصوام وقام المفطرون فضربوا الابنية وسقوا الركاب فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذهب المفطرون اليوم بالاجر ويروى عن رجل من اسلم ان النبي صلى الله عليه
وسلم اتي بطعام في بعض اسفاره فاكل منه واكل اصحابه وقبض الاسلمي يده فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما لك قال اني صايم قال فما حملك على ذلك قال معي ابناي يرحلان
لي ويخدماني فقال ما زال لهم الفضل عليك بعد وفي مراسيل ابي داود عن ابي
قلابة ان ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قدموا يثنون على صاحب لهم خيرا
قالوا ما راينا مثل فلان قط ما كان في مسير الا كان في قراءة ولا نزلنا منزلا الا كان في
صلاة قال فمن كان يكفيه ضيعته حتى ذكر ومن كان يعلف جمله او دابته قالوا نحن
قال فكلكم خير منه قوله صلى الله عليه وسلم ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له
طريقا الى الجنة وقد روي هذا المعنى ايضا ابو الدردا عن النبي صلى الله عليه وسلم كثير بن قيس

لالتماس العلم يدخل فيه سلوك الطريق الحقيقي وهو المشي بالاقدام الى مجالس العلما ويدخل
فيه سلوك الطرق المعنويه الموديه الى حصول العلم مثل حفظه ودراسته ومذاكرته
ومطالعته وكتابته والتفهم له ونحو ذلك من الطرق المعنويه التي يتوصل بها الى العلم
وقوله سهل الله به طريقا الى الجنه قد يراد بذلك ان الله يسهل له العلم الذي طلبه وسلك
طريقه وييسره فان العلم طريق موصل الى الجنه وهذا كقوله ولقد يسرنا القران للذكر
فهل من مدكر قال بعض السلف هل من طالب علم فيعان عليه وقد يراد ايضا ان الله
ييسر لطالب العلم اذا قصد بطلبه وجه الله الانتفاع به والعمل بمقتضاه فيكون سببا
لهدايته ولدخول الجنه بذلك وقد ييسر الله لطالب العلم علوما اخر ينتفع بها وتكون
موصله له الى الجنه كما قيل من عمل بما علم اورثه الله علم ما لم يعلم وكما قيل ثواب الحسنه
الحسنه بعدها وقد دل على ذلك قوله تعالى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وقوله
والذين اهتدوا زادهم هدى واتاهم تقواهم وقد يدخل في ذلك ايضا تسهيل طريق الجنه
الحسي يوم القيمه وهو الصراط وما قبله وما بعده من الاهوال فييسر ذلك على طالب
العلم للانتفاع به فان العلم يدل على الله من اقرب الطرق اليه فمن سلك طريقه ولم يعرج عنه
وصل الى الله والى الجنه من اقرب الطرق واسهلها فسهلت عليه الطرق الموصله الى الجنه
كلها في الدنيا وفي الاخره فلا طريق الى معرفه الله والى الوصول الى رضوانه والفوز بقربه
ومجاورته في الاخره الا بالعلم النافع الذي بعث الله به رسله وانزل به كتبه فهو الدليل
عليه وبه يهتدى في ظلمات الجهل والشبه والشكوك ولهذا سمى الله كتابه نورا لانه يهتدى
به في الظلمات قال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه
سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم ومثل النبي صلى
الله عليه وسلم حملة العلم الذي جاء به بالنجوم التي يهتدى بها في الظلمات ففي المسند عن انس قال
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان مثل العلما في الارض كمثل النجوم في السما يهتدى بها في ظلمات البر
والبحر فاذا انطمست النجوم اوشك ان تضل الهداه ومادام العلم باقيا في الارض فالناس

في هدى وبقاء العلم ببقاء حملته فاذا ذهب حملته ومن يقوم به وقع الناس في الضلال
كما في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يقبض العلم انتزاعا
ينتزعه من صدور الناس ولكن يقبضه بقبض العلما فاذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤسا
جهالا فسيلوا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا وذكر النبي صلى الله عليه وسلم يوما رفع العلم
فقيل له كيف يذهب العلم وقد قرانا القران واقراناه نساءنا وابناءنا فقال صلى الله عليه وسلم
هذه التوراه والانجيل عند اليهود والنصارى فماذا اغنى عنهم فسيل عباده بن الصامت
عن هذا الحديث فقال لو شيت لاخبرتك باول علم يرفع من الناس الخشوع وانما قال عباده
هذا لان العلم قسمان احدهما ما كان ثمرته في قلب الانسان وهو العلم بالله واسمايه وصفاته
وافعاله المقتضي لخشيته ومهابته واجلاله والخضوع له ومحبته ورجايه ودعايه والتوكل
عليه ونحو ذلك فهذا هو العلم النافع كما قال ابن مسعود ان اقواما يقرؤون القران لا
يجاوز تراقيهم ولكن اذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع وقال الحسن العلم علمان علم على اللسان
فذاك حجه الله على ابن ادم وعلم في القلب فذاك العلم النافع والقسم الثاني العلم الذي على
اللسان وهو حجه كما في الحديث القران حجه لك او عليك فاول ما يرفع من العلم العلم النافع
وهو العلم الباطن الذي يخالط القلوب ويصلحها ويبقى علم اللسان حجه فيتهاون الناس به
ولا يعملون بمقتضاه لا حملته ولا غيرهم ثم يذهب هذا العلم بذهاب حملته فلا يبقى الا
القران في المصاحف وليس ثم من يعلم معانيه ولا حدوده ولا احكامه ثم يسرى به في اخر
الزمان فلا يبقى في المصاحف ولا في القلوب منه شي بالكليه وبعد ذلك تقوم الساعه
كما قال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعه الا على شرار الناس وقال لا تقوم الساعه وفي الارض
احد يقول الله الله قوله صلى الله عليه وسلم وما جلس قوم في بيت من بيوت
الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينه وغشيتهم الرحمه
وحفتهم الملايكه وذكرهم الله فيمن عنده هذا يدل على استحباب الجلوس في المساجد لتلاوة
القران ومدارسته وهذا ان حمل على تعلم القران وتعليمه فلا خلاف في استحبابه

وفي صحيح البخاري عن عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القران وعلمه، قال
ابو عبد الرحمن السلمي فذلك الذي اقعدني مقعدي هذا وعلم القران في زمن عثمان بن عفان
حتى بلغ الحجاج بن يوسف وان حمل على ما هو اعم من ذلك دخل فيه الاجتماع في المساجد على
دراسة القران مطلقا وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم احيانا يامر من يقرا القران ليسمع قرائته
كما امر ابن مسعود ان يقرا عليه وقال اني احب ان اسمعه من غيري وكان عمر يامر من يقرا
عليه وعلى اصحابه وهم يستمعون فتاره يامر ابا موسى وتاره يامر عقبه بن عامر وسيل ابن عباس
اي العمل افضل قال ذكر الله قال وما جلس قوم في بيت من بيوت يتعاطون فيه كتاب الله
فيما بينهم ويتدارسونه الا اظلتهم الملايكه باجنحتها وكانوا اضياف الله ما داموا حتى
يفيضوا في حديث غيره وروي مرفوعا والموقوف اصح وروى يزيد الرقاشي عن انس
قال كانوا اذا صلوا الغداه قعدوا حلقا حلقا يقراون القران ويتعلمون الفرايض والسنن
ويذكرون الله عز وجل وروى عطيه عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ما من قوم صلوا صلاه الغداه ثم قعدوا في مصلاهم يتعاطون كتاب الله ويتدارسونه الا
وكل الله بهم ملايكه يستغفرون لهم حتى يخوضوا في حديث غيره وهذا يدل على استحباب
الاجتماع بعد صلاه الغداه لمدارسه القران ولكن عطيه فيه ضعف وقد روى حرب
الكرماني باسناده عن الاوزاعي انه سيل عن الدراسه بعد صلاه الصبح قال اخبرني
حسان ابن عطيه ان اول من احدثها في مسجد دمشق هشام بن اسمعيل المخزومي في خلافه
عبد الملك بن مروان فاخذ الناس بذلك وباسناده عن سعيد بن عبد العزيز وابرهيم
بن سليمان انهما كانا يدرسان القران بعد صلاه الصبح ببيروت والاوزاعي في المسجد
لا يغير عليهم وذكر حرب انه راى اهل دمشق واهل حمص واهل مكه واهل البصره
يجتمعون على القراه بعد صلاه الصبح لكن اهل الشام يقراون كلهم جمله من سوره واحده
باصوات عاليه واهل مكه واهل البصره يجتمعون فيقرا احدهم عشر ايات والناس
ينصتون ثم يقرا اخر عشرا حتى يفرغوا قال حرب وكل ذلك حسن جميل وقد انكر ذلك

مالك على اهل الشام قال زيد بن عبيد الدمشقي قال لي مالك ابن انس بلغني انكم تجلسون حلقا
يقرون فاخبرته بما كان يفعل اصحابنا فقال مالك عندنا كان المهاجرون والانصار ما نعرف
هذا فقلت هذا طريف قال وطريف رجل يقرا ويجتمع الناس حوله فقال هذا عن غير
راينا وقال ابو مصعب واسحق بن محمد القروي سمعنا مالك بن انس يقول الاجتماع بعد
صلاه الفجر لقراه القران بدعه ما كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا العلما بعدهم
على هذا كانوا اذا صلوا الخلوا كل بنفسه ويقرا ويذكر الله عز وجل ثم ينصرفون من غير ان
يكلم بعضهم بعضا اشتغالا بذكر الله فهذه كلها محدثه وقال ابن وهب سمعت مالكا
يقول لم تكن القراه في المسجد من امر الناس القديم واول من احدث ذلك في المسجد الحجاج بن
يوسف قال مالك وانا اكره ذلك الذي يقرا في المسجد في المصحف وقد روى هذا كله ابو بكر
النيسابوري في كتاب مناقب مالك رحمه الله واستدل الاكثرون على استحباب الاجتماع لمدارسه
الذكر والقران افضل انواع الذكر ففي الصحيحين عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان لله ملايكه يطوفون في الطرق يلتمسون اهل الذكر فاذا وجدوا قوما يذكرون الله
عز وجل تنادوا هلموا الى حاجتكم فيحفونهم باجنحتهم الى السما الدنيا فيسالهم ربهم وهو اعلم بهم
ما يقول عبادي قال يقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك فيقول
هل راوني فيقولون لا والله ما راوك فيقول كيف لو راوني فيقولون لو راوك كانوا اشد
لك عباده واشد لك تمجيدا وتحميدا واكثر لك تسبيحا فيقول فما يسلوني قالوا يسالونك
الجنه فيقول وهل راوها فيقولون لا والله يا رب ما راوها فيقول كيف لو انهم راوها
فيقولون لو انهم راوها كانوا اشد عليها حرصا واشد لها طلبا واشد فيها رغبه قال فمم
يتعوذون فيقولون من النار قال ويقول فهل راوها فيقولون لا والله يا رب ما راوها
فيقول كيف لو راوها فيقولون لو انهم راوها كانوا اشد منها فرارا واشد لها مخافه فيقول
تعالى اشهدكم اني قد غفرت لهم فيقول ملك من الملايكه فيهم فلان ليس منهم انما جا لحاجه
قال هم الجلساء لا يشقى جليسهم وفي صحيح مسلم عن معويه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

على استحباب الاجتماع

خرج على حلقة من اصحابه فقال ما اجلسكم قالوا جلسنا نذكر الله عز وجل ونحمده لما هدانا
للاسلام ومن علينا به فقال آلله قالوا الله ما اجلسنا الا ذلك قال اما اني لم استحلفكم
لتهمة لكم انه اتاني جبريل عليه السلام فاخبرني ان الله تعالى يباهي بكم الملايكة وخرج الحاكم
من حديث معويه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم يوما فدخل المسجد فاذا هو بقوم
في المسجد قعود فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما اقعدكم قالوا صلينا الصلاة المكتوبة ثم قعدنا
نتذاكر كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر
شيا تعاظم ذكره وفي المعنى احاديث اخر متعدده وقد اخبر صلى الله عليه وسلم ان جزاء
الذين يجلسون في بيت الله يتدارسون كتاب الله اربعة اشيا احدها تنزل السكينة
عليهم وفي الصحيحين عن البرا بن عازب قال كان رجل يقرا سورة الكهف وعنده فرس
فتغشته سحابة فجعلت تدور وتدنو وجعل فرسه ينفر منها فلما اصبح اتى النبي
صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له قال تلك السكينة تنزلت للقران وفيهما ايضا عن ابي سعيد
ان اسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرا في مربده اذ جالت فرسه فقرا ثم جالت اخرى
فقرا ثم جالت ايضا فقال اسيد فخشيت ان تطا يحيى يعني ابنه قال فقمت اليها فاذا مثل الظلة
فوق راسي امثال السرج عرجت في الجو حتى ما اراها قال فغدا على النبي صلى الله عليه وسلم
فذكر ذلك له فقال صلى الله عليه وسلم تلك الملايكة كانت تستمع لك ولو قرات لاصبحت يراها
الناس ما تستتر منهم واللفظ لمسلم فيهما والثاني غشيان الرحمة قال الله ان رحمة الله قريب
من المحسنين وخرج الحاكم من حديث سلمان انه كان في عصابة يذكرون الله فمر بهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما كنتم تقولون فاني رايت الرحمة تنزل عليكم فاردت
ان اشارككم فيها وخرج البزار من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لله سيارة
من الملايكة يطلبون حلق الذكر فاذا اتوا عليهم حفوا بهم ثم بعثوا رايدهم الى السما الى رب العزة
تبارك وتعالى فيقولون ربنا اتينا على عباد من عبادك يعظمون الاك ويتلون كتابك ويصلون
على نبيك ويسالونك لاخرتهم ودنياهم فيقول تبارك وتعالى غشوهم برحمتي فيقولون رب

ابن زنجويه عن سعد بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في مجلس
فتشاور رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال ان هولاء القوم كانوا يذكرون الله

ان فيهم فلانا الخطا انما اعتنقهم اعتناقا فيقول تعالى غشوهم برحمتي والثالث ان الملايكة
تحف بهم وهذا مذكور في هذه الاحاديث التي ذكرناها وفي حديث ابي هريرة المتقدم
فيحفونهم باجنحتهم الى السما الدنيا وفي رواية للامام احمد علا بعضهم على بعض حتى يبلغوا
العرش وقال خالد بن معدان يرفع الحديث ان لله ملايكة في الهوا يسيحون بين السما
والارض يلتمسون الذكر فاذا سمعوا قوما يذكرون الله عز وجل قالوا رويدا زادكم الله
فينشرون اجنحتهم حولهم حتى يصعد كلامهم الى العرش خرجه الخلال في كتاب السنة
الرابع ان الله يذكرهم فيمن عنده وفي الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي وانا معه حين يذكرني فان ذكرني
في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم وهذه الخصال الاربع لكل
مجتمعين على ذكر الله عز وجل كما في صحيح مسلم عن ابي هريرة وابي سعيد كلاهما عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان لاهل ذكر الله اربعا تنزل عليهم السكينة وتغشاهم الرحمة وتحف بهم الملايكة
ويذكرهم الرب فيمن عنده وقد قال الله عز وجل اذكروني اذكركم وذكر الله لعبده هو ثناوه
عليه في الملا الاعلى بين الملايكة ومباهاتهم به وتنويهه بذكره قال الربيع بن انس ان الله ذاكر
من ذكره وزايد من شكره ومعذب من كفره وقال عز وجل يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا
كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا هو الذي يصلي عليكم وملايكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وصلاة
الله على عبده هو ثناوه عليه بين ملايكته وتنويهه بذكره كذا قال ابو العالية ذكره البخاري
في صحيحه وقال رجل لابي امامة رايت في المنام كان الملايكة تصلي عليك كلما دخلت وكلما
خرجت وكلما قمت وكلما جلست فقال ابو امامة وانتم لو شيتم صلت عليكم الملايكة ثم قرا يا ايها
الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا هو الذي يصلي عليكم وملايكته خرجه
الحاكم قوله ومن بطا به عمله لم يسرع به نسبه معناه ان العمل هو الذي يبلغ بالعبد
درجات الاخرة كما قال تعالى ولكل درجات مما عملوا فمن ابطا به عمله ان يبلغ به المنازل العالية
عند الله لم يسرع به نسبه فيبلغه تلك الدرجات فان الله رتب الجزا على الاعمال لا على الانساب كما قال

هذا مرسل

تعالى فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يوميذ ولا يتسالون وقد امر الله تعالى بالمسارعه
الى مغفرته ورحمته بالاعمال كما قال وسارعوا الى مغفره من ربكم وجنه عرضها السموات
والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون في السرا والضرا والكاظمين الغيظ الايتين وقال ان
الذين هم من خشيه ربهم مشفقون والذين هم بايات ربهم يومنون والذين هم بربهم لا
يشركون والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجله انهم الى ربهم راجعون اوليك يسارعون
في الخيرات وهم لها سابقون قال ابن مسعود يامر الله بالصراط فيضرب على جهنم فيمر الناس
على قدر اعمالهم زمرا زمرا اوايلهم كلمح البرق ثم كمر الريح ثم كمر الطير ثم كمر البهايم حتى يمر
الرجل سعيا وحتى يمر الرجل مشيا حتى يمر اخرهم يتلبط على بطنه فيقول يا رب لم بطات
بي فيقول اني لم ابط بك انما بطا بك عملك وفي الصحيحين عن ابي هريره قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين انزل عليه وانذر عشيرتك الاقربين يا معشر قريش اشتروا انفسكم
من الله لا اغني عنكم من الله شيا يا بني عبد المطلب لا اغني عنكم من الله شيا يا عباس ابن عبد
المطلب لا اغني عنك من الله شيا يا صفيه عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اغني عنك من
الله شيا يا فاطمه بنت محمد سليني ما شيت لا اغني عنك من الله شيا وفي روايه خارج الصحيحين
ان اوليايي منكم المتقون لا ياتي الناس بالاعمال وتاتوني بالدنيا تحملونها على رقابكم فتقولون يا محمد
فاقول قد بلغت وخرج ابن ابي الدنيا من حديث ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
اوليايي المتقون يوم القيمه وان كان نسب اقرب من نسب ياتي الناس بالاعمال وتاتون
بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد فاقول هكذا وهكذا واعرض في كلي
عطفيه وخرج البزار من حديث رفاعه بن رافع ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر اجمع لي
قومك يعني قريشا فجمعهم فقال ان اوليايي منكم المتقون فان كنتم اوليك فذاك والا فانظروا لا
ياتي الناس بالاعمال يوم القيمه وتاتون بالاثقال فيعرض عنكم وخرجه الحاكم مختصرا وصححه
وفي المسند عن معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما بعثه الى اليمن خرج معه يوصيه
ثم التفت فاقبل بوجهه الى المدينه فقال ان اولى الناس بي المتقون من كانوا وحيث كانوا

الناس
وخرجه الطبراني وزاد فيه ان اهل بيتي هولاء يرون انهم اولى بي وليس كذلك ان
اوليايي منكم المتقون من كانوا وحيث كانوا ويشهد لهذا كله ما في الصحيحين عن عمرو ابن
العاص انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان ال ابي فلان ليسوا لي باوليا وانما وليي الله وصالح
المومنين يشير الى ان ولايته لا تنال بالنسب وان قرب وانما تنال بالايمان والعمل الصالح
فمن كان اكمل ايمانا وعملا فهو اعظم ولايه له سوا كان له منه نسب قريب ولم يكن وفي
هذا المعنى يقول بعضهم " لعمرك ما الانسان الا بدينه فلا تترك التقوى اتكالا على النسب
لقد رفع الاسلام سلمان فارس وقد وضع الشرك الشقي ابا لهب

الحديث السابع والثلاثون عن ابن عباس

رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى قال ان الله كتب
الحسنات والسيات ثم بين ذلك فمن هم بحسنه فلم يعملها كتبها الله عنده حسنه كامله
وان هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعمايه ضعف الى اضعاف كثيره وان هم
بسيه فلم يعملها كتبها الله عنده حسنه كامله وان هم بها فعملها كتبها الله ~~عنده~~ سيه واحده
رواه البخاري ومسلم **هذا الحديث** خرجاه من روايه الجعد ابي عثمن نا ابو رجا
العطاردي عن ابن عباس وفي روايه لمسلم زياده في اخر الحديث وهي او محاها الله ولا يهلك
على الله الا هالك وفي هذا المعنى احاديث متعدده فخرجا في الصحيحين من حديث ابي هريره عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله اذا اراد عبدي ان يعمل سيه فلا تكتبوها عليه حتى يعملها
فان عملها فاكتبوها بمثلها وان تركها من اجلي فاكتبوها له حسنه واذا اراد ان يعمل حسنه
فلم يعملها فاكتبوها له حسنه فان عملها فاكتبوها له بعشر امثالها الى سبعمايه ضعف وهذا
لفظ البخاري وفي روايه لمسلم قال الله عز وجل اذا تحدث عبدي بان يعمل حسنه فانا
اكتبها له حسنه ما لم يعمل فاذا عملها فانا اكتبها بعشر امثالها واذا تحدث بان يعمل سيه
فانا اغفرها له ما لم يعملها فاذا عملها فانا اكتبها له بمثلها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قالت الملايكه رب ذاك عبدك يريد ان يعمل سيه وهو ابصر به فقال ارقبوه فان عملها

فاكتبوها له بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنه انما تركها من جراي قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا احسن احدكم اسلامه فكل حسنة يعملها تكتب بعشر امثالها الى
سبعمية ضعف وكل سيه يعملها تكتب بمثلها حتى يلقى الله عز وجل وفي الصحيحين عن
ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل عمل ابن ادم يضاعف الحسنه بعشر امثالها الى
سبعمية ضعف قال الله الا الصيام فانه لي وانا اجزي به يدع شهوته وطعامه وشرابه
من اجلي وفي روايه بعد قوله الى سبعميه ضعف الى ما يشا الله وفي صحيح مسلم عن ابي ذر
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل من عمل حسنه فله عشره امثالها وازيد
ومن عمل سيه فجزاوها بمثلها او اغفر وفيه ايضا عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
من هم بحسنه فلم يعملها كتبت له حسنه فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيه فلم
يعملها لم تكتب عليه شي فان عملها كتبت عليه سيه واحده وفي المسند عن خريم بن فاتك
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من هم بحسنه فلم يعملها فعلم الله انه قد اشعرها قلبه وحرص
عليها كتبت له حسنه ومن هم بسيه لم تكتب عليه ومن عملها كتبت له واحده ولم تضاعف
عليه ومن عمل حسنه كانت له بعشر امثالها ومن انفق نفقة في سبيل الله كانت له بسبعمية
ضعف وفي المعنى احاديث اخر متعدده فتضمنت هذه النصوص كتابه الحسنات
والسيات والهم بالحسنه والسيه فهذه اربعه انواع النوع الاول عمل الحسنات
فتضاعف الحسنه بعشر امثالها الى سبعميه ضعف الى اضعاف كثيره فمضاعفه الحسنه
بعشر امثالها لازم لكل الحسنات وقد دل عليه قوله تعالى من جا بالحسنه فله عشر
امثالها واما زياده المضاعفه على العشر لمن شا الله ان يضاعف له فدل عليه قوله عز وجل
مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبه انبتت سبع سنابل في كل سنبله ميه
حبه والله يضاعف لمن يشا والله واسع عليم فدلت هذه الايه على ان النفقه في سبيل
الله تضاعف بسبعميه ضعف وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال جا رجل بناقه مخطومه
فقال يا رسول الله هذه في سبيل الله فقال لك بها يوم القيمه سبعميه ناقه وفي المسند

باسناد فيه نظر عن ابي عبيده بن الجراح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من انفق نفقة
فاضله في سبيل الله فبسبعميه ومن انفق على نفسه واهله او عاد مريضا او ماز اذى
فالحسنه بعشر امثالها وخرج ابو داود من حديث سهل بن معاذ عن ابيه عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان الصلاه والصيام والذكر تضاعف على النفقه في سبيل الله بسبعميه
ضعف وروى ابن ابي حاتم باسناده عن الحسن عن عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال من ارسل نفقه في سبيل الله واقام في بيته فله بكل درهم سبعميه درهم ومن غزا
بنفسه في سبيل الله فله بكل درهم سبعميه الف درهم ثم تلا هذه الايه والله يضاعف
لمن يشا وخرج ابن حبان في صحيحه من حديث عيسى بن المسيب عن نافع عن ابن عمر قال لما
نزلت هذه الايه مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبه قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم رب زد امتي فانزل الله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا
كثيره فقال رب زد امتي فانزل الله انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وخرج
الامام احمد من حديث علي ابن زيد بن جدعان عن ابي عثمان النهدي عن ابي هريره عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليضاعف الحسنه الفي الف حسنه ثم تلا ابو هريره وان تك
حسنه يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما وقال اذا قال الله اجرا عظيما فمن يقدر
قدره وروي عن ابي هريره موقوفا وخرج الترمذي من حديث بن عمر مرفوعا من دخل
السوق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو حي لا يموت
وهو على كل شي قدير كتب الله له الف الف حسنه ومحي عنه الف الف سيه ورفع له
الف الف درجه ومن حديث تميم الداري مرفوعا من قال اشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له الها واحدا احدا صمدا لم يتخذ صاحبه ولا ولدا ولم يكن له كفوا
احد عشر مرات كتب الله له اربعين الف الف حسنه وفي كلا الاسنادين ضعف
وخرج الطبراني باسناد ضعيف ايضا عن ابن عمر مرفوعا من قال سبحان الله كتب الله له
ميه الف حسنه واربعه وعشرين الف حسنه وقوله في حديث ابي هريره الا الصيام

فانه لي وانا اجزي به يدل علي ان الصيام لا يعلم قدر مضاعفة ثوابه الا الله عز وجل
لانه افضل انواع الصبر وانما يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب وقد روي هذا
المعني عن طايفة من السلف منهم كعب وغيره وقد ذكرنا فيما سبق في شرح حديث
من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه ان مضاعفة الحسنات زيادة علي العشر تكون
بحسب حسن الاسلام كما جا ذلك مصرحا به في حديث ابي هريرة وغيره وتكون بحسب كمال
الاخلاص وبحسب فضل ذلك العمل في نفسه وبحسب الحاجة اليه وذكرنا من حديث
ابن عمر ان قوله من جا بالحسنة فله عشر امثالها نزلت في الاعراب وان قوله وان تك
حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما نزلت في المهاجرين النوع الثاني عمل
السيات فتكتب السيه بمثلها من غير مضاعفة كما قال تعالي ومن جا بالسيه فلا يجزي
الا مثلها وهم لا يظلمون وقوله كتبت له سيه واحده اشاره الي انها غير مضاعفة كما
صرح به في حديث اخر لكن السيه تعظم احيانا بشرف الزمان او المكان كما قال تعالي
ان عده الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها
اربعه حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم قال علي بن ابي طلحه عن ابن عباس في
هذه الايه فلا تظلموا فيهن انفسكم في كلهن ثم اختص من ذلك اربعه اشهر فجعلهن حرما
وعظم حرماتهن وجعل الذنب فيهن اعظم والعمل الصالح والاجر اعظم وقال قتاده
في هذه الايه اعلموا ان الظلم في الاشهر الحرم اعظم خطيئة ووزرا فيما سوي ذلك وان
كان الظلم في كل حال غير طايل ولكن الله تعالي يعظم من امره ما يشا ربنا تعالي وقد روي في
حديثين مرفوعين ان السيات تضاعف في رمضان ولكن اسنادهما لا يصح وقال الله
عز وجل الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج
قال ابن عمر الفسوق ما اصيب من معاصي الله صيدا كان او غيره وعنه قال الفسوق
اتيان معاصي الله في الحرم وقال عز وجل ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم وكان
جماعة من الصحابة يتقون سكني الحرم خشية ارتكاب الذنوب فيه منهم ابن عباس وعبد الله بن عمرو

بن العاص وكذلك كان عمر بن عبد العزيز يفعل وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يقول الخطيه
فيه اعظم وروي عن عمر بن الخطاب قال لان اخطي سبعين خطيه يعني بغير مكه احب الي
من ان اخطي خطيه واحده بمكه وعن مجاهد قال تضاعف السيات بمكه كما تضاعف
الحسنات وقال ابن جريج بلغني ان الخطيه بمكه مايه خطيه والحسنه علي نحو ذلك وقال
اسحق بن منصور قلت لاحمد في شي من الحديث ان السيه تكتب باكثر من واحده قال
لا ما سمعنا الا بمكه لتعظيم البلد ولو ان رجلا بعدن ابين هم وقال اسحق بن راهويه
كما قال احمد وقوله لو ان رجلا بعدن ابين هم هو من قول ابن مسعود وسنذكره فيما بعد
ان شا الله تعالي وقد تضاعف السيات بشرف فاعلها وقوه معرفته بالله وقربه منه
فان من عصي السلطان علي بساطه اعظم جرما ممن عصاه علي بعد ولهذا توعد الله خاصه
عباده علي المعصيه بمضاعفه الجزا وان كان قد عصمهم منها ليبين لهم فضله عليهم بعصمتهم
من ذلك كما قال ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيا قليلا اذا لاذقناك ضعف
الحياه وضعف الممات وقال يا نسا النبي من يات منكن بفاحشه مبينه يضاعف لها العذاب
ضعفين وكان ذلك علي الله يسيرا ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نوتها
اجرها مرتين وكان علي بن الحسين يتاول في آل النبي صلي الله عليه وسلم من بني هاشم مثل ذلك
لقربهم من النبي صلي الله عليه وسلم النوع الثالث الهم بالحسنات فيكتب حسنه كامله وان لم
يعملها كما في حديث ابن عباس وغيره وفي حديث ابي هريره الذي خرجه مسلم كما تقدم اذا
تحدث عبدي بان يعمل حسنه فانا اكتبها له حسنه والظاهر ان المراد بالتحدث حديث
النفس وهو الهم وفي حديث خريم بن فاتك من هم بحسنه فلم يعملها فعلم الله انه قد اشعرها
قلبه وحرص عليها كتبت له حسنه وهذا يدل علي ان المراد بالهم هنا هو العزم المصمم الذي
يوجد معه الحرص علي العمل لا مجرد الخطره التي تخطر ثم تنفسخ من غير عزم ولا تصميم قال
ابو الدردا من اتي فراشه وهو ينوي ان يصلي من الليل فغلبته عيناه حتي يصبح كتب له
ما نوي وروي عنه مرفوعا وخرجه ابن ماجه مرفوعا قال الدارقطني المحفوظ الموقوف

روي معناه من حديث عايشه عن النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن سعيد بن المسيب قال من
هم بصلاة او صيام او حج او عمره او غزو فحيل بينه وبين ذلك بلغه الله ما نوى وقال ابو
عمران الجوني ينادي الملك اكتب لفلان كذا وكذا فيقول يا رب انه لم يعمله فيقول انه نواه
قال زيد بن اسلم كان رجل يطوف على العلما يقول من يدلني على عمل لا ازال منه لله عاملا
فاني لا احب ان ياتي علي ساعه من الليل والنهار الا وانا عامل لله عز وجل فقيل له قد وجدت
حاجتك فاعمل الخير ما استطعت فاذا فترت او تركته فهم بعمله فان الهام بعمل الخير
كعامله ومتى اقترن بالنيه قول او سعي تاكد الجزا والتحق صاحبه بالعامل كما روى ابو كبشه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما الدنيا لاربعه نفر عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه
ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقا فهذا بافضل المنازل وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه
مالا فهو صادق النيه يقول لو ان لي مالا لعملت بعمل فلان فهو بنيته فاجرهما سوا وعبد
رزقه الله مالا ولم يرزقه علما يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا
يعلم لله فيه حقا فهذا باخبث المنازل وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول لو ان
لي مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سوا خرجه الامام احمد والترمذي
وهذا لفظه وابن ماجه وقد حمل قوله فهما في الاجر سوا على استوايهما في اصل اجر العمل
دون مضاعفته فالمضاعفه يختص بها من عمل العمل دون من نواه ولم يعمله فانهما
لو استويا من كل وجه لكتب لمن هم بحسنه ولم يعملها عشر حسنات وهو خلاف النصوص
كلها ويدل على ذلك ايضا قوله تعالى فضل الله المجاهدين على القاعدين درجه وكلا وعد الله
الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات قال ابن عباس وغيره القاعدون
المفضل عليهم المجاهدون درجه هم القاعدون من اهل الاعذار النوع الرابع الهم بالسيات
من غير عمل لها ففي حديث ابن عباس انها تكتب له حسنه كامله وكذلك في حديث ابي هريره
وانس وغيرهما انها تكتب حسنه وفي حديث ابي هريره قال انما تركها من جراي يعني من اجلي
وهذا يدل على ان المراد من قدر على ما هم به من المعصيه فتركه لله عز وجل وهذا لا ريب في

انه يكتب له بذلك حسنه لان تركه للمعصيه بهذا القصد عمل صالح فاما ان هم بمعصيه ثم ترك
عملها خوفا من المخلوقين او مراياه لهم فقد قيل انه يعاقب على تركها بهذه النيه لان تقديم
خوف المخلوقين على خوف الله محرم وكذلك قصد الريا للمخلوقين محرم فاذا اقترن به ترك
المعصيه لاجله عوقب على هذا الترك وقد خرج ابو نعيم باسناد ضعيف عن ابن عباس قال يا
صاحب الذنب لا تامنن سو عاقبته ولما يتبع الذنب اعظم من الذنب اذا عملته فذكر كلاما
وقال وخوفك من الريح اذا حركت ستر بابك وانت على الذنب ولا يضطرب فوادك من
نظر الله اليك اعظم من الذنب اذا عملته وقال الفضيل ابن عياض كانوا يقولون ترك العمل
للناس ريا والعمل لهم شرك واما ان سعى في حصولها بما امكنه ثم حال بينه وبينها القدر
فقد ذكر جماعه انه يعاقب عليها حينيذ لقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز لامتي
عن ما حدثت به انفسها ما لم تكلم به او تعمل ومن سعى في حصول المعصيه جهده ثم عجز
عنها فقد عمل وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول
في النار قالوا يا رسول الله فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه وقوله ما
لم تكلم به او تعمل يدل على ان الهام بالمعصيه اذا تكلم بما هم به بلسانه انه يعاقب على الهم
حينيذ لانه قد عمل بجوارحه معصيه وهو التكلم بلسانه ويدل على ذلك الحديث الذي فيه
لو ان لي مالا لعملت فيه ما عمل فلان يعني الذي يعصي الله في ماله قال فهما في الوزر
سوا ومن المتاخرين من قال لا يعاقب على التكلم بما هم به ما لم تكن المعصيه التي هم بها قولا
محرما كالقذف والغيبه والكذب واما ما كان متعلقها العمل بالجوارح فلا ياثم
لمجرد التكلم بما هم به وهذا قد يستدل له بحديث ابي هريره المتقدم واذا تحدث بان
يعمل سيه فانا اغفرها له ما لم يعملها ولكن المراد بالحديث هنا حديث النفس جمعا
بينه وبين قوله ما لم تكلم به او تعمل وحديث ابي كبشه يدل على ذلك صريحا فان قول القايل
بلسانه لو ان لي مالا لعملت فيه بالمعاصي كما عمل فلان ليس هو العمل بالمعصيه التي هم بها وانما
اخبر عما هم به فقط مما متعلقه انفاق المال في المعاصي وليس له مال وايضا فالحديث

فالكلام بذلك محرم فكيف يكون معفوا عنه غير معاقب عليه واما ان انفسخت نيته
وفترت عزيمته من غير سبب منه فهل يعاقب على ما هم به من المعصية ام لا هذا على قسمين
احدهما ان يكون الهم بالمعصية خاطرا خطر ولم يساكنه صاحبه ولم يعقد قلبه عليه بل
كرهه ونفر منه فهذا معفو عنه وهو كالوساوس الردية التي سيل النبي صلى الله عليه وسلم عنها
فقال ذاك صريح الايمان ولما نزل قوله تعالى ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر
لمن يشا ويعذب من يشا شق ذلك على المسلمين وظنوا دخول هذه الخواطر فيه فنزلت الاية
التي بعدها وفيها قوله ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به فبينت ان ما لا طاقة لهم به فهو غير مواخذ
به ولا مكلف به وقد سمي ابن عباس وغيره ذلك نسخا ومرادهم ان هذه الاية ازالت الايهام ٢
الواقع في النفوس من الاية الاولى وبينت ان المراد بالاية الاولى العزايم المصمم عليها ومثل
هذا البيان كان السلف يسمونه نسخا القسم الثاني العزايم المصممة التي تقع في النفوس
وتدوم ويساكنها صاحبها فهذا ايضا نوعان احدهما ما كان عملا مستقلا بنفسه من اعمال
القلوب كالشك في الوحدانية او النبوة او البعث او غير ذلك من اصول الكفر والنفاق
او اعتقاد تكذيب ذلك فهذا كله يعاقب عليه العبد ويصير بذلك كافرا او منافقا وقد روي
عن ابن عباس انه حمل قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله على مثل هذا وروي
عنه حملها على كتمان الشهادة لقوله ومن يكتمها فانه اثم قلبه ويلتحق بهذا القسم سائر المعاصي
المتعلقة بالقلوب كمحبة ما يبغضه الله وبغض ما يحبه الله والكبر والعجب والحسد
وسوء الظن بالمسلم من غير موجب مع انه قد روي عن سفين انه قال في سوء الظن اذا لم يترتب
عليه قول او فعل فهو معفو عنه وكذلك روي عن الحسن انه قال في الحسد ولعل هذا
محمول من قولهما على ما يجده الانسان ولا يمكنه دفعه فهو يكرهه ويدفعه عن نفسه
ولا يندفع لا على ما يساكنه ويستروح اليه ويعيد حديث نفسه به ويبديه والنوع
الثاني ما لم يكن من اعمال القلوب بل كان من اعمال الجوارح كالزنا والسرقة وشرب الخمر
والقتل والقذف ونحو ذلك اذا اصر العبد على ارادة ذلك والعزم عليه ولم يظهر له اثر

في الخارج اصلا فهذا في المواخذة به قولان مشهوران للعلما احدهما يواخذ به قال
ابن المبارك سالت سفين الثوري ايواخذ العبد بالهمة فقال اذا كانت عزما اخذ بها
ورجح هذا القول كثير من الفقها والمحدثين والمتكلمين من اصحابنا وغيرهم واستدلوا له
بنحو قوله عز وجل واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه وقوله ولكن يواخذكم بما كسبت
قلوبكم وبنحو قول النبي صلى الله عليه وسلم الاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس
وحملوا قوله صلى الله عليه وسلم ان الله تجاوز لامتي عما حدثت به انفسها ما لم تكلم به او تعمل
على الخطرات وقالوا ما ساكنه العبد وعقد قلبه عليه فهو من كسبه وعمله فلا يكون
معفوا عنه ومن هولا من قال انه يعاقب عليه في الدنيا بالهموم والغموم وروي ذلك عن
عايشة موقوفا ومرفوعا وفي صحته نظر وقيل بل يحاسب به العبد يوم القيمة فيقفه الله
عليه ثم يعفو عنه ولا يعاقبه به فيكون عقوبته المحاسبة وهذا مروي عن ابن عباس
والربيع بن انس وهو اختيار ابن جرير واحتج له بحديث ابن عمر في النجوى وذاك ليس فيه
عموم وايضا فانه وارد في الذنوب المستورة في الدنيا لا في وساوس الصدور والقول الثاني ي
لا يواخذ بمجرد النية مطلقا ونسب ذلك الى نص الشافعي وهو قول ابن حامد من اصحابنا
عملا بالعمومات وروي العوفي عن ابن عباس ما يدل على مثل هذا القول وفيه قول ثالث انه
لا يواخذ بالهم بالمعصية الا بان يهم بارتكابها في الحرم كما روي السدي عن مرة عن عبد الله بن
مسعود قال ما من عبد يهم بخطيئة فلم يعملها فتكتب عليه ولو هم بقتل انسان عند البيت
وهو بعدن ابين اذاقه الله عذاب اليم وقرا عبد الله ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من من
عذاب اليم خرجه الامام احمد وغيره وقد رواه عن السدي شعبة وسفين فرفعه
شعبة ووقفه سفين والقول قول سفين في وقفه وقال الضحاك ان الرجل ليهم بالخطيئة
بمكة وهو بارض اخرى فتكتب عليه ولم يعملها وقد تقدم عن احمد واسحق ما يدل على مثل
هذا القول وكذا حكاه القاضي ابو يعلى عن احمد وروي احمد في رواية المروذي حديث
ابن مسعود هذا ثم قال احمد يقول من يرد فيه بالحاد الا قال احمد لو ان رجلا بعدن ابين

هم بقتل رجل في الحرم وهذا قول الله سبحانه نذقه من عذاب اليم هكذا قال ابن مسعود رحمه
الله وقد رد بعضهم هذا الى ما تقدم من المعاصي التي متعلقها القلب وقال الحرم يجب
احترامه وتعظيمه بالقلوب فالعقوبة على ترك هذا الواجب وهذا لا يصح فان حرمة
الحرم ليست باعظم من حرمة محارمه سبحانه وتعالى والعزم على معصية الله عزم على
انتهاك محارمه ولكن لو عزم على ذلك قصدا لانتهاك حرمة الحرم واستخفافا بحرمته فهذا
كما لو عزم على فعل معصية لقصد الاستخفاف بحرمة الخالق عز وجل فيكفر بذلك وانما
ينتفي الكفر عنه اذا كان همه بالمعصية لمجرد ميل شهوته وغرض نفسه مع ذهوله عن قصد
مخالفة الله والاستخفاف بنهيه وبنظره ومتى اقترن العمل بالهم فانه يعاقب عليه سوا كان
الفعل متاخرا او متقدما فمن فعل محرما مرة ثم عزم على فعله متى قدر عليه فهو مصر
على المعصية ومعاقب على هذه النية وان لم يعد الى عمله الا بعد سنين عديده وبذلك
فسر ابن المبارك وغيره الاصرار على المعصية وبكل حال فالمعصية انما تكتب بمثلها
من غير مضاعفة فتكون العقوبة على المعصية ولا ينضم اليها الهم بها اذ لو ضم الى المعصية
الهم بها لعوقب على عمل المعصية عقوبتين ولا يقال فهذا يلزم مثله في عمل الحسنة
فانه اذا عملها بعد الهم بها اثيب على الحسنة دون الهم بها لانا نقول هذا ممنوع
فان من عمل حسنة كتب له عشر امثالها فيجوز ان يكون بعض هذه الامثال جزا الهم
بالحسنة والله اعلم وقوله في حديث ابن عباس في رواية مسلم او محاها الله يعني ان عمل السيئة
اما ان يكتب لعاملها سيئة واحدة او يمحوها الله بما شا من الاسباب كالتوبة والاستغفار
وعمل الحسنات وقد سبق الكلام على ما تمحى به السيات في شرح حديث ابي ذر اتق الله
حيث ما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وقوله بعد ذلك ولا يهلك على الله الا هالك
يعني بعد هذا الفضل العظيم من الله والرحمة الواسعة منه بمضاعفة الحسنات
والتجاوز عن السيات لا يهلك على الله الا من هلك والقى بيديه الى التهلكة وتجرى على
السيات ورغب عن الحسنات واعرض عنها ولهذا قال ابن مسعود ويل لمن غلب وحدانه

عشراته وروى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس مرفوعا هلك من غلب واحده عشرا وخرج
الامام احمد وابو داود والنساي والترمذي من حديث عبد الله بن عمرو قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم خلتان لا يحصيهما عبد مسلم الا دخل الجنة وهما يسير ومن يعمل
بهما قليل يسبح الله في دبر كل صلاة عشرا ويحمده عشرا ويكبره عشرا قال فتلك خمسون
ومية باللسان والف وخمسماية في الميزان واذا اخذت مضجعك تسبحه وتكبره وتحمده
مية فتلك مية باللسان والف في الميزان فايكم يعمل في اليوم والليلة الفين وخمسماية سيية
وفي المسند عن ابي الدردا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدع احدكم ان يعمل لله الف
حسنة حين يصبح يقول سبحان الله وبحمده مية مرة فانها الف حسنة فانه لن يعمل ان شا
الله مثل ذلك في يومه من الذنوب ويكون ما عمل من خير سوى ذلك وافرا

الحديث الثامن والثلاثون عن ابي هريرة رضي الله عنه

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال من عادى لي وليا فقد اذنته بالحرب
وما تقرب الي عبدي بشي احب الي مما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى
احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله
التي يمشي بها وان سالني لاعطينه ولين استعاذني لاعيذنه رواه البخاري هذا الحديث
تفرد باخراجه البخاري من دون بقية اصحاب الكتب خرجه عن محمد بن عثمان بن كرامة نا خالد
بن مخلد نا سليمن بن بلال حدثني شريك بن عبد الله بن ابي نمر عن عطا عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث بطوله وزاد في اخره وما ترددت عن شي انا فاعله ترددي
عن نفس المومن يكره الموت وانا اكره مساته وهو من غرايب الصحيح تفرد به ابن كرامة عن خلد
وليس هو في مسند احمد مع ان خلد بن مخلد القطواني تكلم فيه الامام احمد وغيره وقالوا
له مناكير وعطا الذي في اسناده قيل انه ابن ابي رباح وقيل انه ابن يسار وانه وقع في بعض نسخ
الصحيح منسوبا كذلك وقد روي هذا الحديث من وجوه اخر لا تخلو كلها من مقال
فرواه عبد الواحد بن ميمون ابو حمزة مولى عروة بن الزبير عن عروة عن عايشة عن النبي صلى

الله عليه وسلم قال من اذى لي وليا فقد استحل محاربتي وما تقرب الي عبدي بمثل اداء فرايضي
وان عبدي ليتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت عينه التي يبصر بها ويده
التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وفواده الذي يعقل به ولسانه الذي يتكلم به ان دعاني اجبته
وان سالني اعطيته وما ترددت عن شي انا فاعله ترددي عن موته وذلك انه يكره الموت
وانا اكره مسائته خرجه بن ابي الدنيا وغيره وخرجه الامام احمد بمعناه وذكر ابن عدي
انه تفرد به عبد الواحد هذا عن عروه وعبد الواحد هذا قال فيه البخاري منكر الحديث
ولكن خرجه الطبراني نا هرون بن كامل نا سعيد بن ابي مريم نا ابرهيم بن سويد المدني حدثني
ابو حزره يعقوب بن مجاهد اخبرني عروه عن عايشه عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وهذا
اسناد جيد ورواته كلهم ثقات مخرج لهم في الصحيح سوى شيخ الطبراني فانه لا يحضرني الان
معرفة حاله ولعل الراوي قال نا ابو حمزه يعني عبد الواحد بن ميمون فخيل للسامع انه قال
ابو حزره ثم سماه من عنده بناء على وهمه والله اعلم وخرج الطبراني وغيره من روايه
عثمن ابن ابي العاتكه عن علي بن يزيد عن القسم عن ابي امامه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول
الله عز وجل من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربه ابن ادم انك لن تدرك ما عندي الا باداء
ما افترضت عليك ولا يزال عبدي يتحبب الي بالنوافل حتى احبه فاكون قلبه الذي يعقل به ولسانه
الذي ينطق به وبصره الذي يبصر به فاذا دعاني اجبته واذا سالني اعطيته واذا استنصرني
نصرته واحب عباده عبدي الي النصيحه عثمن وعلي ابن يزيد ضعيفان وقال ابو حاتم الرازي
هذا الحديث هو منكر جدا وقد روي من حديث علي عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد ضعيف
خرجه الاسمعيلي في مسند علي وروي من حديث بن عباس باسناد ضعيف خرجه الطبراني
وفيه زيادات في لفظه ورويناه من وجه اخر عن بن عباس وهو ضعيف ايضا وخرجه
الطبراني وغيره من حديث الحسن بن يحيى الخشني عن صدقه بن عبد الله الدمشقي عن هشام
الكناني عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن ربه تعالى قال من اهان لي وليا
فقد بارزني بالمحاربه وما ترددت عن شي انا فاعله ما ترددت في قبض نفس عبدي المومن يكره
فقد بارزني

الموت واكره مسائته ولا بد له منه وان من عبادي المومنين من يريد بابا من العباده فاكفه
عنه لا يدخله عجب فيفسده ذلك وما تقرب الي عبدي بمثل اداء ما افترضت عليه
ولا يزال عبدي يتنفل الي حتى احبه ومن احببته كنت له سمعا وبصرا ويدا وموئدا دعاني
فاجبته وسالني فاعطيته ونصح لي فنصحت له وان من عبادي من لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو
افقرته لافسده ذلك وان من عبادي من لا يصلح ايمانه الا الفقر وان بسطت له افسده
ذلك وان من عبادي من لا يصلح ايمانه الا الصحه ولو اسقمته لافسده ذلك وان من عبادي
من لا يصلح ايمانه الا السقم ولو اصححته لافسده ذلك اني ادبر عبادي بعلمي بما في قلوبهم
اني عليم خبير والخشني وصدقه ضعيفان وهشام لا يعرف وسيل بن معين عن هشام هذا من
هو قال لا احد يعني انه لا يعتبر به وقد خرج البزار بعض الحديث من طريق صدقه عن عبد
الكريم الجزري عن انس وخرج الطبراني من حديث الاوزاعي عن عبده بن ابي لبابه حدثني زر بن
جبيش سمعت حذيفه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اوحى الي يا اخا
المرسلين ويا اخا المنذرين انذر قومك ان لا يدخلوا بيتا من بيوتي ولاحد عندهم مظلمه
فاني العنه ما دام قايما بين يدي يصلي حتى يرد تلك الظلامه الى اهلها فاكون سمعه الذي
يسمع به واكون بصره الذي يبصر به ويكون من اوليايي واصفيايي ويكون جاري مع النبيين
والصديقين والشهدا في الجنه وهذا اسناد جيد وهو غريب جدا ولنرجع الى شرح حديث
ابي هريره الذي خرجه البخاري وقد قيل انه اشرف حديث روي في ذكر الاوليا فقوله عز
وجل من عادا لي وليا فقد اذنته بالحرب يعني فقد اعلمته باني محارب له حيث كان محاربا
لي بمعاداه اوليايي ولهذا جا في حديث عايشه فقد استحل محاربتي وفي حديث ابي امامه
وغيره فقد بارزني بالمحاربه وخرج بن ماجه باسناد ضعيف عن معاذ بن جبل سمع النبي
صلى الله عليه وسلم يقول ان يسير الريا شرك وان من عادى لله وليا فقد بارز الله بالمحاربه
وان الله يحب الابرار الاتقيا الاخفيا الذين اذا غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يدعوا ولم
يعرفوا مصابيح الهدى يخرجون من كل غبرا مظلمه فاوليا الله تجب موالاتهم ويحرم معاداتهم

مطلب حديث

كما ان اعداه تجب معاداتهم وتحرم موالاتهم قال تعالى لا تتخذوا عدوي وعدوكم اوليا وقال انما
وليكم الله ورسوله والذين امنوا الذين يقيمون الصلاة ويوتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول
الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله هم الغالبون ووصف احباه الذين يحبهم ويحبونه
بانهم اذلة على المومنين اعزة على الكافرين وروى الامام احمد في كتاب الزهد باسناده عن وهب
ابن منبه قال ان الله عز وجل قال لموسى عليه السلام حين كلمه اعلم انه من اهان لي وليا او
اخافه فقد بارزني بالمحاربة وبادانى وعرض نفسه ودعاني اليها وانا اسرع شي الى نصرة
اوليائي افيظن الذي يحاربني ان يقوم لي او يظن الذي يعازني ان يعجزني ام يظن الذي يبارزني
ان يسبقني او يفوتني وكيف وانا الثاير لهم في الدنيا والاخرة فلا اكل نصرتهم الى غيري واعلم ان
جميع المعاصي محاربة لله عز وجل قال الحسن ابن ادم هل لك بمحاربة الله من طاقة فان من عصى
الله فقد حاربه لكن كلما كان الذنب اقبح كان اشد محاربة لله ولهذا سمى الله اكلة الربا وقطاع
الطريق محاربين لله ورسوله لعظيم ظلمهم لعباده وسعيهم بالفساد في بلاده وكذلك معاداة
اوليايه فانه سبحانه يتولى نصرة اوليايه ويحبهم ويويدهم فمن عاداهم فقد عادا الله وحاربه وفي
الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا فمن اذاهم فقد
اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه خرجه الترمذي وغيره
وقوله وما تقرب الى عبدي بمثل اداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي
بالنوافل حتى احبه لما ذكر ان معاداة اوليايه محاربة له ذكر بعد ذلك وصف اوليايه الذين
تحرم معاداتهم وتجب موالاتهم فذكر ما يتقرب به اليه واصل الولاية القرب واصل
العداوة البعد فاوليا الله هم الذين يتقربون اليه بما يقربهم منه واعداوه الذين ابعدهم
عنه باعمالهم المقتضية لطردهم وابعادهم منه فقسم اولياه المتقربين اليه قسمين احدهما
من يتقرب اليه باداء الفرايض ويشمل ذلك فعل الواجبات وترك المحرمات لان ذلك
كله من فرايض الله التي افترضها على عباده والثاني من تقرب اليه بعد الفرايض بالنوافل
فظهر بذلك انه لا طريق يوصل الى التقرب الى الله وولايته ومحبته سوى طاعته التي شرعها

على لسان رسوله فمن ادعى ولاية الله والتقرب اليه ومحبته بغير هذه الطريق تبين انه
كاذب في دعواه كما كان المشركون يتقربون الى الله بعبادة من يعبدونه من دونه كما
حكى الله عنهم انهم قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وكما حكى عن اليهود والنصارى
انهم قالوا نحن ابناء الله واحباوه مع اصرارهم على تكذيب رسله وارتكاب نواهيه وترك
فرايضه فلذلك ذكر في هذا الحديث ان اوليا الله على درجتين احداهما المتقربون اليه
باداء الفرايض وهذه درجة المقتصدين اصحاب اليمين واداء الفرايض افضل الاعمال كما قال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه افضل الاعمال اداء ما افترض الله والورع عما حرم الله وصدق
النية فيما عند الله عز وجل وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته افضل العبادة اداء الفرايض
واجتناب المحارم وذلك لان الله عز وجل انما افترض على عباده هذه الفرايض ليقربهم منه
ويوجب لهم رضوانه ورحمته واعظم فرايض البدن التي تقرب اليه الصلاة كما قال تعالى واسجد
واقترب وقال النبي صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد وقال النبي صلى الله عليه وسلم
اذا كان احدكم يصلي فانما يناجي ربه او ربه بينه وبين القبلة وقال ان الله ينصب وجهه
لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت ومن الفرايض المقربة الى الله عز وجل عدل الراعي
في رعيته سوا كانت رعيته عامة كالحاكم او خاصة كعدل احاد الناس في اهله
وولده كما قال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته وفي صحيح مسلم عن عبد الله
بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن
وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم واهليهم وما ولوا وفي الترمذي عن ابي سعيد عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان احب العباد الى الله يوم القيمة وادناهم اليه مجلسا امام
عادل الدرجة الثانية درجة السابقين المقربين وهم الذين تقربوا الى الله بعد الفرايض
بالاجتهاد في نوافل الطاعات والانكفاف عن دقايق المكروهات بالورع وذلك يوجب
للعبد محبة الله كما قال ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فمن احبه الله رزقه
محبته وطاعته والاشتغال بذكره وخدمته فاوجب له ذلك القرب منه

والحظوة عنده كما قال تعالى من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم
ويحبونه اذلة على المومنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم
ذلك فضل الله يوتيه من يشا والله واسع عليم ففي هذه الاية اشارة الى ان من اعرض
عن جنابه وتولى عن قربه لم يبال به واستبدل لبابه من هو اولى بهذه المنحة منه واحق فمن
اعرض عن الله فما له من الله بدل ولله منه ابدال

ما لي شغل سواه ما لي شغل ۝ ما يصرف عن هواه قلبي عذل

ما اصنع ان جفا وخاب الامل ۝ مني بدل ومنه ما لي بدل

في بعض الاثار يقول الله عز وجل ابن ادم اطلبني تجدني فان وجدتني وجدت كل شي وان
فتك فاتك كل شي وانا احب اليك من كل شي كان ذو النون يردد هذه الابيات بالليل كثيرا

اطلبوا لانفسكم مثل ما وجدت انا

قد وجدت لي سكنا ليس في هواه عنا

ان بعدت قربني او قربت منه دنا

من فاته الله فلو حصلت له الجنة بحذافيرها لكان مغبونا فكيف اذا لم يحصل له الا نزر يسير
حقير من دار كلها لا تعدل جناح بعوضه

من فاته ان يراك يوما فكل اوقاته فوات ۝ وحيثما كنت من بلاد فلي اليك وجهك التفات

ثم ذكر اوصاف الذين يحبهم ويحبونه فقال اذلة على المومنين يعني انهم يعاملون المومنين
بالذلة واللين وخفض الجناح اعزة على الكافرين يعني انهم يعاملون الكافرين بالعزة والشدة عليهم
والاغلاظ لهم فلما احبوا الله احبوا اولياه الذين يحبونه فعاملوهم بالمحبة والرافة والرحمة
وابغضوا اعداه الذين يعادونه فعاملوهم بالشدة والغلظة كما قال اشدا على الكفار رحما
بينهم يجاهدون في سبيل الله فان من تمام المحبة مجاهدة اعدا المحبوب وايضا فالجهاد
في سبيل الله دعا للمعرضين عن الله الى الرجوع اليه بالسيف والسنان بعد دعايهم اليه
بالحجة والبرهان فالمحب لله يحب اجتلاب الخلق كلهم الى بابه فمن لم يجب الدعوة اليه باللين

والرفق

والرفق احتاج الى الدعوة بالشدة والعنف عجب ربكم من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل ولا
يخافون لومة لائم لان همّ المحب غير ما يرضى حبيبه رضي من رضي وسخط من سخط من خاف
الملامة في هوى من يحبه فليس بصادق المحبة

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي ۝ متاخر عنه ولا متقدم

اجد الملامة في هواك لذيذة ۝ حبا لذكرك فليلمني اللوم

قوله ذلك فضل الله يوتيه من يشا يعني درجة الذين يحبهم ويحبونه باوصافهم المذكورة
والله واسع عليم واسع العطا عليم بمن يستحق الفضل فيمنحه ومن لا يستحقه فيمنعه ويروى
ان داود عليه السلام كان يقول اللهم اجعلني من احبابك فانك اذا احببت عبدا غفرت
ذنبه وان كان عظيما وقبلت عمله وان كان يسيرا وكان داود عليه السلام يقول في دعايه اللهم
اني اسالك حبك وحب من يحبك وحب العمل الذي يبلغني حبك اللهم اجعل حبك احب الي من
نفسي واهلي ومن الما البارد وقال النبي صلى الله عليه وسلم اتاني ربي عز وجل يعني في المنام فقال لي يا
محمد قل اللهم اني اسالك حبك وحب من يحبك وحب العمل الذي يبلغني حبك وكان من دعايه صلى
الله عليه وسلم اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني حبه عندك اللهم ما رزقتني مما احب فاجعله
قوة لي فيما تحب اللهم ما زويت عني مما احب فاجعله فراغا لي فيما تحب وروي عنه صلى الله عليه وسلم
انه كان يدعو اللهم اجعل حبك احب الاشيا الي وخشيتك اخوف الاشيا عندي واقطع عني
حاجات الدنيا بالشوق الى لقايك واذا اقررت اعين اهل الدنيا من دنياهم فاقرر عيني من عبادتك
فاهل هذه الدرجة من المقربين ليس لهم هم الا فيما يقربهم ممن يحبهم ويحبونه قال بعض السلف
العمل على المخافة قد يغيره الرجا والعمل على المحبة لا يدخله الفتور ومن كلام بعضهم اذا سئم
البطالون من بطالتهم فلن يسام محبوك من مناجاتك وذكرك قال فرقد السبخي قرات في
بعض الكتب من احب الله لم يكن عنده شي اثر من هواه ومن احب الدنيا لم يكن عنده شي اثر من هوى
نفسه والمحب لله تعالى امير مومن على الامرا زمرته اول الزمر يوم القيمة ومجلسه اقرب
المجالس فيما هنالك والمحبة منتهى القربة والاجتهاد ولن يسام المحبون من طول اجتهادهم لله

عز وجل يحبونه ويحبون ذكره ويحببونه الي خلقه يمشون بين عباده بالنصايح ويخافون عليهم
من اعمالهم يوم تبدو الفضايح اوليك اوليا الله واحباوه واهل صفوته اوليك الذين لا راحه
لهم دون لقايه وقال فتح الموصلي المحب لا يجد مع حب الله عز وجل للدنيا لذه ولا يغفل
عن ذكر الله طرفه وقال محمد بن النضر الحارثي ما يكاد يمل القربه الي الله محب لله عز وجل وما
يكاد يسام من ذلك وقال بعضهم المحب لله طاير القلب كثير الذكر متسبب الي رضوانه
بكل سبيل يقدر عليها من الوسايل والنوافل دوبا دوبا وشوقا شوقا وانشد بعض السلف

وكن لربك ذا حب لتخدمه ان المحبين للاحباب خدام

وانشد اخر منهم
ما للمحب سوى اراده حبيبه ان المحب بكل بر يضرع

ومن اعظم ما يتقرب به الي الله من النوافل كثره تلاوه كتابه وسماعه بتدبر وتفكر وتفهم
قال خباب بن الارت رضي الله عنه لرجل تقرب الي الله ما استطعت واعلم انك لن تتقرب
اليه بشي هو احب اليه من كلامه وفي الترمذي عن ابي امامه مرفوعا ما تقرب العباد الي
الله عز وجل بمثل ما خرج منه يعني القران لا شي عند المحبين احلى من كلام محبوبهم فهو
لذه قلوبهم وغايه مطلوبهم قال عثمن رضي الله عنه لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام
ربكم وقال ابن مسعود من احب القران فهو يحب الله ورسوله قال بعض العارفين لمريد
اتحفظ القران قال لا فقال واغوثاه بالله مريد لا يحفظ القران فبما يتنعم فبما يترنم فبما
يناجي ربه عز وجل كان بعضهم يكثر تلاوه القران ثم اشتغل عنه بغيره فراي في المنام قايلا
يقول له ان كنت تزعم حبي فلم جفوت كتابي اما تاملت ما فيه من لطيف عتابي ومن ذلك
كثره ذكر الله الذي يتواطا عليه القلب واللسان وفي مسند البزار عن معاذ رضي الله عنه قال
قلت يا رسول الله اخبرني بافضل الاعمال واقربها الي الله عز وجل قال ان تموت ولسانك
رطب من ذكر الله عز وجل وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا عند
ظن عبدي وانا معه حين يذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في
ملا ذكرته في ملا خير منهم وفي حديث اخر انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه

وقال عز وجل اذكروني اذكركم ولما سمع النبي صلى الله عليه وسلم الذين يرفعون اصواتهم بالتكبير
والتهليل وهم معه في سفر قال لهم انكم لا تدعون اصم ولا غايبا انكم تدعون سميعا قريبا وهو
معكم وفي روايه وهو اقرب اليكم من اعناق رواحلكم ومن ذلك محبه اوليا الله واحبابه فيه
ومعاداه اعداه فيه وفي سنن ابي داود عن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان من
عباد الله لاناسا ما هم بانبيا ولا شهدا يغبطهم الانبيا والشهدا يوم القيمه لمكانهم من الله
عز وجل قالوا يا رسول الله من هم قال هم قوم تحابوا بروح الله على غير ارحام بينهم ولا اموال
يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون
اذا حزن الناس ثم تلى هذه الايه الا ان اوليا الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ويروى نحوه من
حديث ابي مالك الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديثه يغبطهم النبيون بقربهم
ومقعدهم من الله عز وجل وفي المسند عن عمرو بن الجموح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجد عن
العبد صريح الايمان حتى يحب لله ويبغض لله فاذا احب لله وابغض لله فقد استحق الولايه من
الله ان اوليايي من عبادي واحبايي من خلقي الذين يذكرون بذكري واذكر بذكرهم وسيل المر تعش
بم تنال المحبه قال بموالاه اوليا الله ومعاداه اعدايه واصله الموافقه وفي الزهد للامام احمد
عن عطا بن يسار قال قال موسى عليه السلام يا رب من هم اهلك الذين تظلهم في ظل عرشك قال يا
موسى هم البريه ايديهم الطاهره قلوبهم الذين يتحابون بجلالي الذين اذا ذكرت ذكروا بي
واذا ذكروا ذكرت بذكرهم الذين يسبغون الوضوء في المكاره وينيبون الي ذكري كما تنيب
النسور الي وكورها ويكلفون بحبي كما يكلف الصبي بالناس ويغضبون لمحارمي اذا استحلت
كما يغضب النمر اذا حرب قوله فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به
ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وفي بعض الروايات وقلبه الذي يعقل به ولسانه الذي
ينطق به المراد بهذا الكلام ان من اجتهد بالتقرب الي الله بالفرايض ثم بالنوافل قربه الله اليه
ورقاه من درجه الايمان الي درجه الاحسان فيصير يعبد الله على الحضور والمراقبه كانه
يراه فيمتلي قلبه بمعرفه الله ومحبته وعظمته وخوفه ومهابته واجلاله والانس به والشوق

اليه حتى يصير هذا الذي في قلبه من المعرفة مشاهداً له بعين البصيرة كما قيل

«« ساكن في القلب يعمره لست انساه فاذكره »»
«« غاب عن سمعي وعن بصري فسويدا القلب تبصره »»

قال الفضيل ابن عياض ان الله يقول كذب من ادعى محبتي ونام عني اليس كل محب يحب خلوة
حبيبه ها انا مطلع على احبابي وقد مثلوني بين اعينهم وخاطبوني على المشاهدة وكلموني
لحضوري غداً اقر اعينهم في جناني ولا يزال هذا الذي في قلوب المحبين المقربين يقوى حتى تمتلي
قلوبهم به فلا يبقى في قلوبهم غيره ولا تستطيع جوارحهم ان تنبعث الا بموافقة ما في قلوبهم
ومن كان حاله هذا قيل فيه ما بقي في قلبه الا الله والمراد معرفته ومحبته وذكره وفي هذا
المعنى الاثر الاسرائيلي المشهور يقول الله ما وسعني سماي ولا ارضي ولكن وسعني قلب عبدي
المومن وقال بعض العارفين احذروه فانه غيور لا يحب ان يرى في قلب عبده غيره وفي هذا
يقول بعضهم «« ليس للناس موضع في فوادي زاد فيه هواك حتى امتلا »» وقال اخر

«« قد صيغ قلبي على مقدار حبهم فما لحب سواهم فيه متسع »»

والى هذا المعنى اشار النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته لما قدم المدينة فقال احبوا الله من كل قلوبكم
كما ذكره ابن اسحق في سيرته فمتى امتلا القلب بعظمة الله محي ذلك من القلب كل ما سواه ولم يبق
للعبد شي من نفسه وهواه ولا ارادة الا لما يريده منه مولاه فحينيد لا ينطق العبد الا بذكره
ولا يتحرك الا بامره فان نطق نطق بالله وان سمع سمع به وان نظر نظر به وان بطش بطش به فهذا
هو المراد بقوله كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي
يمشي بها ومن اشار الى غير هذا فانما يشير الى الالحاد من الحلول او الاتحاد والله ورسوله
بريان منه ومن هنا كان بعض السلف كسليمن التيمي يرون انه لا يحسن ان يعصي الله ووصت
امراة من السلف اولادها فقالت لهم تعودوا حب الله وطاعته فان المتقين الفوا الطاعة
فاستوحشت جوارحهم من غيرها فان عرض لهم الملعون بمعصية مرت المعصية بهم محتشمة
فهم لها منكرون ومن هذا المعنى قول علي رضي الله عنه ان كنا لنرى ان شيطان عمر ليهابه ان يامره

بالخطيئة وقد اشرنا فيما سبق الى ان هذا من اسرار التوحيد الخاصة فان معنى لا اله الا
الله انه لا يؤله غيره حبا ورجاً وخوفاً وطاعة فاذا تحقق القلب بالتوحيد التام لم يبق
فيه محبة لغير ما يحبه الله ولا كراهة لغير ما يكرهه الله ومن كان كذلك لم تنبعث
جوارحه الا بطاعة الله وانما تنشا الذنوب من محبة ما يكرهه الله او كراهة ما يحبه الله
وذلك ينشا من تقديم هوى النفوس على محبة الله وخشيته وذلك يقدح في كمال التوحيد
الواجب فيقع العبد بسبب ذلك في التفريط في بعض الواجبات او ارتكاب بعض المحظورات
فاما من تحقق قلبه بتوحيد الله فلا يبقى له هم الا في الله وفيما يرضيه به وقد روي في الحديث
مرفوعاً من اصبح وهمه غير الله فليس من الله وخرجه الامام احمد من حديث ابي بن كعب موقوفاً
قال من اصبح واكبر همه غير الله فليس من الله قال بعض العارفين من اخبرك ان وليه له هم
في غيره فلا تصدقه كان داود الطاي ينادي بالليل همك عطل علي الهموم وحالف بيني وبين
السهاد وشوقي الى النظر اليك اوثق مني اللذات وحال بيني وبين الشهوات فانا في سجنك ايها
الكريم مطلوب وفي هذا يقول بعضهم ««

«« قالوا تشاغل عنا واصطفى بدلاً منا وذلك فعل الخاين السالي »»
«« وكيف اشغل قلبي عن محبتكم بغير ذكركم يا كل اشغالي »»

قوله ولين سالني لاعطينه ولين استعاذني لاعيذنه وفي الرواية الاخرى ان دعاني اجبته
وان سالني اعطيته يعني ان هذا المحبوب المقرب له عند الله منزلة خاصة تقتضي انه اذا سال
الله شيا اعطاه اياه وان استعاذ به من شي اعاذه منه وان دعاه اجابه فيصير مجاب الدعوة
لكرامته على ربه عز وجل وقد كان كثير من السلف الصالح معروفاً باجابة الدعوة وفي الصحيح
ان الربيع بنت النضر كسرت ثنية جارية فعرضوا عليهم الارش فابوا فطلبوا منهم العفو
فابوا فقضى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقصاص فقال انس ابن النضر اتكسر ثنية
الربيع والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها فرضي القوم واخذوا الارش فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله من لو اقسم على الله لابره وفي صحيح الحاكم عن انس عن النبي صلى

الله عليه وسلم قال كم من ضعيف متضعف ذي طمرين لو اقسم على الله لابره منهم البراء بن مالك
وان البراء لقي زحفا من المشركين فقال له المسلمون اقسم على ربك فقال اقسمت عليك يا رب
لما منحتنا اكتافهم والحقتني بنبيك صلى الله عليه وسلم فمنحوا اكتافهم وقتل البراء وروى ابن ابي
الدنيا باسناد له ان النعمن ابن قوقل قال يوم احد اللهم اني اقسم عليك ان اقتل فادخل
الجنه فقتل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان النعمن اقسم على الله فابره وروى ابو نعيم باسناده
عن سعد ان عبد الله بن جحش قال يوم احد يا رب اذا لقيت العدو غدا فلقني رجلا شديدا
باسه شديدا حرده اقاتله فيك ويقاتلني ثم ياخذني فيجدع انفي واذني فاذا لقيتك غدا
قلت يا عبد الله من جدع انفك واذنك فاقول فيك وفي رسولك فتقول صدقت قال
سعد فلقد رايته اخر النهار وان انفه واذنه لمعلقتان في خيط وكان سعد بن ابي
وقاص مجاب الدعوه فكذب عليه رجل فقال اللهم ان كان كاذبا فاعم بصره واطل فقره وعرضه
للفتن فاصاب الرجل ذلك كله فكان يتعرض للجواري في السكك ويقول شيخ كبير فقير مفتون
اصابتني دعوه سعد ودعا على رجل سمعه يشتم عليا فما برح من مكانه حتى جاء بعير فخبطه ١٩
بيديه ورجليه حتى قتله ونازعت امراه سعيد ابن زيد في ارض له فادعت انه اخذ منها
ارضها فقال اللهم ان كانت كاذبه فاذهب بصرها واقتلها في ارضها فعميت وبينا هي
ذات ليله تمشي في ارضها اذ وقعت في بير فيها فماتت وكان العلا بن الحضرمي في سريه
فعطشوا فصلى فقال اللهم يا عليم يا حليم يا علي يا عظيم انا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوك
فاسقنا غيثا نشرب منه ونتوضا ولا تجعل لاحد فيه نصيبا غيرنا فساروا قليلا فوجدوا
نهرا من ما السما يتدفق فشربوا وملاوا اوعيتهم ثم ساروا فرجع بعض اصحابه الى موضع
النهر فلم ير شيا وكانه لم يكن في موضعه ما قط وشكي الى انس بن مالك العطش ارض له
بالبصره فتوضا وخرج الى البريه وصلى ركعتين ودعا فجا المطر فسقى ارضه ولم يجاوز المطر
ارضه الا يسيرا واحترقت خصاص بالبصره في زمن ابي موسى الاشعري وبقي في وسطها
خص لم يحترق فقال ابو موسى لصاحب الخص ما بال خصك لم يحترق فقال اني اقسمت على

ربي ان لا يحرقه فقال ابو موسى اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في امتي رجال
طلس رؤوسهم دنس ثيابهم لو اقسموا على الله لابرهم وكان ابو مسلم الخولاني مشهورا باجابة
الدعوه فكان يمر به الظبي فيقول له الصبيان ادع الله لنا يحبس علينا هذا الظبي فيدعوا
الله فيحبسه حتى ياخذوه بايديهم ودعا على امراه افسدت عليه عشره امراته له بذهاب
بصرها فذهب بصرها في الحال فجاته فجعلت تناشده الله وتطلب اليه فرحمها
ودعا الله فرد عليها بصرها ورجعت امراته الى حالها معه وكذب رجل على مطرف
بن عبد الله بن الشخير فقال له مطرف ان كنت كاذبا فعجل الله حتفك فمات الرجل
مكانه وكان رجل من الخوارج يغشى مجلس الحسن البصري فيوذيهم فلما زاد اذاه قال
الحسن اللهم قد علمت اذاه لنا فاكفناه بما شيت فخر الرجل من قامته فما حمل الى اهله الا
ميتا على سريره وكان صلة بن اشيم في سريه فذهبت بغلته بثقلها وارتحل الناس فقام
يصلي وقال اللهم اني اقسم عليك ان ترد علي بغلتي وثقلها فجات حتى قامت بين يديه
وكان مره في بريه قفر فجاع فاستطعم الله فسمع وجبه خلفه فاذا هو بثوب او منديل فيه
دوخله رطب طري فاكل منه وبقي الثوب عند امراته معاذه العدويه وكانت من
الصالحات وكان محمد بن المنكدر في غزاه فقال له رجل من رفقايه اشتهي جبنا رطبا فقال ابن
المنكدر استطعموا الله يطعمكم فانه القادر فدعا القوم فلم يسيروا الا قليلا حتى راوا
مكتلا مخيطا فاذا هو جبن رطب فقال بعض القوم لو كان عسلا فقال ابن المنكدر
ان الذي اطعمكم جبنا ها هنا قادر على ان يطعمكم عسلا فاستطعموه فدعوا فساروا قليلا
فوجدوا ظرف عسل على الطريق فنزلوا فاكلوا وكان حبيب العجمي ابو محمد معروفا باجابه
الدعوه دعا لغلام اقرع الراس وجعل يبكي ويمسح بدموعه راس الغلام فما قام حتى اسود
شعر راسه وعاد كاحسن الناس شعرا واتى برجل زمن في محمل فدعا له فقام الرجل
على رجليه فحمل محمله على عنقه ورجع الى عياله واشترى في مجاعه طعاما كثيرا فتصدق
به على المساكين ثم خاط اكيسه فوضعها تحت فراشه ثم دعا الله فجاه اصحاب الطعام يطلبون

ثمنه فاخرج تلك الاكيسه فاذا هي مملوه دراهم فوزنها فاذا هي قدر حقوقهم فدفعها
اليهم وكان رجل يعبث به كثيرا فدعا عليه حبيب فبرص وكان مره عند مالك
بن دينار فجاء رجل فاغلظ لمالك من اجل دراهم قسمها مالك فلما طال ذلك من امره
رفع حبيب يديه الى السما فقال اللهم ان هذا قد شغلنا عن ذكرك فارحنا منه كيف
شيت فسقط الرجل على وجهه ميتا وخرج قوم غزاه في سبيل الله وكان لبعضهم حمار
فمات وارتحل اصحابه فقام فتوضا وصلي وقال اللهم اني خرجت مجاهدا في سبيلك وابتغا
مرضاتك واشهد انك تحيي الموتى وتبعث من في القبور فاحيي لي حماري ثم قام الى الحمار
فضربه فقام الحمار ينفض اذنيه فركبه ولحق اصحابه ثم باع الحمار بعد ذلك بالكوفه
وخرجت سريه في سبيل الله فاصابهم برد شديد حتى كادوا ان يهلكوا فدعوا الله عز
وجل والى جانبهم شجره عظيمه فاذا هي تلتهب نارا فجففوا ثيابهم ودفوا بها حتى طلعت
الشمس عليهم فانصرفوا وردت الشجره على هيئتها وخرج ابو قلابه حاجا فتقدم اصحابه
في يوم صايف فاصابه عطش شديد فقال اللهم انك قادر على ان تذهب عطشي من غير
قطر فاظلته سحابه فامطرت عليه حتى بلت ثوبه وذهب العطش عنه فنزل فحوض
حياضا فملاها فانتهى اليه اصحابه فشربوا وما اصاب اصحابه من ذلك المطر شي ومثل
هذا كثير جدا ويطول استقصاوه واكثر من كان مجاب الدعوه من السلف كان يصبر على
البلا ويختار ثوابه ولا يدعو لنفسه بالفرج منه وقد روي ان سعد ابن ابي وقاص كان
يدعو للناس لمعرفتهم باجابه دعوته فقيل له لو دعوت الله لبصرك وكان قد اضر فقال قضا
الله احب الي من بصري وابتلي بعضهم بالجذام فقيل له انه بلغنا انك تعرف اسم الله الاعظم
فلو سالته ان يكشف ما بك فقال يا ابن اخي انه هو الذي ابتلاني وانا اكره ان اراده وقيل
لابرهيم التيمي وهو في سجن الحجاج لو دعوت الله فقال اكره ان ادعوه ان يفرج عني ما لي
فيه اجر وكذلك سعيد بن جبير صبر على اذى الحجاج حتى قتله وكان مجاب الدعوه
وكان له ديك يقوم بالليل لصياحه الى الصلاة فلم يصح ليله في وقته فلم يقم سعيد
الصلاة

فشق عليه فقال ماله قطع الله صوته فما صاح الديك بعد ذلك فقالت له امه يا بني لا تدع
بعد هذا على شي وذكر لرابعه رجل له منزله عند الله وهو يقتات من ما يلتقطه من
المنبوذات على المزابل فقال رجل ما ضر هذا ان يدعو الله ان يغنيه عن هذا فقالت رابعه
ان اوليا الله اذا قضى لهم قضا لم يتسخطوه وكان حيوه بن شريح ضيق العيش جدا فقيل له لو
دعوت الله تعالى ان يوسع عليك فاخذ حصاه من الارض فقال اللهم اجعلها ذهبا فصارت
تبره في كفه وقال ما خير في الدنيا الا الاخره ثم قال هو اعلم بما يصلح عباده وربما دعا المومن
المجاب الدعوه بما يعلم الله الخيره له في غيره فلا يجيبه الى سواله ويعوضه عنه ما هو خير
له اما في الدنيا او في الاخره وقد تقدم في حديث انس المرفوع ان الله يقول ان من عبادي من يسالني
بابا من العباده فاكفه عنه كيلا يدخله العجب وخرج الطبراني من حديث سالم بن ابي الجعد عن
ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان من امتي من لو جا احدكم يساله دينارا لم يعطه ولو ساله
درهما لم يعطه ولو ساله فلسا لم يعطه ولو سال الله الجنه لاعطاه اياها ذو طمرين لا يوبه له
لو اقسم على الله لابره وخرجه غيره من حديث سالم مرسلا وزاد فيه ولو سال الله شيا من
الدنيا ما اعطاه الله تكرمه له وقوله وما ترددت عن شي انا فاعله ترددي عن قبض نفس
عبدي المومن يكره الموت واكره مساته المراد بهذا ان الله تعالى قضى على عباده بالموت كما قال
كل نفس ذايقه الموت والموت هو مفارقه الروح للجسد ولا يحصل ذلك الا بالم عظيم جدا وهو
اعظم الالام التي تصيب العبد في الدنيا قال عمر لكعب اخبرني عن الموت قال يا امير المومنين
هو مثل شجره كثيره الشوك في جوف ابن ادم فليس منه عرق ولا مفصل الا ورجل شديد الذراع
فهو يعالجها ينزعها فبكى عمر ولما احتضر عمرو بن العاص ساله ابنه عن صفه الموت فقال والله
لكان جنبي في تخت ولكاني اتنفس من سم ابره وكان غصن شوك يجر به من قدمي الى هامتي
وقيل لرجل عند الموت كيف تجدك قال اجدني اجتذب اجتذابا وكان الخناجر تختلفه في
جوفي وكان جوفي تنور محمي يلتهب توقدا وقيل لاخر كيف تجدك قال اجدني كان السموات
مطبقه على الارض علي واجد نفسي كانها تخرج من ثقب ابره فلما كان الموت بهذه الشده

والله تعالى قد حتمه على عباده كلهم ولا بد لهم منه وهو تعالى يكره اذى المومن ومساته فسمي
ذلك ترددًا في حق المومن فاما الانبيا عليهم السلام فلا يقبضون حتى يخيرون قال
الحسن لما كرهت الانبيا الموت هون الله عليهم بلقا الله وبكل ما احبوا من تحفة او
كرامة حتى ان نفس احدهم تنزع من بين جنبيه وهو يحب ذلك لما قد مثل له وقد قالت
عايشه ما اغبط احدًا يهون عليه الموت بعد الذي رايت من شده موت رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالت وكان عنده قدح من ما فيدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه
بالما ويقول اللهم اعني على سكرات الموت قالت وجعل يقول لا اله الا الله ان للموت
لسكرات وجا في حديث مرسل انه صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم انك تاخذ الروح من بين
العصب والقصب والانامل اللهم فاعني على الموت وهونه علي وقد كان بعض السلف
يستحب ان يجهد عند الموت كما قال عمر بن عبد العزيز ما احب ان يهون علي سكرات الموت
انه لاخر ما يكفر به عن المومن وقال النخعي كانوا يستحبون ان يجهدوا عند الموت وكان
بعضهم يخشى من تشديد الموت ان يفتتن واذا اراد الله ان يهون على العبد الموت هونه
عليه وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المومن اذا حضره الموت بشر برضوان الله
وكرامته فليس شي احب اليه مما امامه فاحب لقا الله واحب الله لقاه قال بن مسعود
اذا جا ملك الموت يقبض روح المومن قال له ان ربك يقريك السلام وقال محمد بن كعب
يقول له ملك الموت السلام عليك يا ولي الله الله يقرا عليك السلام ثم تلا الذين تتوفاهم الملايكة
طيبين يقولون سلام عليكم وقال زيد بن اسلم تاتي الملايكة المومن اذا احتضر فتقول له لا تخف
مما انت قادم عليه فيذهب الله خوفه ولا تحزن على الدنيا واهلها وابشر بالجنة
فيموت وقد جاته البشرى وخرج البزار من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله ضن بموت عبده المومن من احدكم بكريمة ماله حتى يقبضه على فراشه وقال
زيد بن اسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله عبادًا هم اهل المعافاه في الدنيا
والاخرة قال ثابت البناني ان لله عبادًا ابطن بهم في الدنيا من القتل والاوجاع

بطيل

اعمارهم والحسن ارزاقهم ويميتهم على فرشهم ويطبعهم بطابع الشهدا وخرجه بن ابي الدنيا
والطبراني مرفوعًا من وجوه ضعيفه وفي بعض الفاظها ان لله ضناين من خلقه يابيهم
عن البلا يحييهم في عافيه ويميتهم في عافيه ويدخلهم الجنه في عافيه قال بن مسعود وغيره
ان موت الفجاه تخفيف على المومن وكان ابو ثعلبه الخشني يقول اني لارجو ان لا يخنقني
الله كما اراكم تختنقون عند الموت فكان ليله في داره فسمعوه ينادي يا عبد الرحمن وكان
عبد الرحمن قد قتل مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم اتى مسجد بيته فصلى فقبض وهو ساجد وقبض
جماعه من السلف في الصلاه وهم سجود وكان بعضهم يقول لاصحابه انا لا اموت موتكم ولكن
ادعى فاجيب فكان يومًا قاعدًا مع اصحابه فقال لبيك ثم خر ميتًا وكان بعضهم جالسًا
مع اصحابه فسمعوا صوتا يقول يا فلان اجب فهذه والله اخر ساعاتك من الدنيا فوثب
وقال هذا والله حادي الموت فودع اصحابه وسلم عليهم ثم انطلق نحو الصوت وهو يقول
سلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ثم انقطع عنهم الصوت فتبعوا اثره فوجدوه ميتًا وكان
بعضهم جالسا يكتب في مصحف فوضع القلم من يده وقال ان كان موتكم هكذا فوالله انه لموت
طيب ثم سقط ميتًا وكان اخر جالسا يكتب الحديث فوضع القلم من يده ورفع يديه يدعو الله فمات

الحديث التاسع والثلاثون عن بن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الله تجاوز لي عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه حديث حسن
رواه بن ماجه والبيهقي وغيرهما هذا الحديث خرجه بن ماجه من طريق الاوزاعي عن
عطا عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم وخرجه بن حبان في صحيحه والدارقطني وعندهما
عن الاوزاعي عن عطا عن عبيد بن عمير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا اسناد صحيح
في ظاهر الامر ورواته كلهم محتج بهم في الصحيحين وقد خرجه الحاكم وقال صحيح على شرطهما كذا
قال ولكن له عله وقد انكره الامام احمد جدًا وقال ليس يروى فيه الا عن الحسن عن النبي صلى الله عليه
وسلم مرسلا وقيل لاحمد ان الوليد بن مسلم روى عن مالك عن نافع عن ابن عمر مثله فانكره ايضًا
وذكر لابي حاتم الرازي حديث الاوزاعي وحديث مالك وقيل له ان الوليد

لهيعة عن موسى بن وردان عن عقبه بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله فقال ابو حاتم
هذه احاديث منكره كلها موضوعه وقال لم يسمع الاوزاعي هذا الحديث من عطا انما سمعه
من رجل لم يسمه اتوهم انه عبد الله بن عامر او اسمعيل بن مسلم قال ولا يصح هذا الحديث
ولا يثبت اسناده قلت وقد روي عن الاوزاعي عن عطا عن عبيد بن عمير مرسلا من غير ذكر بن
عباس وروى يحيى بن سليم عن ابن جريج قال قال عطا بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله عز وجل تجاوز لامتي عن الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه خرجه الجوزجاني
وهذا المرسل اشبه وقد روي من وجه اخر عن بن عباس مرفوعا رواه مسلم بن خلد الزنجي عن
سعيد العلاف عن بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجوز لامتي عن ثلاث عن
الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه خرجه الجوزجاني وسعيد العلاف هو سعيد بن ابي صالح
قال احمد هو مكي قيل له كيف حاله قال لا ادري وما علمت احدا روى عنه غير مسلم بن خلد
قال احمد وليس هذا مرفوعا انما هو عن بن عباس قوله نقل ذلك عنه مهنا ومسلم بن خلد ضعفوه
وروي من وجه ثالث من رواية بقيه بن الوليد عن علي الهمداني عن ابي حمزه عن بن عباس مرفوعا
خرجه حرب ورواية بقيه عن مشايخه المجاهيل لا تساوي شيا وروي من وجه رابع خرجه
بن عدي من طريق عبد الرحيم بن زيد العمي عن ابيه عن سعيد بن جبير عن بن عباس عن النبي صلى الله عليه
وسلم وعبد الرحيم هذا ضعيف وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه اخر وقد تقدم ان
الوليد بن مسلم رواه عن مالك عن نافع عن بن عمر مرفوعا وصححه الحاكم وغربه وهو عند حذاق الحفاظ
باطل على مالك كما انكره الامام احمد وابو حاتم وكانا يقولان عن الوليد انه كثير الخطا ونقل ابو
عبيد الاجري عن ابي داود قال روى الوليد بن مسلم عن مالك عشره احاديث ليس لها اصل منها
عن نافع اربعه قلت والظاهر ان منها هذا الحديث والله اعلم وخرجه الجوزجاني من
روايه يزيد بن ربيعه سمعت ابا الاشعث يحدث عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله
عز وجل تجاوز عن امتي عن ثلاثه عن الخطا والنسيان وما اكرهوا عليه ويزيد بن ربيعه
ضعيف جدا وخرج ابن ابي حاتم من روايه ابي بكر الهذلي عن شهر بن حوشب عن ام الدردا

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تجاوز لامتي عن ثلاث عن الخطا والنسيان والاستكراه قال
ابو بكر فذكرت ذلك للحسن فقال اجل اما تقرا بذلك قرانا ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا وابو بكر
الهذلي متروك الحديث وخرجه بن ماجه ولكن عنده عن شهر عن ابي ذر الغفاري عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان الله تجاوز لي عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه ولم يذكر كلام الحسن
واما الحديث المرسل عن الحسن فرواه عنه هشام بن حسان ورواه منصور وعوف عن الحسن من
قوله لم يرفعه ورواه جعفر بن جسر بن الحسين عن ابيه عن الحسن عن ابي بكره مرفوعا وجعفر
وابوه ضعيفان قال محمد بن نصر المروزي ليس لهذا الحديث اسناد يحتج بمثله حكاه البيهقي وفي صحيح مسلم
عن سعيد بن جبير عن بن عباس قال لما نزل قوله تعالى ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا
قال الله قد فعلت وعن العلا عن ابيه عن ابي هريره انها لما نزلت قال نعم وليس واحد منهما مصرحا
برفعه وخرج الدارقطني من روايه بن جريج عن عطا عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله
تجاوز عن امتي ما حدثت به انفسها وما اكرهوا عليه الا ان يتكلموا به او يعملوا وهو لفظ غريب
وقد خرجه النسائي ولم يذكر الاكراه وكذا رواه بن عيينه عن مسعر عن قتاده عن زراره بن اوفى
عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم وزاد فيه وما استكرهوا عليه خرجه ابن ماجه وقد انكرت
هذه الزياده على بن عيينه ولم يتابعه عليها احد والحديث مخرج من روايه قتاده في الصحيحين والسنن
والمسانيد بدونها ولنرجع الى شرح حديث ابن عباس المرفوع فقوله ان الله تجاوز لي عن امتي
الخطا الى اخره تقديره ان الله رفع لي عن امتي الخطا وترك ذلك عنهم فان تجاوز لا يتعدى بنفسه
وقوله الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه فاما الخطا والنسيان فقد صرح القران بالتجاوز
عنهما قال تعالى ربنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطانا وقال ولا جناح عليكم فيما اخطاتم به ولكن
ما تعمدت قلوبكم وفي الصحيحين عن عمرو بن العاص سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا حكم الحاكم
فاجتهد ثم اصاب فله اجران واذا حكم فاجتهد فاخطا فله اجر وقال الحسن لولا ما ذكر الله من
امر هذين الرجلين يعني داود وسليمان لرايتوا ان القضاه قد هلكوا فانه اثنى
على هذا بعلمه وعذر هذا باجتهاده يعني قوله وداود وسليمان اذ يحكمان في

فصرح القران ايضًا بالتجاوز عنه قال تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه
مطمئن بالايمان وقال لا يتخذ المومنون الكافرين اوليا من دون المومنين ومن يفعل ذلك فليس
من الله في شي الا ان تتقوا منهم تقاه ونحن نتكلم ان شا الله تعالى في هذا الحديث في فصلين احدهما
في حكم الخطا والنسيان والثاني في حكم الاكراه الفصل الاول في حكم الخطا والنسيان الخطا
هو ان يقصد بفعله شيا فيصادف فعله غير ما قصده مثل ان يقصد قتل كافر فيصادف
قتله مسلما والنسيان ان يكون ذاكرا لشي فينساه عند الفعل وكلاهما معفو عنه بمعنى انه لا
اثم فيه ولكن رفع الاثم لا ينافي ان يترتب على نسيانه حكم كما ان من نسي الوضو وصلى ظانا انه
متطهر فلا اثم عليه بذلك ثم ان تبين انه كان قد صلى محدثا فان عليه الاعاده ولو ترك التسميه
على الوضو نسيانا وقلنا بوجوبها فهل تجب عليه اعاده الوضو فيه روايتان عن الامام احمد
وكذا لو ترك التسميه على الذبيحه نسيانا فيه عنه روايتان واكثر الفقها على انها توكل ولو
ترك الصلاه نسيانا ثم ذكر فان عليه القضا كما قال صلى الله عليه وسلم من نام عن صلاه او نسيها
فليصلها اذا ذكرها لا كفاره لها الا ذلك ثم تلى اقم الصلاه لذكري ولو صلى حاملا في صلاته نجاسه
لا يعفى عنها ثم علم بها بعد صلاته او في اثنائها فازالها فهل يعيد صلاته ام لا فيه قولان
هما روايتان عن احمد وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خلع نعليه في صلاته واتمها وقال
ان جبريل اخبرني ان فيهما اذى ولم يعد صلاته ولو تكلم في صلاته ناسيا انه في صلاه ففي
بطلان صلاته بذلك قولان مشهوران هما روايتان عن احمد ومذهب الشافعي انها لا
تبطل بذلك ولو اكل في صومه ناسيا فالاكثرون على انه لا يبطل صيامه عملا بقوله صلى الله
عليه وسلم من اكل او شرب ناسيا فليتم صومه فانما اطعمه الله وسقاه وقال مالك عليه الاعاده
لانه بمنزله من ترك الصيام ناسيا والجمهور يقولون قد اتى بنيه الصيام وانما ارتكب بعض
محظوراته ناسيا فيعفى عنه ولو جامع ناسيا فهل حكمه حكم الاكل ناسيا ام لا فيه قولان احدهما
وهو المشهور عن احمد انه يبطل صيامه بذلك وعليه القضا وفي الكفاره عنه روايتان
احدهما لا يبطل صومه بذلك كالاكل وهو مذهب الشافعي وحكي روايه عن احمد وكذا الخلاف

في الجماع في الاحرام ناسيا هل يبطل به النسك ام لا ولو حلف لا يفعل شيا ففعله ناسيا
ليمينه او مخطيا ظانا انه غير المحلوف عليه فهل يحنث في يمينه ام لا فيه ثلاثه اقوال
هي ثلاث روايات عن احمد احدها لا يحنث بكل حال ولو كانت اليمين بالطلاق والعتاق
وانكر هذه الروايه عن احمد الخلال وقال هي سهو من ناقلها وهو قول الشافعي في احد قوليه
واسحق وابي ثور وابن ابي شيبه وروي عن عطا قال اسحق ويستحلف انه كان ناسيا ليمينه
والثاني يحنث بكل حال وهو قول جماعه من السلف ومالك والثالث يفرق بين ان
يكون يمينه بطلاق او عتاق او بغيرهما وهو المشهور عن احمد وقول ابي عبيد وكذا قال
الاوزاعي في الطلاق وقال انما الحديث الذي جا في العفو عن الخطا والنسيان ما دام ناسيا
واقام على امراته فلا اثم عليه فاذا ذكر فعليه اعتزال امراته فان نسيانه قد زال
وحكى ابرهيم الحربي اجماع التابعين على وقوع الطلاق بالناسي ولو قتل مومنا خطا فان عليه
الكفاره والديه بنص الكتاب وكذا لو اتلف مال غيره خطا يظنه انه لنفسه وكذا قال
الجمهور في المحرم يقتل الصيد خطا او ناسيا لاحرامه ان عليه جزاه ومنهم من قال لا جزا
عليه الا ان يكون متعمدا لقتله تمسكا بظاهر قوله عز وجل ومن قتله منكم متعمدا
فجزا مثل ما قتل من النعم الايه وهو روايه عن احمد واجاب الجمهور عن الايه بانه رتب على
قتله متعمدا الجزا وانتقام الله عز وجل ومجموعهما مختص بالعامد فاذا انتفى العمد
انتفى الانتقام وبقي الجزا ثابتا بدليل اخر والاظهر والله اعلم ان الناسي والمخطي انما عفي عنهما
بمعنى رفع الاثم عنهما لان الاثم مرتب على المقاصد والنيات والناسي والمخطي لا قصد لهما
فلا اثم عليهما واما رفع الاحكام عنهما فليس مرادا من هذه النصوص فيحتاج في ثبوتها
ونفيها الى دليل اخر والفصل الثاني في حكم المكره وهو نوعان احدهما من لا اختيار له
بالكليه ولا قدره له على الامتناع كمن حمل كرها وادخل الى مكان حلف على الامتناع
من دخوله او حمل كرها وضرب به غيره حتى مات ذلك الغير ولا قدره له على الامتناع
او اضجعت المراه ثم زني بها من غير قدره لها على الامتناع فهذا لا اثم عليه بالاتفاق ولا

هذا قول جمهور العلما وهو قول مالك والشافعي واحمد وفرق ابو حنيفه بين ما يقبل الفسخ
عنده ويثبت فيه الخيار كالبيع ونحوه فقال لا يلزم مع الاكراه وما ليس كذلك كالنكاح
والطلاق والعتاق والايمان فالزم بها مع الاكراه ولو حلف لا يفعل شيا ففعله مكرها فعلي
قول ابي حنيفه يحنث واما علي قول الجمهور ففيه قولان احدهما لا يحنث كما لا يحنث اذا فعل
به ذلك كرها ولم يقدر علي الامتناع كما سبق وهذا قول الاكثرين منهم والثاني يحنث هاهنا
لانه فعله باختياره بخلاف ما اذا حمل ولم يمكنه الامتناع وهو روايه عن احمد وقول
للشافعي ومن اصحابه وهو القفال من فرق بين اليمين بالطلاق والعتاق وغيرهما كما قلنا
نحن في الناسي وخرجه بعض اصحابنا وجها لنا ولو اكره علي اداء ماله بغير حق فباع عقاره
ليودي ثمنه فهل يصح الشرا منه ام لا فيه روايتان عن احمد وعنه روايه ثالثه ان باعه
بثمن المثل اشتري منه وان باعه بدونه لم يشتر منه ومتى رضي المكره بما اكره عليه لحدوث
رغبه له فيه بعد الاكراه والاكراه قايم صح ما صدر منه من العقود وغيرها بهذا القصد
هذا هو المشهور عند اصحابنا وفيه وجه اخر انه لا يصح ايضا وفيه بعد واما الاكراه
بحق فهو غير مانع من لزوم ما اكره عليه فلو اكره الحربي علي الاسلام فاسلم صح اسلامه وكذا
لو اكره الحاكم احدا علي بيع ماله ليوفي دينه او اكره المولي بعد مده الايلا وامتناعه من
الفيئه علي الطلاق ولو حلف لا يوفي دينه فاكرهه الحاكم علي وفايه فانه يحنث بذلك
لانه فعل ما حلف عليه حقيقه علي وجه لا يعذر فيه ذكره اصحابنا بخلاف ما اذا
امتنع من الوفا فادى عنه الحاكم فانه لا يحنث لانه لم يوجد منه فعل المحلوف عليه

الحديث الاربعون عن ابن عمر رضي الله عنهما

قال اخذ رسول الله صلي الله عليه وسلم بمنكبي فقال كن في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل
وكان ابن عمر يقول اذا امسيت فلا تنتظر الصباح واذا اصبحت فلا تنتظر المسا وخذ من
صحتك لمرضك ومن حيوتك لموتك رواه البخاري هذا الحديث خرجه البخاري
عن علي بن المديني ثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوي ثنا الاعمش حدثني مجاهد وقالوا هي غير

ثابته وانكروها علي ابن المديني وقالوا لم يسمع الاعمش هذا الحديث من مجاهد انما
سمعه من ليث ابن ابي سليم عنه وقد ذكر ذلك العقيلي وغيره وخرجه الترمذي من حديث
ليث عن مجاهد وزاد فيه وعد نفسك من اهل القبور وزاد في كلام ابن عمر فانك لا تدري
يا عبد الله ما اسمك غدا وخرجه ابن ماجه ولم يذكر قول ابن عمر وخرج الامام احمد والنسائي
من حديث الاوزاعي عن عبده بن ابي لبابه عن ابن عمر قال اخذ النبي صلي الله عليه وسلم ببعض
جسدي فقال اعبد الله كانك تراه وكن في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل وعبده بن
ابي لبابه ادرك ابن عمر واختلف في سماعه منه وهذا الحديث اصل في قصر الامل في الدنيا
وان المومن لا ينبغي له ان يتخذ الدنيا وطنا ومسكنا فيطمين فيها ولكن ينبغي ان يكون فيها
كانه علي جناح سفر يهيي جهازه للرحيل وقد اتفقت علي ذلك وصايا الانبيا واتباعهم قال
تعالي حاكيا عن مومن ال فرعون انه قال يا قوم انما هذه الحياه الدنيا متاع وان الاخره
هي دار القرار وكان النبي صلي الله عليه وسلم يقول ما لي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب
قال في ظل شجره ثم راح وتركها ومن وصايا المسيح عليه السلام لاصحابه انه قال لهم اعبروها
ولا تعمروها وروي عنه انه قال من ذا الذي يبني علي موج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها
قرارا ودخل رجل علي ابي ذر فجعل يقلب بصره في بيته فقال يا ابا ذر اين متاعكم قال ان لنا
بيتا نوجه اليه قال انه لا بد لك من متاع ما دمت هاهنا قال ان صاحب المنزل
لا يدعنا فيه ودخلوا علي بعض الصالحين فقلبوا بصرهم في بيته فقالوا له انا نرى بيتك
بيت رجل مرتحل فقال امرتحل لا ولكن اطرد طردا وكان علي بن ابي طالب رضي الله عنه
يقول ان الدنيا قد ارتحلت مدبره وان الاخره قد ارتحلت مقبله ولكل منهما بنون
فكونوا من ابنا الاخره ولا تكونوا من ابنا الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب
ولا عمل قال بعض الحكما عجبت ممن الدنيا موليه عنه والاخره مقبله اليه يشتغل بالمدبره
ويعرض عن المقبله وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته ان الدنيا ليست بدار قراركم كتب
الله عليها الفنا وكتب على اهلها منها الظعن فكم من عامر موثق عن قليل يخرب

هذا قول جمهور العلما وهو قول مالك والشافعي واحمد وفرق ابو حنيفه بين ما يقبل الفسخ
عنده ويثبت فيه الخيار كالبيع ونحوه فقال لا يلزم مع الاكراه وما ليس كذلك كالنكاح
والطلاق والعتاق والايمان فالزم بها مع الاكراه ولو حلف لا يفعل شيا ففعله مكرها فعلي
قول ابي حنيفه يحنث واما علي قول الجمهور ففيه قولان احدهما لا يحنث كما لا يحنث اذا فعل
به ذلك كرها ولم يقدر علي الامتناع كما سبق وهذا قول الاكثرين منهم والثاني يحنث ها هنا
لانه فعله باختياره بخلاف ما اذا حمل ولم يمكنه الامتناع وهو روايه عن احمد وقول
للشافعي ومن اصحابه وهو القفال من فرق بين اليمين بالطلاق والعتاق وغيرهما كما قلنا
نحن في الناسي وخرجه بعض اصحابنا وجها لنا ولو اكره علي اداء ماله بغير حق فباع عقاره
ليودي ثمنه فهل يصح الشرا منه ام لا فيه روايتان عن احمد وعنه روايه ثالثه ان باعه
بثمن المثل اشتري منه وان باعه بدونه لم يشتر منه ومتي رضي المكره بما اكره عليه لحدوث
رغبه له فيه بعد الاكراه والاكراه قايم صح ما صدر منه من العقود وغيرها بهذا القصد
هذا هو المشهور عند اصحابنا وفيه وجه اخر انه لا يصح ايضا وفيه بعد واما الاكراه
بحق فهو غير مانع من لزوم ما اكره عليه فلو اكره الحربي علي الاسلام فاسلم صح اسلامه وكذا
لو اكره الحاكم احدا علي بيع ماله ليوفي دينه او اكره المولي بعد مده الايلا وامتناعه من
الفيه علي الطلاق ولو حلف لا يوفي دينه فاكرهه الحاكم علي وفايه فانه يحنث بذلك
لانه فعل ما حلف عليه حقيقه علي وجه لا يعذر فيه ذكره اصحابنا بخلاف ما اذا
امتنع من الوفا فادي عند الحاكم فانه لا يحنث لانه لم يوجد منه فعل المحلوف عليه

الحديث الاربعون عن ابن عمر رضي الله عنهما

قال اخذ رسول الله صلي الله عليه وسلم بمنكبي فقال كن في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل
وكان ابن عمر يقول اذا امسيت فلا تنتظر الصباح واذا اصبحت فلا تنتظر المسا وخذ من
صحتك لمرضك ومن حيوتك لموتك رواه البخاري **هذا الحديث** خرجه البخاري
عن علي بن المديني ثنا محمد ابن عبد الرحمن الطفاوي ثنا الاعمش حدثني مجاهد وقالوا هي غير

ثابته وانكرها علي ابن المديني وقالوا لم يسمع الاعمش هذا الحديث من مجاهد انما
سمعه من ليث ابن ابي سليم عنه وقد ذكر ذلك العقيلي وغيره وخرجه الترمذي من حديث
ليث عن مجاهد وزاد فيه وعد نفسك من اهل القبور وزاد في كلام ابن عمر فانك لا تدري
يا عبد الله ما اسمك غدا وخرجه ابن ماجه ولم يذكر قول ابن عمر وخرج الامام احمد والنساءي
من حديث الاوزاعي عن عبده بن ابي لبابه عن ابن عمر قال اخذ النبي صلي الله عليه وسلم ببعض
جسدي فقال اعبد الله كانك تراه وكن في الدنيا كانك غريب وعابر سبيل وعبده بن
ابي لبابه ادرك ابن عمر واختلف في سماعه منه وهذا الحديث اصل في قصر الامل في الدنيا
وان المومن لا ينبغي له ان يتخذ الدنيا وطنا ومسكنا فيطمين فيها ولكن ينبغي ان يكون فيها
كانه علي جناح سفر يهيي جهازه للرحيل وقد اتفقت علي ذلك وصايا الانبيا واتباعهم قال
تعالي حاكيا عن مومن ال فرعون انه قال يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الاخره
هي دار القرار وكان النبي صلي الله عليه وسلم يقول ما لي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب
قال في ظل شجره ثم راح وتركها ومن وصايا المسيح عليه السلام لاصحابه انه قال لهم اعبروها
ولا تعمروها وروي عنه انه قال من ذا الذي يبني علي موج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها
قرارا ودخل رجل علي ابي ذر فجعل يقلب بصره في بيته فقال يا ابا ذر اين متاعكم قال ان لنا
بيتا نوجه اليه قال انه لا بد لك من متاع ما دمت ها هنا قال ان صاحب المنزل
لا يدعنا فيه ودخلوا علي بعض الصالحين فقلبوا بصرهم في بيته فقالوا له انا نري بيتك
بيت رجل مرتحل فقال امرتحل لا ولكن اطرد طردا وكان علي بن ابي طالب رضي الله عنه
يقول ان الدنيا قد ارتحلت مدبره وان الاخره قد ارتحلت مقبله ولكل منهما بنون
فكونوا من ابنا الاخره ولا تكونوا من ابنا الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب
ولا عمل قال بعض الحكما عجبت ممن الدنيا موليه عنه والاخره مقبله اليه يشتغل بالمدبره
ويعرض عن المقبله وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته ان الدنيا ليست بدار قراركم قد كتب
الله عليها الفنا وكتب علي اهلها منها الظعن فكم من عامر موثق عن قليل يخرب

من مقيم مغتبط عما قليل يظعن فاحسنوا رحمكم الله منها الرحله باحسن ما بحضرتكم من
النقله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واذا لم تكن الدنيا للمومن دار اقامه ولا وطنا
فينبغي ان يكون حاله فيها على احد حالين اما ان يكون كانه غريب مقيم في بلد غربه همه
التزود للرجوع الى وطنه او يكون كانه مسافر غير مقيم البته بل هو ليله ونهاره يسير
الى بلد الاقامه فلهذا وصى النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمر ان يكون في الدنيا على احد هذين
الحالين فاحدهما ان ينزل المومن نفسه كانه غريب في الدنيا فيتخيل الاقامه لكن في
بلد غربة فهو غير متعلق القلب ببلد الغربه بل قلبه متعلق بوطنه الذي يرجع اليه
وانما هو مقيم في الدنيا ليقضي مرمة جهازه الى الرجوع الى وطنه قال الفضيل بن عياض
المومن في الدنيا مهموم حزين همه مرمة جهازه ومن كان في الدنيا كذلك فلا همه
له الا في التزود بما ينفعه عند عوده الى وطنه ولا ينافس اهل البلد الذي هو غريب
بينهم في عزهم ولا يجزع من الذل عندهم قال الحسن المومن في الدنيا كالغريب لا يجزع من
ذلها ولا ينافس في عزها له شان وللناس شان لما خلق ادم اسكن هو وزوجه الجنة ثم
اهبطا منها ووعدا الرجوع اليها وصالح ذريتهما فالمومن ابدا يحن الى وطنه الاول
وحب الوطن من الايمان وكما قيل ،، وكم منزل للمرء يالفه الفتى وحنينه ابدا لاول منزل ،،
ولبعض شيوخنا ،، فحي على جنات عدن فانها منازلك الاولى وفيها المخيم ،،
،، ولكننا سبي العدو فهل ترى نعود الى اوطاننا ونسلم ،،
،، وقد زعموا ان الغريب اذا نأى وشطت به اوطانه فهو مغرم ،،
،، واي اغتراب فوق غربتنا التي لها اضحت الاعدا فينا تحكم ،،
كان عطا السلمي يقول في دعايه اللهم ارحم في الدنيا غربتي وارحم في القبور وحشتي وارحم
موقفي غدا بين يديك قال الحسن بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انما
مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كقوم سلكوا مفازة غبرا حتى اذا لم يدروا ما سلكوا منها اكثر او ما
بقي انفذوا الزاد وحسروا الظهر وبقوا بين ظهراني المفازه لا زاد ولا حموله فايقنوا بالهلكة

فبينا هم كذلك اذ خرج عليهم رجل في حلة يقطر راسه فقالوا ان هذا قريب عهد
بريف وما جاكم هذا الا من قريب فلما انتهى اليهم قال على ما انتم قالوا على ما ترى قال
ارايتكم ان هديتكم الى ماء رواء ورياض خضر ما تعملون قالوا لا نعصيك شيا قال عهودكم
ومواثيقكم بالله قال فاعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله لا يعصونه شيا قال فاوردهم
ماء ورياضا خضرا قال فمكث فيهم ما شا الله ثم قال يا هولا الرحيل قالوا الى اين
قال الى ماء ليس كمايكم والى رياض ليس كرياضكم فقال جل القوم وهم اكثرهم والله ما وجدنا
هذا حتى ظننا ان لن نجده وما نصنع بعيش خير من هذا وقالت طايفه وهم اقلهم الم تعطوا
هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله لا تعصونه شيا وقد صدقكم في اول حديثه فوالله
ليصدقنكم في اخره قال فراح فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم فبدرهم عدو فاصبحوا من
بين اسير وقتيل خرجه ابن ابي الدنيا وخرجه الامام احمد من حديث علي بن زيد بن جدعان
عن يوسف بن مهران عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه مختصرا فهذا المثل
في غايه المطابقه لحال النبي صلى الله عليه وسلم مع امته فانه اتاهم والعرب حينيذ اذل
الناس واقلهم واسواهم عيشا في الدنيا وحالا في الاخره فدعاهم الى سلوك طريق النجاه
وظهر لهم من براهين صدقه كما ظهر من صدق الذي جا الى القوم الذين في المفازة وقد
نفد ماوهم وهلك ظهرهم برويته في حله مترجلا يقطر راسه ما ودلهم على الماء والرياض
المعشبة فاستدلوا بهيته وحاله على صدق مقاله فاتبعوه ووعد من اتبعه
بفتح بلاد فارس والروم واخذ كنوزهما وحذرهم من الاغترار بذلك والوقوف معه
وامرهم بالتجزي من الدنيا بالبلاغ وبالجد والاجتهاد في طلب الاخرة والاستعداد
لها فوجدوا ما وعدهم به كله حقا فلما فتحت عليهم الدنيا كما وعدهم بها اشتغل اكثر الناس
بجمعها واكتنازها والمنافسة فيها ورضوا بالاقامه فيها والتمتع بشهواتها وتركوا الاستعداد
للاخرة التي امرهم بالجد والاجتهاد في طلبها وقبل قليل من الناس وصيته في الاجتهاد
في طلب الاخره والاستعداد لها فهذه الطايفة القليلة نجت ولحقت بنبيها

في الاخره حيث سلكت طريقه في الدنيا وقبلت وصيته وامتثلت ما امر به واما اكثر
الناس فلم يزالوا في سكرة الدنيا والتكاثر فيها فشغلهم ذلك عن الاخره حتى فاجاهم الموت
بغتة على هذه الغره فهلكوا واصبحوا ما بين اسير وقتيل وما احسن قول يحيى ابن
معاذ الدنيا خمر الشيطان من سكر منها لم يفق الا في عسكر الموتى نادما مع الخاسرين
الحال الثاني ان ينزل المومن نفسه في الدنيا كانه مسافر غير مقيم البته وانما هو
سائر في قطع منازل السفر حتى ينتهي به السفر الى اخره وهو الموت ومن كانت هذه
حاله في الدنيا فهمته تحصيل الزاد للسفر وليس له همة في الاستكثار من متاع الدنيا
ولهذا وصى النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من اصحابه ان يكون بلاغهم من الدنيا كزاد الراكب
قيل لمحمد بن واسع كيف اصبحت قال ما ظنك برجل يرتحل الى الاخره كل يوم مرحلة
وقال الحسن انما انت ايام كلما مضى يوم مضى بعضك وقال ابن ادم انما انت بين مطيتين
يوضعانك يوضعك النهار الى الليل والليل الى النهار حتى يسلمانك الى الاخره فمن اعظم منك
يا ابن ادم خطرا وقال الموت معقود في نواصيكم والدنيا تطوى من ورايكم قال داود
الطاي انما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحله مرحله حتى ينتهي ذلك بهم الى اخر
سفرهم فان استطعت ان تقدم في كل مرحله زادا لما بين يديها فافعل فان انقطاع السفر
عن قريب ما هو والامر اعجل من ذلك فتزود لسفرك واقض ما انت قاض من امرك
فكانك بالامر قد بغتك وكتب بعض السلف الى اخ له يا اخي يخيل لك انك مقيم بل انت
دايب السير تساق مع ذلك سوقا حثيثا الموت موجه اليك والدنيا تطوى من ورايك

وما مضى من عمرك فليس بكار عليك حتى يكر عليك يوم التغابن
سبيلك في الدنيا سبيل مسافر ولا بد من زاد لكل مسافر
ولا بد للانسان من حمل عدة ولا سيما ان خاف صوله قاهر

قال الحكما كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره وشهره يهدم سنته وسنته تهدم عمره
كيف يفرح من يقوده عمره الى اجله وتقوده حياته الى موته وقال الفضيل بن

عياض لرجل كم اتت عليك قال ستون سنه قال فانت منذ ستين سنه تسير
الى ربك يوشك ان تبلغ فقال الرجل انا لله وانا اليه راجعون فقال الفضيل اتعرف
تفسيره تقول انا لله وانا اليه راجعون فمن علم انه لله عبد وانه اليه راجع فليعلم انه موقوف
ومن علم انه موقوف فليعلم انه مسوول ومن علم انه مسوول فليعد للسوال جوابا
فقال الرجل فما الحيله قال يسيره قال ما هي قال تحسن فيما بقي يغفر لك ما مضى فانك
ان اسات فيما بقي اخذت بما مضى وبما بقي وفي هذا يقول بعضهم

وان امرا قد سار ستين حجة الى منهل من ورده لقريب

قال بعض الحكما من كانت الايام والليالي مطاياه سارت به وان لم يسر وفي هذا قال بعضهم

وما هذه الايام الا مراحل يحث بها داع الى الموت قاصد
واعجب شي لو تاملت انها منازل تطوى والمسافر قاعد

وقال اخر

ايا ويح نفسي من نهار يقودها الى عسكر الموت وليل يذودها

قال الحسن لم يزل الليل والنهار سريعين في نقص الاعمار وتقريب الاجال هيهات قد صحبنا
نوحا وعادا وثمودا وقرونا بين ذلك كثيرا فاصبحوا اقدموا على ربهم ووردوا على اعمالهم
واصبح الليل والنهار غضين جديدين لم يبلهما ما مرا به مستعدين لمن بقي بمثل ما اصابا به من
مضى وكتب الاوزاعي الى اخ له اما بعد فقد احيط بك من كل جانب واعلم انه يسار بك
في كل يوم وليله فاحذر الله والمقام بين يديه وان يكون اخر عهدك به والسلام

نسير الى الاجال في كل لحظة وايامنا تطوى وهن مراحل
ولم ار مثل الموت حقا كانه اذا ما تخطته الاماني باطل
وما اقبح التفريط في زمن الصبى فكيف به والشيب للراس شامل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى فعمرك ايام وهن قلايل

واما وصيه ابن عمر رضي الله عنهما فهي ماخوذه من هذا الحديث الذي رواه وهي
متضمنه لنهايه قصر الامل وان الانسان اذا امسى لم ينتظر الصباح واذا اصبح لم

المسنا بل يظن ان اجله يدركه قبل ذلك وبهذا فسر غير واحد من العلماء الزهد في
الدنيا قال المروذي قلت لابي عبد الله يعني احمد اي شي الزهد في الدنيا قال قصر الامل
من اذا اصبح يقول لا امسي قال وهكذا قال سفين قيل لابي عبد الله باي شي نستعين
علي قصر الامل قال ما ندري انما هو توفيق قال الحسن اجتمع ثلاثه من العلما فقالوا لاحدهم
ما املك قال ما اتي علي شهر الا ظننت اني ساموت فيه قال فقال صاحباه ان هذا
لامل فقالا له فما املك قال ما اتت علي جمعه الا ظننت اني ساموت فيها قال صاحباه
ان هذا لامل فقالا للاخر فما املك قال ما امل من نفسه في يد غيره قال داود الطاي
سالت عطوان بن عمرو التيمي قلت ما قصر الامل قال ما بين تردد النفس فحدثت بذلك
الفضيل ابن عياض فبكي وقال يقول يتنفس فيخاف ان يموت قبل ان ينقطع نفسه لقد كان
عطوان من الموت علي حذر وقال بعض السلف ما نمت نومه قط فحدثت نفسي اني استيقظ
منه وكان حبيب ابو محمد يوصي كل يوم بما يوصي به المحتضر عند موته من تغسيله ونحوه
وكان يبكي كلما اصبح او امسي فسيلت امراته عن بكايه فقالت يخاف والله اذا امسي ان لا
يصبح واذا اصبح ان لا يمسي وكان محمد بن واسع اذا اراد ان ينام قال لاهله استودعكم الله
فلعلها ان تكون منيتي التي لا اقوم منها فكان هذا دابه اذا اراد النوم وقال بكر المزني ان
استطاع احدكم ان لا يبيت الا وعهده عند راسه مكتوب فليفعل فانه لا يدري لعله
ان يبيت في اهل الدنيا ويصبح في اهل الاخره وكان اويس اذا قيل له كيف الزمان عليك قال
كيف الزمان علي رجل ان امسي ظن انه لا يصبح وان اصبح ظن انه لا يمسي فيبشر بالجنه او النار
وقال عون ابن عبد الله ما انزل الموت كنه منزلته من عد غدا من اجله كم من مستقبل
يوما لا يستكمله وكم من مومل لغد لا يدركه انكم لو رايتم الاجل ومسيره لابغضتم الامل
وغروره وكان يقول ان من انفع ايام المومن له في الدنيا ما ظن انه لا يدرك اخره وكانت امراه
متعبده بمكه اذا امست قالت يا نفسي الليله ليلتك لا ليله لك غيرها فاجتهدت
وقال بكر المزني اذا اردت ان تنفعك صلاتك فقل لعلي لا اصلي غيرها

ان تنفعك صلاتك فقل لعلي لا اصلي غيرها وهذا ماخوذ مما روي عن النبي صلي الله عليه
وسلم انه قال صل صلاه مودع واقام معروف الكرخي الصلاه ثم قال لرجل تقدم فصل بنا
فقال الرجل اني ان صليت بكم هذه الصلاه لم اصل بكم غيرها فقال معروف وانت تحدث
نفسك انك تصلي صلاه اخري نعوذ بالله من طول الامل فانه يمنع خير العمل وطرق بعضهم
باب اخ له يسال عنه فقيل ليس هو في البيت فقال متي يرجع فقالت له جاريه من البيت
من كانت نفسه في يد غيره من يعلم متي يرجع ولابي العتاهيه من جمله ابيات
وما ادري وان املت عمرا لعلي حين اصبح لست امسي ٥ الم تر ان كل صباح كل يوم وعمرك فيه اقصر منه امس ٥
وهذا البيت الثاني اخذه مما روي عن ابي الدردا والحسن انهما قالا ابن ادم انك لم تزل في هدم
عمرك منذ سقطت من بطن امك ومما انشده بعض السلف
انا لنفرح بالايام نقطعها وكل يوم مضي يدني من الاجل
فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهدا فانما الربح والخسران في العمل
وقوله خذ من صحتك لسقمك ومن حياتك لموتك يعني اغتنم الاعمال الصالحه في الصحه قبل ان يحول
بينك وبينها السقم وفي الحياه قبل ان يحول بينك وبينها الموت وفي روايه فانك يا عبد الله لا
تدري ما اسمك غدا يعني لعلك غدا من الاموات دون الاحيا وقد روي معني هذه الوصيه عن
النبي صلي الله عليه وسلم قال نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحه والفراغ وفي صحيح الحاكم عن ابن
عباس ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل
هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وقال
غنيم ابن قيس كنا نتواعظ في اول الاسلام ابن ادم اعمل في فراغك قبل شغلك وفي شبابك لكبرك وفي صحتك
لمرضك وفي دنياك لاخرتك وفي حيوتك لموتك وفي صحيح مسلم عن ابي هريره عن النبي صلي الله عليه وسلم قال
بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها او الدخان او الدجال او الدابه او خاصه احدكم
او امر العامه وفي الترمذي عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال سبعا هل تنتظرون
الا الي فقر منس او غني مطغ او مرض مفسد او هرم مفند او موت مجهز او الدجال فشر غايب ينتظر

او الساعة فالساعة ادهى وامر والمراد من هذا ان هذه الاشيا كلها تعوق عن الاعمال
فبعضها يشغل عنه اما في خاصة الانسان كفقره وغناه ومرضه وهرمه وموته وبعضها عام
كقيام الساعة وخروج الدجال وكذلك الفتن المزعجة كما جا في حديث اخر بادروا بالاعمال
فتنا كقطع الليل المظلم وبعض هذه الامور العامة لا ينفع بعدها عمل كما قال تعالى يوم ياتي
بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا وفي
الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من
مغربها فاذا طلعت وراها الناس امنوا اجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من
قبل او كسبت في ايمانها خيرا وفي صحيح مسلم عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث اذا خرجن
لم ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال
ودابة الارض وفيه ايضا عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل ان تطلع الشمس من مغربها
تاب الله عليه وعن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب
مسي النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسي الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وخرج الامام احمد والنسائي
والترمذي وابن ماجه من حديث صفوان بن عسال عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله فتح بابا قبل
المغرب عرضه سبعون عاما للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه وفي المسند عن عبد الرحمن بن
عوف وعبد الله بن عمرو ومعوية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع
الشمس من المغرب فاذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفي الناس العمل وروي عن عايشة قالت
اذا خرج اول الايات طرحت الاقلام وحبست الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال خرجه ابن
جرير الطبري وكذا قال كثير بن مرة ويزيد بن شريح وغيرهما من السلف اذا طلعت الشمس من
مغربها طبع على القلوب بما فيها وترفع الحفظة والعمل وتومر الملايكة ان لا يكتبوا عملا وقال
سفين الثوري اذا طلعت الشمس من مغربها طوت الملايكة صحايفها ووضعت اقلامها فالواجب
على المومن المبادرة بالاعمال الصالحة قبل ان لا يقدر عليها ويحال بينه وبينها اما بمرض او
موت او بان يدركه بعض هذه الايات التي لا يقبل معها عمل قال ابو حازم ان بضاعة

كاسدة ويوشك ان تنفق فلا يوصل منها الى قليل ولا كثير ومتى حيل بين الانسان والعمل لم يبق
له الا الحسرة والاسف عليه ويتمنى الرجوع الى حاله يتمكن فيها من العمل فلا تنفعه الامنية قال
تعالى وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا احسن ما
انزل اليكم من ربكم من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون ان تقول نفس يا حسرتا على ما
فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين او تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين او تقول
حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين وقال عز وجل حتى اذا جا احدهم الموت
قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قايلها ومن ورايهم برزخ الى
يوم يبعثون وقال وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا
اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكون من الصالحين ولن يوخر الله نفسا اذا جا اجلها
وفي الترمذي عن ابي هريرة مرفوعا ما من ميت يموت الا ندم قالوا وما ندامته قال ان
كان محسنا ان لا يكون ازداد وان كان مسيا ان لا يكون استعتب فاذا كان الامر على
هذا فيتعين على المومن اغتنام ما بقي من عمره ولهذا قيل ان بقية عمر المومن لا قيمة له
وقال سعيد بن جبير كل يوم يعيشه المومن غنيمة وقال بكر المزني ما من يوم اخرجه الله
الى الدنيا الا يقول ابن ادم اغتنمني لعله لا يوم لك بعدي ولا ليلة الا تنادي ابن ادم اغتنمني لعله
لا ليلة لك بعدي ولبعضهم ٥ اغتنم في الفراغ فضل ركوع فعسى ان يكون موتك بغتة ٥
٥ كم صحيح رايت من غير سقم ذهبت نفسه الصحيحة فلتة ٥

ولمحمود الوراق

مضى امسك الماضي شهيدا معدلا ... واعقبه يوم عليك جديد
فان كنت بالامس اقترفت اساءة ... فثن باحسان وانت حميد
فيومك ان اعتبته عاد نفعه ... عليك وماضي الامس ليس يعود
ولا ترج فعل الخير يوما الى غد ... لعل غدا ياتي وانت فقيد

الحديث الحادي والاربعون

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يومن احدكم حتى يكون

هواه تبعًا لما جيت به قال الشيخ رحمه الله حديث حسن صحيح رويناه في كتاب الحجه
باسناد صحيح يريد بصاحب كتاب الحجه الشيخ ابا الفتح نصر بن ابرهيم المقدسي الشافعي
الفقيه الزاهد نزيل دمشق وكتابه هذا هو كتاب الحجه علي تارك المحجه يتضمن ذكر
اصول الدين علي قواعد الحديث والسنه وقد خرج هذا الحديث الحافظ ابو نعيم في كتاب
الاربعين وشرط في اولها ان تكون من صحاح الاخبار وجياد الاثار مما اجمع الناقلون
علي عدالة ناقليه وخرجته الايمه في مسانيدهم ثم خرجه عن الطبراني نا ابو زيد عبد
الرحمن بن حاتم المرادي نا نعيم بن حماد نا عبد الوهاب الثقفي عن هشام ابن حسان عن
محمد بن سيرين عن عقبه بن اوس عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا
يومن احدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جيت به لا يزيغ عنه ورواه الحافظ ابو بكر ابن ابي عاصم الاصبهاني
عن ابن وارة عن نعيم بن حماد نا عبد الوهاب الثقفي نا بعض مشيختنا هشام او غيره عن ابن
سيرين فذكره وليس عنده لا يزيغ عنه قال الحافظ ابو موسى المديني هذا الحديث مختلف فيه
علي نعيم وقيل فيه نا بعض مشيختنا نا هشام او غيره قلت تصحيح هذا الحديث بعيد جدًا
من وجوه منها انه حديث تفرد به نعيم ابن حماد المروزي ونعيم هذا وان كان وثقه جماعه
من الايمه وخرج له البخاري فان ايمه الحديث كانوا يحسنون به الظن لصلابته في السنه وتشدده
في الرد علي اهل الاهوا وكانوا ينسبونه الي انه يهم ويشبه عليه في بعض الاحاديث فلما
كثر عثورهم علي مناكيره حكموا عليه بالضعف فروي صالح بن محمد الحافظ عن ابن معين انه
سيل عنه فقال ليس بشي ولكنه صاحب سنه قال صالح وكان يحدث من حفظه وعنده
مناكير كثيره لا يتابع عليها وقال ابو داود عند نعيم نحو عشرين حديثا عن النبي صلى الله عليه
وسلم ليس لها اصل وقال النساي ضعيف وقال مره ليس بثقه وقال مره قد كثر تفرده
عن الايمه المعروفين في احاديث كثيره فصار في حد من لا يحتج به وقال ابو زرعه الدمشقي
يصل احاديث يوقفها الناس يعني انه يرفع الموقوفات وقال ابو عروبه الحراني هو
مظلم الامر وقال ابو سعيد بن يونس روي احاديث مناكير عن الثقات ونسبه اخرون

الي انه كان يضع الحديث واين كان اصحاب عبد الوهاب الثقفي واصحاب هشام ابن
حسان واصحاب ابن سيرين عن هذا الحديث حتى تفرد به نعيم ومنها انه قد اختلف
علي نعيم في اسناده فروي عنه عن الثقفي عن هشام وروي عنه عن الثقفي نا بعض مشيختنا
هشام او غيره وعلي هذه الروايه فيكون شيخ الثقفي غير معروف فالثقفي رواه عن شيخ مجهول
وشيخه رواه عن غير معين فتزداد الجهاله في اسناده ومنها ان في اسناده عقبه بن
اوس السدوسي البصري ويقال فيه يعقوب ابن اوس ايضًا وقد خرج له ابو داود والنساي
وابن ماجه حديثا عن عبد الله بن عمرو ويقال عبد الله بن عمر وقد اضطرب في اسناده
وقد وثقه العجلي وابن سعد وابن حبان وقال ابن خزيمه روي عنه ابن سيرين مع جلالته
وقال ابن عبد البر هو مجهول وقال الغلابي في تاريخه يزعمون انه لم يسمع من عبد الله
بن عمرو وانما يقول قال عبد الله بن عمرو فعلي هذا تكون رواياته عن عبد الله بن عمرو
منقطعه والله اعلم واما معنى الحديث فهو ان الانسان لا يكون مومنًا كامل الايمان
الواجب حتى يكون محبته تابعه لما جا به الرسول صلى الله عليه وسلم من الاوامر والنواهي
وغيرها فيحب ما امر به ويكره ما نهي عنه وقد ورد القران بمثل هذا في غير موضع
قال تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجًا مما
قضيت ويسلموا تسليما وقال تعالى وما كان لمومن ولا مومنه اذا قضى الله ورسوله
امرًا ان تكون لهم الخيره من امرهم وذم سبحانه من كره ما احبه الله او احب ما كرهه
قال ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم وقال ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله
وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم فالواجب علي كل مومن ان يحب ما احبه الله محبه
توجب له الاتيان بما وجب عليه منه فان زادت المحبه حتى اتي بما ندب اليه منه كان
ذلك فضلا وان يكره ما كرهه الله كراهه توجب له الكف عما حرم عليه منه فان
زادت الكراهه حتى اوجبت الكف عما كره تنزيهًا كان ذلك فضلًا وقد ثبت في الصحيح
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا يومن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده

عن نعيم وروي عنه عن الثقفي عن بعض مشيختنا قال حدثنا هشام او غيره

واهله والناس اجمعين فلا يكون المومن مومنًا حتى يقدم محبة الرسول على محبة جميع الخلق
ومحبة الرسول تابعة لمحبة مرسله والمحبة الصحيحة تقتضي المتابعة والموافقة في
حب المحبوبات وبغض المكروهات قال عز وجل قل ان كان اباوكم وابناوكم واخوانكم وازواجكم
وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم قل
من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره وقال تعالى ان كنتم تحبون
الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم قال الحسن قال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم للنبي
صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انا نحب ربنا حبًا شديدًا فاحب الله ان يجعل لحبه علمًا
فانزل الله هذه الاية وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه وجد
حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا
لله وان يكره ان يرجع الي الكفر بعد اذ انقذه الله منه كما يكره ان يلقى في النار فمن احب
الله ورسوله محبة صادقة من قلبه اوجب له ذلك ان يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله
ويكره ما يكرهه الله ورسوله ويرضى بما يرضى به الله ورسوله ويسخط ما يسخطه الله ورسوله
وان يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض فان عمل بجوارحه شيا يخالف ذلك
بان ارتكب بعض ما يكرهه الله ورسوله او ترك بعض ما يحبه الله ورسوله مع وجوبه والقدرة
عليه دل ذلك على نقص محبته الواجبة فعليه ان يتوب من ذلك ويرجع الي تكميل
المحبة الواجبة قال ابو يعقوب النهرجوري كل من ادعى محبة الله عز وجل ولم
يوافق الله في امره فدعواه باطل وكل محب ليس يخاف الله فهو مغرور وقال يحيى بن معاذ
ليس بصادق من ادعى محبة الله عز وجل ولم يحفظ حدوده وسيل رويم عن المحبة
فقال الموافقة في جميع الاحوال وانشد

ولو قلت لي مت مت سمعًا وطاعة * وقلت لداعي الموت اهلا ومرحبا

وانشد بعض المتقدمين
تعصي الاله وانت تزعم حبه * هذا لعمري في القياس شنيع
لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

لجميع المعاصي تنشا من تقديم هوى النفوس على محبة الله ورسوله وقد وصف الله
المشركين باتباع الهوى في مواضع من كتابه وقال فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما
يتبعون اهواهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله وكذلك البدع انما تنشا
من تقديم الهوى على الشرع ولهذا يسمى اهلها اهل الاهوا وكذلك المعاصي انما تقع من تقديم
الهوى على محبة الله ومحبة ما يحبه وكذلك حب الاشخاص الواجب فيه ان يكون
تبعًا لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فيجب على المومن محبة الله ومحبة من يحبه الله
من الملايكة والرسل والانبيا والصديقين والشهدا والصالحين عمومًا ولهذا كان من
علامات وجود حلاوة الايمان ان يحب المرء لا يحبه الا لله وتحرم موالاة اعدا الله
ومن يكرهه الله عمومًا وقد سبق ذكر ذلك في موضع اخر وبهذا يكون الدين كله لله ومن
احب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله فقد استكمل الايمان ومن كان حبه وبغضه
وعطاوه ومنعه لهوى نفسه كان ذلك نقصًا في ايمانه الواجب فيجب عليه التوبة من
ذلك والرجوع الي اتباع ما جا به الرسول صلى الله عليه وسلم من تقديم محبة الله ورسوله
وما فيه رضا الله ورسوله على هوى النفوس ومراداتها كلها قال وهيب بن
الورد بلغنا والله اعلم ان موسى عليه السلام قال يا رب اوصني قال اوصيك بي قالها
ثلاثا حتى قال في الاخرة اوصيك بي ان لا يعرض لك امر الا اثرت فيه محبتي على
ما سواها فمن لم يفعل ذلك لم ازكه ولم ارحمه والمعروف في استعمال الهوى
عند الاطلاق انه الميل الي خلاف الحق كما في قوله عز وجل ولا تتبع الهوى فيضلك
عن سبيل الله وقال واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي
الماوى وقد يطلق الهوى بمعنى المحبة والميل مطلقا فيدخل فيه الميل الي الحق وغيره
وربما استعمل بمعنى محبة الحق خاصة والانقياد اليه وسيل صفوان بن عسال هل
سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم يذكر الهوى فقال ساله اعرابي عن الرجل يحب القوم
ولم يلحق بهم فقال المرء مع من احب ولما نزل قوله عز وجل ترجي من تشا

منهن وتؤوي اليك من تشا فقالت عايشه للنبي صلي الله عليه وسلم ما ارى ربك الا يسارع
في هواك وقال عمر في قصة المشاوره في اساري بدر فهوي رسول الله صلي الله عليه
وسلم ما قال ابو بكر ولم يهو ما قلت وهذا الحديث مما جا استعمال الهوي فيه بمعني
المحبه المحموده وقد وقع مثل ذلك في الاثار الاسرائيليه كثيرا وكلام مشايخ القوم
واشاراتهم نظما ونثرا يكثر فيها هذا الاستعمال ومما يناسب معني هذا الحديث من ذلك
قول بعضهم ٥ ان هواك الذي بقلبي صيرني سامعا مطيعا ۵
۵ اخذت قلبي وغمض عيني سلبتني النوم والهجوعا ۵
۵ فذر فوادي وخذ رقادي فقال لا بل هما جميعا ۵

الحديث الثاني والاربعون

عن انس بن مالك
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول قال الله تعالي يا ابن ادم انك ما دعوتني
ورجوتني غفرت لك علي ما كان منك ولا ابالي يا ابن ادم لو بلغت ذنوبك عنان السما ثم استغفرتني
غفرت لك يا ابن ادم انك لو اتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيا لاتيتك بقرابها
مغفره رواه الترمذي وقال حديث حسن هذا الحديث تفرد به الترمذي خرجه من طريق
كثير بن فايد نا سعيد بن عبيد سمعت بكر بن عبد الله المزني يقول نا انس فذكره وقال حسن
غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه انتهي واسناده لا باس به وسعيد بن عبيد هو الهناي قال
ابو حاتم شيخ وذكره ابن حبان في الثقات ومن زعم انه غير الهناي فقد وهم وقال الدارقطني تفرد
به كثير بن فايد عن سعيد مرفوعا ورواه مسلم بن قتيبه عن سعيد بن عبيد فوقفه
علي انس قلت قد روي عنه مرفوعا وموقوفا وتابعه علي رفعه ايضا ابو سعيد مولي
بني هاشم فرواه عن سعيد بن عبيد مرفوعا ايضا وقد روي ايضا من حديث ثابت
عن انس مرفوعا ولكن قال ابو حاتم هو منكر وقد روي ايضا من حديث ابي ذر خرجه الامام
احمد من روايه شهر بن حوشب عن معدي كرب عن ابي ذر عن النبي صلي الله عليه
وسلم يرويه عن الله عز وجل فذكره بمعناه ورواه بعضهم عن شهر عن عبد الرحمن

بن غنم عن ابي ذر وقيل عن شهر عن ام الدردا عن ابي الدردا عن النبي صلي الله عليه وسلم ولا
يصح هذا القول وروي من حديث ابن عباس خرجه الطبراني من روايه قيس بن الربيع عن
حبيب بن ابي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلي الله عليه وسلم وروي بعضه
من وجوه اخر فخرج مسلم في صحيحه من حديث المعرور بن سويد عن ابي ذر عن النبي صلي
الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن
تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ومن اتاني يمشي اتيته هروله ومن لقيني بقراب الارض
خطيه لا يشرك بي شيا لقيته بقرابها مغفره وخرج الامام احمد من روايه اخشن
السدوسي قال دخلت علي انس فقال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول والذي
نفسي بيده لو اخطاتم حتي تملا خطاياكم ما بين السما والارض ثم استغفرتم الله لغفر لكم
فقد تضمن حديث انس المبدو بذكره ان هذه الاسباب الثلاثه تحصل بها المغفره
احدها الدعا مع الرجا فان الدعا مامور به وموعود عليه بالاجابه كما قال تعالي وقال
ربكم ادعوني استجب لكم وفي السنن الاربعه عن النعمن بن بشير عن النبي صلي الله عليه وسلم قال
ان الدعا هو العباده ثم تلا هذه الايه وفي حديث خرجه الطبراني مرفوعا من اعطي
الدعا اعطي الاجابه لان الله تعالي يقول ادعوني استجب لكم وفي حديث اخر ما كان الله
ليفتح علي عبد باب الدعا ويغلق عنه باب الاجابه لكن الدعا سبب مقتض للاجابه مع
كمال شرايطه وانتفا موانعه وقد تتخلف اجابته لانتفا بعض شروطه او وجود
بعض موانعه وقد سبق ذكر بعض شرايطه وموانعه واادابه في شرح الحديث العاشر
ومن اعظم شرايطه حضور القلب ورجا الاجابه من الله كما خرجه الترمذي من
حديث ابي هريره عن النبي صلي الله عليه وسلم قال ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابه وان
الله لا يقبل دعا من قلب غافل لاه وفي المسند عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلي الله عليه
وسلم قال ان هذه القلوب اوعيه فبعضها اوعي من بعض فاذا سالتم الله فاسالوه
وانتم موقنون بالاجابه فان الله لا يستجيب لعبد دعا من ظهر قلب غافل ولهذا

اشكال؟

دعي العبد

ان يقول في دعايه اللهم اغفر لي ان شئت ولكن ليعزم المسله فان الله لا مكره له ونهي الاجابه
ان يستعجل ويترك الدعا لاستبطا الاجابه وجعل ذلك من موانع حتى لا يقطع العبد
رجاه من اجابه دعايه ولو طالت المده فانه سبحانه يحب الملحين في الدعا وجا في ان
الاثار ان العبد اذا دعا ربه وهو يحبه قال يا جبريل لا تعجل بقضا حاجه عبدي فاني
احب ان اسمع صوته وقال تعالى وادعوه خوفا وطمعا ان رحمه الله قريب من المحسنين
فما دام العبد يلح في الدعا ويطمع في الاجابه من غير قطع الرجا فهو قريب من الاجابه
ومن ادمن قرع الباب يوشك ان يفتح له وفي صحيح الحاكم عن انس مرفوعا لا تعجزوا عن الدعا
فانه لن يهلك مع الدعا احد ومن اهم ما يسال العبد ربه مغفره ذنوبه او ما يستلزم
ذلك كالنجاه من النار ودخول الجنه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم حولهما ندندن يعني
حول سوال الجنه والنجاه من النار قال ابو مسلم الخولاني ما عرضت لي دعوه فذكرت
النار الا صرفتها الى الاستعاذه منها ومن رحمه الله بعبده ان العبد يدعوه لحاجه
من الدنيا فيصرفها عنه ويعوضه خيرا منها اما ان يصرف عنه بذلك سوا او ان يدخرها
له في الاخره او يغفر له بها ذنبا كما في المسند والترمذي من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ما من احد يدعو بدعا الا اتاه الله ما سال او كف عنه من السو مثله ما لم
يدع باثم او قطيعه رحم وفي المسند وصحيح الحاكم عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ما من مسلم يدعو بدعوه ليس فيها اثم او قطيعه رحم الا اعطاه الله بها احدى ثلاث
اما ان يعجل له دعوته واما ان يدخرها له في الاخره واما ان يكشف عنه من السو مثلها
قالوا اذا نكثر قال الله اكثر وخرجه الطبراني وعنده او يغفر له بها ذنبا قد سلف
بدل قوله او يكشف عنه من السو مثلها وخرج الترمذي من حديث عباده
مرفوعا نحو حديث ابي سعيد ايضا وبكل حال فالالحاح بالدعا بالمغفره مع رجا الله
يوجب المغفره والله تعالى يقول انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شا
وفي روايه فلا تظنوا بالله الا خيرا ويروى من حديث سعيد بن جبير عن ابن عمر

مرفوعا ياتي الله تعالى بالمومن يوم القيمه فيقربه حتى يجعله في حجابه من جميع الخلق
فيقول له اقرا فيعرفه ذنبا ذنبا اتعرف اتعرف فيقول نعم نعم ثم يلتفت العبد يمنه
ويسره فيقول الله عز وجل لا باس عليك يا عبدي انت في ستري من جميع خلقي ليس بيني
وبينك اليوم احد يطلع على ذنوبك غيري اذهب فقد غفرتها لك بحرف واحد من جميع
ما اتيتني به قال ما هو يا رب قال كنت لا ترجوا العفو من احد غيري فمن اعظم اسباب
المغفره ان العبد اذا اذنب ذنبا لم يرج مغفرته من غير ربه ويعلم انه لا يغفر الذنوب
ويأخذ بها غيره وقد سبق ذكر ذلك في شرح حديث ابي ذر يا عبادي اني حرمت الظلم
على نفسي الحديث وقوله انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا ابالي
يعني على كثره ذنوبك وخطاياك ولا يتعاظمني ذلك ولا استكثره وفي الصحيح عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال اذا دعا احدكم فليعظم الرغبه فان الله لا يتعاظمه شي فذنوب العباد
عفو وان عظمت فان عفو الله ومغفرته اعظم منها واعظم فهي صغيره في جنب الله ومغفرته
وفي صحيح الحاكم ان رجلا جا الى النبي صلى الله عليه وسلم يقول واذنوباه واذنوباه مرتين
او ثلاثا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قل اللهم مغفرتك اوسع من ذنوبي ورحمتك ارجى
عندي من عملي فقالها ثم قال له عد فعاد ثم قال له عد فعاد فقال له قم فقد غفر الله لك
وفي هذا يقول بعضهم ٥ يا كبير الذنوب عفو الله من ذنبك اكبر • وقال اخر

اعظم الاشيا في جنب عفو الله يصغر

يا رب ان عظمت ذنوبي كثره ... فلقد علمت بان عفوك اعظم
ان كان لا يرجوك الا محسن ... فمن الذي يرجوا ويدعو المجرم
ما لي اليك وسيله الا الرجا ... وجميل عفوك ثم اني مسلم

السبب الثاني للمغفره الاستغفار ولو عظمت الذنوب وبلغت الكثره عنان السما وهو
السحاب وقيل ما انتهى اليه البصر منها وفي الروايه الاخرى لو اخطاتم حتى بلغت خطاياكم
ما بين السما والارض ثم استغفرتم الله لغفر لكم والاستغفار طلب المغفره والمغفره هي

وقايه شر الذنوب مع سترها وقد كثر في القران ذكر الاستغفار فتاره يومر به كقوله
واستغفروا الله ان الله غفور رحيم وقوله وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وتاره يمدح اهله
كقوله والمستغفرين بالاسحار وقوله وبالاسحار هم يستغفرون وقوله والذين اذا فعلوا
فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله
وتاره يذكر ان الله يغفر لمن استغفره كقوله ومن يعمل سوا او يظلم نفسه ثم يستغفر
الله يجد الله غفورا رحيما وكثيرا ما يقرن الاستغفار بذكر التوبه فيكون الاستغفار
حينيذ عباره عن طلب المغفره باللسان والتوبه عباره عن الاقلاع عن الذنوب
بالقلب والجوارح وتاره يفرد الاستغفار ويرتب عليه المغفره كما ذكر في هذا الحديث
وما اشبهه فقد قيل انه اريد به الاستغفار المقترن بالتوبه وقيل ان نصوص الاستغفار
المفرده كلها مطلقه تقيد بما ذكر في ايه ال عمران من عدم الاصرار فان الله وعد
فيها المغفره لمن استغفره من ذنوبه ولم يصر على فعله فتحمل النصوص المطلقه في الاستغفار
كلها على هذا المقيد ومجرد قول القايل اللهم اغفر لي طلب منه للمغفره ودعا بها فيكون
حكمه حكم ساير الدعا فان شا الله اجابه وغفر لصاحبه لا سيما اذا خرج عن قلب منكسر
بالذنب او صادف ساعه من ساعات الاجابه كالاسحار وادبار الصلوات ويروى عن
لقمان عليه السلام انه قال لابنه يا بني عود لسانك اللهم اغفر لي فان لله ساعات لا يرد فيها
سايلا وقال الحسن اكثروا من الاستغفار في بيوتكم وعلى موايدكم وفي طرقكم وفي اسواقكم
وفي مجالسكم اين ما كنتم فانكم ما تدرون متى تنزل المغفره وخرج ابن ابي الدنيا في كتاب حسن الظن
من حديث ابي هريره مرفوعا بينما رجل مستلق اذ نظر الى السما والى النجوم فقال اني لاعلم
ان لك ربا خالقا اللهم اغفر لي فغفر له وعن مورق قال كان رجل يعمل السيات فخرج الى
البريه فجمع ترابا فاضطجع عليه مستلقيا فقال رب اغفر لي ذنوبي فقال ان هذا ليعرف
ان له ربا يغفر ويعذب فغفر له وعن مغيث بن سمي قال بينما رجل خبيث فتذكر يوما فقال
اللهم غفرانك اللهم غفرانك ثم مات فغفر له ويشهد لهذا ما في الصحيحين عن ابي هريره

عن النبي صلى الله عليه وسلم ان عبدا اذنب ذنبا فقال رب اذنبت ذنبا فاغفر لي قال
الله عز وجل علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب وياخذ به غفرت لعبدي ثم مكث ما شا
الله ثم اذنب ذنبا اخر فذكر مثل الاول مرتين اخرتين وفي روايه لمسلم انه قال في الثالثه
قد غفرت لعبدي فليعمل ما شا والمعنى ما دام على هذه الحال كلما اذنب استغفر
والظاهر ان مراده الاستغفار المقرون بعدم الاصرار ولهذا في حديث ابي بكر الصديق
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين
مره خرجه ابو داود والترمذي واما استغفار اللسان مع اصرار القلب على الذنب
فهو دعا مجرد ان شا الله اجابه وان شا رده وقد يكون الاصرار مانعا من الاجابه وفي
المسند من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا ويل للذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون
وخرج ابن ابي الدنيا من حديث ابن عباس مرفوعا التايب من الذنوب كمن لا ذنب له
والمستغفر من ذنب وهو مقيم عليه كالمستهزي بربه ورفعه منكر ولعله موقوف
قال الضحاك ثلاثه لا يستجاب لهم فذكر منهم رجل مقيم على امراه زنا كلما قضى شهوته
قال رب اغفر لي ما اصبت من فلانه فيقول الرب تعالى تحول عنها واغفر لك فاما ما
دمت مقيما عليها فاني لا اغفر لك ورجل عنده مال قوم يرى اهله فيقول رب اغفر لي
ما اكل من مال فلان فيقول الله تعالى رد اليهم مالهم واغفر لك واما ما لم ترد اليهم فلا اغفر لك
وقول القايل استغفر الله معناه اطلب مغفرته فهو كقوله اللهم اغفر لي فالاستغفار التام
الموجب للمغفره هو ما قارن عدم الاصرار كما مدح الله اهله ووعدهم المغفره قال بعض
العارفين من لم تكن ثمره استغفاره تصحيح توبته فهو كاذب في استغفاره وكان بعضهم
يقول استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير وفي ذلك يقول بعضهم

استغفر الله من استغفر الله من لفظة بدرت خالفت معناها
وكيف ارجو اجابات الدعا وقد سددت بالذنب عند الله مجراها

فافضل الاستغفار ما اقترن به ترك الاصرار وهو حينيذ توبه نصوح وان قال بلسانه

هدا

استغفر الله وهو غير مقلع بقلبه فهو داع لله بالمغفرة كما يقول اللهم اغفر لي وهو حسن وقد
يرجى له الاجابه واما من قال هو توبة الكذابين فمراده انه ليس توبة كما يعتقده
بعض الناس وهذا حق فان التوبة لا تكون مع الاصرار وان قال استغفر الله واتوب اليه فله
حالتان احداهما ان يكون مصرًا بقلبه على المعصيه فهذا كاذب في قوله اتوب اليه لانه
غير تايب فلا يجوز له ان يخبر عن نفسه بانه تايب وهو غير تايب والثانيه ان يكون
مقلعًا عن المعصيه بقلبه فاختلف الناس في جواز قوله واتوب اليه فكرهه طايفه من
السلف وهو قول اصحاب ابي حنيفه حكاه عنهم الطحاوي وقال الربيع بن خثيم يكون قوله
اتوب اليه كذبةً وذنبًا ولكن ليقل اللهم تب علي او يقول اللهم اني استغفرك فتب علي وهذا قد
يحمل على من لم يقلع بقلبه وهو بحاله اشبه وكان محمد بن سوقه يقول في استغفاره استغفر
الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم واساله توبة نصوحا وروي عن حذيفه انه قال
بحسب المرء من الكذب ان يقول استغفر الله ثم يعود وسمع مطرف رجلا يقول استغفر الله
واتوب اليه فتغيظ عليه وقال لعلك لا تفعل وهذا ظاهره يدل على انه انما كره ان يقول
اتوب اليه لان التوبة النصوح ان لا يعود الى الذنب ابدا فمتى عاد اليه كان كاذبا في قوله
اتوب اليه وكذلك سيل محمد بن كعب القرظي عمن عاهد الله ان لا يعود الى معصيه ابدا
فقال من اعظم منه اثما يتالى على الله ان لا ينفذ فيه قضاه ورجح قوله في هذا ابو الفرج ابن
الجوزي وروي عن سفين بن عيينه نحو ذلك وجمهور العلما على جواز ان يقول التايب اتوب
الى الله وان يعاهد العبد ربه على ان لا يعود الى المعصيه فان العزم على ذلك واجب عليه فهو
مخبر بما عزم عليه في الحال ولهذا قال ما اصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مره
وقال للمعاود للذنب قد غفرت لعبدي فليعمل ما شا وفي حديث كفارة المجلس استغفرك
اللهم واتوب اليك وقطع النبي صلى الله عليه وسلم سارقا ثم قال له استغفر الله وتب اليه فقال
استغفر الله واتوب اليه فقال اللهم تب عليه خرجه ابو داود واستحب جماعه من السلف
الزياده على قوله استغفر الله واتوب اليه فروي عن عمر انه سمع رجلا يقول استغفر الله واتوب اليه

فقال له يا حميق قل توبة من لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا
وسيل الاوزاعي عن الاستغفار ايقول استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه قال
ان هذا لحسن ولكن يقول رب اغفر لي حتى يتم الاستغفار وافضل انواع الاستغفار ان يبدا
العبد بالثنا على ربه ثم يثني بالاعتراف بذنبه ثم يسال الله المغفره كما في حديث شداد بن
اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سيد الاستغفار ان يقول العبد اللهم انت ربي لا اله الا
انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما
صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت خرجه
البخاري وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه قال يا رسول
الله علمني دعا ادعو به في صلاتي قال قل اللهم اني ظلمت نفسي ظلما كثيرا وانه لا يغفر الذنوب
الا انت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني انك انت الغفور الرحيم ومن انواع
الاستغفار ان يقول العبد استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه وقد
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان من قاله غفر له وان كان فر من الزحف خرجه ابو داود
والترمذي وفي كتاب اليوم والليله للنسايي عن خباب ابن الارت قال قلت يا رسول الله
كيف نستغفر قال قل اللهم اغفر لنا وارحمنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم وفيه
عن ابي هريره قال ما رايت احدا اكثر ان يقول استغفر الله واتوب اليه من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي السنن الاربعه عن ابن عمر قال ان كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم
في المجلس الواحد ميه مره يقول رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب الغفور وفي صحيح البخاري
عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال والله اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر
من سبعين مره وفي صحيح مسلم عن الاغر المزني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انه ليغان على
قلبي واني لاستغفر الله في اليوم ميه مره وفي المسند عن حذيفه قال قلت يا رسول الله اني
ذرب اللسان وان عامه ذلك على اهلي فقال اين انت من الاستغفار اني لاستغفر الله في اليوم
والليله ميه مره وفي سنن ابي داود عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من الزم من
الاستغفار

انك

اين

جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب قال ابو هريرة
اني لاستغفر الله واتوب اليه كل يوم الف مرة وذلك على قدر ديتي وقالت عايشه طوبى لمن
وجد في صحيفته استغفارا كثيرا قال ابو المنهال ما جاور عبد في قبره جارا احب اليه
من استغفار كثير وبالجملة فدوا الذنوب الاستغفار وروينا من حديث ابي ذر مرفوعا
ان لكل داء دوا وان دوا الذنوب الاستغفار قال قتادة ان هذا القران يدلكم على دايكم
ودوايكم فاما داوكم فالذنوب واما دواكم فالاستغفار قال بعضهم انما معول المذنبين
البكا والاستغفار فمن اهمته ذنوبه اكثر لها من الاستغفار قال رياح القيسي لي نيف
واربعون ذنبا قد استغفرت الله لكل ذنب ميه الف مرة وحاسب بعضهم نفسه من
وقت بلوغه فاذا زلاته لا تجاوز ستة وثلاثين زلة فاستغفر لكل زلة ميه الف مرة وصلى
لكل زلة الف ركعة ختم في كل ركعة منها ختمة قال ومع ذلك فاني غير امن سطوة ربي
ان ياخذني بها وانا على خطر من قبول التوبة ومن زاد اهتمامه بذنوبه فربما تعلق
باذيال من قلت ذنوبه يلتمس منهم الاستغفار وكان عمر يطلب من الصبيان الاستغفار
ويقول انكم لم تذنبوا وكان ابو هريرة يقول لغلمان الكتاب قولوا اللهم اغفر لابي هريرة فيومن
على دعايهم قال بكر المزني لو كان رجل يطوف على الابواب كما يطوف المسكين يقول
استغفروا لي لكان نوله ان يفعل ومن كثرت ذنوبه وسياته حتى فاتت العدد
والاحصا فليستغفر الله مما علم الله فان الله قد علم كل شي واحصاه كما قال تعالى يوم يبعثهم
الله جميعا فينبيهم بما عملوا احصاه الله ونسوه وفي حديث شداد ابن اوس عن النبي صلى
الله عليه وسلم اسالك من خير ما تعلم واعوذ بك من شر ما تعلم واستغفرك لما تعلم انك انت
علام الغيوب وفي هذا يقول بعضهم استغفر الله مما يعلم الله ان الشقي لمن لا يرحم الله
ما احلم الله عمن لا يراقبه كل مسي ولكن يحلم الله ؞
فاستغفر الله مما كان من زلل طوبى لمن كف عما يكره الله ؞
طوبى لمن حسنت منه سريرته طوبى لمن ينتهي عما نهى الله ؞

السبب الثالث من اسباب المغفرة التوحيد وهو السبب الاعظم فمن فقده فقد المغفرة
ومن جا به فقد اتى باعظم اسباب المغفرة قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما
دون ذلك لمن يشا فمن جا مع التوحيد بقراب الارض وهو ملوها او ما يقارب ملاها
خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة لكن هذا مع مشية الله عز وجل فان شا غفر له وان شا
اخذه بذنوبه ثم كان عاقبته ان لا يخلد في النار بل يخرج منها ثم يدخل الجنة قال بعضهم
الموحد لا يلقى في النار كما يلقى الكفار ولا يلقى فيها ما يلقى الكفار ولا يبقى فيها كما يبقى الكفار
فان كمل توحيد العبد واخلاصه لله فيه وقام بشروطه كلها بقلبه ولسانه وجوارحه
او بقلبه ولسانه عند الموت اوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كلها ومنعه من دخول
النار بالكلية فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه اخرجت منه كل ما سوى الله محبة وتعظيما
واجلالا ومهابة وخشية ورجا وتوكلا وحينيذ تحرق ذنوبه وخطاياه كلها ولو كانت
مثل زبد البحر وربما قلبتها حسنات كما سبق ذكره في تبديل السيات حسنات فان هذا
التوحيد هو الاكسير الاعظم فلو وضع ذرة منه على جبال الذنوب والخطايا لقلبها
حسنات كما في المسند وغيره عن ام هاني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا اله الا الله لا تترك ذنبا
ولا يسبقها عمل وفي المسند عن شداد بن اوس وعبادة ابن الصامت ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لاصحابه ارفعوا ايديكم وقولوا لا اله الا الله فرفعنا ايدينا ساعة ثم وضع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يده ثم قال الحمد لله اللهم بعثتني بهذه الكلمة وامرتني بها ووعدتني
الجنة عليها وانك لا تخلف الميعاد ثم قال ابشروا فان الله قد غفر لكم قال الشبلي من ركن
الى الدنيا احرقته بنارها فصار رمادا تذروه الرياح ومن ركن الى الاخرة احرقته
بنورها فصار ذهبا احمر ينتفع به ومن ركن الى الله احرقه نور التوحيد فصار
جوهرا لا قيمة له اذا علقت نار المحبة بالقلب احرقت منه كل ما سوى الرب فطهر القلب
جنبا من الاغيار وصلح عرشا للتوحيد ما وسعني سمايي ولا ارضي ولكن وسعني قلب عبدي المومن

غصني الشوق اليم بزيتي واحرقني في الهوى واحرقني

فقد رماني الحب في لج بحر فخذ وابا الله كف الغريق

حل عندي حبكم في شغافي حل مني كل عقد وثيق

فهذا اخر ما ذكره الشيخ رحمه الله من الاحاديث في هذا الكتاب ونحن بعون الله ومنه من
نذكر تتمة الخمسين حديثا الجامعة لانواع العلوم والحكم والاداب الموعود بها في اول
الكتاب والله الموفق للصواب

الحديث الثالث والاربعون

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرائض
باهلها فما ابقت الفرائض فلاولى رجل ذكر خرجه البخاري ومسلم هذا الحديث
الذي زعم بعض شراح هذه الاربعين ان الشيخ رحمه الله اغفله فانه مشتمل على احكام
المواريث وجامع لها وهذا الحديث خرجاه من رواية وهيب وروح ابن القسم عن ابن
طاوس عن ابيه عن ابن عباس وخرجه مسلم من رواية معمر ويحيى ابن ايوب عن ابن
طاوس ايضا وقد رواه الثوري وابن عيينة وابن جريج وغيرهم عن ابن طاوس عن ابيه
مرسلا من غير ذكر ابن عباس ورجح النسائي ارساله وقد اختلف العلماء في معنى قوله الحقوا
الفرائض باهلها فقالت طائفة المراد بالفرائض الفروض المقدرة في كتاب الله والمراد اعطوا
الفروض المقدرة لمن سماها الله لهم فما بقي بعد هذه الفروض فيستحقه اولى الرجال والمراد
بالاولى الاقرب كما يقال هذا يلي هذا اي يقرب منه فاقرب الرجال هو اقرب العصبات
فيستحق الباقي بالتعصيب وبهذا المعنى فسر الحديث جماعة من الائمة منهم الامام احمد
واسحق ابن راهويه نقله عنهما اسحق ابن منصور وعلى هذا فاذا اجتمع بنت واخت
وعم او ابن عم او ابن اخ فينبغي ان ياخذ الباقي بعد نصف البنت العصبة وهذا قول ابن عباس
وكان يتمسك بهذا الحديث ويقر بان الناس كلهم على خلافه وذهب الظاهرية الى قوله ايضا
وقال اسحق اذا كان مع البنت والاخت عصبة فالعصبة اولى وان لم يكن معهما احد
فالاخت لها الباقي وحكي عن ابن مسعود انه قال البنت عصبة من لا عصبة له ورد بعضهم

هذا

هذا وقال لا يصح عن ابن مسعود وكان ابن الزبير ومسروق يقولان بقول ابن عباس ثم رجعا
عنه وذهب جمهور العلماء الى ان الاخت مع البنت عصبة لها ما فضل منهم عمر وعلي رضي الله عنهما
وعايشه وزيد وابن مسعود ومعاذ ابن جبل وتابعهم سائر العلماء وروى عبد الرزاق انا ابن جريج قال
اخبرني ابن طاوس عن ابنة واخت فقال كان ابي يذكر عن ابن عباس عن رجل عن النبي صلى الله عليه
وسلم فيها شيئا وكان طاوس لا يرضى بذلك الرجل قال وكان ابي يشك فيها ولا يقول فيها شيئا
وقد كان يسال عنها والظاهر والله اعلم ان مراد طاوس هو هذا الحديث فان ابن عباس
لم يكن عنده نص صريح عن النبي صلى الله عليه وسلم في ميراث الاخت مع البنت انما كان يتمسك
بعموم هذا الحديث وما ذكره طاوس ان ابن عباس رواه عن رجل وانه لا يرضاه فابن عباس
انما روى هذا الحديث عن الصحابة والصحابة كلهم عدول قد رضي الله عنهم واثنى عليهم
فلا عبرة بعد ذلك بعدم رضى طاوس وفي صحيح البخاري عن ابي قيس الاودي عن هزيل بن
شرحبيل قال جاء رجل الى ابي موسى فسأله عن ابنة وابنة ابن واخت لاب وام فقال للابنة
النصف وللاخت ما بقي وأت ابن مسعود فسيتابعني فاتى ابن مسعود فذكر ذلك له فقال
لقد ضللت اذا وما انا من المهتدين اقضي فيها بقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم للابنة النصف
ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين وما بقي فللاخت قال فاتينا ابا موسى فاخبرناه بقول
ابن مسعود فقال لا تسالوني ما دام هذا الحبر فيكم وفيه ايضا عن الاعمش عن ابرهيم عن الاسود
بن يزيد قال قضى فينا معاذ بن جبل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم النصف للابنة
والنصف للاخت ثم ترك الاعمش ذكر عهد النبي صلى الله عليه وسلم فلم يذكره وخرجه ابو
داود من وجه اخر عن الاسود وزاد فيه ونبي الله صلى الله عليه وسلم يومئذ حي واستدل
ابن عباس لقوله بقول الله عز وجل قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله
اخت فلها نصف ما ترك وكان يقول أأنتم اعلم ام الله يعني ان الله لم يجعل لها النصف الا
مع عدم الولد وانتم تجعلون لها النصف مع الولد وهو البنت والصواب قول عمر والجمهور

ولا دلاله في هذه الايه على خلاف ذلك لان المراد بقوله فلها نصف ما ترك بالفرض وهذا
مشروط بعدم الولد بالكليه ولهذا قال بعده وان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك
يعني بالفرض والاخت الواحده انما تاخذ النصف مع عدم وجود الولد الذكر والانثى وكذلك
الاختان فصاعدًا انما يستحقون الثلثين مع عدم وجود الولد الذكر والانثى فان كان هناك
ولد فان كان ذكرًا فهو مقدم على الاخوه مطلقًا ذكورهم واناثهم وان لم يكن هناك ولد ذكر
بل انثى فالباقي بعد فرضها يستحقه الاخ مع اخته بالاتفاق فاذا كانت الاخت لا يسقطها
اخوها فلان لا يسقطها من هو ابعد منه من العصبات كالعم وابنه واذا لم يكن العصبة
الابعد مسقطًا لها فيتعين تقديمها عليه لامتناع مشاركته لها فمفهوم الايه ان الولد
يمنع ان يكون للاخت النصف بالفرض وهذا حق ليس مفهومها ان الاخت تسقط بالبنت
ولا تاخذ ما فضل من ميراثها يدل عليه قوله تعالى وهو يرثها ان لم يكن لها ولد وقد اجمعت
الامه على ان الولد الانثى لا يمنع الاخ ان يرث من مال اخته ما فضل عن البنت والبنات
وانما وجود الولد الانثى يمنع ان يحوز الاخ ميراث اخته كله فكما ان الولد ان كان ذكرًا
منع الاخت من الميراث وان كان انثى لم يمنعه الفاضل عن ميراثها وان منعه حيازه الميراث
فكذلك الولد ان كان ذكرًا منع الاخت الميراث بالكليه وان كان انثى منعت ان يفرض لها
النصف ولم يمنعها ان تاخذ ما فضل عن فرضها والله اعلم واما قوله فما ابقت الفرايض
فلاولى رجل ذكر فقد قيل ان المراد به العصبه البعيد خاصه كبني الاخوه والاعمام وبنيهم
دون العصبه القريب بدليل ان الباقي بعد الفروض يشترك فيه الذكر والانثى اذا كان العصبه
متساوين كالاولاد والاخوه بالاتفاق فكذلك الاخت مع البنت بالنص الدال عليه وايضًا
فانه يخص منه هذه الصور بالاتفاق وكذلك يخص منه المعتقه مولاه النعمه بالاتفاق
فيخص منه صوره الاخت مع البنت بالنص وقالت طايفه اخرون المراد بقوله الحقوا الفرايض
باهلها ما يستحقه ذوو الفروض في الجمله سوا اخذوه بفرض او بتعصيب طري لهم والمراد
بقوله فما بقي فلاولى رجل ذكر العصبه الذي ليس له فرض بحال ويدل عليه انه قد روي في الحديث

دلوط

اخر وهو اقسموا المال بين اهل الفرايض على كتاب الله فيدخل في ذلك كل من كان من
اهل الفروض بوجه من الوجوه وعلى هذا فما تاخذه الاخت مع اخيها او ابن عمها اذا
عصبها هو داخل في هذه القسمه لانها من اهل الفرايض في الجمله فكذلك ما تاخذه
الاخت مع البنت وقالت فرقه اخرى المراد باهل الفرايض في قوله الحقوا الفرايض باهلها
وقوله اقسموا المال بين اهل الفرايض جمله من سماه الله في كتابه من اهل المواريث من
ذوي الفروض والعصبات كلهم فان كل ما ياخذه الورثه فهو فرض فرضه الله لهم سوا كان
مقدرًا او غير مقدر كما قال بعد ذكر ميراث الوالدين والاولاد فريضة من الله وفيهم
ذو فرض وعصبه وكما قال للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنسا
نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر نصيبًا مفروضًا وهذا يشمل العصبات
وذوي الفروض فكذلك قوله اقسموا الفرايض بين اهلها على كتاب الله يشمل قسمته بين
ذوي الفروض والعصبات على ما في كتاب الله فان قسم على ذلك ثم فضل منه شي يختص
بالفاضل اقرب الذكور من الورثه وكذلك ان لم يوجد في كتاب الله تصريح بقسمته
بين من سماه الله من الورثه فيكون حينيذ المال لاولى رجل ذكر منهم فهذا الحديث مبين
لكيفيه قسمه المواريث المذكوره في كتاب الله بين اهلها ومبين لقسمه ما فضل من المال عن
تلك القسمه مما لم يصرح به في القران من احوال اوليك الورثه واقسامهم ومبين ايضا لكيفيه
توريث بقيه العصبات الذين لم يصرح بتسميتهم في القران فاذا ضم هذا الحديث الى ايات
القران انتظم ذلك كله معرفه قسمه المواريث بين جميع ذوي الفروض والعصبات ونحن
نذكر حكم توريث الاولاد والوالدين كما ذكره الله في اول سوره النسا وحكم توريث الاخوه
من الابوين او من الاب كما ذكره الله في اخر السوره المذكوره فاما الاولاد فقد قال تعالى
يوصيكم الله في اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فهذا حكم اجتماع ذكورهم واناثهم انه يكون للذكر
منهم مثل حظ الانثيين ويدخل في ذلك الاولاد واولاد البنين باتفاق العلما فمتى اجتمع من الاولاد
اخوه واخوات اقتسموا الميراث على هذا الوجه عند الاكثرين فلو كان هناك بنت للصلب و

ابنتان وكان هناك ابن ابن مع اخته اقتسما الباقي اثلاثا لدخولهم في هذا العموم هذا قول جمهور
العلما منهم عمر وعلي وزيد وابن عباس وذهب اليه عامة العلما والايمة الاربعة وذهب
ابن مسعود الى ان الباقي بعد استكمال بنات الصلب الثلثين كله لابن الابن ولا يعصب
اخته وهو قول علقمة وابي ثور واهل الظاهر فلا يعصب الولد عندهم اخته الا ان يكون لها
فريضة لو انفردت عنه فلذلك قالوا فيما اذا كان هناك بنت واولاد ابن ذكور واناث
ان الباقي لجميع ولد الابن للذكر منهم مثل حظ الانثيين وقال ابن مسعود في بنت وبنات ابن وبني ابن
للبنت النصف والباقي بين ولد الابن للذكر مثل حظ الانثيين الا ان تزيد المقاسمة بنات
الابن على السدس فيفرض لهن السدس ويجعل الباقي لبني الابن وهو قول ابي ثور واما الجمهور
فقالوا النصف الباقي لولد الابن للذكر مثل حظ الانثيين عملا بعموم الاية وعندهم ان الولد وان
نزل يعصب من في درجته بكل حال سوا كان للانثى فرض بدونه او لم يكن ولا يعصب من اعلا
منه من الاناث الا بشرط ان لا يكون لها فرض بدونه ولا يعصب من اسفل منه بكل حال
ثم قال تعالى فان كن نسا فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف
ان فهذا حكم انفراد الاناث من الاولاد للواحدة النصف ولما فوق الاثنين الثلثان ويدخل في ذلك
بنات الصلب وبنات الابن عند عدمهن فان اجتمعن فان استكمل بنات الصلب الثلثين فلا
كان شي لبنات الابن المنفردات وان لم يستكمل البنات الثلثين بل كان ولد الصلب بنتا واحدة ومعها
بنات ابن فللبنت النصف ولبنات الابن السدس تكملة الثلثين لئلا يزيد فرض البنات على الثلثين
وبهذا قضى النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن مسعود الذي تقدم ذكره وهو قول عامة العلما
الا ما روي عن ابي موسى وسلمان بن ربيعة انه لا شي لبنات الابن وقد رجع ابو موسى الى قول ابن
مسعود لما بلغه قوله في ذلك وانما اشكل على العلما حكم ميراث البنتين فان لهما الثلثين بالاجماع
حكاه ابن المنذر وغيره وما حكي فيه عن ابن عباس ان لهما النصف فقد قيل ان اسناده لا
يصح والقران يدل على خلافه حيث قال وان كانت واحدة فلها النصف فكيف يورث
اكثر من واحدة النصف وحديث ابن مسعود في توريث البنت النصف وبنت الابن السدس

تكملة الثلثين يدل على توريث البنتين الثلثين بطريق الاولى وخرج الامام احمد وابو داود
والترمذي من حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم ورث ابنتي سعد بن الربيع الثلثين ولكن
اشكل فهم ذلك من القران لقوله تعالى فان كن نسا فوق اثنتين فلهذا اضطرب الناس في هذا وقال
كثير من الناس فيه اقوالا مستبعدة ومنهم من قال انما استفيد حكم ميراث البنتين من ميراث الاختين
فانه قال تعالى وان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك واستفيد حكم الميراث اكثر من الاختين
من حكم ميراث ما فوق الاثنتين ومنهم من قال البنت مع اخيها لها الثلث بنص القران فلان
يكون لها الثلث مع اختها اولى وسلك بعضهم مسلكا اخر وهو ان الله تعالى ذكر حكم توريث
اجتماع الذكور والاناث من الاولاد وذكر حكم توريث الاناث اذا انفردن عن الذكور ولم ينص
على انفراد الذكور منهم عن الاناث وجعل حكم الاجتماع ان الذكر له مثل حظ الانثيين فان اجتمع
واحد فله مع الابن ابنتان فصاعدا فله مثل نصيب اثنتين منهن وان لم يكن منهن وان لم يكن معه الا ابنة
الثلثان ولها الثلث وقد سمى الله ما يستحقه الذكر حظ الانثيين مطلقا وليس الثلثان حظ الانثيين
في حال اجتماعهما مع الذكر لان حظهما حينئذ النصف فتعين ان يكون الثلثان حظهما في
حال الانفراد وبقي هاهنا قسم ثالث لم يصرح القران بذكره وهو حكم انفراد الذكور من الولد
وهذا مما يمكن ادخاله في حديث ابن عباس فما بقي فلأولى رجل ذكر فان هذا القسم قد بقي
ولم يصرح بحكمه في القران فيكون المال حينئذ لاقرب الذكور من الولد والامر على هذا
فانه لو اجتمع ابن وابن ابن لكان المال كله للابن ولو كان ابن ابن وابن ابن ابن لكان المال كله
لابن الابن على مقتضى حديث ابن عباس والله اعلم ثم ذكر تعالى حكم ميراث الابوين فقال ولابويه
لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فهذا حكم ميراث الابوين اذا كان للولد
المتوفى ولد وسوا في الولد الذكر والانثى وسوا فيه ولد الصلب وولد الابن هذا بالاجماع
من العلما وقد حكى بعضهم عن مجاهد فيه خلافا فمتى كان للميت ولد او ولد ابن وله ابوان
فلكل واحد من ابويه السدس فرضا ثم ان كان الولد ذكرا فالباقي بعد سدسي الابوين له
وربما دخل هذا في قوله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرايض باهلها فما بقي فلاولى رجل ذكر فاقرب

العصبات الابن وان كان الولد انثي فان كانتا ابنتين فصاعدا فالثلثان لهن ولا يفضل من
المال شي وان كانت بنتا واحده فلها النصف وبفضل من المال سدس اخر فياخذه الاب بالتعصيب
عملا بقوله صلي الله عليه وسلم الحقوا الفرايض باهلها فما بقي فلاولي
رجل ذكر فهو اولي رجل ذكر عند فقد الابن اذ هو اقرب من الاخ وابنه والعم وابنه ثم
قال تعالي فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث يعني اذا لم يكن للميت ولد وله ابوان
يرثانه فلامه الثلث فيفهم من ذلك ان الباقي بعد الثلث للاب لانه اثبت ميراثه للابوين
وخص الام من الميراث بالثلث فعلم ان الباقي للاب ولم يقل فللاب مثلا ما للام ليلا يوهم
ان اقتسامهما المال هو بالتعصيب كالاولاد والاخوه اذا كان فيهم ذكور واناث
وكان ابن عباس تمسك بهذه الايه لقوله في المسالتين الملقبتين بالعمريتين وهما زوج
وابوان وزوجه وابوان فان عمر قضي ان الزوجين ياخذان فرضهما من المال وما بقي بعد
فرضهما في المسالتين فللام ثلثه والباقي للاب وتابعه علي ذلك جمهور الامه وقال ابن عباس
بل للام الثلث كاملا تمسكا بقوله فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث وقد قيل في
جواب هذا ان الله انما جعل للام الثلث بشرطين احدهما ان لا يكون للولد المتوفي ولد
والثاني ان يرثه ابواه ابوان ينفرد ابواه بميراثه فما لم ينفرد ابواه بميراثه فلا تستحق الام
الثلث وان لم يكن للمتوفي ولد وقد يقال وهو احسن ان قوله وورثه ابواه فلامه الثلث
اي مما ورثه الابوان ولم يقل فلامه الثلث مما ترك كما قال في السدس فالمعني انه اذا لم يكن له
ولد وكان لابويه من ماله ميراث فللام ثلث ذلك الميراث الذي يختص به الابوان ويبقي
الباقي للاب ولهذا السر والله اعلم حيث ذكر الله الفروض المقدره لاهلها قال فيها مما ترك
او مما يدل علي ذلك كقوله من بعد وصيه يوصي بها او دين ليبين ان ذا الفرض حقه ذلك
الجزو المفروض المقدر من جميع المال بعد الوصايا والديون وحيث ذكر ميراث العصبات
او ما يقتسمه الذكور والاناث علي وجه التعصيب كالاولاد والاخوه لم يقيده بشي من ذلك

لسر

لسر ان المال المقتسم بالتعصيب ليس هو المال كله بل تاره يكون جميع المال وتاره يكون
هو الفاضل عن الفروض المفروضه المقدره وهنا لم يذكر ميراث الابوين من ولدهما الذي لا
ولد له ولم يكن اقتسامهما الميراث بالفرض المحض كما في ميراثهما مع الولد ولا كان بالتعصيب المحض
الذي يعصب فيه الذكر الانثي وياخذ مثلي ما تاخذه الانثي بل كانت الام تاخذ ما تاخذه
بالفرض والاب ياخذ ما ياخذه بالتعصيب قال وورثه ابواه فلامه الثلث يعني ان القدر
الذي يستحقه الابوان من ميراثه تاخذ الام ثلثه فرضا والباقي ياخذه الاب بالتعصيب
وهذا مما فتح الله به ولا اعلم احدا سبق اليه ولله الحمد والمنه ثم قال تعالي فان كان له
اخوه فلامه السدس من بعد وصيه يوصي بها او دين يعني للام السدس مع الاخوه من
جميع التركه الموروثه التي تقتسمها الورثه ولم يذكر هنا ميراث الام ولا شك انه اذا اجتمع
ام واخوه ليس معهم اب فان للام السدس والباقي للاخوه وتحجبها الاخوان فصاعدا
عند الجمهور واما ان كان مع الام والاخوه اب فقال الاكثرون تحجب الاخوه الام ولا يرثون
وروي عن ابن عباس انهم يرثون السدس الذي حجبوا عنه الام بالفرض كما يرث ولد الام
مع الام بالفرض وقد قيل ان هذا مبني علي قوله ان الكلاله من لا ولد له خاصه ولا يشترط
للكلاله فقد الوالد فيرث الاخوه مع الاب بالفرض ومن العلما المتاخرين من قال اذا
كان الاخوه محجوبين بالاب فلا يحجبون الام عن شي لها حينيذ الثلث ورجحه الامام
ابو العباس ابن تيميه وقد يوخذ من عموم قول عمر وغيره من السلف من لا يرث
لا يحجب وقد قال نحوه احمد والخرقي لكن اكثر العلما يحملون ذلك علي ان المراد من ليس له
اهليه الميراث بالكليه كالكافر والرقيق دون من لا يرث لانحجابه بمن هو اقرب منه
والله اعلم وقد يشهد للقول بان الاخوه اذا كانوا محجوبين لا يحجبون الام ان الله تعالي قال
فان كان له اخوه فلامه السدس ولم يذكر الاب فدل علي ان ذلك حكم انفراد الام مع الاخوه
فيكون الباقي بعد السدس كله لهم وهذا ضعيف فان الاخوه قد يكونون من ام فلا يكون لهم
سوي الثلث والله تعالي اعلم واعلم ان الله تعالي ذكر حكم ميراث الابوين ولم يذكر الجد ولا الجده

فاما الجده فقد قال ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما انه ليس لها في كتاب الله شي وقد
حكى بعض العلما الاجماع علي ذلك وان فرضها انما ثبت بالسنه وقيل ان السدس طعمه
اطعمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بفرض لذا روي عن ابن مسعود وسعيد بن
المسيب وقد روي عن ابن عباس فيها ضعف انها بمنزله الام عند فقد الام ترث ميراث الام فترث
الثلث تاره والسدس اخرى وهذا شذوذ ولا يصح الحاق الجده بالجد لان الجد عصبة
يدلي بعصبه والجده ذات فرض تدلي بذات فرض فضعفت وقد قيل انه ليس لها فرض
بالكليه وانما السدس طعمه اطعمها النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا قالت طايفه ممن يرى الرد
على ذوي الفروض انه لا يرد علي الجده لضعف فرضها وهو روايه عن احمد واما الجد
فاتفق العلما على انه يقوم مقام الاب في احواله المذكوره من قبل فيرث مع الولد السدس بالفرض
ومع عدم الولد يرث بالتعصيب وان بقي شي مع اناث الولد اخذه بالتعصيب ايضا
عملا بقوله فما ابقت الفرايض فلاولي رجل ذكر ولكن اختلفوا اذا اجتمع ام وجد مع احد
الزوجين فروى عن طايفه من الصحابه ان للام ثلث الباقي كما لو كان معها الاب كما
سبق روى ذلك عن عمر وابن مسعود كذا نقله بعضهم ومنهم من قال انما روي عن عمر وابن
مسعود في زوج وام وجد ان للام ثلث الباقي وروي عن ابن مسعود روايه اخرى ان النصف
الفاضل بين الام والجد نصفين واما في زوجه وام وجد فروي عن ابن مسعود روايه
شاذه ان للام ثلث الباقي والصحيح عنه كقول الجمهور ان لها الثلث كاملا وهذا يشبه
تفريق ابن سيرين في الام مع الاب انه ان كان معهما زوج فللام ثلث الباقي وان كان
معها زوجه فللام الثلث وجمهور العلما علي ان الام لها الثلث مع الجد مطلقا وهو
قول علي وزيد وابن عباس والفرق بين الام مع الاب ومع الجد انها مع الاب يشملهما
اسم واحد وهما في القرب سوا الي الميت فياخذ الذكر منهما مثل حظ الانثيين من
الاولاد والاخوه واما الام مع الجد فليس يشملهما اسم واحد والجد ابعد من الاب
فلا يلزم مساواته به في ذلك واما ان اجتمع الجد مع الاخوه فان كانوا الام سقطوا

به

به لانهم انما يرثون من الكلاله والكلاله من لا ولد له ولا والد الا روايه شذت عن ابن عباس
واما ان كانوا لاب او لابوين فقد اختلف العلما في حكم ميراثهم قديما وحديثا فمنهم
فمنهم من اسقط الاخوه بالجد مطلقا كما يسقطون بالاب وهذا قول
الصديق ومعاذ وابن عباس وغيرهم واستدلوا بان الجد في كتاب الله يدخل في
مسمى الاب في المواريث كما ان ولد الولد ولد ويدخل في مسمى الولد عند عدم الولد بالاتفاق
وبان الاخوه انما يرثون مع الكلاله فيحجبهم الجد كالاخوه من الابوين وبان الجد اقوى
من الاخوه لاجتماع الفرض والتعصيب له من جهه واحده فهو كالاب وحينيذ
فيدخل في عموم قوله صلى الله عليه وسلم فما بقي فلاولي رجل ذكر ومنهم من شرك بين
الاخوه والجد وهو قول كثير من الصحابه واكثر الفقها بعدهم على اختلاف طويل بينهم
في كيفيه التشريك بينهم في الميراث وكان من السلف من يتوقف في حكمهم ولا يجيب
فيهم بشي لاشتباه امرهم واشكاله ولولا خشيه الاطاله لبسطنا القول في هذه
المسئله ولكن ذلك يودي الي الاطاله جدا واما حكم ميراث الاخوه للابوين او للاب
فقد ذكره الله تعالى في اخر سوره النسا في قوله يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله
ان امرو هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك والكلاله ماخوذه من تكلل
النسب واحاطته بالميت وذلك يقتضي انتفا الانتساب مطلقا من العمودين
الاعلي والاسفل وتنصيصه تعالى علي انتفا الولد تنبيه علي انتفا الوالد بطريق الاولى
لان انتساب الولد الي والده اظهر من انتسابه الي ولده فكان ذكر عدم الولد
تنبيها علي عدم الوالد بطريق الاولي وقد قال ابو بكر الصديق الكلاله رضي الله عنه
من لا ولد له ولا والد وتابعه جمهور الصحابه والعلما بعدهم وقد روي ذلك مرفوعا في
مراسيل ابي سلمه بن عبد الرحمن عن النبي صلى الله عليه وسلم خرجه ابو داود في المراسيل
وخرجه الحاكم من روايه عمر بن ابي سلمه عن ابي هريره مرفوعا وصححه ووصله بذكر ابي هريره
ضعيف وقوله تعالى ان امرو هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك يعني اذا

اعلمن للميت ولدا بالكليه لا ذكرا ولا انثى فللاخت حينئذ النصف مما ترك فرضا ومفهوم هذا
انه اذا كان له ولد فليس للاخت النصف فرضا ثم ان كان الولد ذكرا فهو اولى بالمال
كله لما سبق تقريره في ميراث الاولاد الذكور اذا انفردوا فانهم اقرب العصبات وهم
يسقطون الاخوه فكيف لا يسقطون الاخوات وايضا فقد قال تعالى وان كانوا
اخوه رجالا ونسا فللذكر مثل حظ الانثيين وهذا يدخل فيه ما اذا كان هناك ذو
فرض كالبنات وغيرهن فاذا استحق الفاضل ذكور الاخوه مع الاخوات فاذا
انفردوا فكذلك يستحقونه واولى وان كان الولد انثى فليس للاخت هنا النصف
بالفرض ولكن لها الباقي بالتعصيب عند جمهور العلما وقد سبق ذكر ذلك والاختلاف
فيه ولو كان هناك ابن لا يستوعب المال واخت مثل ابن نصفه حر عند من يورثه
نصف الميراث وهو مذهب احمد وغيره من العلما فهل يقال ان الابن هنا يسقط نصف الامام
فرض الاخت فترث معه الربع فرضا ام يقال انه يصير كالبنت فتصير الاخت معه
عصبه كما تصير مع الاخت لكنه يسقط نصف تعصيبها فتاخذ معه النصف الباقي بالتعصيب
هذا يحتمل وفي هذه المسله لاصحابنا وجهان وقوله تعالى وهو يرثها ان لم يكن لها ولد
يعني ان الاخ يستقل بميراث اخته اذا لم يكن لها ولد ذكرا او انثى فان كان لها ولد ذكر فهو اولى
من الاخ بغير اشكال فانه اولى رجل ذكر وان كان انثى فالباقي بعد فرضها يكون للاخ
لانه اولى رجل ذكر ولكن لا يستقل بميراثها حينئذ كما اذا لم يكن لها ولد وقوله وان
كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك يعني ان فرض الثنتين الثلثان كما ان فرض الواحده النصف
فهذا دليه حكم انفراد الاخوه والاخوات واما حكم اجتماعهم فقد قال تعالى وان
كانوا اخوه رجالا ونسا فللذكر مثل حظ الانثيين فدخل في ذلك ما اذا كانوا منفردين
وما اذا كان هناك ذو فرض من الاولاد او غيرهم كاحد الزوجين او الام او الاخوه من
الام فيكون الفاضل عن فروضهم للاخوه والاخوات بينهم للذكر مثل حظ الانثيين فقد
تبين بما ذكرناه ان وجود الولد انما يسقط فرض الاخوات من الابوين او الاب ولا يسقط

تورثهن

تورثهن بالتعصيب مع اخوتهن بالاجماع ولا تعصيبهن بانفرادهن مع البنات
عند الجمهور فالكلاله شرط لثبوت فرض الاخوات لا لثبوت ميراثهن جمله ليس
بشرط للميراث ذكورهم بالاجماع وهذا بخلاف ولد الام فان انتفا الكلاله اسقطت
فروضهم واذا سقطت فروضهم سقطت مواريثهم لانه لا تعصيب لهم بحال لا دلايهم
بانثى والاخوات للابوين او للاب يدلون بذكر فيورثن بالتعصيب مع اخوتهن بالاتفاق
وبانفرادهن مع البنات عند الجمهور واذا كان الولد مسقطا لفرض ولد الابوين او الاب
دون اصل توريثهم بغير الفرض فقد يقال ان الله تعالى انما خص انتفا الولد في قوله ليس له
ولد ولم يذكر انتفا الوالد او الاب لانه كان يدخل فيه الجد والجد لا يسقط ميراث
الاخوه بالكليه وانما يشتركون معه في الميراث تاره بالفرض وتاره بغيره وهذا على قول
من يقول ان الجد لا يسقط الاخوه وهم الجمهور ظاهر وهذا كله في انفراد ولد الابوين او
الاب فان اجتمعوا فان العصبات من ولد الابوين يسقطون ولد الاب كلهم بغير خلاف
حتى في الاخت من الابوين مع البنت عند من جعلها عصبه يسقط بها الاخ من الابوين
وفي المسند والترمذي وابن ماجه عن علي قال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اعيان
بني الام يرثون دون بني العلات يرث الرجل اخاه لابيه وامه دون اخيه لابيه وقال
عمرو بن شعيب قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاخ للاب والام اولى بالكلاله بالميراث
ثم الاخ للاب وهذا ايضا مما قد يدخل في قوله عليه الصلاه والسلام فما بقي فلاولى رجل ذكر
والتحقيق في ذلك ان كلما دل عليه القران ولو بالتنبيه فليس هو مما بقيته الفرايض بل هو من
الحاق الفرايض المذكوره في القران باهلها كتوريث الاولاد ذكورهم واناثهم الفاضل عن
الفروض للذكر مثل حظ الانثيين وتوريث الاخوه ذكورهم واناثهم كذلك ودل ذلك بطريق
التنبيه على ان الباقي ياخذه الذكر منهم عند الانفراد بطريق الاولى ودل ايضا بالتنبيه
على ان الاخت تاخذ الباقي مع البنت كما كانت تاخذه مع اخيها ولا يقدم عليها من هو ابعد
منها كابن الاخ والعم وابنه فان اخاها اذا لم يسقطها فكيف يسقطها من هو ابعد منه فهذا
كله من باب الحاق الفرائض باهلها ومن باب قسمة المال بين اهل الفرائض على كتاب الله
واما من لم يدل بالتسمية من العصبات في القران كابن الاخ والعم وابنه وانما دخل في

عموماته مثل قوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وقوله تعالى ولكل جعلنا موالي
مما ترك الوالدان والاقربون فهذا يحتاج في توريثهم الى هذا الحديث اعني حديث ابن عباس فاذا لم
يوجد للمال وارث غيرهم انفردوا به ويقدم منهم الاقرب فالاقرب لانه اولى رجل ذكر
وان وجدت فروض لا تستغرق المال كاحد الزوجين او الام او ولد الام او بنات منفردات
او اخوات منفردات فالباقي كله لاولى ذكر من هولاء ولهذا لو كان هولاء اخوة رجالا ونسا
لاختص به رجالهم دون نسائهم بخلاف الاولاد والاخوة فانه يشترك في الباقي او في المال كله
ذكورهم دون اناثهم بنص القران والحديث انما دل على توريث العصبات الذين تختص ذكورهم
دون اناثهم وهم من عدا الاولاد والاخوة فهذا حكم العصبات المذكورين في كتاب الله وفي
حديث ابن عباس واما ذوو الفروض فقد ذكرنا حكم مواريثهم ولم يبق منهم الا الزوجان والاخوة
للام فاما الزوجان فيرثان بسبب عقد النكاح ولما كان بين الزوجين من الالفة والمودة
والتناصر والتعاضد ما بين الاقارب وجعل للذكر منهما مثلا ما للانثى لامتياز الذكر على
الانثى بمزيد النفع بالانفاق والنصرة واما ولد الام فانهم ليسوا من قبيلة الرجل ولا عشيرته
وانما هم في المعنى من ذوي رحمه ففرض الله لواحدهم السدس ولجماعتهم الثلث صلة وسوى
بين ذكورهم واناثهم حيث لم يكن لذكرهم زيادة على اناثهم في الحياه من المعاضدة والمناصرة كما
بين اهل القبيلة والعشيرة الواحدة فسوى بينهم في الصلة ولهذا لم تشرع الوصية للاجانب
بزيادة على الثلث بل كان الثلث كثيرا في حقهم لانهم ابعد من ولد الام فينبغي ان لا يزادوا على ما
يوصل به ولد الام بل ينقصون منه واستدل بعضهم بقوله فما بقي فلاولى رجل ذكر على ان
لا ميراث لذوي الارحام لانه لم يجعل حق الميراث لمن لم يذكر في القران الا لاقرب الذكور
وهذا الحكم يختص العصبات دون ذوي الارحام فان من ورث ذوي الارحام ورث ذكورهم
واناثهم واجاب من يرى توريث ذوي الارحام بان هذا الحديث دل على توريث العصبات
لا على نفي توريث غيرهم وتوريث ذوي الارحام ماخوذ من ادلة اخرى فيكون ذلك زيادة على

ما

صولنا موالي

ما دل عليه حديث ابن عباس واما قوله لاولى رجل ذكر مع ان الرجل لا يكون الا ذكرا فالجواب الصحيح عنه
انه قد يطلق الرجل ويراد به الشخص كقوله من وجد ماله عند رجل قد افلس
ولا فرق بين ان يجده عند رجل او امراة فتقييده بالذكر ينفي هذا الاحتمال ويخلصه للذكر
دون الانثى وهو المقصود وكذلك الابن لما كان قد يطلق ويراد به اعم من الذكر كقوله ابن السبيل
جا تقييد ابن اللبون في نصب الزكاة بالذكر وللسهيلي كلام على هذا الحديث فيه تكلف وتعسف
شديد ولا طائل تحته وقد رده عليه جماعة ممن ادركناهم **الحديث**
الرابع والاربعون عن عايشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الرضاعة
تحرم ما تحرم الولادة خرجه البخاري ومسلم هذا الحديث خرجاه في الصحيحين من رواية عمرة
عن عايشة وخرج مسلم ايضا من رواية عروة عن عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحرم من
الرضاعة ما يحرم من النسب وخرجاه ايضا من رواية عروة عن عايشة موقوفا وخرجاه
من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم وخرجه الترمذي من حديث علي عن النبي صلى الله عليه
وسلم وقد اجمع العلما على العمل بهذه الاحاديث في الجملة وان الرضاع يحرم ما يحرم النسب
ولنذكر المحرمات من النسب كلهن حتى يعلم بذلك ما يحرم من الرضاع فنقول الولادة والنسب
قد يوثر التحريم في النكاح وهو على قسمين احدهما تحريم موبد على الانفراد وهو نوعان احدهما
ما يحرم بمجرد النسب فيحرم على الرجل اصوله وان علون وفروعه وان سفلن وفروع اصوله
الادنى وان سفلن وفروع اصوله البعيدة دون فروعهن فدخل في اصوله امهاته وان علون
من جهة ابيه وامه وفي فروعه بناته وبنات اولاده وان سفلن وفي فروع اصله الادنى
اخواته من الابوين او من احدهما وبناتهن وبنات الاخوة واولادهم وان سفلن ودخل في
فروع اصوله البعيدة العمات والخالات وعمات الابوين وخالاتهما وان علون فلم يبق
من الاقارب حلالا للرجل سوى فروع اصوله البعيدة وهن بنات العم وبنات العمات وبنات
الخال وبنات الخالات والنوع الثاني ما يحرم بالنسب مع سبب اخر وهو المصاهرة فيحرم
على الرجل حلايل ابايه وحلايل ابنايه وامهات نسايه وبنات نسايه المدخول بهن فيحرم على

الرجل ام امراته وامهاتها من جهة الام والاب وان علون ويحرم عليه بنات امراته وهن الربايب
وبنات بنيها وان سفلن ولو للابنا بني زوجته وهن بنات الربايب نص عليه
الشافعي والامام احمد ولا نعلم فيه خلاف ويحرم عليه ان يتزوج بامراه ابيه وان علا وامراه
ابنه وان سفل ودخول هولاي في التحريم بالنسب ظاهر لان تحريمهن من جهة نسب الرجل
مع سبب المصاهره فان التحريم واما امهات نسايه وبناتهن فتحريمهن مع المصاهره بسبب
نسب المراه فلم يخرج التحريم بذلك عن ان يكون بالنسب مع انضمامه الي سبب المصاهره فان
التحريم بالنسب المجرد والنسب المضاف الي المصاهره يشترك فيه الرجال والنسا
فيحرم علي المراه ان تتزوج اصولها وان علوا وفروعها وان سفلوا وفروع اصلها الادني
من اخوتها واولاد الاخوة وان سفلوا وفروع اصولها البعيده وهم الاعمام
والاخوال وان علوا دون ابنايهم فهذا كله بالنسب المجرد واما بالنسب المضاف الي
المصاهره فيحرم عليها نكاح ابي زوجها وان علا ونكاح ابنه وان سفل بمجرد العقد
ويحرم عليها زوج ابنتها وان سفلت بالعقد وزوج امها وان علت لكن بشرط الدخول بهما
والقسم الثالث التحريم المويد علي الاجتماع دون الانفراد ويحرم يختص الرجال لاستحاله اباحه
جمع المراه بين زوجين فكل امراتين بينهما رحم محرم يحرم الجمع بينهما بحيث لو كانت احداهما
ذكرا لم يجز له التزوج بالاخري فانه يحرم الجمع بينهما بعقد النكاح قال الشعبي كان اصحاب محمد
يقولون لا يجمع الرجل بين امراتين لو كانت احداهما رجلا لم يصلح له ان يتزوجها وهذا اذا
كان التحريم لاجل النسب وبذلك فسره سفين الثوري واكثر العلما فلو كان لغير النسب
مثل ان يجمع بين زوجة رجل وابنته من غيرها فانه يباح عند الاكثرين وكرهه بعض السلف
فاذا علم ما يحرم من النسب فكل ما يحرم منه فانه يحرم من الرضاع نظيره فيحرم علي الرجل ان
يتزوج امهاته من الرضاعه وان علون وبناته من الرضاعه وان سفلن واخواته من
الرضاعه وبنات اخواته من الرضاعه وعماته وخالاته من الرضاعه وان علون دون
بناتهن ومعني هذا ان المراه اذا ارضعت طفلا الرضاع المعتبر في المده المعتبره صارت

امًا له بنص كتاب الله فيحرم عليه هي وامهاتها وان علون من نسب او رضاع وتصير بناتها
اخوات له من الرضاعه فيحرمن عليه بنص القران وبقيه التحريم من الرضاع استفيد
من السنه كما استفيد من السنه ان تحريم الجمع لا يختص بالاختين بل المراه وعمتها وخالتها كذلك
واذا كان اولاد المرضعه من نسب او رضاع اخوه للمرتضع فيحرم عليه بنات اخوته ايضا
وقد امتنع النبي صلي الله عليه وسلم من تزويج ابنه حمزه وابنه ابي سلمه وعلل بان اباهما كانا
اخوين له من الرضاعه ويحرم عليه ايضا اخوات المرضعه لانهن خالاته وينتشر التحريم
ايضا الي الفحل صاحب اللبن الذي ارتضع منه الطفل فيصير صاحب اللبن ابا للطفل وتصير
اولاده كلهم من المرضعه او من غيرها من نسب او رضاع اخوه للمرتضع وتصير اخوته اعماما
للطفل المرتضع هذا قول جمهور العلما من السلف واجمع عليه الايمه الاربعه ومن بعدهم
وقد دل علي ذلك من السنه ما روت عايشه ان افلح اخا ابي القعيس استاذن عليها بعدما
انزل الحجاب قالت عايشه فقلت والله لا اذن له حتي استاذن رسول الله صلي الله عليه وسلم
فان ابا القعيس ليس هو ارضعني ولكن ارضعتني امراته قالت فلما دخل رسول الله صلي الله عليه
وسلم ذكرت ذلك له فقال ايذني له فانه عمك تربت يمينك وكان ابو القعيس زوج المراه
التي ارضعت عايشه خرجاه في الصحيحين بمعناه وسيل ابن عباس عن رجل له جاريتان ارضعت
احداهما جاريه والاخري غلاما ايحل للغلام ان يتزوج الجاريه فقال لا اللقاح واحد ولو
كان اللبن الذي ارتضع به الطفل قد ثاب للمراه من غير وطي فحل بان تكون امراه لا زوج لها قد
ثاب لها لبن وهي بكر او ايسه فاكثر العلما علي انه يحرم الرضاع به وتصير المرضعه اما للطفل
وقد حكاه ابن المنذر اجماعا عمن يحفظ عنه من اهل العلم وهو قول ابي حنيفه ومالك والشافعي
واسحق وغيرهم وذهب الامام احمد في المشهور المنصوص عنه الي انه لا ينتشر التحريم به بحال
حتي يكون له فحل ثاب اللبن من رضاعه ولو انقطع نسبه من جهة صاحب اللبن كولد الزنا فهل
ينتشر الحرمه الي الزاني صاحب اللبن هذا ينبني علي ان البنت من الزنا هل تحرم علي الزاني ومذهب
ابي حنيفه واحمد ومالك في رواية عنه تحريمها عليه خلافا للشافعي وبالغ الامام احمد في

الانكار على من خالف في ذلك فعلى قوله هل ينتشر التحريم الى الزاني صاحب اللبن فيكون ابا للمرتضع
ام لا فيه قولان هما وجهان لاصحابنا واختار ابن حامد ان التحريم لا ينتشر اليه واختار
والقاضي ابو يعلى ان التحريم ينتشر الى الزاني وهو نص احمد وحكاه عن ابن عباس وهو قول اسحق
ابن راهويه نقله عنه حرب وينتشر التحريم بالرضاع الى ما حرم بالنسب مع الصهر اما من
جهة نسب الرجل كامراة ابيه وابنه او من جهة نسب الزوجة كامها وابنتها والى ما
حرم جمعه لاجل نسب المراة ايضا كالجمع بين الاختين والمراة وعمتها او خالتها فيحرم
ذلك كله من الرضاع ما يحرم من النسب لدخوله في قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع
ما يحرم من النسب وتحريم هذا كله للنسب فبعضه لنسب الزوج وبعضه لنسب الزوجة
وقد نص على ذلك ائمه السلف ولا يعلم بينهم فيه اختلاف ونص عليه الامام احمد واستدل
بعموم قوله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب واما قوله عز وجل وحلائل ابنائكم الذين
من اصلابكم فقالوا لم يرد بذلك انه لا يحرم حلائل الابناء من الرضاع انما اراد اخراج حلائل
الذين تبنوا ولم يكونوا ابناء من النسب كما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زوجة زيد بن حارثه
بعد ان كان قد تبناه وهذا التحريم بالرضاع يختص بالمرتضع نفسه وينتشر الى اولاده ولا
ينتشر تحريمه الى من في درجة المرتضع من اخوته واخواته ولا الى من اعلا منه من ابائه
وامهاته واعمامه وعماته واخواله وخالاته فتباح المرضعة نفسها لابي المرتضع من
النسب ولاخيه وتباح ام المرتضع من النسب واخته منه لابي المرتضع من الرضاع ولاخيه
هذا قول جمهور العلما وقالوا يباح ان يتزوج اخت اخيه من الرضاعة واخت ابنته من
الرضاعة حتى قال الشعبي هي احل من ماء قدس وصرح باباحتها حبيب بن ابي ثابت واحمد وروى
اشعث عن الحسن انه كره ان يتزوج الرجل بنت ظئر ابنه ويقول اخت ابنه ولم ير باسا ان
يتزوج امها يعني ظئر ابنه وروى سليمان التيمي عن الحسن انه سئل عن الرجل يتزوج اخت
اخيه من الرضاعة فلم يقل فيه شيئا وهذا يقتضي توقفه فيه ولعل الحسن انما كان يكره ذلك
تنزيها لا تحريما لمشابهته للمحرم بالنسب في الاسم وهذا بمجرده لا يوجب تحريما وقد استثنى

كثير

ولا حاجة الى الاستثنا ... الرضاع ... هذين

تحريم

لكثير من الفقهاء من اصحابنا وغيرهم ما يحرم من النسب صورتين فقالوا لا نظير لهما من الرضاع احدهما
ام الاخت فتحرم من النسب ولا تحرم من الرضاع والثانيه اخت الابن فتحرم من النسب دون الرضاع
ولا احد هما اما ام الاخت فانما تحرم من النسب لكونها اما او زوجة اب لا
لمجرد كونها ام اخت فلا يعلق التحريم بما لم يعلقه الله به وحينئذ فيوجد في الرضاع
من هي ام اخ ليست اما ولا زوجة اب فلا تحرم لانها ليست نظيرا لذات النسب
واما اخت الابن فان الله انما حرم الربيبه المدخول بامها فتحرم لكونها ربيبه
دخل بامها لا لكونها اخت ابنه والدخول في الرضاع منتف فلا تحرم به اولاد
المرضعه ومما قد يدخل في عموم قوله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب لو
ظاهر من امراته فشبهها بمحرمه من الرضاع فقال لها انت علي كامي من الرضاع
فهل يثبت بذلك تحريم الظهار ام لا فيه قولان احدهما انه يثبت به تحريم الظهار
وهو قول الجمهور منهم مالك والثوري وابو حنيفه والاوزاعي والحسن بن صالح وعثمان
البتي وهو المشهور عن احمد والثاني لا يثبت به التحريم وهو قول الشافعي وتوقف احمد فيه
في روايه ابن منصور

الحديث الخامس والاربعون

بن عبد الله

عن جابر رضي الله عنهما انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو بمكه يقول ان الله
ورسوله حرم بيع الخمر والميته والخنزير والاصنام فقيل يا رسول الله ارايت شحوم الميته فانه
يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال لا هو حرام ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك قاتل الله اليهود ان الله حرم عليهم الشحوم فاجملوه
ثم باعوه فاكلوا ثمنه خرجه البخاري ومسلم هذا الحديث خرجاه في الصحيحين
ابي
من حديث يزيد بن حبيب عن عطا عن جابر وفي روايه لمسلم ان يزيد قال كتب الي عطا
فذكره ولهذا قال ابو حاتم الرازي لا اعلم يزيد بن ابي حبيب سمع من عطا شيئا يعني انه انما
يروي عنه كتابة وقد رواه ايضا يزيد بن ابي حبيب عن عمرو بن الوليد بن عبده عن
عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه وفي الصحيحين عن ابن عباس قال بلغ عمر ان
رجلا باع خمرا فقال قاتله الله الم يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قاتل الله اليهود حرمت

عليهم الشحوم فجملوها فباعوها وفي روايه واكلوا اثمانها ٥ وخرج
ابو داود من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه وزاد فيه وان الله
اذا حرم اكل شي حرم عليهم ثمنه وخرجه ابن ابي شيبه ولفظه ان الله اذا حرم شيًا
حرم ثمنه وفي الصحيحين عن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قاتل الله يهودًا
حرمت عليهم الشحوم فباعوها واكلوا اثمانها وفي الصحيحين عن عايشه قالت لما انزلت
الايات من اخر سوره البقره خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتراهن على الناس ثم
نهى عن التجاره في الخمر وفي روايه لمسلم لما نزلت الايات من اخر سوره البقره في الربا خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد فحرم التجاره في الخمر وخرج مسلم من حديث ابي سعيد
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله حرم الخمر فمن ادركته هذه الايه وعنده منها شي فلا
يشرب ولا يبع قال فاستقبل الناس بما كان عندهم منها في طريق المدينه فسفكوها
وخرج ايضا من حديث ابن عباس ان رجلا اهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم راويه خمر
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل علمت ان الله قد حرمها قال لا قال فسار
انسانا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بم ساررته قال امرته ببيعها قال ان الذي
حرم شربها حرم بيعها قال ففتح المزاد حتى ذهب ما فيها فالحاصل من هذه الاحاديث
كلها ان ما حرم الله الانتفاع به فانه يحرم بيعه واكل ثمنه كما جا به مصرحًا في الروايه
المتقدمة ان الله اذا حرم شيًا حرم ثمنه وهذه كلمه عامه جامعه تطرد في كل
ما كان المقصود من الانتفاع به حرامًا وهو قسمان احدهما ما كان الانتفاع به
حاصلا مع بقا عينه كالاصنام فان منفعتها المقصوده منها هو الشرك بالله وهو
اعظم انواع المعاصي على الاطلاق ويلتحق بذلك ما كانت منفعته محرمه ككتب الشرك
والسحر والبدع والضلال وكذلك الصور المحرمه وآلات الملاهي المحرمه كالطنبور وكذلك
شري الجواري للغنا وفي المسند عن ابي امامه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله بعثني
رحمه وهدى للعالمين وامرني ان امحق المزامير والكبارات يعني البرابط والمعازف
والاوثان التي كانت تعبد في الجاهليه واقسم ربي بعزته لا يشرب عبد من
عبيدي

من عبيدي جرعه من خمر الا سقيته مكانها من حميم جهنم معذبا او مغفورا
له ولا يسقيها صبيا صغيرا الا سقيته مكانها من حميم جهنم معذبا او مغفورا له
ولا يدعها عبد من عبيدي مخافتي الا سقيته اياها من حظيرة القدس ولا يحل
بيعهن ولا شراوهن ولا تعليمهن ولا التجارة بهن واثمانهن حرام المغنيات وخرجه
الترمذي ولفظه لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجاره
فيهن وثمنهن حرام في مثل ذلك انزل الله ومن الناس من يشتري لهو الحديث الاية
وخرجه ابن ماجه ايضا وفي التاني اسناد الحديث مقال وقد روي نحوه من
حديث عمر وعلي باسناد فيهما ضعف ايضا وممن حرم الغنا احمد ومالك
فانهما يقولان اذا بيعت الامة المغنية تباع على انها ساذجة ولا يوخذ لغنايها
ثمن ولو كانت الجارية ليتيم ونص على ذلك احمد ولا يمنع الغنا من اصل بيع العبد
والامة لان الانتفاع به في غير الغنا حاصل بالخدمة وغيرها وهو من اعظم
مقاصد الرقيق نعم لو علم ان المشتري لا يشتريها الا للمعصية المحرمة منه لم يجز
بيعه عند الامام احمد وغيره من العلما كما لا يجوز عندهم بيع العصير ممن يتخذه
خمرا ولا بيع السلاح في الفتنة ولا بيع الرياحين والاقداح لمن يعلم انه يشرب
عليها الخمر او الغلام لمن يعلم منه الفاحشة القسم الثاني ما لا ينتفع به مع اتلاف
عينه فاذا كان المقصود الاعظم منه محرما فانه يحرم بيعه كما يحرم بيع الخنزير
والخمر والميتة مع ان في بعضها منافع غير محرمة كاكل الميتة للمضطر ودفع
الغصه بالخمر واطفا الحريق به والخرز بشعر الخنزير عند قوم والانتفاع بشعره
وجلده عند من يرى ذلك ولكن لما كانت هذه المنافع غير مقصودة لم يعبا
بها وحرم البيع لان المقصود الاعظم من الخنزير والميتة اكلها ومن الخمر شربها ولم
يلتفت الى ما عدا ذلك وقد اشار صلى الله عليه وسلم الى هذا المعنى لما قيل له ارايت شحوم
الميتة فانه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال لا
هو حرام وقد اختلف الناس في تاويل قوله صلى الله عليه وسلم هو حرام
فقالت طايفة اراد ان هذا الانتفاع المذكور بشحوم الميتة حرام وحينيذ يكون
ذلك تاكيدا للمنع من بيع الميتة حيث لم يجعل شيا من الانتفاع بها مباحا وقالت
طايفة بل اراد بيعها حرام وان كان قد ينتفع بها بهذه الوجوه لكن المقصود
من الشحوم هو الاكل فلا يباع بها لذلك وقد اختلف العلما في الانتفاع بشحوم

الميتة من حص فيه عطا وكذلك نقل ابن منصور عن احمد واسحاق الا
ان اسحاق قال اذا احتيج اليها فاما اذا وجد عنه مندوحة فلا وقال احمد
يجوز اذا لم يمسه بيده وقالت طائفة لا يجوز نحو ذلك وهو قول مالك والشافعي
وابي حنيفة وحكاه ابن عبد البر اجماعا عن غير عطا واما الادهان الطاهرة
اذا تنجست لما يقع فيها من النجاسة ففي خلقه جواز الانتفاع بها بالاستصباح
ونحوه اختلاف مشهور في مذهب الشافعي واحمد وغيرهما وفيه روايتان
عن احمد ورواية يجوز بيعها من كافر ويعلم بنجاستها وهو مروي عن ابي موسى
الاشعري من اصحابنا من خرج جواز بيعها للاستصباح بها وهو ضعيف يخالف
نص احمد بالتفرقة فان شحوم الميتة لا يجوز بيعها وان قيل يجوز الانتفاع بها
ومنهم من خرجه على القول بطهارتها بالغسل فتكون حينئذ كالثوب المتضمخ
بنجاسته وظاهر كلام احمد منع بيعها مطلقا لانه علله بان الدهن المتنجس فيه
ميتة والميتة لا يوكل ثمنها واما بقية اجزا الميتة فما حكم بطهارته منها جاز
بيعه بجواز الانتفاع به وهكذا كالعظم والقرن عند من يقول بطهارتها
وكذلك الجلد عند من يقول الطاهر بغير دباغ كما يحكى عن الزهري
وتبويب البخاري يدل عليه واستدل بقوله انما حرم من الميتة اكلها واما
الجمهور الذين يرون بنجاسة الجلد قبل الدباغ فاكثرهم منعوا من بيعه
حينئذ لانه جزء من الميتة ومنه بعضهم فاجاز بيعه كالثوب النجس طاهر
طرق عليه النجاسة وجلد الميتة نجس نجسها وهو نجس العين قال سالم بن عبد
الله بن عمر هل بيع جلود الميتة الا كاكل لحمها وكرهه طاوس وعكرمة
وقال النخعي كانوا يكرهون ان يبيعوها فياكلوا اثمانها واما اذا دبغت
فمن قال بطهارتها بالدبغ اجاز بيعها ومن لم ير طهارتها بذلك لم يجز بيعها
ونص احمد على منع بيع القمح اذا كان فيه بول الحمار حتى يغسل ولعله
اراد بيعه ممن لا يعلم بحاله خشية ان ياكله ولا يعلم بنجاسته واما الكلب
وقد ثبت في الصحيحين عن ابي مسعود الانصاري ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب وفي صحيح مسلم عن رافع بن خديج سمع النبي
صلى الله عليه وسلم يقول شر الكسب مهر البغي وثمن الكلب وكسب الحجام
وفيه عن معقل عن ابي الزبير وقال هي تشبه احاديث ابي لهيعة وقد

يتبع

يتبع ذلك فوجد كما قال احمد رحمه الله وقد اختلف العلما في بيع الكلب
فاكثرهم حرموه منهم الاوزاعي ومالك في المشهور عنه والشافعي واحمد واسحاق
وغيرهم وقال ابو هريرة هو سحت وقال ابن سيرين هو اخبث الكسب وقال
عبد الرحمن بن ابي ليلى ما ابالي ثمن الكلب اكلت وثمن الخنزير وهولا لهم ما
اخذان احدهما انه انما نهى عن بيعها لنجاستها وهولا التزموا تحريم كل نجس العين
وهذا قول الشافعي وابن جرير الطبري ووافقهم جماعة من اصحابنا كابن
عقيل في نظرياته والتزموا ان البغل والحمار انما يجوز بيعهما اذا لم يقل
بنجاستهما وهذا مخالف للاجماع والثاني لم يبح الانتفاع به واقتناؤه مطلقا
كالبغل والحمار وانما يبيح اقتناؤه لحاجات مخصوصة ولذلك لا يبيح بيعه كما لا
يبيح الضرورة الى الميتة والدم بيعهما وهذا ما خ المتابعة من اصحابنا وغيرهم والثالث
انه انما نهى عن بيعه لخسته ومهانته فانه لا قيمة له الا عند ذوي الشح والمهانة
وهو متيسر الوجود فنهى عن اخذ ثمنه ترغيبا في المواساة لما يفضل منه
عن الحاجة وهذا ما اختاره الحسن البصري وغيره من السلف وكذا قال بعض اصحابنا
من النهي عنه بيع السنور ورخصت طائفة في بيع ما يباح اقتناؤه من الكلاب
ككلب الصيد وهو قول عطا والنخعي وابي حنيفة واصحابه ورواية عن مالك
وقال انما نهى عن بيع ما يحرم اقتناؤه منها وروى حماد بن سلمة عن ابي
الزبير عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب والسنور
الا كلب صيد خرجه النسائي وقال هذا حديث منكر وقال ايضا ليس بصحيح
وذكر الدارقطني ان الصحيح وقفه على جابر وقال احمد لم يصح عن النبي
صلى الله عليه وسلم رخصة في بيع الكلب ولا كلب الصيد واشار البيهقي وغيره
الى انه اشتبه على بعض الرواة هذا الاستثنا فظنه من البيع وانما هو من
الاقتنا وحماد بن سلمة في رواياته عن ابي الزبير ليس بالقوي ومن
قال ان هذا الحديث على شرط مسلم كما ظنه طائفة من المتاخرين فقد
اخطا لان مسلما لم يخرج لحماد بن سلمة عن ابي الزبير شيئا وقد بين في
كتاب التمييز رواياته من شيوخه واكثرهم عنعنة واما بيع الهر فقد
اختلف العلما في كراهته فمنهم من كرهه وروي ذلك عن ابي هريرة
وجابر وعطا وطاوس ومجاهد وجابر بن زيد والاوزاعي واحمد
في رواية عنه وقال هو اهون من جلود السباع وهذا اختيار ابي بكر

منهم أصحابنا ورخص في بيع الهر ابن عباس وعطاء في رواية والحسن وابن سيرين
والحكم وحماد وهو قول الثوري وأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد في المشهور
عنه وعن إسحاق روايتان وعن الحسن أنه كره بيعها ورخص في شرائها
للانتفاع بها وهؤلاء منهم من لم يصحح النهي عن بيعها قال أحمد ما أعلم فيه
شيئا يثبت أو يصح وقال أيضا الأحاديث فيه مضطربة ومنهم من حمل النهي عليه
ما لا نفع فيه كالبري ونحوه ومنهم من قال إنما نهي عن بيعها لأنه دناءة وقلة مروءة
لأنها متيسرة الوجود والحاجة إليها داعية فهي من مرافق الناس التي لا ضرار
عليهم في بذل فضلها فالشح بذلك من أقبح الأخلاق الذميمة فلذلك زجر
عن أخذ ثمنها وأما بقية الحيوانات التي لا تؤكل فما لا نفع فيه كالحشرات ونحوها
لا يجوز بيعه وما يذكر من نفع في بعضها فهو قليل فلا يكون مباحا للبيع كما لا
يبيح النبي صلى الله عليه وسلم بيع الميتة لما ذكرنا فيها من الانتفاع
ولهذا كان الصحيح أنه لا يباع نقع العلق لمص الدم ولا الديدان للاصطياد
ونحو ذلك وأما ما فيه نفع للاصطياد منها كالفهد والبازي والصقر فحكى أكثر
الأصحاب في جواز بيعها روايتين عن أحمد ومنهم من أجاز بيعها وذكر
الإجماع وتأول الكراهة كالقاضي أبي يعلى في المجرد ومنهم من قال لا يجوز
بيع الفهد والنسر وحكى وجها آخر بالجواز وأجاز بيع البزاة والصقر والبازي
والعقاب ونحوه أكثر العلماء منهم الثوري والأوزاعي والشافعي وإسحاق
والمنصوص عن أحمد في أكثر الروايات عنه جواز بيعها وتوقف في رواية
عنه في جوازه إذا لم تكن معلمة قال الخلال العمل على ما رواه الجماعة
أنه يجوز بيعها بكل حال وجعل بعض أصحابنا الفيل حكمه حكم الفهد ونحوه
وفيه نظر والمنصوص عن أحمد في رواية حنبل أنه لا يحل بيعه ولا
شراؤه وجعله كالسبع وحكي عن الحسن أنه قال لا يركب ظهره وقال
هذا مسخ وهذا كله يدل على أنه لا منفعة فيه ولا يجوز بيع الدب
قاله القاضي في المجرد وقال ابن أبي موسى لا يجوز بيع القرد وقال
ابن عبد البر لا أعلم في ذلك خلافا بين العلماء وقال القاضي في المجرد
إن كان ينتفع به في موضع لحفظ المتاع فهو كالصقر والبازي وإلا
فهو كالأسد لا يجوز بيعه والصحيح المنع مطلقا وهذه المنفعة يسيرة
وليست هي مقصودة منه فلا يصح البيع لها كمنافع الميتة ومما نهي عن بيعه
الكفار إذا قتلوا خرج الإمام أحمد من حديث ابن عباس قال قتل

المسلمون

المسلمون يوم الخندق رجلا من المشركين فأعطوا بجيفته مالا فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ادفعوا إليهم جيفته فإنه خبيث الجيفة خبيث الدية فلم يقبل
منهم شيئا وخرجه الترمذي ولفظه أن المشركين أرادوا أن يشتروا جسد رجل
من المشركين فأبى النبي صلى الله عليه وسلم أن يبيعهم وخرجه وكيع في كتابه
من وجه آخر عن عكرمة مرسلا ثم قال وكيع الجيفة لا تباع وقال حرب قلت
لإسحاق ما تقول في بيع جيف المشركين من المشركين قال لا وروى أبو عمرو
الشيباني أن عليا أتي بالمستورد العجلي وقد تنصر فاستتابه فأبى أن يتوب
فقتله فطلب النصارى جيفته بثلاثين ألفا فأبى علي فأحرقه والله أعلم

الحديث السادس والأربعون عن أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى الأشعري
رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى اليمن فسأله عن أشربة
تصنع بها فقال وما هي قال البتع والمزر فقال لأبي بردة ما البتع قال نبيذ الشعير
فقال كل مسكر حرام خرجه البخاري وخرجه مسلم ولفظه قال بعثني رسول
الله صلى الله عليه وسلم أنا ومعاذ إلى اليمن فقلت يا رسول الله إن شرابا
يصنع بأرضنا يقال له المزر من الشعير وشراب يقال له البتع من العسل
فقال كل مسكر حرام وفي رواية لمسلم فقال كل ما أسكر عن الصلاة فهو
حرام وفي رواية له قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطي جوامع
الكلم بخواتمه فقال أنهى عن كل مسكر أسكر عن الصلاة هذا الحديث خرجاه
وهو أصل في تحريم تناول جميع المسكرات المغطية للعقل وقد ذكر الله في كتابه
العلة المقتضية لتحريم المسكرات فكان أول ما حرمت الخمر عند حضور وقت
الصلاة لما صلى بعض المهاجرين وقرأ في صلاته فخلط في قراءته فنزل قوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فكان
منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي لا تقربوا الصلاة سكارى ثم إن
الله حرمها على الإطلاق بقوله إنما الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن
الصلاة فهل أنتم منتهون فذكر علة تحريم الخمر والميسر وهو القمار وهو أن الشيطان
يوقع بهما العداوة والبغضاء فإن من سكر اختل عقله فربما تسلط على أذى
الناس في أنفسهم وأموالهم وربما بلغ إلى القتل وهي أم الخبائث فمن شربها
قتل النفس وزنا وربما كفر وقد روي هذا المعنى عن عثمان وغيره

وروي مرفوعا القصاص من قامر ربما قهر واخذ ماله منه قهرا فلم يبق له شي
فيشتد حقده على من اخذ ماله وكل ما ادى الى ايقاع العداوة والبغضاء كان حراما
واخبر ان الشيطان يصد بالخمر والميسر عن ذكر الله وعن الصلاة فان السكران
يزول عقله او يختل فلا يستطيع ان يذكر الله ولا ان يصلي ولهذا قال طايفة
من السلف ان شارب الخمر تمر عليه ساعة لا يعرف فيها ربه سبحانه وتعالى
انما خلق الخلق ليعرفوه فيذكروه ويعبدوه ويطيعوه فما ادى الى الامتناع
بعد ذلك وحال بين العبد وبين ربه وذكره ومناجاته كان حراما وهو السكر وهذا
بخلاف النوم فان الله جبل العباد عليه واضطرهم اليه ولا قوام لابدانهم
الا به اذ هو راحة لهم من السعي من النصب فهو من اعظم نعم الله على عباده
فاذا نام المومن بقدر الحاجة ثم استيقظ الى ذكر الله تعالى ومناجاته ودعايه
كان نومه له عونا على الصلاة والذكر ولهذا قال من قال من الصحابة احتسب نومتي
كما احتسب قومتي وكذلك الميسر يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فان
صاحبه يعكف بقلبه عليه ويشتغل به عن جميع مصالحه ومهماته حتى لا يكاد
يذكرها لاستغراقه فيه ولهذا قال علي لما مر على قوم يلعبون بالشطرنج ما
هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون فشبههم بالعاكفين على التماثيل
وجاء في الحديث ان مدمن الخمر كعابد الوثن فانه يتعلق قلبه بها فلا يكاد
قلبه ان يدعها كما لا يدع عابد الوثن عبادته وهذا كله مضاد لما خلق
الله العباد لاجله من تفريغ قلوبهم لمعرفته ومحبته وخشيته وذكره
ومناجاته ودعايه والابتهال اليه فما حال بين العبد وبين ذلك ولم يكن
للعبد اليه ضرورة بل كان ضررا محضا عليه كان محرما وقد روي عن
علي انه قال لمن راهم بالشطرنج ما لهذا خلقتم وهنا يعلم ان الميسر محرم
سوا كان بعوض او بغير عوض وان الشطرنج كالنرد او شر منه لانه يشغل
اصحابها عن ذكر الله وعن الصلاة اكثر من النرد والمقصود ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال كل مسكر حرام وكل ما اسكر عن الصلاة فهو حرام وقد
تواترت الاحاديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل
خمر حرام ولفظ مسلم وكل مسكر حرام وخرجا ايضا عن حديث عايشة ان
النبي صلى الله عليه وسلم سيل عن البتع فقال كل شراب اسكر فهو
حرام

حرام وفي رواية لمسلم كل شراب مسكر حرام وقد صحح هذا الحديث احمد ويحيى
ابن معين واصحابه ونقل ابن عبد البر اجماع اهل العلم بالحديث على صحته وانه
اثبت شي يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم في تحريم المسكر واما ما نقله بعض فقها
الحنفية عن ابن معين من طعنه فيه فلا يثبت ذلك عنه وخرج مسلم من حديث
ابي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر حرام والى هذا ذهب
جمهور علما المسلمين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علما الامصار وهو مذهب
مالك والليث والاوزاعي والشافعي واحمد واسحاق ومحمد بن الحسن وغيرهم
وهو مما اجمع على القول به اهل المدينة كلهم وخالف فيه طوايف من اهل الكوفة
وقالوا ان الخمر انما هي خمر العنب خاصة وما عداها فانما يحرم منه القدر الذي يسكر
ولا يحرم ما دونه وما زال علما الامصار ينكرون ذلك عليهم وفيهم خلق من ايمة
العلم والدين قال ابن المبارك وما وجدت في النبيذ رخصة عن احد صحيح الا عن
ابراهيم يعني النخعي ولذلك انكر الامام احمد ان يكون فيه شي يصح وقد صنف
كتاب الاشربة ولم يذكر فيه شيا من الرخصة وصنف كتابا في المسح على الخفين
وذكر فيه عن بعض السلف انكاره فقيل له كيف لم تجعل في كتاب الاشربة
الرخصة كما جعلت في المسح فقال ليس في الرخصة في المسكر حديث صحيح ومما
يدل على ان كل مسكر حرام خمر ان تحريم الخمر انما نزل بالمدينة بسبب سوال اهل
المدينة عما عندهم من الاشربة ولم يكن بها خمر العنب فلو لم يكن آية تحريم الخمر
شاملة لما عندهم لما كان فيها بيان لما سالوا عنه ولكان محل السبب خارجا
عن عموم الكلام وهو ممتنع ولما نزل تحريم الخمر اراقوا ما عندهم من الاشربة فدل
على انهم فهموا انه من الخمر المامور باجتنابه وفي صحيح البخاري عن انس
قال حرمت علينا الخمر حين حرمت وما نجد خمر الاعناب الا قليلا وعامة
خمرنا البسر والتمر وعنه قال اني لاسقي ابا طلحة وابا دجانة وسهيل بن بيضا
خليط بسر وتمر اذ حرمت الخمر فقذفتها وانا ساقيهم واصغرهم وانا نعدها
يوميذ الخمر وفي الصحيحين عنه قال ما كان لنا خمر غير فضيخكم هذا الذي
يسمونه الفضيخ وفي صحيح مسلم عنه قال لقد انزل الله الاية التي حرم فيها
الخمر وما بالمدينة شراب يشرب الا من تمر وفي صحيح البخاري عن ابن عمر قال
نزل تحريم الخمر وان بالمدينة يوميذ لخمسة اشربة ما منها شراب العنب وفي

الصحيحين عن الشعبي عن ابن عمر قال خطب عمر على المنبر فقال اما بعد نزل
تحريم الخمر عن الشعبي منه انه وهي من خمسة العنب والتمر والعسل والحنطة
والشعير والخمر ما خامر العقل وخرجه الامام احمد وابو داود والترمذي من
حديث الشعبي عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الترمذي
ان قول من قال عن الشعبي عن ابن عمر عن عمر اصح وكذا قال ابن المديني وروى ابو
اسحاق عن ابي داود قال قال عمر ما خمرته فعتقته فهو وانى كانت لنا الخمر خمر
العنب وفي مسند الامام احمد عن المختار بن فلفل قال سالت انس بن مالك
عن الشراب في الاوعية فقال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المزفتة
وقال كل مسكر حرام قلت له صدقت السكر حرام فالشربة والشربتان على
طعامنا قال المسكر قليله وكثيره حرام وقال الخمر من العنب والتمر والعسل
والحنطة والشعير والذرة فما خمرت من ذلك فهو الخمر خرجه احمد عن عبد الله
ابن ادريس سمعت المختار فذكره وهذا اسناد على شرط مسلم وفي صحيح مسلم عن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الخمر من هاتين الشجرتين النخلة
والعنب وهذا صريح في ان نبيذ التمر خمر وجا التصريح بالنهي عن قليل ما
اسكر كثيره لما خرجه ابو داود وابن ماجة والترمذي وحسنه
من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اسكر كثيره فقليله
حرام وخرجه ابو داود والترمذي وحسنه من حديث عايشة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر حرام وما اسكر الفرق فملء الكف منه
حرام وفي رواية الحسوة منه حرام وقد احتج به احمد وذهب اليه
وسيل عمن قال انه لا يصح فقال هذا رجل مغل يعني غالي في مقالته وقد
خرج النسائي هذا الحديث من رواية سعد بن ابي وقاص وعبد الله بن
عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
من وجوه كثيرة يطول ذكرها وروى ابن عجلان عن عمرو بن شعيب حدثني
وهيب الجيشاني عن وفد اهل اليمن انهم قدموا على النبي صلى الله
عليه وسلم فسالوه عن اشربة تكون باليمن قال فسموا له البتع من العسل
والمزر من الشعير قال النبي صلى الله عليه وسلم هل يسكر منها قالوا
اذا اكثرنا سكرنا قال فحرام قليل ما اسكر كثيره خرجه القاضي اسماعيل

وقد

وقد كانت الصحابة تحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام على تحريم
جميع انواع المسكرات ما كان موجودا منها على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وما
حدث بعده كما سيل ابن عباس عن الباذق فقال سبق محمد الباذق فما اسكر فهو حرام
خرجه البخاري يشير الى انه ان كان مسكرا فقد دخل في هذه الكلمة الجامعة العامة
واعلم ان المسكر المزيل للعقل نوعان احدهما ما كان فيه لذة وطرب فهذا هو
الخمر المحرم شربه وفي مسند عن طلق الحنفي انه كان جالسا عند النبي صلى الله
عليه وسلم فقال له رجل يا رسول الله من تسايل عن المسكر فلا تشربه ولا تسقه
اخاك المسلم فوالذي نفسي بيده او بالذي يحلف به لا يشربه رجل ابتغا لذة
سكره فيسقيه الله الخمر يوم القيامة قال طايفة من العلما وسوا كان المسكر
جامدا او مايعا وسوا كان مطعوما او مشروبا وسوا كان من حب او تمر او لبن
او غير ذلك وقد ادخلوا في ذلك الحشيشة التي تعمل من ورق العنب وغيرها
مما يوكل لاجل لذته وسكره وفي سنن ابي داود من حديث شهر بن حوشب
عن ام سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر
والمفتر هو المخدر للجسد وان لم ينته الى الاسكار والثاني ما يزيل العقل
ويسكر ولا لذة فيه ولا طرب كالبنج ونحوه فقال اصحابنا ان تناوله لحاجة التداوي
وكان الغالب منه السلامة جاز وقد روي عن عروة ابن الزبير انه لما وقعت الاكلة
في رجله وارادوا قطعها قالوا له الا نسقيك دوا حتى يغيب عقلك ولا تحس بالم
قطعك فابى وقال ما ظننت ان احدا يشرب شرابا يزيل العقل حتى لا يعرف
ربه وروي عنه انه قال لا اشرب شيا يحول بيني وبين ذكر الله عز وجل وان تناول
ذلك لغير حاجة التداوي فقال اكثر اصحابنا كالقاضي وابن عقيل وصاحب المغني
انه محرم لانه تسبب الى ازالة العقل لغير حاجة فحرم كشرب المسكر وروى حبيش
الرحبي وفيه ضعف عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعا من شرب شرابا يذهب
بعقله فقد اتى بابا من ابواب الكباير وقالت طايفة منهم ابن عقيل في فنونه
لا يحرم ذلك لانه لا لذة فيه والخمر انما حرم لما فيه من اللذة المطربة ولا اطراب
في البنج ونحوه ولا شدة فعلى قول الاكثرين لو تناول ذلك لغير حاجة وسكر
به وطلق فحكم طلاقه حكم طلاق السكران قاله اكثر اصحابنا كابن حامد والقاضي
واصحاب الشافعي وقالت الحنفية لا يقع طلاقه وعللوا بانه ليس فيه لذة

وهذا يدل على انهم لم يحرموه وقالت الشافعية هو محرم وفي وقوع الطلاق معه
وجهان وظاهر كلام احمد انه لا يقع طلاقه بخلاف السكران وتاوله القاضي وقال
انما قال ذلك الزاما للحنفية لا اعتقادا له وسياق كلامه يحتمل لذلك واما الحد
فانما يجب بتناول ما فيه شدة وطرب من المسكرات لانه هو الذي تدعو النفوس
اليه فجعل الحد زاجرا عنه واما ما فيه سكر بغير طرب ولا لذة فليس فيه سوى التعزير
لانه ليس في النفوس داع اليه حتى يحتاج الى حد مقدر زاجر عنه فهو كالبنج
ولحم الخنزير وشرب الدم واكثر العلماء الذين يرون تحريم قليل ما اسكر كثيره يرون
حد من شرب ما يسكر كثيره وان اعتقد حله متاولا وهو قول الشافعي واحمد
خلافا لابي ثور فانه قال لا يحد لتاوله فهو كالناكح بغير ولي خلاف ايضا
لكن الصحيح انه لا يحد وقد فرق من فرق بينه وبين شرب النبيذ متاولا
بان شرب النبيذ المختلف فيه داع الى شرب الخمر المجمع على تحريمه بخلاف النكاح
بغير ولي فانه مغن عن الزنا المجمع على تحريمه وموجب للاستغناء عنه
والمنصوص عن احمد انه انما حد شارب النبيذ متاولا لان تاوله -
ضعيف لا يدرا عنه الحد به فانه قال في رواية الاثرم يحد من شرب النبيذ
متاولا ولو رفع الى الامام من طلق البتة ثم راجعها متاولا ان طلاق البتة
واحدة والامام يرى انها ثلاث لا يفرق بينهما وقال هذا غير ذاك امره بين
في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ونزل تحريم الخمر وشرابهم الفضيخ
وقال النبي صلى الله عليه وسلم كل مسكر خمر فهذا بين وطلاق البتة انما
هو شيء اختلف الناس فيه الحديث السابع والاربعون عن المقدام بن
ابن معدي كرب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما ملا
ادمي وعاء شرا من بطن بحسب ابن ادم اكلات يقمن صلبه فان كان لا
محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه رواه الامام احمد
والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي حديث حسن هذا الحديث خرجه
هولاء كلهم من رواية وروي هذا الحديث مع ذكر سببه فروى
ابن القاسم في معجمه من حديث عبد الرحمن بن المرقع قال فتح رسول الله صلى الله
عليه وسلم خيبر وهي مخضرة من الفواكه فواقع الناس الفاكهة فغثتهم الحمى -
فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الحمى رائد الموت وسجن الله في الارض
وهي

وهي قطعة من النار فاذا اخذتم فبردوا الماء في الشنان فصبوها عليكم بين -
الصلاتين يعني بين المغرب والعشاء قال ففعلوا ذلك فذهب عنهم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يخلق وعاء اذا ملي شر من بطن فان كان لا بد فاجعلوا
ثلثا للطعام وثلثا للشراب وثلثا للريح وهذا الحديث اصل جامع لاصول
الطب كلها وقد روي ان ابن ماسويه الطبيب لما قرا هذا الحديث في كتاب ابي خيثمة
قال لو استعمل الناس هذه الكلمات لسلموا من الامراض والاسقام ولتعطلت الما
رستانات ودكاكين الصيادلة وانما قال هذا لان اصل كل داء التخمة كما قال بعضهم
اصل كل داء البردة وروي مرفوعا ولا يصح وقال الحارث ابن كلدة طبيب العرب
الحمية راس كل دواء والبطنة راس الداء ورفعه بعضهم ولا يصح وقال الحارث ايضا
الذي قتل الانهضام وقال غيره لو قيل لاهل القبور ما كان سبب اجالكم قالوا
التخم فهذا بعض منافع تقليل الغذاء وترك التملي من الطعام بالنسبة الى صلاح
البدن وصحته واما منافعه بالنسبة الى القلب وصلاحه فان قلة الغذاء توجب
رقة القلب وقوة الفهم وانكسار النفس وضعف الهوى والغضب وكثرة الغذاء
توجب ضد ذلك قال الحسن يا ابن ادم كل في ثلث بطنك واشرب في ثلثه ودع
ثلث بطنك للنفس لتتفكر وقال المروزي جعل الامام احمد يعظم امر الجوع
والفقر فقلت له يوجر الرجل على ترك الشهوات فقال وكيف لا يوجر وابن عمر يقول
ما شبعت منذ اربعة اشهر قلت للامام احمد يجد الرجل من قلبه رقة وهو
يشبع قال ما ادري وروي باسناده عن ابن سيرين قال رجل لابن عمر الا
اجيك بجوارشن قال واي شيء هو قال شيء يهضم الطعام اذا اكلته
قال ما شبعت منذ اربعة اشهر وليس ذاك اني لا اقدر عليه ولكن ادركت قوما
يجوعون اكثر مما يشبعون وباسناده عن نافع قال جا رجل بجوارشن الى ابن عمر
فقال ما هذا قال جوارشن شيء يهضم به الطعام قال ما اصنع به انه ليأتي علي
الشهر وما اشبع فيه من الطعام وباسناده عن رجل قال قلت لابن عمر يا ابا
عبد الرحمن رقت مضغتك وكبر سنك وجلساوك لا يعرفون لك حقك ولا شرفك
فلو امرت اهلك ان يجعلوا لك شيئا يلطفك اذا رجعت اليهم قال ويحك والله
ما شبعت منذ من كان في الدنيا على هذا الحال قال ما ليس ذلك يا ابا عبد الرحمن
على اهل ولايته ومن وفقه الله الى طاعته لا ياكل الا دون الشبع وهو
دوام الجوع وهو يشبه هذا قول الحسن لما عرض الطعام على بعض اصحابه

فقال له اكلت حتى لا استطيع ان اكل وروى ايضا باسناده عن بن عمران الجوني
قال كان يقال من احب ان ينور له قلبه فليقل طعمه وعن عثمان بن زايدة
قال كتب الي سفيان الثوري ان اردت ان يصح جسمك ويقل نومك فاقلل من
الاكل وعن بن السماك قال خلا رجل باخيه فقال اي اخي نحن اهون على الله
من ان يجيعنا انما يجوع اولياوه وعن عبد الله بن الفرج لابي سعيد التميمي
الخايف يشبع قال لا قلت المشتاق قال لا وعن رباح القيسي انه قرب اليه الطعام
فاكل منه فقيل له ازدد قال ما اكاد شبعت فصاح صيحة وقال كيف اشبع ايام الدنيا
وشجرة الزقوم طعام الاثيم بين يدي فرفع الرجل الطعام من بين يديه وقال
انت في شي ونحن في شي وقال المروزي قال لي رجل كيف ذلك المتنعم يعني احمد
ابن حنبل فقلت له كيف هو متنعم قال اليس يجد خبزا ياكله وله امراة يسكن
اليها ويطاها فذكرت ذلك لاحمد فقال صدق وجعل يسترجع وقال انا لنشبع
وقال بشر بن الحارث الحافي ما شبعت منذ خمسين سنة وقال ما ينبغي للرجل
ان يشبع اليوم من الحلال لانه اذا شبع من الحلال دعته نفسه الي الحرام
فكيف من هذه الاقذار عن ابراهيم بن ادهم قال من ضبط بطنه ضبط دينه
ومن ملك جوعه ملك الاخلاق الصالحة وان معصية الله بعيدة من الجايع
قريبة من الشبعان والشبع يميت القلب ومنه يكون الفرح والمرح والضحك
وقال ثابت البناني بلغنا ان ابليس ظهر ليحيى بن زكريا عليهما السلام فراي
المعاليق التي اري عليك قال هذه الشهوات التي اصيب من بني ادم قال لي
فيها شي قال ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر قال فهل غير هذا قال
لا قال لله علي ان لا املا بطني من الطعام ابدا اي ان النفس اذا جاعت وعطشت
صفا القلب ورق واذا شبعت ورويت عمي القلب وقال مفتاح الدنيا الشبع
ومفتاح الاخرة الجوع واصل كل خير في الدنيا والاخرة الجوع عنده في خزاين
مدخرة فلا تعطي الا لواجب خاصته ولان ادع من عشاي لقمة احب الي من ان
اكلها ثم اقوم من اول الليل الى اخره وقال الحسن بن يحيى من اراد ان تغزر
دموعه ويرق قلبه فلياكل وليشرب في نصف بطنه وقال احمد بن ابي الحواري
فحدثت بهذا ابا سليمان فقال انما الحديث ثلث طعام وثلث شراب واري
هولا قد حاسبوا انفسهم فربحوا سدسا وقال محمد النضر الحارثي الجوع
يبعث على البر كما يبعث البطنة على الشر وعن الشافعي رحمه الله قال ما

شبعت

شبعت منذ ستة عشر سنة الا شبعة اطرحها لان الشبع يثقل البدن ويزيل
الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة وقد ندب النبي صلى الله
عليه وسلم الي التقلل من الاكل في حديث المقدام قال حسب ابن ادم لقيمات
يقمن صلبه وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال المومن ياكل بادب
الشرع فياكل في معى واحد والكافر ياكل بمقتضى الشهوة والشدة والنهم فياكل في
سبعة امعا وجي صلى الله عليه وسلم مع التقليل من الاكل والاكتفا ببعض
الطعام الي الايثار بالباقي منه فقال طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام
الاثنين يكفي الثلاثة وطعام الثلاثة يكفي الاربعة فاحسن ما اكل المومن في
ثلث بطنه وشرب في ثلث بطنه وترك للنفس ثلثا كما ذكره النبي صلى الله
عليه وسلم في حديث المقدام فان كثرة الشرب يجلب النوم ويفسد الطعام
قال سفيان كل ما شئت ولا تشرب فاذا لم تشرب لم يجيك النوم وقال بعض
السلف كان شباب يتعبدون في بني اسرايل فاذا كان عند فطورهم قام عليهم
قايم فقال لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فتناموا كثيرا فتخسروا كثيرا وقد كان
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه يجوعون كثيرا ويتقللون من اكل الشهوات
وان كان ذلك لعدم وجود الطعام الا ان الله لا يختار لرسوله الا اكمل الاحوال
وافضلها ولهذا كان ابن عمر يتشبه به في ذلك مع قدرته على الطعام وكذلك كان
ابوه من قبله ففي الصحيحين عن عايشة رضي الله عنها قالت ما شبع ال
محمد صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة من خبز بر ثلاث ليال تباعا حتى
قبض ولمسلم قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من طعام ثلاث ايام
حتى قبض وعنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع من خبز
الشعير وفي صحيح مسلم عن عمر انه خطب فذكر ما اصاب الناس من الدنيا فقال
لقد رايت النبي صلى الله عليه وسلم يظل اليوم يلتوي ما يجد دقلا
يملا به بطنه وخرج الترمذي وابن ماجه من حديث انس عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال لقد اوذيت في الله وما يوذى احد ولقد اخفت في الله
وما يخاف احد ولقد اتت علي ثلاث من بين يوم وليلة ومالي طعام الا
ما واراه ابط بلال وخرج ابن ماجه باسناده عن سليمان ابن جرد قال اتانا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فمكثنا ثلاث ليال لا نقدر على طعام

طعام وباسناده عن ابي هريرة قال اتي رسول الله صلي الله عليه وسلم وسلم
بطعام سخن فاكل فلما فرغ قال الحمد لله ما دخل بطني طعام سخن منذ كذا وكذا وقد
ذم الله ورسوله من اتبع الشهوات قال تعالي فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة
واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا الا من تاب وصح عن النبي صلي الله عليه
وسلم قال خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم ياتي قوم
يشهدون ولا يستشهدون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن وفي مسند
الامام احمد ان النبي صلي الله عليه وسلم راي رجلا سمينا فجعل يومي بيده الي
بطنه ويقول لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك وفي المسند ايضا عن ابي برزة
عن النبي صلي الله عليه وسلم انا اخوف ما اخاف عليكم شهوات الغي في بطونكم
وفروجكم ومضلات الهوي وفي مسند البزار وغيره عن فاطمة عن النبي صلي
الله عليه وسلم اني اخوف ما اخاف عليكم شهوات الغي في بطونكم وفي مسند
البزار وغيره عن فاطمة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال شرار امتي الذين
غذوا بالنعيم الذين ياكلون الوان الطعام ويلبسون الوان الثياب ويتشدقون
في الكلام وخرج الترمذي وابن ماجة من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال تجشا
رجل عند النبي صلي الله عليه وسلم فقال كف جشاك منا فان اكثرهم شبعا
في الدنيا اطولهم جوعا يوم القيامة وخرجه ابن ماجة من حديث سلمان
ايضا بنحوه وخرجه الحاكم من حديث ابي جحيفة وفي اسانيدها كلها مقال
والله اعلم وروي يحيي بن منده في كتاب مناقب الامام احمد باسناده عن
الامام احمد انه سيل عن قول النبي صلي الله عليه وسلم ثلث للطعام وثلث
للشراب وثلث للنفس فقال ثلث للطعام وثلث للشراب هو القوي وثلث
للنفس هو الروح والله اعلم الحديث الثامن والاربعون عن عبد الله
ابن عمر عن النبي صلي الله عليه وسلم قال اربع من كن فيه كان
منافقا وان كانت فيه خصلة منها كانت فيه خصلة من النفاق حتي
يدعها من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا خاصم فجر واذا
عاهد غدر خرجه البخاري ومسلم هذا الحديث خرجاه في الصحيحين من
رواية الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن عمرو بن
العاص وخرجاه ايضا في الصحيحين من حديث ابي هريرة عن النبي
صلي الله عليه وسلم قال اية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف

واذا

واذا اوتمن خان وفي رواية لمسلم وان صلي وصام وزعم انه مسلم وفي رواية
ايضا من علامات المنافق ثلاثة وقد روي هذا عن النبي صلي الله عليه وسلم من
وجوه اخر وهذا الحديث قد حمله طايفة ممن تميل الي الارجا علي المنافقين الذين
كانوا في عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم وانهم حدثوا النبي صلي الله عليه
وسلم فكذبوه وايتمنهم علي سره فخانوه ووعدوه ان يخرجوا معه في الغزو فاخلفوه
وقد روي محمد المحرم هذا التاويل عن عطا وانه قال حدثني به جابر عن النبي
صلي الله عليه وسلم وذكر ان الحسن رجع الي قول عطا هذا لما بلغه عنه وهو كذاب
والمحرم هذا شيخ كذاب معروف بالكذب وقد روي عن عطا من وجهين اخرين
ضعيفين انه انكر علي الحسن قوله ثلاث من كن فيه كان منافق وقال قد حدث
اخوة يوسف فكذبوا ووعدوا فاخلفوا وايتمنوا فخانوا ولم يكونوا منافقين
وهذا لا يصح عن عطا والحسن لم يقل هذا من عنده وانما بلغه عن النبي صلي الله
عليه وسلم فالحديث ثابت عنه صلي الله عليه لا شك في ثبوته وصحته والذي
فسره اهل العلم المعتبرين ان النفاق في اللغة هو من جنس الخداع والمكر
واظهار الخير وابطان خلافه وهو في الشرع ينقسم الي قسمين احدهما النفاق
الاكبر وهو ان يظهر الانسان الايمان بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر ويبطن
الكفر وما يناقض ذلك كله او بعضه وهذا هو النفاق الذي كان علي عهد رسول
الله صلي الله عليه وسلم ونزل القران بذمهم وتكفيرهم واخبر ان اهله في
الدرك الاسفل من النار والثاني النفاق الاصغر وهو نفاق العمل وهو ان
يظهر الانسان علانية صالحة ويبطن ما يخالف ذلك واصول هذا النفاق
ترجع الي الخصال المذكورة في هذه الاحاديث وهي خمسة احدها ان يحدث
اخاك بحديث لم يصدقه به وهو كاذب له وفي المسند عن النبي صلي الله صلي
عليه وسلم قال كبرت خيانة ان تحدث اخاك حديثا هو لك مصدق وانت به كاذب
قال الحسن كان يقال النفاق اختلاف السر والعلانية والقول والعمل
والمدخل والمخرج وكان يقال اس النفاق الذي بني عليه النفاق الكذب الثاني
اذا وعد اخلف وهو علي نوعين احدهما من يعد ومن نيته ان لا يفي بوعده
وهو اشد الخلف ولو قال افعل كذا الا ان يشا الله ومن نيته ان لا يفعل كان
كاذبا وخلفا قاله الاوزاعي والثاني ان يعد ومن نيته ان يفي ثم يبدو

يهوله فيخلف من غير عذر له في الخلف وخرج ابو داود والترمذي من حديث
زيد ابن ارقم عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال الترمذي ليس اسناده
بالقوي وخرج الاسماعيلي وغيره من حديث سلمان ان عليا لقي ابا بكر
وعمر فقال ما لي اراكما ثقيلين قالا حديث سمعناه من النبي صلى الله عليه وسلم
ذكر خلال المنافق اذا وعد اخلف واذا حدث كذب واذا ايتمن خان فخاننا
بخوف هذه الخصال فدخل علي على النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال
قد حدثتهما ولم اضعه على الموضع الذي يضعونه ولكن المنافق اذا حدث
وهو يحدث نفسه ان يكذب واذا وعد وهو يحدث نفسه ان يخلف واذا
ايتمن وهو يحدث نفسه ان يخون وقال ابو حاتم الرازي في هذا الحديث
من رواية سلمان وزيد بن ارقم الحديثان مضطربان وفي الحديث مجهولان
وقال الدارقطني الحديث من حديث علي مرفوعا والله اعلم وخرج الطبراني
والاسماعيلي من حديث علي مرفوعا العدة دين ويل لمن وعد ثم اخلف
قالها ثلاثا وفي اسناده جهالة ويروى من حديث ابن مسعود ويروى من
حديث بن مسعود صبيه ثم لا ينجزله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال العدة عطية وفي اسناده نظر وله صحيح عن ابن مسعود من قوله
وفي مراسيل الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال العدة هبة وفي
سنن ابي داود عن مولى لعبد الله ابن عامر بن ربيعة عن عبد الله بن عامر
ابن ربيعة اعطيك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اردت ان تعطيه
قالت اردت ان اعطيه تمرا فقال اما انك لم تفعلي كتبت عليك كذبة في
اسناده من لا يعرف وذكر الزهري عن ابي هريرة من قال لصبي تعال هاك
تمرا ثم لا يعطيه شيئا فهي كذبة وقد اختلف العلماء في وجوب الوفاء بالوعد
فمنهم من اوجبه مطلقا وذكر البخاري في صحيحه ان ابن اشوع قضى بالوعد
وهو قول طائفة من اهل الظاهر وغيرهم ومنهم من اوجب الوفاء به اذا
اقتضى تغريما للموعود وهو المحكي عن مالك وكثير من الفقهاء لا يوجبه
مطلقا والثالث اذا خاصم فجر ويعني بالفجور ان يخرج عن الحق عمدا حتى
يصير الحق باطلا والباطل حقا وهذا مما يدعوا اليه الكذب كما قال صلى الله
عليه وسلم اياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي
الى

الى النار وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ابغض الرجال الى
الله الالد الخصم وقد قال صلى الله عليه وسلم انكم تختصمون الي ولعل بعضكم
ان يكون الحن بحجته من بعض وانما اقضي على نحو مما اسمع فمن قضيت له بشيء
من حق اخيه فلا ياخذه فانما اقطع له قطعة من النار وقال صلى الله
عليه وسلم ان من البيان لسحرا فاذا كان الرجل ذا قدرة على الخصومة سوا
كانت خصومة في الدين او في الدنيا على ان ينتصر للباطل ويخيل للسامع
انه حق ويوهن الحق ويخرجه عن صورة الباطل كان ذلك من اقبح المحرمات
ومن اخبث خصال النفاق وفي سنن ابي داود عن ابن عمر عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال من خاصم في الباطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله
حتى ينزع وفي رواية له ايضا ومن اعان على خصومة بظلم فقد با
بغضب من الله الرابع اذا عاهد غدر ولم يف بالعهد مسولا وقال واوفوا
بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم
كفيلا وقال ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق
لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم
عذاب اليم وفي الصحيحين عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل
غادر لواء يوم القيامة يعرف به وفي رواية ان الغادر ينصب له لواء يوم
القيامة فيقال الا هذه غدرة فلان وخرجاه ايضا من حديث انس بمعناه
وخرج مسلم من حديث ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل
غادر لواء عند استه يوم القيامة والغدر حرام في كل عهد بين المسلم وغيره
ولو كان المعاهد كافرا ولهذا في حديث عبد الله ابن عمر عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال من قتل مسلما معاهدا بغير حقه لم يرح رايحة وقد امر الله في كتابه
بالوفا في عهود المشركين اذا اقاموا على عهودهم ولم ينقضوا منها شيئا واما عهود
المسلمين فيما بينهم فالوفا بها اشد ونقضها اعظم اثما ومن اعظمها نقض الامام
على من بايعه ورضي به وفي الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي عليه السلام
قال ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم فذكر منهم ورجل
بايع اماما لا يبايعه الا للدنيا فان اعطاه ما يريد وفى له والا لم يف له ويدخل
في العهود التي يجب الوفا بها ويحرم الغدر فيها جميع عقود المسلمين فيما

بينهم اذا تراضوا عليها من المبايعات والمناكحات وغيرها من العقود اللازمة
التي يجب الوفا بها وكذلك ما يجب الوفا به لله عز وجل مما عاهد الله العبد
ربه عليه من نذر التبرر ونحوه الخامس الخيانة في الامانة واذا ايتمن الرجل
امانة فالواجب عليه ان يوديها كما قال تعالى ان الله يامركم ان تودوا الامانات
الى اهلها وقال النبي صلى الله عليه وسلم اد الامانة الى من ايتمنك وقال
في خطبة في حجة الوداع من كانت عنده امانة فليوديها الى من ايتمنه عليها
وقال عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون
فالخيانة في الامانة من خصال النفاق وفي حديث ابن مسعود من قوله وروي
مرفوعا القتل في سبيل الله يكفر كل ذنب الا الامانة يوتى بصاحب
الامانة فيقال له اد امانتك فيقول اني يا رب وقد ذهبت الدنيا فيقال
اذهبوا به الى الهاوية فيهوي فيها حتى ينتهي الى قعرها فيجدها هناك
كهيتها فيحملها فيضعها على عنقه فيصعد بها في نار جهنم حتى اذا راى
انه قد خرج منها زلت فهوت وهوى في اثرها ابد الابدين قال والامانة في الصلاة
والامانة في الصوم والامانة في الحديث واشد ذلك الودايع روي عن محمد ابن كعب وقدم
القرظي انه استنبط ما في الحديث يعني ما في حديث اية المنافق ثلاث من القران
فقال مصداق ذلك في كتاب الله قال الله تعالى اذا جاك المنافقون الى قوله والله
يشهد ان المنافقين لكاذبون وقوله تعالى ومنهم من عاهد الله لين اتانا من فضله
لنصدقن الى قوله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله
ما وعدوه وبما كانوا يكذبون وقال تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض
والجبال فابين ان يحملنها الى قوله ليعذب الله المنافقين والمنافقات وروي
ابن مسعود نحو هذا الكلام ثم تلى قوله تعالى ثم اعقبهم نفاقا في قلوبهم الاية
وحاصل الامر ان النفاق الاصغر كله يرجع الى اختلاف السريرة والعلانية
كما قاله الحسن وقال الحسن ايضا من النفاق اختلاف القلب واللسان
واختلاف السر والعلانية واختلاف الدخول والخروج وقالت طايفة من السلف
خشوع النفاق ان يرى الجسد خاشعا والقلب ليس بخاشع وقد روي
معنى ذلك عن عمر وروي عنه انه قال على المنبر ان اخوف ما اخاف عليكم
المنافق العليم قالوا كيف يكون المنافق عليما قال يتكلم بالحكمة ويعمل بالجور
او

او قال المنكر وسيل حذيفة عن المنافق فقال الذي يصف الايمان ولا يعمل
الايمان ولا يعمل به وفي الصحيح البخاري عن ابن عمر انه قيل له انا ندخل على
سلطاننا فنقول لهم بخلاف ما نتكلم اذا خرجنا من عندهم قال كنا نعد هذا نفاقا
وفي المسند عن حذيفة قال انكم لتتكلمون كلاما ان كنا لنعده على عهد رسول الله
عليه السلام فتصير بها منافقا واني لاسمعها من احدكم اليوم في المجلس عشر
مرات قال بلال بن سعد المنافق يقول ما يعرف ويعمل ما ينكر ومن هنا كانت
الصحابة يخافون النفاق على انفسهم وكان عمر يسال حذيفة عن نفسه
وسال ابو رجا العطاردي من ادركت فقال نعم اني ادركت منهم بحمد الله صدرا
حسنا شديدا وقال البخاري في صحيحه قال ابن ابي مليكة ادركت ثلاثين
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يخاف النفاق على نفسه ويذكر عن الحسن
انه حلف ما مضى مومن قط ولا بقي الا وهو من النفاق مشفق ولا مضى
منافق ولا بقي الا وهو من النفاق امن وكان يتعوذ من النفاق في صلاته فلما
سلم قال له ما شانك وشان النفاق فقال عفوا ثلاثا لا امن من البلا والله
ان الرجل ليفتن في ساعة واحدة فينقلب عن دينه والاثار عن السلف
في هذا كثيرة جدا قال سفيان الثوري خلاف ما بيننا وبين المرجية في ثلاث
فذكر منها قال نحن نقول النفاق وهم يقولون لا نفاق وقال الاوزاعي قد خاف
عمر النفاق على نفسه قيل انهم يقولون ان عمر لم يخف ان يكون يوميذ منافقا
حتى سال حذيفة ولكن خاف ان يبتلى به قبل ان يموت قال هذا قول اهل البدع
يشير الى ان عمر كان يخاف النفاق على نفسه في الحال والظاهر انه اراد
ان عمر كان يخاف على نفسه في الحال النفاق الاصغر والنفاق الاكبر
الاصغر وسيلة وذريعة الى النفاق الاكبر كما ان المعاصي بريد الكفر فكما
يخشى على من اصر على المعصية ان تسلب الايمان عند الموت كذلك يخشى
على من اصر على خصال النفاق ان يسلب الايمان فيصير منافقا خالصا وسيل
الامام احمد ما تقول فيمن لا يخاف على نفسه النفاق قال ومن يامن على
نفسه النفاق وكان الحسن يسمي من ظهرت منه خصلة النفاق العملي منافقا
وروي نحوه عن حذيفة وقال الشعبي من كذب فهو منافق وحكى محمد ابن

ابن نصر المروزي هذا القول عن فرقة من اهل الحديث وقد سبق في اوايل الكتاب ذكر الاختلاف عن الامام احمد وغيره في مرتكب الكبائر هل يسمى كافرا كفرا لا ينقل عن الملة ام لا واسم الكفر اعظم من اسم النفاق ولعل هذا هو الذي انكره عطا عن الحسن ان صح ذلك عنه ومن اعظم خصال النفاق العملي ان يعمل الانسان عملا ويظهر انه قصد به الخير وانما عمله ليتوصل به الى غرض له سي فيتم له ذلك ويتوصل بهذه الخديعة الى غرضه ويفرح بمكره وخداعه وحمد الناس له على ما اظهره وتوصله الى غرضه السي الذي ابطنه وهذا قد حكاه الله في القران عن المنافقين واليهود فحكى عن المنافقين انهم اتخذوا مسجدا ضرارا وتفريقا بين المومنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون وانزل في اليهود ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم وهذه الاية نزلت في اليهود وسالهم النبي عليه السلام عن شي فكتموه واخبروه بغيره فخرجوا وقد اروه ان قد اخبروه بما سالهم عنه واستحمدوا بذلك وفرحوا بما اتوا من كتمانهم وما سالوا عنه قال ذلك ابن عباس وحديثه مخرج في الصحيحين ايضا عن ابي سعيد انها نزلت في رجال من المنافقين كانوا اذا خرج النبي عليه السلام الى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلافه فاذا قدم رسول الله عليه السلام من الغزو اعتذروا اليه وحلفوا واحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا به وفي حديث ابن مسعود عن النبي عليه السلام قال من غشنا فليس منا والمكر والخديعة في النار وقد وصف الله المنافقين بالمخادعة واحسن ابو العتاهية في قوله ۞ ليس دنيا الا بدين ۞ وليس الدين الا مكارم الاخلاق ۞
۞ انما المكر والخديعة في النار ۞ هما من خصال اهل النفاق ۞

ولما تقرر عند الصحابة رضي الله عنهم ان النفاق من اختلاف السر والعلانية خشي بعضهم على نفسه اذا تغير عليه حضور قلبه ورقته وخشوعه عند سماع الذكر برجوعه الى الدنيا والاشتغال بالاهل والاولاد والاموال ان يكون ذلك منه نفاقا كما في صحيح مسلم عن حنظلة الاسيدي انه

مر

مر بابي بكر وهو يبكي فقال مالك قال نافق حنظلة يا ابا بكر نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالجنة والنار كانا راي عين فاذا رجعنا عافسنا الازواج والضيعة فنسينا كثيرا قال ابو بكر فوالله انا لكذلك فانطلقنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك يا حنظلة قال نافق حنظلة يا رسول الله وذكر له مثل ما قال لابي بكر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تدومون على الحال التي تقومون بها من عندي لصافحتكم الملايكة في مجالسكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة وفي مسند البزار عن انس قال قالوا يا رسول الله انا نكون عندك على حال فاذا فارقناك كنا على غيره فقال كيف انتم قالوا الله ربنا في السر والعلانية فقال ليس ذلكم النفاق وروي من وجه اخر عن انس قال غدا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هلكنا قال وما ذاك قالوا النفاق قال الستم تشهدون ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قالوا بلى قال فليس ذلكم النفاق ثم ذكر معنى حديث حنظلة لما تقدم والله اعلم

الحديث التاسع والاربعون عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا رواه الامام احمد والترمذي والنسائي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال الترمذي حسن صحيح

هذا الحديث خرجه هولاء كلهم من رواية عبد الله بن هبيرة سمع ابا تميم الجيشاني سمع عمر بن الخطاب يحدث به عن النبي صلى الله عليه وسلم وابن تميم وعبد الله ابن هبيرة خرج لهما مسلم ووثقهما غير واحد وابو تميم ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وهاجر الى المدينة في زمن عمر رضي الله عنه وقد روي هذا الحديث من حديث ابن عمر عن النبي عليه السلام ولكن في اسناده من لا يعرف حاله قاله ابو حاتم الرازي وهذا الحديث اصل في التوكل وانه من اعظم الاسباب التي يستجلب بها الرزق قال الله عز وجل ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقد قرا النبي صلى الله عليه وسلم هذه الاية على ابي ذر وقال له لو ان الناس كلهم اخذوا بها لكفتهم يعني انهم لو حققوا التقوى والتوكل لاكتفوا بذلك في مصالح دينهم ودنياهم وقد سبق الكلام على هذا المعني في شرح حديث ابن عباس احفظ

الله يحفظك قال بعض السلف حسبك من التوسل الله ان يعلم من قلبك حسن
توكلك عليه فكم من عبد من عباده قد فوض امره اليه فكفاه منه ما اهمه ثم قرا
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وحقيقة التوكل هو
صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار من
امور الدنيا والاخرة كلها وكلة الامور كلها اليه وتحقيق الايمان بانه لا يعطي ولا
يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه قال سعيد بن جبير التوكل جماع الايمان وقال
وهب بن منبه الغاية القصوى التوكل قال الحسن ان توكل العبد على ربه ان
يعلم ان الله هو ثقته وفي حديث بن عباس عن النبي عليه السلام قال من سره
ان يكون اقوى الناس فليتوكل على الله وروي عنه عليه السلام انه كان يقول
في دعايه اللهم اني اسيلك صدق التوكل عليك وانه كان يقول اللهم اجعلني ممن
توكل عليك فكفيته واعلم ان تحقيق التوكل لا ينافي السعي في الاسباب التي
قدر الله سبحانه وتعالى المقدورات بها وجرت سنته في خلقه بذلك فان الله
تعالى امر بتعاطي الاسباب مع امره بالتوكل فالسعي في الاسباب بالجوارح
طاعة له والتوكل بالقلب عليه ايمان به قال تعالى يا ايها الذين امنوا خذوا
حذركم وقال اعدوا لهم ما استطعتم من قوة وقال فاذا قضيت الصلاة فانتشروا
في الارض وابتغوا من فضل الله قال سهل التستري من طعن في الحركة
يعني في السعي والكسب فقد طعن في السنة ومن طعن في التوكل فقد طعن
في الايمان فالتوكل حال النبي صلى الله عليه وسلم والكسب سنته فمن عمل على
حاله فلا يتركن السنة ثم ان الاعمال التي يعملها العبد ثلاثة اقسام احدها
الطاعات التي امر الله عباده بها وجعلها سببا للنجاة من النار ودخول
الجنة فهذا لا بد من فعله مع التوكل على الله والاستعانة به فانه لا حول
ولا قوة الا به وما شا كان وما لم يشا لم يكن فمن قصر في شي مما وجب عليه
من ذلك استحق العقوبة في الدنيا والاخرة شرعا وقدرا قال يوسف بن
اسباط كان يقال اعمل عمل رجل لا ينجيه الا عمله وتوكل توكل رجل لا يصيبه
الا ما كتب له والثاني ما اجرى الله العادة به في الدنيا وامر عباده بتعاطيه
كالاكل عند الجوع والشرب عند العطش والاستظلال من الحر والتوقي من
البرد ونحو ذلك فهذا ايضا واجب على المرء تعاطي اسبابه ومن قصر فيه
حتى

حتى تضرر بتركه مع القدرة على استعماله فهو مفرط يستحق العقوبة لكن الله سبحانه
وتعالى قد يقوي بعض عباده من ذلك على ما لا يقوى عليه غيره فاذا عمل بمقتضى
قوته التي اختص بها عن غيره فلا حرج عليه ولهذا كان النبي عليه السلام يواصل
في صيامه وينهى عن ذلك اصحابه ويقول لهم اني لست كهيئتكم اني اطعم واسقى
وفي رواية اني اظل عند ربي يطعمني ويسقيني وفي رواية ان لي مطعما
يطعمني وساقيا يسقيني والاظهر انه اراد بذلك ان الله يقويه ويغذيه
بما يورده على قلبه من الفتوح القدسية والمنح الالهية والمعارف الربانية
التي تغنيه عن الطعام والشراب برهة من الدهر كما قال القايل

لها احاديث من ذكراك تشغلها ... عن الطعام وتلهيها عن الزاد
لها بوجهك نور تستضيء به ... وتب المسير وفي اعقابها حادي
اذا شكت من كلال السير اوعدها ... روح القدوم فتحيا عند ميعادي

وكان كثير من السلف لهم من القوة على ترك الطعام والشراب ما ليس لغيرهم
ولا يتضررون بذلك وكان بن الزبير يواصل ثمانية ايام وكان ابو الجوزا يواصل
في صومه بين سبعة ايام ثم يقبض على ذراع الشاب فيكاد يحطمها وكان
ابراهيم التيمي يمكث شهرين لا ياكل ولا يشرب ولا ينام وكان بعضهم لا يبالي
بالحر ولا بالبرد كما كان علي رضي الله يلبس ثياب الصيف في الشتا ولباس الشتا
في الصيف وكان النبي صلى الله عليه وسلم دعى له ان يذهب الله عنه الحر والبرد
فمن كان له هذه قوة على شي من هذه الامور فعمل بمقتضى قوته ولم يضعفه
عن طاعة الله تعالى فلا حرج عليه ومن كلف نفسه ذلك حتى اضعفها عن بعض
الواجبات فانه ينكر عليه ذلك وكان السلف ينكرون على عبد الرحمن ابن ابي
نعيم حيث كان يترك الاكل مدة حتى يعاد من ضعفه القسم الثالث ما اجرى
الله العادة به في الدنيا في الاعم الاغلب وقد يخرق العادة في ذلك لمن يشا من
عباده وهو انواع منها ما يخرقه كثيرا ويغني عنه كثيرا من خلقه كالادوية
بالنسبة الى كثير من البلدان وسكان البوادي ونحوها وقد اختلف العلما
هل الافضل لمن اصابه المرض التداوي ام تركه لمن حقق التوكل وفيه
قولان مشهوران وظاهر كلام احمد ان التوكل لمن قوي عليه افضل لما صح
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يدخل الجنة من امتي سبعون الفا

بغير حساب ثم قال هم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم
يتوكلون ومن رجح التداوي قال ان حال النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان يداوم
عليه هو الافضل الا افضل وحمل الحديث على الرقا المكروهة التي يخشى منها
الشرك بدليل انه قرنها بالكي والطيرة وكلاهما مكروه ومنها ما يخرق القليل من
عباده لحصول الرزق لمن ترك السعي في طلبه من رزقه الله صدق يقيني وتوكل
علم من الله انه يخرق له العوايد ولا يحوجه الى الاسباب المعتادة في طلب الرزق
ونحوه جاز له ترك الاسباب فلم ينكر عليه ذلك وحديث عمر هذا الذي تكلم عليه
يدل على ذلك ويدل على ان الناس انما يوتون من قلة تحقيق التوكل ووقوفهم
مع الاسباب الظاهرة بقلوبهم ومساكنتهم لها فلذلك تتعبون انفسهم في الاسباب
ويجتهدون فيها غاية الاجتهاد ولا ياتيهم الا ما قدر لهم فلو حققوا التوكل على
الله بقلوبهم لساق اليهم ارزاقهم بادنى سبب كما يسوق الى الطير ارزاقها بمجرد الغدو
والرواح وهو نوع من الطلب والسعي ولكنه سعي يسير وربما حرم الانسان رزقه
او بعضه بذنب يصيبه كما في حديث ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ومن حديث جابر عن النبي صلى الله عليه
وسلم ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب رزقه
حجاب فان قنع ورضيت نفسه اتاه رزقه وان اقتحم وهتك الحجاب لم يزد فوق
رزقه وقال بعض السلف توكل تساق اليك الارزاق بلا تعب ولا تكلف قال سالم
ابن ابي الجعد حديث ان عيسى عليه السلام كان يقول اعملوا لله ولا تعملوا
لبطونكم واياكم وفضول الدنيا فان فضول الدنيا عند الله احد هذه طير السما
تغدو وتروح ليس معها من ارزاقها شي لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها
فان قلتم ان بطوننا اعظم من بطون الطير فهذه الوحوش من البقر
والحمير تغدو وتروح ليس معها من ارزاقها شي لا تحرث ولا تحصد والله
يرزقها خرجه ابن ابي الدنيا وخرج باسناده عن ابن عباس قال كان عابد
يتعبد في غار فكان غراب ياتيه كل يوم برغيف يجد فيه طعم كل شي
حتى مات ذلك العابد وعن سعيد ابن عبد العزيز عن بعض مشيخة دمشق
قال اقام الناس على الثلج هاربا من قومه فمكث عشرين يوما ما ذاق الا زبيبة
ليلة فاتيه الغربان برزقه وقال سفيان الثوري قرا واصلي الاخذ

بهذه

بهذه وفي السما رزقكم وما توعدون فقال الا ان رزقي في السما وانا اطلب في
الارض فدخل خربة فمكث ثلاثا لا يصيب شيا فلما كان اليوم الثالث اذا هو
بدوخلة من رطب وكان له اخ احسن نية منه فدخل معه فصار تا دوخلتين
ولم يزل على ما بهما حتى فرق الموت بينهما والله اعلم ومن هذا الباب من
قوي توكله على الله ووثوقه به فدخل المفاوز بغير زاد فانه يجوز لمن هذه
صفته دون من لم يبلغ هذه المنزلة وله في ذلك اسوة بابراهيم الخليل عليه
السلام حين ترك اسماعيل وامه هاجر بواد غير ذي زرع وترك عندهما جرابا
فيه تمر وسقا فيه ما على ان قصة هاجر قالت الى من تدعنا قال لها الى الله قالت
رضيت بالله وهذا قد كان يفعله بامر الله ووحيه فقد يقذف الله في قلوب
المومنين وبعض اوليايه من الالهام الحق ما يعلمون انه حق ويثقون به قال
المروزي لابي عبد الله اي شي صدق التوكل على الله قال ان يتوكل على الله
ولا يكون في قلبه احد من الادميين يطمع ان يجيبه بشي فاذا كان كذلك كان
الله يرزقه وكان متوكلا قال وذكرت لابي عبد الله التوكل فاجازه لمن
استعمل فيه الصدق قال وسالت ابا عبد الله عن رجل جلس في بيت ويقول
اجلس واصبر ولا اطلع على ذلك احدا وتقدم ان يحترق قال لو خرج
فاحترف كان احب الي واذا جلس خفت عليه ان يحرجه ان يتوقع ان يرسل
اليه بشي قلت فاذا كان يبعث اليه بشي فلا ياخذه قال هذا جيد قلت لابي
عبد الله ان رجلا بمكة قال لا اكل شيا حتى يطعمني ودخل في جبل ابي
قبيس فجا اليه رجلان وهو متزر بخرقة فالقيا اليه قميصا واخذا بيديه
والبسوه القميص ووضع بين يديه شي فلم ياكل حتى وضعوا مفتاح حديد
في فيه وجعلوا يدسونه في فمه فضحك ابو عبد الله وجعل يتعجب قلت
لابي عبد الله ان رجلا ترك البيع والشرا لم يرتض فيهما شي وكان يمر في الطريق
فاذا راى شيا مطروحا اخذه مما القاه الغير قال المروزي فقلت للرجل
ما لكم حجة على هذا غير ابي معاوية الاسود قال بلى ادريس الغربي كان يمر
بالمزابل فيلتقط الرقاع قال تصدقه ابو عبد الله وقال قد شدد على
نفسه ثم قال قد جاني البقلي ونحوه فقلت له لو تعرضتم للعمل تشهرون
انفسكم قالوا وليس ينا من الشهرة وروى احمد بن الحسين ان حسان

عن احمد انه سيل عن رجل يخرج الي مكة بغير زاد قال ان كنت تطيق والا
فلا الا بزاد وراحلة لا تخاطر قال ابو بكر الخلال يعني ان الهاتف وعلم انه يقوي علي
ذلك ولا يسال ولا يستشرف نفسه لا ياخذ او يعطي فيقبل فهو متوكل علي
الصدق وقد اجاز العلما التوكل علي تصدق قال وقد حج ابو عبد الله وكفاه
في حجته اربعة عشر درهما وسيل اسحاق ابن راهويه المفازة بغير زاد ربي
كان الرجل ضعيفا وخشي علي نفسه ان لا يصبر وان يتعرض للسوال او ان
يقع في الشك والتخبط لم يجز له ترك الاسباب حينيذ وانكر عليه غاية الانكار
كما انكر الامام احمد وغيره علي من ترك الكسب وعلي من دخل المفازة بغير
زاد وخشي عليه التعرض للسوال وقد روي عن ابن عباس قال كان ابن عباس
اهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فيحجون فياتون مكة
فيسالون الناس فانزل الله هذه الاية وتزودوا فان خير الزاد التقوى
وكذلك قال مجاهد وعكرمة والنخعي وغير واحد من السلف فلا يرخص في ترك
السبب بالكلية الا لمن انقطع قلبه عن الاستشراف الي المخلوقين بالكلية وقد
روي عن احمد انه سيل عن التوكل فقال قطع الاستشراف باليأس عن
الخلق فسيل الحجة فقال قول ابراهيم عليه السلام لما عرض له جبريل وهو
يرمي في النار فقال له الك حاجة فقال اما اليك فلا وظاهر كلام احمد ان الكسب
افضل بكل حال فانه سيل عمن يقعد ولا يكتسب ويقول يتوكل علي الله فقال
ينبغي للناس كلهم يتوكلون علي الله ولكن يعودون على انفسهم بالكسب
وروي الخلال باسناده عن الفضيل ابن عياض انه قيل له لو ان رجلا قعد
في بيته زعم انه يثق بالله فياتيه برزقه قال اذا وثق بالله حتى يعلم انه
قد وثق به لم يمنعه شي اراده ولكن لم يفعل هذا الانبيا ولا غيرهم وقد
كانت الانبيا عليهم الصلاة والسلام يوجرون انفسهم وكان النبي صلى الله عليه
وسلم يوجر نفسه وابو بكر وعمر ولم يقولوا نقعد حتى يرزقنا الله وقال
الله عز وجل وابتغوا من فضل الله ولا بد من طلب المعيشة وقد روي عن
بشر ما يشعر بخلاف هذا فروي ابراهيم في الحلية ان بشرا سيل عن التوكل
فقال اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب فقال له السايل فسره لنا حتى
نفقه قال يعني اضطراب بلا سكون رجل يضطرب بجوارحه وقلبه ساكن الي

الله

الله بلا حركة وهذا عزيز وهو من صفات الابدال ولكن حال من لم يصل الي هذه
المقامات العالية فلا بد من معاناة الاسباب لا سيما من له عيال لا يصبرون وقد
قال النبي عليه السلام كفى بالمرء اثما ان يضيع من يقوت وكان بشر يقول لو
اني عيال لعملت واكتسبت وكذلك من ضيع بتركه الاسباب حق الله ولم يكن راضيا
بفوت حقه فان هذا عاجز مفرط وفي مثل هذا جا قول النبي صلي الله عليه وسلم
المومن القوي خير واحب الي الله تعالى من المومن الضعيف وفي كل خير احرص
علي ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز فان اصابك شي فلا تقولن لو اني فعلت
كذا ولكن قل قدر الله وما شا فعل فان لو تفتح عمل الشيطان خرجه مسلم
بمعناه من حديث ابي هريرة وفي سنن ابي داود عن عوف ابن مالك ان النبي
عليه السلام قضى بين الرجلين فقال المقضي عليه لما ادبر حسبنا الله ونعم
الوكيل فقال النبي صلي الله عليه وسلم ان الله يلوم علي العجز ولكن عليك بالكيس
فاذا غلبك امر فقل حسبي الله ونعم الوكيل وخرج الترمذي من حديث انس
قال قال رجل يا رسول الله اعقلها واتوكل او اطلقها واتوكل قال اعقلها
وتوكل وذكر عن يحيى القطان انه قال هو عندي حديث منكر وخرجه الطبراني
من حديث عمرو بن امية عن النبي صلي الله عليه وسلم وروي الوضين عن
عطا عن محفوظ بن علقمة عن ابن عابد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
التوكل بعد الكيس وهذا معناه ان الانسان ياخذ بالكيس والسعي في الاسباب
المباحة ويتوكل علي الله بعد سعيه وهذا كله اشارة الي ان التوكل لا ينافي
الاتيان بالاسباب بل قد يكون جمعهما افضل قال معاوية بن قرة لقي عمر ابن
الخطاب ناسا من اليمن فقال من انتم قالوا نحن المتوكلون قال بل انتم المتاكلون
انما المتوكل الذي يلقي حبه في الارض ويتوكل على الله عز وجل قال الخلال
اخبرنا محمد ابن احمد بن منصور قال سمعت المازني يقول سمعت الحارث قال التوكل
فقال المتوكل لا يتوكل علي الله ليكفى ولو حلت هذه القصة في قلوب المتوكلة
لضجوا الي الله بالندم والتوبة ولكن المتوكل يحل بقلبه الكفاية من الله
تبارك وتعالى فيصدق الله عز وجل فيما ضمن ومعنى هذا الكلام ان المتوكل
علي الله حق التوكل لا ياتي بالتوكل ويجعله سببا لحصول الكفاية له من
الله بالرزق وغيره فانه لو فعل ذلك لكان كمن اتى بسائر الاسباب لاستجلاب

الرزق والكفاية بها وهذا نوع نقص في تحقيق التوكل وانما التوكل حقيقة من
يعلم ان الله قد ضمن لعبده رزقه وكفايته فيصدق الله فيما ضمنه ويثق بقلبه
ويحقق الاعتماد عليه فيما ضمنه من الرزق من غير ان يخرج التوكل بخروج
الاسباب في استجلاب الرزق به والرزق مقسوم لكل احد من بر وفاجر
ومومن وكافر كما قال تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها هذا مع
ضعف كثير من الدواب وعجزها عن السعي في طلب الرزق قال تعالى وكاين
من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم فما دام العبد حيا فرزقه
على الله وقد ييسره الله له بكسب وبغير كسب فمن توكل على الله تعالى لطلب
الرزق فقد جعل التوكل سببا وكسبا ومن توكل على الله لثقته بضمانه فقد
توكل عليه ثقة به وتصديقا وما احسن قول مثنى الانباري وهو من اعيان
اصحاب الامام احمد لا تكونوا بالمضمون مهتمين فتكونوا متهمين وبرزقه غير راضين
واعلم ان ثمرة التوكل الرضا بالقضا فمن وكل اموره الى الله تعالى ورضي بما
يقضيه له ويختاره فقد حقق التوكل عليه وكذلك كان الحسن والفضيل وغيرهما
يفسرون التوكل على الله بالرضا قال ابن ابي الدنيا بلغني عن بعض الحكما قال
التوكل على ثلاث درجات اولها ترك الشكاية والثانية الرضا والثالثة المحبة فترك
الشكاية درجة الصبر والرضا سكون القلب بما قسم الله له وهي ارفع من الاولى
والمحبة ان يكون حبه لما يصنع به فالاولى للزاهدين والثانية للصادقين والثالثة
للمرسلين انتهى فالمتوكل على الله ان صبر على ما يقدره الله له من الرزق
او غيره فهو صابر وان رضي بما يقدر له بعد وقوعه فهو الراضي وان لم يكن له
اختيار بالكلية ولا رضي الا بما يقدر له فهو في درجة المحبين العارفين كما
كان عمر بن عبد العزيز يقول اصبحت ومالي سرور الا في مواقع القضا والقدر

الحديث الخمسون عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال اتى النبي
صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله ان شرايع الاسلام قد كثرت
علينا فباب جامع نتمسك به قال لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله عز
وجل خرجه الامام احمد بهذا اللفظ وخرجه الترمذي وابن ماجة وابن
حبان في صحيحه بمعناه وقال الترمذي حسن غريب وكلهم خرجه من
رواية عمرو بن قيس الكندي عن عبد الله بن بسر وخرجه ابن حبان

في

في صحيحه وغيره من حديث معاذ بن جبل قال اخر ما فارقت عليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان قلت اي الاعمال خير واقرب الى الله قال ان
تموت ولسانك رطب من ذكر الله عز وجل قد سبق في هذا الكتاب متفرقا ذكر
كثير من فضايل الذكر ونذكر هاهنا فضل ادامته والاكثار منه فقد امر الله
سبحانه وتعالى المومنين بان يذكروه ذكرا كثيرا ومدح من ذكره كذلك قال الله تعالى
يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا وقال تعالى واذكروا
الله كثيرا لعلكم تفلحون وقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم
وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على جبل
يقال له جمدان فقال سيروا هذا جمدان سبق المفردون قالوا وما المفردون
يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات وخرجه الامام احمد ولفظه سبق
المفردون قالوا وما المفردون قال الذين يهترون في ذكر الله عز وجل وخرجه
الترمذي وغيره قالوا يا رسول الله وما المفردون قال المستهترون في ذكر الله تعالى
يضع عنهم اثقالهم فياتون يوم القيامة خفافا وروى موسى بن عبيدة عن
ابي عبد الله القراظ عن معاذ بن جبل قال بينا نحن مع رسول الله عليه السلام
نسير بالدف من جمدان اذ استنبه فقال يا معاذ اين السابقون الذين يستهترون
بذكر الله عز وجل خرجه جعفر الفريابي ومن هذا السياق يظهر وجه
ذكر السابقين في هذا الحديث فانه لما سبق الركب وتخلف بعضهم نبه رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ان السابقين في الحقيقة هم الذين يديمون ذكر الله
عز وجل ويولعون به فان الاستهتار بالشي هو الولوع به والشغف حتى لا يكاد
يفارق ذكره وهذا على رواية من رواه المستهترون ورواه بعضهم فقال
الذين اهتروا في ذكر الله وفسر ابن قتيبة المهتر بالسقط في الكلام كما في
الحديث المستبان شيطانان يتكاذبان ويتهاتران قال والمراد من هذا الحديث من
عمر وخرف في ذكر الله وطاعته قال والمراد بالمفردين على هذه الرواية من
انفرد بالعمر عن القرن الذي كان فيه واما على الرواية الاولى قال فالمراد
بالمفردين المتخلين من الناس بذكر الله كذا قال ويحتمل وهو الاظهر
ان المراد بالانفراد على الروايتين الانفراد بهذا العمل وهو كثرة الذكر
دون الانفراد الحسي اما عن القرن واما عن المخالطة والله اعلم

ومن هذا المعنى قول عمر بن عبد العزيز ليلة عرفة بعرفة عند قرب الافاضة
ليس السابق اليوم من سبق بعيره انما السابق من غفر له وبهذا الاسناد عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله
عز وجل وخرج الامام احمد والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه عن ابي سعيد
الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال استكثروا من الباقيات الصالحات
قيل وما هن يا رسول الله قال التكبير والتسبيح والتهليل والحمد لله ولا حول
ولا قوة الا بالله وفي المسند وصحيح ابن حبان عن ابي سعيد الخدري ايضا عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال اكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون وروى ابو نعيم
في الحلية من حديث ابن عباس مرفوعا اذكروا الله ذكرا يقول المنافقون انكم
مراوون وخرج الامام احمد والترمذي من حديث ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
سيل اي العباد افضل ودرجة عند الله يوم القيامة قال الذاكرون الله كثيرا
قيل يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله قال لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين
حتى تنكسر وتختضب دما لكان الذاكرون لله عز وجل افضل منه درجة وخرج
الامام احمد من حديث سهل ابن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا
ساله فقال اي المجاهدين اعظم اجرا يا رسول الله قال اكثرهم لله ذكرا قال فاي الصائمين
اعظم قال اكثرهم لله ذكرا فقال ابو بكر الي ابا حفص ذهب الذاكرون بكل خير فقال
رسول الله عليه السلام وقد خرجه بن المبارك ابن ابي الدنيا من وجوه اخر
مرسلة بمعناه وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يذكر الله على كل احيانه وقال ابو الدرداء الذين لا تزال السنتهم رطبة
بذكر الله يدخل احدهم الجنة وهو يضحك وقيل له ان رجلا اعتق مائة نسمة
قال ان مائة نسمة من مال رجل كثير وافضل من ذلك ايمان ملزوم بالليل
احب الي من ان احمل على جياد الخيل في سبيل الله من بكرة الى الليل وقال
ابن مسعود في قوله اتقوا الله حق تقاته قال ان يطاع فلا يعصى ويذكر
فلا ينسى ويشكر فلا يكفر وخرجه الحاكم مرفوعا وصححه والمشهور وقفه
وقال زيد ابن اسلم قال موسى عليه السلام يا رب قد ذكرتني كثيرا فقد
شكرتني فاذا ذكرتني كثيرا فقد شكرتني واذا نسيتني فقد كفرتني وقال
الحسن احب عباد الله اكثرهم له ذكرا وانقاهم قلبا وقال احمد ابن ابي

الحواري

الحواري حدثني ابو الحارث الخارقي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مررت ليلة اسري بي برجل مغيب في نور العرش قلت من هذا ملك قيل لا
قلت نبي قال لا قلت من هو قال هذا رجل كان لسانه رطبا من ذكر الله تعالى
وقلبه معلق بالمساجد ولم يستسب لوالديه قط وقال ابن مسعود قال موسى
عليه السلام يا رب اي الاعمال احب اليك ان اعمل به قال ان تذكرني فلا
تنساني وقال ابو اسحاق بن ميثم بلغني ان كعب من اكثر ذكر الله
بري من النفاق ورواه مرسل عن حماد بن سلمة عن سهيل عن ابيه عن
ابي هريرة مرفوعا وخرج الطبراني بهذا الاسناد مرفوعا من لم يكثر ذكر الله
فقد بري من الايمان ويشهد لهذا المعنى ان الله تعالى وصف المنافقين بانهم
لا يذكرون الله الا قليلا فمن اكثر ذكر الله فقد باينهم في اوصافهم ولهذا ختمت
سورة المنافقين بالامر بذكر الله وان لا يلهي المومن عن ذلك مال ولا ولد وان من
الهاه ذلك عن ذكر الله فهو من الخاسرين قال الربيع بن انس عن بعض اصحابه
علامة حب الله كثرة ذكره فانك لن تحب شيئا الا اكثرت ذكره قال فتح الموصلي
المحب لله لا يغفل عن ذكر الله طرفة عين وقال ذو النون المصري من اشتغل
قلبه ولسانه بالذكر كان يقال من علامة المحب لله دوام الذكر بالقلب واللسان
وقل ما وقع المومن بذكر الله عز وجل الا افاد منه حب الله عز وجل وكان
بعض عباد السلف يقول في مناجاته اذا سئم البطالون من بطالتهم فلن يسام محبوك
من مناجاتك وذكرك قال ابو حفص العولي ولي الله المحب لله لا يخلو قلبه
من ذكر ربه ولا يسام من خدمته وقد ذكرنا قول عائشة رضي الله عنها كان يذكر
الله على كل احيانه والمعنى في حال قيامه ومشيه وقعوده كانت ذواب
البحر في البحر يسكن ويونس عليه السلام في السجن لا يسكن عن ذكر الله
عز وجل كان لابي هريرة خيط فيه الفا عقدة فلا ينام حتى يسبح به وكان
ابن معدان يسبح كل ليلة اربعين الفا تسبيحة سواها يقرا من القران
فلما مات ووضع على سريره ليغسل فجعل يشير باصبعه يحركها بالتسبيح
وقيل لعمير بن هاني ما نرى لسانك يفتر فكم تسبح كل يوم قال مائة الف
تسبيحة الا ان تخطي الاصابع يعني انه يعد ذلك باصابعه وقال عبد العزيز
ابن ابي رواد كانت عندنا امراة بمكة تسبح كل يوم اثني عشر الف تسبيحة

خائفًا فلما بلغت العير اختلست من ايدي الرجال لان الحسن البصري كثيرًا ما يقول
اطالم عليك ولم يكن له شغل بسبحان الله العظيم فذكر ذلك ليعقّب فقها ملة
فقال لا افلحكم لفقيه ما قالها احد فيسبح مرات الا بني الله بيتًا في الجنة وكان
عامة كلام بن سيرين سبحان الله العظيم سبحان الله وبحمده كان الفقيره به
حكيم الصفا اذا صلان العيون ترى في الجوقام في الما يذكر الله فاغتم لم على
عزي نفسه بهم ذلك فضل الله يؤتيه من يشا المحب اسم محبوبه لا يغيب
عن قلبه فلو كلف ان ينسى تذكره لما قدر ولو كلف ان يكون عنه ذكره بلسانه لما صبر
شعر كيف ينسى المحب ذكر حبيب   اسمه في فواده مكتوب
كان بلال رضي الله عنه لما عذبه المشركون في الرمضا على التوحيد يقول احد
احد فاذا قالوا له قل اللات والعزى قال لا احسنه شعر
يراد من القلب نسيانكم   وتابى الطباع على الناقل
فلما قويت المعرفة صار الذكر يجري على لسان الذاكر من غير كلفة حتى كان
بعضهم يجري على لسانه في منامه الله الله ولهذا يلهم اهل الجنة التسبيح
كما يلهمون النفس ويغير لا اله الا الله لهم كالما البارد لاهل الدنيا كان الثوري
ينشد ويقول لا لاني انساك لاكثر ذكراك   لكن بذاك تجري لساني
اذا سمع المحب ذكر اسم حبيبه من غيره زاد طربه وتضاعف قلقه قال النبي عليه
السلام لابن مسعود اقرا علي القران قال اقرا عليك وعليك انزل فقال اني
احب اذا سمعه من غيري فقرا عليه ففاضت عيناه سمع الشبلي قايلا
يقول يا اسعد يا سعدى فاضطرب وانشد   وداع دعى اذ نحن بالخيف من منى
فهيج اشجان الفواد وما يدري   دعى باسم ليلى غيرها فكانما
اطار بليلى طايرا كان في صدري   البيض يترعع عند ذكرا المحبوب
اذا ذكر المحبوب عند حبيبه   ترنح نشوان وحن طروب
ذكر المحبين على خلاف ذكر الغافلين انما المومنون الذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم واني ليعروني لذكرك هزة   كما انتفض العصفور بلله
القطر احد السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله رجل ذكر
الله خاليا ففاضت عيناه قال ابو الجلد اوحى الله الى موسى عليه السلام
اذا ذكرتني فاذكرني وانت تنتفض اعضاوك وكن عند ذكري خاشعا

مطمينا

مطمينا فاذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك وصف علي رضي الله عنه
يوما الصحابة فقال كانوا اذا ذكروا الله مادوا كما يميد الشجر في اليوم الشديد
الريح وجرت دموعهم على ثيابهم قال زهير البابي ان لله عبادا ذكروه
فخرجت نفوسهم اعظاما واشتياقا وقوما ذكروه فوجلت قلوبهم فرقا
وهيبة فلو حرقوا بالنار لم يجدوا مس النار واخرون ذكروه في الشتا والبرد
فارفضوا عرقا من خوفه وقوما ذكروه فحالت الوانهم غبرا وقوما ذكروه
فجفت اعينهم سهرا صلى ابو زيد الظهر فلما اراد ان يكبر لم يقدر اجلالا
لاسم الله عز وجل وارتعد فرايصه حتى سمعت قعقعة عظامه كان ابو
حفص النيسابوري اذا ذكر الله تغيرت عليه حاله حتى يرى ذلك جميع من عنده
وكان يقول ما اظن ان محقا يذكر الله عن غفلة ثم يبقى حيا الا الانبيا فانهم
ايدوا بقوة النبوة وخواص الاوليا بقوة ولايتهم اذا سمعت باسم الحبيب تقعقعت
مفاصلها من هول ما تذكره وقف ابو يزيد ليلة يجتهد الى الصباح يجتهد ان
يقول لا اله الا الله فما قدر اجلالا وهيبة فلما كان عند الصباح تركه فقال انتم
وما ذكرتكم الا نسيتكم   نسيان اجلال لا نسيان اهمال
اذا تذكرت من انتم وكيف انا   اجللت مثلكم يجري على بالي
الذكر لذة قلوب العارفين قال الله عز وجل الذين امنوا وتطمين قلوبهم بذكر الله
الا بذكر الله تطمين القلوب قال مالك ابن دينار ما يلتذ المتلذذون قبل ذكر
الله عز وجل وفي بعض النسخ الكتب السالفة يقول الله عز وجل معشر الصديقين
بي فافرحوا وبذكري فتنعموا وفي حديث الفردوس ذكره وينيبون الى الذكر كما
ينيب النسور الى وكرها وعن ابن عمر قال اخبرني اهل الكتاب ان هذه الامة تحب
الذكر كما تحب الحمامة وكرها ولهم اسرع الى ذكر الله من الابل الى وردها يوم ظمايها
قلوب المحبين لا يطمين الا بذكر الله وارواح المشتاقين لا تسكن الا بروبته قال ذو
النون ما طابت الدنيا الا بذكره ولا طابت الاخرة الا بعفوه ولا طابت الجنة الا برويته
ابدا نفوس الى ظلوكم تحن   ولذا القلوب بذكركم من المخافة تطمين
جنت بحبكم ومن يهوى الحبيب ولا يجن   بحياتكم يا سادتي جودوا بوصلكم منوا
فنسيت حديث اذ ذكروا اسمي يقولوا انه مجنون لبعضهم
لقد اكثرت من ذكراك   حتى قيل وسواس كان ابو مسلم الخولاني كثير

الذكر فرآه بعض الناس فأنكر حاله فقال لأصحابه أمجنون صاحبكم قال لا يا
أخي ولكن هذا دوا المجنون وحرمة الود ما لي عنكم عوض

وليس لي في سواكم يا سادتي عوض قد شرطت على قوم صحبتهم

بأن قلبي لكم من دونهم فرضوا ومن حديثي بكم قالوا به مرض

فقلت اني لا عني ذاك المرض المحبون يستوحشون من كل شاغل يشغل عن الذكر
فلا شيء أحب إليهم من الخلوة بحبيبهم قال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين
كلموا الله كثيرا وكلموا الناس قليلا قالوا كيف نكلم الله كثيرا قال اخلوا بمناجاته واخلوا
بدعائه وكان بعض السلف يصلي كل يوم ألف ركعة حتى أقعد من رجليه فكان يصلي
جالسا ألف ركعة فإذا صلى العصر احتبى واستقبل القبلة ويقول عجبت للخليقة
كيف أنست بسواك بل عجبت للخليقة كيف استنارت قلوبها بذكر سواك وكان بعضهم
يصوم الدهر فإذا كان وقت الفطور قال أحس نفسي تخرج لاشتغالي عن الذكر
بالأكل قيل لمحمد بن النضر أما تستوحش وحدك قال كيف أستوحش وهو يقول
أنا جليس من ذكرني شعر فوا شوقي الى بلد خلي لعلي بالحبيب اهيم انادي
فإذا قوي حال المحب ومعرفته لم يشغله عن الذكر بالقلب واللسان شاغل فهو
من الخلق بجسمه وقلبه متعلق بالمحل الأعلى كما قال علي رضي الله عنه في صفتهم
صحبوا الدنيا بأجساد أرواحها متعلقة بالمحل الأعلى وفي هذا المعنى قيل جسمي
معي غير أن الروح عندكم فالجسم في غربة والروح في وطن وقال غيره

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي وأبحت جسمي من أراد جلوسي

فالجسم مني للجليس مؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

ومن هنا كانت حالة الرسل والصديقين قال تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة
فاثبتوا واذكروا الله كثيرا وفي الترمذي مرفوعا يقول الله عز وجل إن عبدي
كل عبدي الذي يذكرني وهو ملاق قرنه وقال عز وجل فإذا قضيتم الصلاة
فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم يعني الصلاة في حالة الخوف ولهذا
قال فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة وقال عز وجل في صلاة الجمعة فإذا قضيت
الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون
فأمر بالجمع بين الابتغاء من فضله وكثرة ذكره ولهذا ورد فضل الذكر في الأسواق
ومواطن الغفلة كما في المسند والترمذي وسنن ابن ماجه عن ابن عمر مرفوعا

من دخل سوقا من الأسواق فيها يصاح ويباع فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله
الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف
حسنة ومحى عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وفي حديث آخر ذاكر الله
في الغافلين كالمقاتل عن الفارين وذاكر الله في الغافلين كشجرة خضراء في وسط
شجر يابس قال أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود ما دام قلب الرجل يذكر الله فهو في صلاة
وإن كان في السوق وإن تحرك به شفتاه فهو أفضل وكان بعض السلف يقصد السوق
ليذكر الله فيها بين أهل الغفلة والتقى رجلان منهم في السوق فقال أحدهما
لصاحبه تعال حتى نذكر الله في غفلة الناس فخلوا في موضع فذكرا الله ثم تفرقا ثم
مات أحدهما فلقيه الآخر في منامه فقال له أشعرت أن الله غفر لنا
عشية التقينا في السوق فصل في وظائف الذكر الموظفة في اليوم والليلة
معلوم أن الله افترض على المسلمين بأن يذكروه كل يوم وليلة خمس مرات بإقامة
الصلوات الخمس في مواقيتها الموقتة وشرع لهم مع هذه الفرائض الخمس أن
يذكروه ذكرا يكون لهم نافلة والنافلة الزيادة فيكون ذلك زيادة على الخمس
وهو نوعان أحدهما ما هو من جنس الصلاة فشرع لهم أن يصلوا مع الصلوات
الخمس قبلها وبعدها أو قبلها وبعدها سننا تكون زيادة على الفريضة فإن كان
في الفريضة نقص جبر نقصها بهذه النوافل وإلا كانت النوافل زيادة على
الفرائض وأطول ما يتخلل من مواقيت الصلوات ما ليس فيه صلاة مفروضة
ما بين صلاة العشاء وصلاة الفجر وصلاة الظهر فشرع فيما بين كل واحد من هاتين
الصلاتين صلاة تكون نافلة لئلا يطول وقت الغفلة عن الذكر وشرع فيما
بين صلاة العشاء وصلاة الفجر الوتر وقيام الليل وشرع فيما بين صلاة
الفجر وصلاة الظهر صلاة الضحى وبعض هذه الصلوات آكد من بعض فآكدها
الوتر ولذلك اختلف العلماء في وجوبه ثم قيام الليل وكان النبي صلى الله عليه
وسلم يداوم عليه حضرا وسفرا ثم صلاة الضحى وقد اختلف الناس فيها
وفي استحباب المداومة عليها وفي الترغيب فيها أحاديث صحيحة وورد
الترغيب في الصلاة أيضا عقيب زوال الشمس وأما الذكر باللسان فمشروع
في جميع الأوقات ويتأكد في بعضها فما يتأكد فيه الذكر عقيب الصلوات
المفروضات أن يذكر الله عقيب كل صلاة منها مائة مرة ما بين تسبيح وتحميد
وتكبير وتهليل والحكمة في الذكر بين الصلاتين الذي لا تطوع بعدها

وهما الفجر والعصر فيشرع الذكر بعد صلاة الفجر الي ان تطلع الشمس وبعد
العصر حتي تغرب الشمس وهذان الوقتان اعني وقت الفجر ووقت العصر هما
افضل اوقات النهار للذكر ولهذا امر الله بذكره فيهما في مواضع من القران كقوله
وسبحوه بكرة واصيلا وقوله وسبح بالعشي والابكار وقوله فاوحى اليهم
ان سبحوا بكرة وعشيا وقوله واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار
وقوله واذكر ربك اذا نسيت وقوله واذكر ربك في نفسك تضرعا ودون الجهر من القول
بالغدو والاصال ولا تكن من الغافلين وقوله وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس
وقبل غروبها وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وافضل ما فعل
في هذين الوقتين من الذكر صلاة الفجر وصلاة العصر وهما افضل الصلوات وقد
قيل في كل منهما انها الصلاة الوسطى وهما البردان اللذان من حافظ عليهما دخل
الجنة ويليها من الاوقات للذكر بالليل ولهذا ذكر بعد ذكر هذين الوقتين في القران
تسبيح الليل وصلاة والذكر المطلق يدخل فيه الصلاة وتلاوة القران وتعلمه
وتعليمه والعلم النافع كما يدخل فيه التسبيح والتكبير ونحوه بعد الفجر والعصر
وسيل الاوزاعي عن الذكر فقال كان هديهم ذكر الله فان قرا فحسن وظاهر
هذا ان الذكر في هذا الوقت افضل من التلاوة وكذا قال اسحاق في التسبيح
عقب المكتوبات مائة مرة انه افضل من التلاوة حينئذ والاذكار والادعية
المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصباح والمسا كثير جدا ويستحب
ايضا احيا ما بين العشائين بالصلاة والذكر وقد تقدم من حديث انس انه
نزل في ذلك قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا
وطمعا ويستحب تاخير صلاة العشا الى ثلث الليل كما دلت عليه الاحاديث
الصحيحة وهو مذهب احمد وغيره وغيره حتى يفعل هذه الصلاة في وقتها
وهو اخره ويشتغل منتظر هذه الصلوات في جماعة في هذا الثلث الاول
بالصلاة او بالذكر وانتظار الصلاة في المسجد ثم اذا صلى العشا وصلى بعدها
ما يتبعها من سننها الراتبة او وتر بعد ذلك ان كان يريد ان يوتر قبل النوم
فاذا اوى الى فراشه بعد ذلك للنوم فانه يستحب ان لا ينام الا على
طهارة وذكر فيسبح ويكبر ويحمد تمام مائة كما علم النبي صلى الله عليه
وسلم فاطمة وعليا عند منامهما وياتي بما قدر عليه من الاذكار
عن النبي صلى الله عليه وسلم عند النوم وهي انواع متعددة من تلاوة

القران

القران فليذكر الله كلما تقلب وفي صحيح البخاري عن عبادة بن الصامت
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تعار من الليل فقال لا اله الا الله
وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ثم قال رب اغفر
او قال ثم دعي استجيب له فان عزم وتوضا ثم صلى قبلت صلاته وفي
الترمذي عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم من اوى الى فراشه طاهرا
يذكر الله حتى يدركه النوم لم يتقلب ساعة من الليل يسال الله شيا من
خير الدنيا والاخرة الا اعطاه اياه وخرجه ابو داود بمعناه من حديث
معاذ وخرجه النساي من حديث عمرو بن عبسة والامام احمد من حديث
عمرو بن عبسة في هذا الحديث فكان يقول اول ما يستيقظ سبحانك لا اله
الا انت اغفر لي الا انسلخ من خطاياه كما تنسلخ الحية من جلدها وثبت انه
صلى الله عليه وسلم كان اذا استيقظ من منامه يقول الحمد لله الذي احياني
بعد ما اماتني واليه النشور ثم اذا قام الى الوضوء والتهجد اتى بذلك كله
على ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ويختم تهجده بالاستغفار في
السحر كما مدح الله المستغفرين بالاسحار واذا طلع الفجر صلى ركعتي الفجر
ثم صلى الفجر ويشتغل بعد صلاة الفجر بالذكر الماثور الى ان تطلع الشمس
على ما تقدم ذكره فمن كان حاله على ما ذكر لم يزل لسانه رطبا بذكر
الله فيستصحب الذكر حتى ينام عليه ثم يبدا به عند استيقاظه وذلك
من دلايل صدق المحبة كما قال بعضهم واما ما يفعله الانسان في اثنا الليل
والنهار من يصالح بدينه ودنياه فعامة ذلك يشرع ذكر اسم الله عليه فيشرع له
ذكر اسم الله وحمده على اكله وشربه ولباسه وجماعه لاهله ودخوله منزله
وخروجه منه ودخوله الخلا وخروجه منه وركوبه دابته ويسمي على
ما ذبحه من نسك وغيره ويشرع له حمد الله تعالى عند عطاسه وعند روية
اهل البلا في الدين او الدنيا وعند التقا الاخوان وسوال بعضهم بعضا عن
حاله وعند تجدد ما يحبه الانسان من النعم واندفاع ما يكرهه من النقم
واكمل من ذلك ان يحمد الله تعالى على السرا والضرا والشدة والرخا ويحمده
على كل حال ويشرع له دعا الله تعالى عند دخوله السوق وعند سماع اصوات

الديكة بالليل وعند سماع الرعد وعند نزول المطر وعند اشتداد هبوب
الرياح وعند روية الاهلة وعند رويته باكورة الثمار ويشرع له ايضا
ذكر الله ودعاوه عند نزول الكرب وحدوث المصايب الدنيويه وعند
الخروج للسفر وعند نزول المنازل في السفر وعند الرجوع من السفر ويشرع
له التعوذ بالله عند الغضب وعند رويته ما يكره في منامه وعند سماع اصوات
الكلاب والحمير ويشرع له استخارة الله عند العزم على ما لا تظهر الخيرة فيه
وتجب التوبة الى الله تعالى والاستغفار من الذنوب كلها صغيرها وكبيرها
كما قال تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا
لذنوبهم فمن حافظ على ذلك لم يزل لسانه رطبا من ذكر الله في ماله وكل
احواله والله اعلم

فصل في بيان ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث
بجوامع الكلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه جوامع الكلم ويختاره على
غيره من الذكر كما في صحيح مسلم عن ابن عباس عن جويرية بنت الحارث
رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى
الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد ان صلى الضحى وهي جالسة فقال ما زلت
على الحال التي فارقتك عليها قالت نعم قال النبي صلى الله عليه وسلم لقد قلت
بعدك اربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن سبحان
الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته وخرجه
النساي ولفظه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر عدد خلقه
ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته وخرج ابو داود والنساي
والترمذي منه حديث سعد ابن ابي وقاص انه دخل مع النبي عليه السلام
على امراة وبين يديها نواة او قال حصاة تسبح فقال الا اخبرك بما هو ايسر
من هذا او افضل من هذا او افضل سبحان الله عدد ما خلق من السما وعدد
ما خلق في الارض وسبحان الله عدد ما بين ذلك وسبحان الله عدد ما هو
خالق والله اكبر مثل ذلك وخرج الترمذي من حديث صفية قالت دخل على
رسول الله عليه السلام وبين يديه اربعة الاف نواة سبح الله بها فقالت
لقد سبحت بهذه فقال الا اعلمك باكثر مما سبحت به فقلت علمني قال قولي
سبحان الله عدد خلقه وخرج النسايي وابن ماجة في صحيحه من حديث

ابي داود امامة ان النبي عليه السلام مر به وهو يحرك شفتيه فقال ماذا
تقول يا ابا امامة قال اذكر ربي قال الا اخبرك باكثر او افضل من ذكرك الليل
مع النهار والنهار مع الليل ان يقول سبحان الله عدد ما خلق سبحان الله ملء ما خلق
سبحان الله عدد ما في الارض والسما وسبحان الله ملء كل شي وتقول الحمد
لله مثل ذلك وخرج البزار نحوه من حديث ابي الدردا وخرج ابن ابي الدنيا باسناد
له ان النبي عليه السلام قال لمعاذ يا معاذ كم تذكر ربك كل يوم تذكره كل يوم
عشرة الاف مرة قال كل ذلك افعل قال افلا ادلك على كلمات هن اهون عليك
من عشرة الاف وعشرة الاف ان تقول لا اله الا الله عدد ما احصاه لا اله الا الله
عدد كلماته لا اله الا الله ملء سمواته لا اله الا الله ملء ارضه لا اله الا الله مثل ذلك
معه والله اكبر مثل ذلك معه والحمد لله مثل ذلك معه وباسناده عن ابن مسعود
رضي الله عنه ذكر له امراة تسبح بخيوط معقدة فقال الا ادلك على ما هو
خير منه سبحان الله ملء البر والبحر سبحان الله ملء السموات والارض والبر
والبحر وباسناده عن المعتمر بن سليمان التيمي كان ابي يحدث خمسة احاديث
ثم يقول امهلوا سبحان الله وبحمده ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم عدد ما خلق الله وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق وملء
سمواته وملء ارضه وامثال ذلك واضعاف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه
ومنتهى رحمته ومداد كلماته ومبلغ رضاه وحتى يرضى واذا رضي وعدد ما ذكره
خلقه فيما مضى وعدد ما هم ذاكروه فيما بقي في كل سنة وشهر ويوم وجمعة
وليلة وساعة من الساعات ونسم وتنفس من الابد الى الابد ابد الدنيا
والاخرة ابدا مثل ذلك لا ينقطع اولاه ولا ينفد اخراه وباسناده عن المعتمر بن
سليمان قال عبد الملك بن خالد بعد موته فقلت ما صنعت قال خيرا قلت ترجو
للخاطي شيا قال يلتمس له علم تسبيحات ابي المعتمر نعم الشي قال ابن ابي
الدنيا وحدثني محمد بن الحسن حدثني بعض البصريين ان يونس ابن
عبيد راى رجلا فيما يرى النايم كان قد اصيب ببلاد الروم فقال ما افضل
ما رايت ثم من الاعمال قال رايت تسبيحات ابي المعتمر من الله بمكان ولذلك
كان النبي عليه السلام يعجبه من الدعا جوامعه ففي سنن ابي داود
عن عايشه رضي الله عنها قالت كان النبي عليه السلام يعجبه الجوامع

من الدعا ويدع ما بين ذلك وعن الغزالي وغيره من حديث عايشه
رضي الله عنها ان النبي صلي الله عليه وسلم قال لها يا عايشه عليك بجوامع
الدعا اللهم اني اسيلك من الخير كله عاجله واجله ما علمت منه وما لم
اعلم اللهم اني اسالك من خير ما سالك منه عبدك ونبيك واعوذ بك من الشر
شر ما استعاذك منه عبدك ونبيك محمد صلي الله عليه وسلم اللهم اني اسيالك
الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واسيالك ما قضيت لي من قضا وقدر
مسلم فيه العقل والدين واجعل عاقبته خيرا ورشدا يا ارحم الراحمين

فصل في جوامع الادعية المروية عن النبي عليه السلام خرج الامام
احمد وبن ماجة وبن حبان في صحيحه والحاكم وليس عندهم ذكر جوامع
الدعا وعند الحاكم عليك بالكوامل وذكره وخرجه ابو بكر الاثرم وعنده
ان النبي عليه السلام قال لعايشه ما يمنعك ان تاخذي بجوامع الكلم وفواتحه
وذكر هذا الدعا وخرجه الترمذي من حديث ابي امامة قال دعي النبي عليه
بدعا كثير لم نحفظ منه شيا فقلنا يا رسول الله دعوت بدعا كثير لم نحفظ
منه شيا فقال الا ادلكم ما يجمع ذلك كله تقول اللهم اني اسالك من خير
ما سالك منه نبيك محمد وانت المستعان وعليك البلاغ ولا حول ولا قوة
الا بالله وخرج الطبراني وغيره من حديث ام سلمة رضي الله عنها ان النبي
صلي الله عليه كان يقول في دعا له طويل اللهم اني اسالك فواتح الخير وخاتمه
وجوامعه واوله واخره وباطنه وظاهره وفي المسند ان سعد ابن ابي
وقاص سمع ابنا له يدعوا يقول اللهم اني اسيلك الجنة ونعيمها واستبرقها
ونحوا من هذا واعوذ بك من النار وسلاسلها واغلالها فقال سالت
الله خيرا كثيرا وتعوذت بالله من شر كثير واني سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم
يقول انه سيكون قوم يعتدون في الدعا وقرا هذه الاية ادعوا ربكم تضرعا
وخفية لانه انه لا يحب المعتدين وان حسبك ان تقول اللهم اني اسالك الجنة
وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل
وفي الصحيحين عن ابن مسعود كنا نقول في الصلاة خلف رسول الله صلي
الله عليه وسلم قال ان الله هو السلام فاذا قعد احدكم في الصلاة
فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة

الله

الله وبركاته السلام علينا وعلي عباد الله الصالحين فاذا قالها اصابت
كل عبد صالح في السما والارض اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده
ورسوله ثم يتخير من المسيله ما شا الله وفي المسند عن بن مسعود قال ان
رسول الله صلي الله عليه وسلم علم فواتح الخير وخواتمه وجوامعه وقال جوامع
الخير وخواتمه وانا كنا لا ندري ما نقول في صلاتنا حتي علمنا هذا اخر
الكتاب فالحمد لله اولا واخرا باطنا وظاهرا بجميع محامده كلها ما علمنا
منها وما لم نعلم سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله
غيرك ولا نحصي ثنا عليك انت كما اثنيت علي نفسك فلك الحمد حتي ترضي
ولك الحمد علي الرضا ولك الحمد اذا رضيت كما ينبغي لكرم وجهك وعز جلالك
وعظم سلطانك لله رب العالمين وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي اله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا الي يوم الدين امين امين امين وكان الفراغ من
كتابته يوم الاربعا تاسع عشر شهر ربيع اول من شهور سنة الف ومايه
اثنين واربعين الهلالية من الهجرة النبوية علي صاحبها افضل
الصلاة واتم التسليم وعلقه افقر العباد لله واحوجهم الي
الله محمد ابن محمد علي بن بدر الدين المنوفي بلدا
المالكي مذهبا غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين
اجمعين امين ولمن دعي له بالمغفرة او دعا بيا
وسدده ورضي الله تعالي عن اصحاب
رسول الله اجمعين وحسبنا الله ونعم
الوكيل امين امين

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ
قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَذِيبُوا طَعَامَكُمْ بِذِكْرِ اللّٰهِ